السيرة الحامدية

لأخبار سيد البشرية

محمد ﷺ

المؤلفين

الشيخ / محمد خير حامد

د. علي درويش الشمالي   الشيخ / عبدالله نجيب سالم

السِّيرَةُ الحَامِدِيَة

لأخبار سيِّد البشريَّة

الطبعة الأولى
دولة الكويت
2026 م - 1447 هـ

المجلس الإقتصادي للدول الإسلامية
Economic Council Of Muslim Countries
Geneva, London, Kuwait, Valencia

المؤلفين

الشيخ / محمد خير حامد

د. علي درويش الشمالي   الشيخ / عبدالله نجيب سالم

www.ecmcc.org
P.o.Box 2799 Safat - Kuwait   ص.ب ٢٧٩٩ الصفاة - الكويت

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله

إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي

قال: ما شئت. قال قلت الربع

قال: **ما شئت فإن زدت فهو خير لك.** قلت النصف

قال: **ما شئت فإن زدت فهو خير لك.** قال قلت فالثلثين

قال: **ما شئت فإن زدت فهو خير لك.**

قلت أجعل لك صلاتي كلها

قال: «**إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك**».

قال الإمام الترمذي رحمه الله: (هذا حديث حسن صحيح)

« أحدث ما كتب في السيرة النبوية : عمل جليل يسعى لتصحيح المفاهيم وأحياء المعانى السامية فى حياج صاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام .

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين الذي أنزلت عليه الكتاب، وأتيته الحكمة وفصل الخطاب، وأرسلته للناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إليك بإذنك وسراجاً منيراً، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فجزاه الله عنا خير الجزاء, سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

وبعد, فقد من الله علينا ووفقنا أن نجمع هذا العمل من السيرة النبوية الشريفة، فقد اطلعنا على عدة مؤلفات بالسيرة النبوية ، فوجدنا منها المطول، والمكرر الذي تعاد القصة كلها لاختلاف لفظ ولو كان المعنى واحداً، ومنها الملخص المخل الذي أفرط في تلخيصه وإختصاره حتى ضاق، فقل الانتفاع به، وفقد كثيراً من محاسنه ومزاياه فسلكنا طريقاً وسطاً ، لخصنا الحوادث البسيطة التي ليس لها أهمية حربية (١)، وحذفنا المكرر وتوسعنا عند الحاجة (٢) ، حيث لا يغني الاختصار كغزوة أحدوما تلاها من أحداث مثلاً: فقد جعلناها خمسين صفحة قرابة ، وذلك لما فيها من بطولات، وتضحيات وعبر ! فلو لخصنا شيئاً منها لفات القارئ معرفة أبطال وشهداء ليس لهم ذكر إلا في هذه الغزوة. وكذلك كل موقف من مواقفه عليه الصلاة والسلام لها أهميتها وشأنها فقد أتينا بها مفصلة كاملة، حيث لا يمكن الاستغناء عنها.

القارئ العزيز, لقد جئنا في هذه المقدمة ببعض الأمثلة من السيرة المطهرة كذكر بعض الحوادث، أو ذكر بعض الرجال بالمناسبة، وذلك ترغيباً لمن لم يكن قد طالع السيرة بعد، وتشجيعاً على قراءتها، وقد أتينا فيها ببعض ما نزل من القرآن الكريم في بعض الغزوات العظيمة وذكرنا فيها بعضاً من أسماء آل البيت والصحابة الكرام الذين أتوا بأعمال خالدة، وقاموا ببطولات وتضحيات عظيمة سجلها لهم التاريخ في مواضعها من هذه السيرة المشرفة وليس لهم ذكر ولا يعرفهم كثير من الناس إلا من اطلع على السيرة.

كما أضفنا أحصائيات مهمة مثل المسافات التى قطعها الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام فى الدعوة ونشر الإسلام بالإضافة إلى هوامش غنيمة بالمعلومات المهمة والإيضاحات ناهيك عن الصور للمواقع التى تبين الأحداث ليسهل على القارئ فهمها .

المؤلفين

الشيخ / محمد خير حامد
د. علي درويش الشمالي
الشيخ / عبدالله نجيب سالم

---

(1) أي أخذت بالرواية القصيرة.
(2) وأخذت بالرواية المفصلة عند الحاجة وفي الحوادث المهمة.

المؤلف في سطور

الشيخ / محمد خير حامد

ولد الشيخ محمد خير حامد في بلدة اريحا السورية أوائل القرن العشرين واريحا بلدة جميلة تقع أسفل جبل الأربعين وهي قريبة من ادلب كما انها قريبة من معرة النعمان وجسر الشغور. تعلم مبادئي الدين صغيراً على يد مشايخ بلده، واتقن الخط الجميل والعبارة الواضحة واشتغل بشيء من التجارة ليحصل على قوته. تزوج زوجة صالحة وأنجب منها اولاداً عرف منهم الشيخ النحوي المفسر محمد نذير حامد والرجل الصالح أبو رضى.

تعرف الى الشيخ العارف بالله المربي الصالح محمد النبهان والتزم مجالسه، وكان مع حرصه عليها وهي حاشدة كثيرة الحضور قليل الاختلاط والمحادثة مع الناس منشغلاً بتدوين كتابه القيم الذي بين أيدينا السيرة الحامدية بخط يده كانت نفسه متعلقة برسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى فيه المثل الأعلى للإنسانية، وقد زاده في هذا الحب والتعلق حضوره لدروس الشيخ محمد النبهان التي كانت تحث وتؤكد على الاتباع والتمسك بالسنة النبوية والأخلاق المحمدية.

كان ذا وجه منور تزينه لحية ليست بالخفيفة ولا الكثيفة كما كان جميل الثوب أنيق المظهر مع بساطة ولطف ومهابه وعليه سيما الصالحين يلبس الثوب العريض وفوقه معطف طويل وعلى راسه طربوش احمر تلف به عمامة صفراء صغيرة. توفى رحمه الله عام ١٩٨٥ للميلاد (تقريباً).

ولا يعرف له مؤلف آخر غير هذا السفر البديع الذي بين أيدينا.

د. علي درويش الشمالي

- رئيس كلية مجان الجامعية (سلطنة عمان منذ ٢٠١٩م) .
- اسس العديد من شركات الاستثمار والعقار تعمل حسب الشريعة الاسلامية .
- مستشار لعدة بنوك وشركات استثمار وجهات حكومية
- مدير عام مركز البحوث العربية ومكتب الشرق الأوسط للاستشارات (٢٠٠١ - ٢٠٠٥ م)
- محاضر في جامعة لندن (١٩٩٦م) - بريطانيا) .
- محاضر في كلية الادارة (١٩٩٩ - ٢٠٠٣م الكويت).
- محاضر في جامعة دوفين (٢٠٠٨ م - باريس).
- ألف مجموعة من البحوث والمقالات والكتب باللغة الانجليزية مثل:
- (Arab Business: The Globalisation Imperative–Prentice Hall–London) .
- نائب رئيس تحرير Middle East Business Review (١٩٩٦-١٩٩٩م).
- حاصل على الدكتوراه بإدارة الاعمال من كلية رويال هولوي - جامعة لندن ١٩٩٦م.
- مؤلف كتب عربية مثل (الصلوات اليومية على خير البرية والصلوات القرآنية شخصيات الرسول» و «دعاء أسماء الله الحسنى».

الشيخ/عبد الله نجيب سالم

- مواليد : ١٩٥٢ . أريحا سورية.
- يشغل حالياً وظيفة باحث علمي في الموسوعة الفقهية في وزاره الأوقاف والشؤون الإسلامية .
- عمل إماماً وخطيباً في المساجد أكثر من خمسين عاماً .
- قدم الكثير من البرامج الإذاعية والتلفزيونية في الكويت.
- كتب عدة زوايا صحفية في القبس والأنباء والسياسة وغيرها من الصحافة الكويتية.
- يقوم حالياً بالإشراف العلمي على الموسوعة الفقهية المذاعة.
- عضو في لجان علمية واجتماعية عديدة.
- له مؤلفات كثيرة في السيرة النبوية .

التقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على المصطفى سيد الخلق صاحب الشفاعة وعلى آله واحبابه واتباعه كما يليق بعزتك ورحمتك وجلالك وحبك له عدد وزنة وملء كل شيء دائما أبداً. اللهم واننا نشهدك ونشهد جميع خلقك بأنك أنت الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن لك كفواً احد، وأن محمد ﷺ رسولك وصفيك وخليلك وحبيبك وإننا عبادك الضعفاء الظالمين لأنفسهم، نبوء بذنوبنا كلها ونستغفرك, من يغفر الذنوب إلا أنت، ونحمدك على جميع النعم ما علمنا منها وما لم نعلم. اللهم صل وسلم وبارك على المصطفى وعلى آله وأحبابه وأتباعه كلما صليت وسلمت وباركت عليه أنت وملائكتك بأحسن ما صليت وسلمت وباركت عليه وضاعفها اللهم كلما تكررت وتحققت أسمائك كلها قدر قدرتك في كل مرة وحين، وآته الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود الذي وعدته قدر ما ذكرت، وضاعف حسنها قدر ما ذكرت وقر عينه بأمته وأحبابه، وقر عيون أمته وأحبابه به قدر ما ذكرت فأنت مولانا, فنعم المولى ونعم النصير.

القارئ العزيز ، اثناء تجولنا في كتب جواهر السيرة النبوية، وإنها حق جواهر تنتقى في كل زمان والكتابة فيها توفيق وبركه من الله عز وجل، وهو نبع عظيم من العلم والمعرفة والأخلاق لا ينضب والحقيقة أن القراءة والكتابة عن المصطفى ﷺ كثيرة النفع عظيمة العطاء وقريبة الدعاء، فقد لاحظنا أن لغة الخطاب لم تتطور مع تغير الزمان لذلك ان الاوان ان يظهر نسخه جديدة تشرح السيرة النبوية مستفيده من التطور البحثي فى السيرة النبوية والخرائط لعرضها بواقعية ملموسة ولغه أسهل لعامة الناس.

الحمد لله الذي وفقنا –رغم إمكاناتنا العلمية المتواضعة– ووضع هذا الكتاب والجهد المبارك في طريقنا لنراجعه ونخدمه بهذا النمط، ونخرجه بعد أن كان حبيس الإدراج اكثر من ثلاثين سنه، وقد قدم المصطفى ﷺ في شريعته وسيرته السمحة قواعد للحياة لا تزال يشار لها بالبنان والاعجاب، فحتى العالم المتحضر اليوم يقف إجلالاً لتلك العبر والأخلاق والقوانين والقواعد، فنجد كلماته ومواقفه المباركة تذكر في البنك الدولي والأمم المتحدة والكثير من الجامعات المرموقة عالميا بل ويستعان بها في البحوث والدراسات والأحكام الأجنبية لما حوته من أرقى كنوز الحكمة والعدالة، فقد أوتى جوامع الكلم ﷺ ومقاصد العدل، فيا له من كنز الكنوز، والآن أحكامه واحاديثه تدرس في مدارس الإدارة والاقتصاد والتجارة

والسياسة والعسكرية وعلم النفس والاجتماع في العالم الذي أجمع على عظمته، ونحن كمسلمين أولى به وبمعرفته.

إن المصطفى ﷺ صاحب أرق وأجمل إنسانية وأرجل رجولة, الصاحب الوفي, القائد الفذ والمعلم القدوة والأب الحنون والزوج المثالي والعابد الزاهد، محمد ﷺ وحده، وسيرته العطرة لا ينضب معينها ولا يجف مدادها لأنها ممتدة من كلمات الله عز وجل (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدادا) (الكهف: 109)، وهو مثال الأخلاق الفاضلة وقائد لواء الدعوة العالمية الراشدة، اليتيم الذي ولد في مكة المكرمة وتوفى في يثرب (المدينة المنورة) فقد كان المكان والتاريخ لا شيئاً يستحق النظر به فأصبح شيئاً آخر يدرس البشرية جمعاء أجمل الشخصيات، وإن أجمل مديح له ما ذكر الله عز وجل فيه حيث قال (الله اعلم حيث يجعل رسالته) (الانعام: 124), **لقد كان خلقه ﷺ القرآن.**

لقد قام المؤلف محمد خير حامد رحمه الله بداية بكتابة هذه السيرة النبوية بالأسلوب الأكثر عامية، الأسلس والأقرب لعموم الناس، فبسطه خير تبسيط، وأظهر الأحداث بصورة قد تكون أكثر تجريدا حتى يتمكن القارئ من فهم حيثيات المواقف المشرفة والعظيمة وكلها مشرفه عظيمة كما نعلمها وكما سنرى, ولا يمكن ان يترك أي عمل صحيح كتب في السيرة النبوية بدون دعم وإظهار لذلك قمنا بتحديث ذلك العمل لأن الجهود المكتوبة في السيرة النبوية متواضعة اذا ما قورنت بوزن وإنجازات صاحبها عليه الصلاة والسلام، فعلى سبيل المثال يعتبر الرسول ﷺ هو أعظم قائد في كل مجالات الخير والصلاح وأكثرهم تأثيرا وكلنا يعلم ذلك كما إنه أكبر متبرع ومحسن بالتاريخ، فهو من تولى النفقة على نشر الإسلام ورعاية المسلمين بل ولغير المسلمين أيضا, فقبل أن يرسل بالرسالة كان وزوجته أمنا خديجة من أغنى الناس ليس في مكة فقط بل في الجزيرة العربية فأجتمع رأس المال ورأس الحكمة والبركة ليكون أعظم ثروة عرفها التاريخ، وعند مماته لم يبقى في البيت عنده الا بضع دراهم أمر بتوزيعها قبل وفاته فأين ذهبت تلك الأموال، ولماذا لم يذكر تبرعاته السخية في نجدة الفقراء والمساكين، والانفاق على الدعوة الإسلامية وعلى تأسيس قواعد المدينة المنورة وعلى ضيوفها وجيوشها وهذا قليل من كثير فصل اللهم وسلم وبارك على خير البشر وسيد الخلق كما هو أهله. وقد حرصنا على اظهار ما قد يكون قد أغفل بدون قصد في الجهود السابقة في ذكر السيرة النبوية العطرة.

أما دورنا فتمثل بالمراجعة وتطعيمه بالوسائل الحديثة والخرائط الموضحة للاحداث والإصدار،

فبارك اللهم هذا الجهد ولصاحبه رحمه الله.

بأبائنا أنتَ وأُمهاتنا، يا من تهتزُّ له القلوب شوقًا وتخفق بذكره خشوعا وتوقيرا.

عن ماذا نكتب، بل عن ماذا نسطِّر؟ مُحتارة هي كلماتنا وحُق لها أن تحتار، فكيف لها القاصرة من سوء تقصيرها أن توصفك حق وصفك!! بأبائنا أنتَ وأُمهاتنا، أتنتظم عقدًا من اللآلئ؛ للحديث عن خصالك أم تفوح مسكًا وعبقًا من ذكر طيب سجاياك، أم تتيه فخرًا بوقفاتك العظام وانتصاراتك؟ فيا لها من كلمات، ومن معانٍ! فما أتعس من لم يعرفك ولم يعلم بقدرِك وشرفِ عظمتِك صلى الله عليك وسلم بما أنت أهله .

المؤلفين

الشيخ / محمد خير حامد
د. علي درويش الشمالي
الشيخ / عبدالله نجيب سالم

الذي يدرس السيرة النبوية بإمعان وتدبر يحظى بفوائد ومنافع قيمة، وأعظم ما يستفيد منها فهم آيات من القرآن الكريم التي نزلت في غزوات وحوادث يفسر بعضها بعضاً، فالقرآن الكريم نزل على رسول الله ﷺ جامعاً سيرته وأخباره تفصيلاً وإجمالاً، فكل حادثة أو غزوة أو أي شأن يتعلق بالرسالة أو بشئون عالم الاسلام، فقد نزل في ذلك آيات بينات، فكما أن القرآن الذي نزل في حوادث السيرة ومناسباتها يمثل أمامك مشاهد كل حادثة بعينها: مكانها ورجالها وكرها وفرها، كذلك السيرة تفهمك الآيات التي نزلت في أخبارها وحوادثها إذاً هناك تلازم وارتباط بين القرآن والسيرة وإليك الأمثال على ذلك.

فإذا كنت اطلعت على هذه السيرة وأحطت بها فهماً، ثم تلوت من سورة الأنفال قوله تعالى: (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ...) الآية (7) إلى الآية (20) فحينها تتلوها بنفسك أو تسمعها من غيرك تعلم أنها نزلت في غزوة بدر. ثم تتمثل أمامك المشاهد بصورها وحقيقتها: هذا هو رسول الله ﷺ يصف أصحابه استعداداً للقتال صامتين، خاشعين ينتظرون اللقاء بفارغ الصبر وكل واحد منهم يتمنى الشهادة ولا يريد أن يرجع لأهله وهذا هو العريش ورسول الله قائم فيه يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول "اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم فإنك لا تعبد" وأبو بكر رضي الله عنه يبكي ويقول: (كفى يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك) ثم يخرج عليه الصلاة والسلام ليقاتل بنفسه ويحرض المؤمنين فيقول: "والذي نفس محمد بيده! لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة"، فقال عمير بن الحمام وفي يده تمرات يأكلهنّ: (بخ بخ، أفما بيني وبينك أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التمرات من يده وجرد سيفه فقاتل حتى قتل شهيداً رضي الله عنه، ثم إنك تنظر إلى قريش في أول المعركة وهي مغرورة بقوتها وعددها، يحرضها طاغيتها أبو جهل وعتبة وأبو العاص والسائب ثم بعد قليل ماذا ترى؟ تراهم منحرفين لا يلوون على شيء، وقد تركوا وراءهم سبعين قتيلاً من رؤسائهم منهم طاغيتهم أبو جهل وعتبة وأبو العاص والسائب وسبعين أسيراً، ونصر الله حزبه وأعزّ جنده (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ) [1].

---

(1) سورة آل عمران آية 123.

نموذج آخر: ما نزل من القرآن في غزوة أحد:

فإذا قرأت قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2]، فهذه ستون آية نزلت في غزوة أحد، فإذا شرعت في تلاوة هذه الآيات، تمثلت أمامك مشاهد غزوة أحد، هذا رسول الله ﷺ لابساً لأمته[3] راكباً فرسه يصف جند الله أمام أحد! ثم يأمر بالرماة فيجعلهم خلف الجيش فوق الجبل، ويأمرهم أن يثبتوا مكانهم ليردوا خيل المشركين بالنبل، ثم تبدأ المعركة وينزل طلحة بن أبي طلحة حامل لواء المشركين، فيقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم يأخذ اللواء عثمان أخو طلحة فيقتله حمزة رضي الله عنه، وكلما أخذ اللواء أحد من المشركين برز له أحد أبطال المؤمنين حتى قتلوا أحد عشر رجلاً كلهم من بني عبدالدار، وقد حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات فينضحهم الرماة بالنبل فيرجعوا منهزمين، ثم حمل المسلمون عليهم حملة واحدة أزاحوهم عن أمكنتهم وهزموهم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم[4] بِإِذْنِهِ﴾[5] فأنهزموا لا يلوون على شيء، وتبعهم المسلمون ينتهبون معسكرهم ويأخذون ما فيه من الغنائم، وشاهد الرماة من فوق الجبل ما حلّ بالمشركين من الهزيمة والنهب، قالوا: لقد انتصرنا ولا فائدة من بقائنا هنا، وهاهم ينتهبون العدو، فقال لهم رئيسهم: عبد الله بن جبير، أنسيتم ما قال لكم رسول الله؟ ألم يقل احموا لنا ظهورنا! والزموا مكانكم لا تبرحوا منه أبداً فقالوا: نحن انتصرنا الآن، ونزلوا فلم يبق مع أميرهم إلا دون العشرة! هنا حلت الكارثة على المسلمين بسبب عصيان الرماة، ومخالفتهم أمر رسول الله ﷺ كما قال تعالى في نفس الاية: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم[6] مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ [7]﴾.

ونظر خالد بن الوليد وكان على خيل المشركين آنئذاك إلى خلو الجبل من الرماة فكرّ بالخيل، وتبعه عكرمة بن أبي جهل فقضوا على من بقي من الرماة، ثم حملوا على المسلمين من ظهورهم ووضعوا فيهم السيف وهم آمنون، وحلت الهزيمة على المسلمين وانتقضت صفوفهم، ونادى إبليس عند الجبل: إن محمداً قد قتل، ثلاث صرخات، فدهش المسلمون وهاموا على وجوههم وصاروا يقتلون، ويضرب

(1) سورة آل عمران آية 121.
(2) سورة آل عمران آية 179.
(3) أي سلاحه الكامل، من الدرع والمخفر والسيف والرمح والقوس وغيره .
(4) تحسونهم: أي تقتلونهم .
(5) سورة آل عمران آية 152.
(6) أي عصيتم أمر رسول الله ﷺ.
(7) ما تحبون من النصر.

بعضهم بعضاً من حيث لا يشعرون، واختلط العسكران.. أما رسول الله ﷺ فقد ثبت مكانه في وجه العدو لم يتزحزح، ثم آب إليه بعض أصحابه حتى كانوا بضعة عشر رجلاً وامرأة وهي (نسيبة المازنية) ولما سمع المسلمون أن النبي ﷺ قد قتل صاروا حيارى لا يدرون أين يتوجهون. كما ستقرأه في مكانه مفصلاً في هذا الكتاب، وهنا في مثل هذه المواقف تظهر شخصيات الرجل القائد وشجاعته، وكان ﷺ ينادي المنهزمين بأسمائهم: إليّ يا فلان، إليّ يا فلان، أنا رسول الله، فما عرج واحد عليه من الدهش، كما قال تعالى: (إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ)[1]، ثم تأتي الحوادث متتابعة سنقرؤها في هذا الكتاب.

إن كبار الصحابة أمثال: أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وخالد ابن الوليد وغيرهم من مشاهير الصحابة رضي الله عنهم، لقد اشترك في معرفتهم الخاص والعام، ولكن هناك رجالاً أتوا بأعمال عظيمة، ولهم مواقف خالدة هانت عليهم نفوسهم في سبيل الله. وليس لهم ذكر إلا في حوادث هذه السيرة، إذ كل غزوة أو سرية لها رجالها وأبطالها! وكثير من يقتل في تلك الاحداث فيدفن اسمه معه، ففي مطالعة هذه السيرة تتعرف على رجال من آبائك بعلم بعمق أكبر ومنهم: أبطال أحد مثل: مصعب بن عمير رضي الله عنه حامل لواء رسول الله ﷺ، فإنه من الذين ثبتوا مع رسول الله ودافعوا عنه، فلما قطعت يده اليمنى أخذ اللواء بيده اليسرى، ثم قطعت يده اليسرى فحنى عليه وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: (وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ)[2] ثم قتل شهيداً.

ومنهم أنس بن النضر، وسعد بن الربيع، وعمرو بن الجموح، وأبو دجانة، وأبو طلحة، وعبدالله بن جحش، وسهل بن حنيف، وزياد بن السكن، ونسيبة المازنية وأبناؤها، وغيرهم ممن لهم مواقف في هذه الغزوة، وكثير منهم لولا غزوة أحد لما عرفهم أحد، ثم كانت المصيبة العظمى التي أصابت رسول الله ﷺ في جسمه وفي أصحابه، وما كان أشد عليه من مقتل عمه الحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

الأحزاب أو الخندق

فإذا قرأت قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً) [3]، هذه الغزوة التي وصف الله شدتها على المؤمنين

(1) سورة آل عمران آية 153.

(2) سورة آل عمران آية 144.

(3) سورة الأحزاب آية 9.

بقوله تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا {10} هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾[1] فما أبلغ هذا الوصف، مواقف رهيبة، وابتلاء عظيم.

لقد اتفقت قريش مع العرب: الأحابيش، وغطفان، وبني سليم وبني أسد، وأشجع، وتحالف معهم يهود بني النضير بمعونة خيبر! فكانوا عشرة آلاف، وزحفوا نحو المدينة يريدون القضاء على المسلمين واستئصالهم، فبلغ المسلمين خبرهم، فحفروا الخندق حول المدينة، وخرج المسلمون يحرسون المدينة وكانوا مجدبين[2]، واشتد الأمر وعظم البلاء على المسلمين، وزاد الطين بلة إذ غدر يهود بني قريظة ونقضوا عهد المسلمين، وأظهر المنافقون نفاقهم، فقال بعضهم: يعدنا محمد أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته، ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً، وقسم رجع إلى المدينة، واستأذن بعضهم النبي وقالوا: إن بيوتنا عورة فأذن لهم! وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلا فِرَاراً﴾ [3].

وقد أصاب المسلمين أنواع الشدائد: الجوع، والتعب، والسهر، والخوف، فكان يبقى عليه الصلاة والسلام اليومين والثلاثة بدون طعام مع شدة التعب في حفر الخندق ونقل التراب، وكان يشدّ الحجر على بطنه من الجوع، ولما اشتد الأمر على المسلمين ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾[4] التجأ عليه الصلاة والسلام إلى ربه يطلب الغوث والنجدة، رافعاً يديه إلى السماء وهو يقول: "اللهم منزل الكتاب سريع الحساب هازم الأحزاب اللهم اهزمهم" فدعا عليهم ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث استجيب له، فعرف البشر والسرور في وجهه، وقد هيأ الله له الأسباب، وهزم الأحزاب كما سيأتي في موضعه مفصلاً.

وهذا نعيم بن مسعود الأشجعي ذلك البطل الذي قام بعمل عظيم، وقدم للأمة خدمة جليلة فأغنى عن جيش كامل، وذلك أن نعيماً جاء مع قومه في الأحزاب، فألقى الله في قلبه الإسلام لما اشتد الأمر على المسلمين، فجاء إلى النبي ﷺ وقال: "يا رسول الله! إني أسلمت ولم يعلم قومي بإسلامي فمرني بما شئت، فقال عليه الصلاة والسلام: إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا فإن الحرب خدعه"، ثم إنك أيها القارئ ستطلع على هذه الشخصية العظيمة، كيف دخل بين الأحزاب وخذّل بينهم، وكيف فرق كلمتهم

(1) سورة الأحزاب آية 10-11.
(2) الجدب: هو القحط والمحل .
(3) سورة الأحزاب آية 12-13.
(4) سورة الأحزاب آية 11.

بلباقته وحنكته، فكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى هزيمتهم، ثم أرسل الله عليهم ريحاً شديدة وهزمهم شرّ هزيمة. كما قال تعالى: (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً {25} وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ[1]مِن صَيَاصِيهِمْ[2]وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً {26} وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَؤُوهَا[3]وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)[4]، وسنطلع بعد الأحزاب في غزوة قريظة على مكانة وخبر سعد بن معاذ، وعن مواقفه، وعلى خبر أبي لبابة وتوبته الصادقة.

بسم الله الرحمن الرحيم (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً)[5] إنه فتح عظيم، وبشارة من الله إلى رسوله ﷺ والى المؤمنين! وهذه السورة نزلت في عمرة الحديبية، وذلك أن النبي ﷺ لما خرج للحديبية خرج معتمراً محرماً يسوق الهدي وخرج معه ما يقارب ألف وخمسمائة من المسلمين معتمرين، فسمعت قريش بخروجهم، فخرجت واستنفرت من حولها لتصد المسلمين عن بيت الله واستعدت للحرب، فنزل ﷺ بالحديبية[6] وجاءت خيل المشركين فعسكروا تجاه المسلمين، ثم بعثت قريش عروة بن مسعود الثقفي[7] إلى رسول الله ﷺ ليكشف لهم الخبر، فكلم النبي ﷺ، وخالط المسلمين فرأى رجالاً غير الذين كان يعهدهم، شجاعة وأخلاقاً وأدباً، فرجع إلى قريش مدهوشاً يقصّ عليهم ما رأى وما سمع فقال: يا قوم! قد وفدت على كسرى وهرقل والنجاشي، وإني والله ما رأيت ملكاً قط أطوع في قومه من محمد في أصحابه، والله ما يشدون إليه النظر، وما يرفعون عنده الصوت. ثم قال: واعلموا أنكم إن أردتم السيف بذلوه لكم، وقد رأيت قوماً لا يبالون ما يصنع بهم، ولا يكرهون الموت إذا منعوا صاحبهم، والله لقد رأيت نسيات[8] معه إن كن ليسلمنه أبداً على حال. فروا رأيكم، فمادوه[9] يا قوم. فإني لكم ناصح، مع أني أخاف ألا تنصروا عليه، رجل أتى هذا البيت معظماً له معه الهدي ينحره وينصرف، فقالوا: لا تكلم بهذا يا أبا يعفور، ولكن نرده في عامنا هذا ويرجع إلى قابل! ثم بعثت قريش رسلاً وعيوناً، وسترى كيف

(1) يهود بني قريظة.
(2) صياصيهم: أي حصونهم .
(3) وهي خيبر .
(4) سورة الأحزاب آية 26-27.
(5) سورة الفتح آية 1.
(6) الحديبية: هي خارج حدود الحرم، على تسعة أميال من مكة.
(7) عروة بن مسعود الثقفي: هو رئيس ثقيف بالطائف .
(8) نسيات: تصغير نسوة، هنّ نسيبة المازنية وصاحباتها .
(9) مادوه: أي هادنوه لمدة.

رجعوا إليهم وخاصة منهم الحُليس، وبعث عليه الصلاة والسلام عثمان بن عفان بكتاب إلى أشراف قريش بمكة يخبرهم أنه لم يأت إلا زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته، ودخل مكة مع عثمان عشرة من المسلمين ليزوروا أهليهم، فاحتبست قريش عثمان عندها ثلاثة أيام، وأشاع الناس أنهم قتلوه والعشرة الذين معه فأسر حرس المسلمين خمسين رجلاً من المشركين! ونادى منادي رسول الله إن روح القدس قد نزل على رسول الله ﷺ وأمر بالبيعة، فبايعوا. فأقبل الناس يبايعونه[1] تحت الشجرة[2] حتى تداكوا من الازدحام، وقامت أم عمارة نسيبة المازنية إلى عمود كانت تستظل به فأخذته بيدها وشدت سكيناً في وسطها تستعدّ للقتال.

وكانت قريش قد بعثت سهيل بن عمرو في أمر الصلح، فحضر البيعة، وشاهد إقدام المسلمين، وتفانيهم في تنفيذ أوامر رسول الله ﷺ فلما رأى سهيل وعيون قريش إقبال المسلمين على البيعة وتشميرهم للحرب اشتدّ رعبهم وأسرعوا إلى قضية الصلح. وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ)[3] وقوله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيباً)[4]، ثم تمّ الاتفاق على شروط الصلح وأن توضع الحرب بينهم عشر سنين، وأن يأمن بعضهم بعضاً، وأن يرجع عنهم – ﷺ – عامهم هذا ويأتي في العام المقبل، وأنه لا يأتي من قريش إلى رسول الله ﷺ رجل ولو مسلماً إلا رده إليهم، وإن أتى قريشاً رجل لم يردوه إلى المسلمين.

انظر إلى شروط هذا الصلح الذي يبدو أنه غير متكافئ وفيه غبن بحق المسلمين، ولذلك عارضه عمر بن الخطاب أكثر من مرة، وعارضه أسيد بن حضير وسعد بن عبادة، وضج عند كتابة الصك كثير من الصحابة، ورسول الله يخفضهم فسكتوا أدباً وحياء من رسول الله ﷺ ولكن على مضض! وأما رسول الله ﷺ فكان حريصاً على عقده ونفاذه، إذ كان راجح العقل بعيد النظر.

لقد تمّ الصلح مع قريش الذين كانوا سداً منيعاً في وجه الدعوة!! فقد أمن جانبهم، وتفرغ لبث دعوته بين الأمم، فكاتب الملوك يدعوهم إلى الإسلام، فكتب إلى قيصر، وكسرى، والنجاشي، والمقوقس وغيرهم، ففي هذه المكاتبة انتشر الإسلام و ذكر رسول الله ﷺ ودينه في جميع البلاد والأمصار.

(1) كانوا يبايعون على الموت .
(2) تحت الشجرة: التي قال الله فيها " لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة .. الفتح.
(3) سورة الفتح آية 10.
(4) سورة الفتح آية 18.

القارئ العزيز: ماذا أحدثك عن صلح الحديبية وقد أسماه الله فتحاً مبيناً وأنزل فيه سورة الفتح، فكان حقيقة فتحاً عظيماً، فقد غير مجرى التاريخ الإسلامي كما سيأتي في محله من كتابنا هذا، وها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول فيه –بعدما ظهرت لهم نتائجه ومنافعه– ما كان أعظم في الإسلام من فتح الحديبية، ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين رسول الله وربه، والعباد يعجلون والله لا يعجل كعجلة العباد، حتى تبلغ الأمور ما أراد. ثم يستشهد بحوادث تجدها في مكانها من السيرة مفصلة وستقرأ عن البطولات وأصحابها عن المغيرة بن شعبة، وأبي جندل، وعن أبي بصير وما أدراك ما أبو بصير، رضي الله عنهم. وسوف تطلع على غزوة مؤتة، هذه الغزوة التاريخية التي لا يدركها العقل البشري ولا يحيطها الفهم الإنساني، وذلك لأن رسول الله ﷺ جهز جيشاً يتألف من ثلاثة آلاف أرسله إلى بلاد الشام ليقاتل الروم الذين تجمعوا هناك، فاصطدم عند مؤتة بجيش الروم الذي يتألف من 200 إلى 300 ألف مقاتل كاملي العدة والعدد، ومع هذا التفاوت بين هذه القوى فقد التحم الجيشان بقتال عنيف، وكان عليه الصلاة والسلام قد رتب على الجيش ثلاثة أمراء، فأخذ الراية الأمير الأول: زيد بن حارثة فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية القائد الثاني: جعفر بن أبي طالب فعقر فرسه وقاتل حتى قتل، ثم أخذها القائد الثالث: عبدالله بن رواحة فقاتل حتى قتل، ثم اتفق المسلمون واختاروا البطل خالد بن الوليد (قطب تدبير الحروب) رضي الله عنهم جميعا فغير في ترتيب الجيش وبدلّ وقدم وأخر وجعل يتراجع على تعبئة وانتظام. فظن العدو أن المدد يأتيه، وأنه سيجرهم إلى الصحراء حيث لا يمكنهم التخلص، فانكشفوا منهزمين، ورجع خالد إلى المدينة وقد أنقذ هذا الجيش بخبرته وحسن تدبيره، فانتشرت سمعة المسلمين في البلاد، وقويت شوكتهم، وخشي الأعداء بأسهم. ثم تأتي غزوة الفتح الأعظم –فتح مكة– وإخضاع قريش الذين قاوموا هذه الدعوة من أول يوم، يوم البعثة، وعارضوها في شتى الوسائل وآذوا رسول الله ﷺ، وعذبوا من استطاعوا من ضعفاء المؤمنين حتى هاجروا إلى الحبشة، ثم تآمروا على قتل رسول الله ﷺ واغتياله حتى أمر بالهجرة إلى المدينة! وبعد أن استقر أمره بالمدينة أمره الله بالقتال: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ {39} الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ)[1] فكان ما كان من الحروب إلى أن نصر الله حزبه وأعزّ جنده فدخلوا مكة فاتحين، فانقادت قريش وخضعت طوعا أو كرهاً، ونكست أصنامها. (وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)[2].

(1) سورة الحج آية 39-40.
(2) سورة الإسراء آية 81.

القارئ العزيز, من يستطيع أن يصنف كمالات رسول الله ﷺ وأخلاقه وفضائله, ولكنك إذا أمعنت في فهم سيرته، وتتبعت سيره ومعاملته، فستلمس شيئاً من بعض صفاته، وكمالاته، وفضله وأخلاقه.

ورحم الله البوصيري حيث يقول في همزيته:

لا تقس بالنبي في الفضل خلقاً   فهو البحر والأنام إضاءُ [1]

كل فضلٍ في العالمين فمن فضل   النبي استعاره الفضلاء

هو رسول الله ﷺ إن كانت الحرب فهو لها، تشهد له مواقفه كلها سل عنه أحداً، وحنيناً، وسترى من شجاعته وبطولته في أحد ما يدهش العقول، ويوم حنين لما انهزم المسلمون، وقال المشركون قتلنا محمداً ساق بغلته دلدل في وجه العدو وقال كلمته الخالدة: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، ولم يثبت معه إلا نفر من أصحابه كما سيأتي. وأما في السلم والسياسة فهو لها أيضاً، ها هو يدخل مكة معقل قريش وحصنها الحصين، يدخلها عليهم فاتحاً منصوراً. قريش الذين آذوه شتى أنواع الإيذاء، وعذبوا المستضعفين من أصحابه أنواع التعذيب، وأعلنوها عليه حرباً شعواء، وحرضوا عليه جميع العرب، وحالفوا الأحزاب وصدوا في وجه دعوته نيف وعشرين سنة، الآن صاروا في قبضته، وتحت إشارة من أمره، فماذا يصنع بهم؟

أما قريش: فهي مدهوشة حائرة، لا تدري ماذا يصنع بها ولا أين مصيرها... فإذا منادي رسول الله ﷺ ينادي: من دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فإرتاحت قريش لهذا النداء، فقد أمنوا على أنفسهم من القتل، ولكن بقي شيء في نفوسهم يخشونه ألا وهو الأسر! ثم وقفوا من بعيد ينظرون إلى رسول الله ﷺ وهو يطوف على راحلته، وبعد أن طاف سبعاً وقف على باب الكعبة وقال: يا معشر قريش! إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب. ثم تلا: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)[2]. ثم قال: يا معشر قريش! ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم! قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء! إذاً لا قتل ولا أسر ولا استعباد وهذا قمة التسامح والعفو عند المقدرة.

---

(1) الإضاء: الغدران.
(2) سورة الحجرات آية 13.

هذه الأخلاق التي خلقه بها ربه ﷺ، ثم وصفه بقوله: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[1] وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)[2] فقد أطلق عليه الصلاة السلام رقابهم من الأسر والعبودية ، ولكنه ملك قلوبهم بفضله وإحسانه، فانقادوا للحق طائعين ودخلوا في دين الله أفواجاً. هذه هي الأخلاق المحمدية (وكان خلقه القرآن) فإنه كان عليه الصلاة والسلام لا يريد قتل الكافر، بل يريد قتل كفر الكافر بشتى الوسائل، من الإحسان والعطاء، وحسن المعاملة، وغير ذلك، والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى، فسوف ترى في السيرة من ذلك العجب العجاب وخاصة في فتح مكة وما بعدها، واليك الآن مثلاً منها: هذا صفوان ابن أمية هو من سادات قريش .كان يرافق النبي ﷺ وهو يتصفح غنائم حنين، إذ مرّ بشعب فيه غنم وإبل ورعاؤها مملوءاً، فأعجب صفوان وجعل يرمقه، فقال له: أعجبك يا أبا وهب هذا الشعب؟ قال: نعم! قال: هو لك وما فيه !! فقال: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي، وأشهد أنك رسول الله! فأسلم وحسن إسلامه!! صلى الله عليك يا حبيب الله، بالأمس لما أراد الإسلام خالد بن الوليد، لقي صفوان في مكة فقال له: يا أبا وهب! أما ترى أن محمداً ظهر على العرب والعجم، فلو قدمنا عليه واتبعناه فإن شرفه شرف لنا. فقال: لو لم يكن يبقى غيري ما اتبعته أبداً، وهذا هو اليوم تأسره بمعروفك وإحسانك، وتنقذه من الضلالة، وتهديه إلى صراط الله (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {52} صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ)[3].

لقد أعطى عليه الصلاة والسلام مما أفاء الله عليه من غنائم حنين لرؤساء قريش تألفاً لقلوبهم . أعطى كثيراً منهم: مائة مائة من الإبل وأعطى بعضهم خمسين خمسين! ثم يقول للأعراب الذين سألوه يومئذ العطاء وقد ألحوا عليه حتى ألجؤوه إلى سمرة (شجرة) فخطفت رداءه فقال: أعطوني ردائي! لو كان عندي عدد هذا العضاة نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً. صدق والله، هو الصادق الأمين، المتصف بكل كمال، والمبرأ من كل نقص.

وفيما قال حسان بن ثابت شاعر الرسول وهو يبكي رثاء الرسول الله ﷺ:

(1) سورة القلم آية 4.
(2) سورة الأنبياء آية 107.
(3) سورة الشورى آية 52-53.

منير وقد تعفو الرسوم وتهمد ... بطيبة رسم للرسول ومعهد
بها منبر الهادي الذي كان يصعد ... ولا تمتحى الآيات من دار حرمة
عيون ومثلاها من الجفن تسعد ... ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت
لها محصيا نفسي فنفسي تبلد ... يذكرن آلاء الرسول وما أرى
عشية علوه الثرى لا يوسد ... لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة
وقد وهنت منهم ظهور وأعضد ... وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد ... يبكون من تبكي السماوات يومه
رزية يوم مات فيه محمد ... وهل عدلت يوما رزية هالك
وقد كان ذا نور يغور وينجد ... تقطع فيه منزل الوحي عنهم
وينقذ من هول الخزايا ويرشد ... يدل على الرحمن من يقتدي به
معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا ... إمام لهم يهديهم الحق جاهدا
وإن يحسنوا فالله بالخير أجود ... عفوا عن الزلات يقبل عذرهم
إلى كنف يحنو عليهم ويمهد ... عطوف عليهم لا يثني جناحه
إلى نورهم سهم من الموت مقصد ... فبينا هم في ذلك النور إذ غدا
يبكيه حتى المرسلات ويحمد ... فأصبح محمودا إلى الله راجعا
ولا مثله حتى القيامة يفقد ... وما فقد الماضون مثل محمد
كحلت ما فيها بكحل الأرمد ... ما بال عينك لا تنام كأنما
في يوم الاثنين النبي المهتدي ... بأبي وأمي من شهدت وفاته
متلددا يا ليتني لم أولد ... فظللت بعد وفاته متبلدا
يا ليني صبحت سم الأسود ... ا أقيم بعدك بالمدينة بينهم
في روحة من يومنا أو من غد ... أو حل أمر الله فينا عاجلا
محضا ضرائبه كريم المحتد ... فتقوم ساعتنا فنلقي طيبا
ولدته محصنة بسعد الأسعد ... يا بكر آمنة المبارك بكرها
من يهد للنور المبارك يهتدي ... نورا أضاء على البرية كلها
في جنة تثني عيون الحسد ... يا رب فاجمعنا معا ونبينا
يا ذا الجلال وذا العلا والسؤدد ... في جنة الفردوس فاكتبها لنا
سودا وجوههم كلون الإثمد ... ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا

وفضــول نعمتــه بنــا لــم نجحــد ولقــد ولدنــاه وفينــا قبــره
أنصــاره ـﮯ كل ســاعة مشــهد والله أكرمنــا بــه وهــدى بــه
والطيبــون علــى المبــارك أحمــد صلــى الإلــه ومــن يحف بعرشــه
بعــد الإلــه وكان الســمع والبصرا كان الضيــاء وكان النــور نتبعــه
وغيبــوه وألقــوا فوقــه المــدرا فليتنــا يــوم واروه بملحــده
ولــم يعــش بعــده أنثــى ولا ذكــرا لــم يتــرك الله منــا بعــده أحــدا
أصبحت منه كمثل المفرد الصادي يــا أفضل الناس إنــي كنت ـﮯ نهر

الجزء الأول
البيئة المحيطة والبدايات وعلامات النبوة

1. موقع البلاد العربية اوصافها

تقع البلاد العربية في الجنوب الغربي من قارة آسيا ، ويحدها من الشمال: فلسطين وبادية الشام، ومن الشرق خليج فارس والعراق، ومن الجنوب المحيط الهندي وخليج عدن، ومن الغرب البحر الأحمر[1]، وتبلغ مساحتها مليوناً وسبعمائة ألف كيلو متراً مربعاً، وتنقسم إلى خمسة أقسام: تهامة، والحجاز، ونجد، واليمن، والعروض (أنظر الخريطة).

أما تهامة: فهو الجزء الذي يحاذي البحر الأحمر من جهة الشرق، وأهم مدنه جدة. ثم الحجاز، وهو الجزء الذي يقع شرقي تهامة، وأهم مدنه: مكة المكرمة، ثم منطقة نجد وهو الجزء الذي يقع شرقي الحجاز، وأهم مدنه عنيزة، أما الآن: فالرياض ثم اليمن، وهو الجزء الذي يقع في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية، وأهم مدنه صنعاء. ثم العروض، وهو الجزء الذي يفصل بين نجد واليمن، وأهم مدنه: اليمامة.

وهذه البلاد الواسعة المترامية الأطراف يحيط بها البحر من ثلاث جهات: الشرق، والجنوب، والغرب، ولذلك سميت: شبه الجزيرة العربية، وهي بلاد صحراوية مجدبة في أغلب أجزائها، ليس بها من الأماكن الخصبة إلا بلاد اليمن، وبعض الوديان الواقعة في نجد والحجاز، وهي وديان قليلة لا تسد الحاجة. فأما بلاد اليمن: فيزرع فيها الفاكهة والحبوب، وقد وجدت في هذه البلاد قديماً مملكة سبأ، وهي التي أخبرنا بها القرآن الكريم، وذكر ما ينعم بها أهلها من سعة الرزق، ورغد العيش حيث يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[2].

وأما الوديان الواقعة في نجد والحجاز فتوجد فيها بعض أشجار النخيل، ولا ينبت بها من الحبوب إلا القليل الذي لا يفي بحاجة السكان، لذلك تراهم بحاجة دائمة لإستيراد الحبوب من الخارج إلا ما كان من أرض يثرب –المدينة المنورة– فإن بها من البساتين الخصبة، ومعظم مزروعاتها النخل والخضار، وفيها من أطيب أنواع التمر وأجوده.

(1) هذه البلاد العربية بالعرف القديم. أما اليوم فقد تغيرت وأما الأن فالبلاد العربية هي من المحيط إلى الخليج.
(2) سورة سبأ آية 15.



خريطة شبه الجزيره العربية توضح الاقاليم وسكانها

2. العرب قبل الإسلام وأصولهم

العرب أمة سامية ترجع في نسبها الأول إلى سام بن نوح عليه السلام. وقد سموا عرباً لأنهم لم يزالوا معروفين بين الأمم بالإعراب، وهو إسم آت من البيان في الكلام والفصاحة بالمنطق، وقيل سموا عرباً نسبة إلى يعرب بن قحطان جد العرب العاربة، فإنه أول من نطق بالعربية الفصحى، وأخذها عنه أهل اليمن. وقد قسم المؤرخون العرب إلى ثلاثة أقسام عرب بائدة وعرب عاربة وعرب مستعربة.

أ- **العرب البائدة:** فالعرب البائدة هم الذين بادوا ومحيت آثارهم، ولم يصلنا من أخبارهم إلا القليل اليسير، وقد ورد في القرآن الكريم شيء من أخبارهم ولكنها أخبار مجملة ليس فيها تفصيل شامل، فحدثنا القرآن الكريم عن عاد وثمود. فأما عاد قوم هود عليه السلام، وكانت مساكنهم بالأحقاف، في

شمالي حضرموت وقد أخبر الله عز وجل عنهم بأنهم طغوا وبغوا، واستكبروا في الأرض بغير الحق، وكانوا يعبدون الأوثان، فأرسل الله إليهم نبيه هوداً عليه السلام فقال لهم: (قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ)[1] فآمن به العقلاء الذين هداهم الله . وهم قليل . وكفر به الباقون، ورموه بالسفه والجنون وقالوا له: (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ {66} قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {67} أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)[2] ولكنهم لم يستجيبوا لدعوته وظلوا على كفرهم وعنادهم. فأنجى الله الذين آمنوا معه، وأما الذين كفروا به وخرجوا عليه فقد أهلكهم الله وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ[3] عَاتِيَةٍ[4] {6} سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً[5] فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ[6])[7].

وأما ثمود فهم قوم صالح عليه السلام، فكانوا يسكنون بالحجر، وهو المكان المعروف الآن (بمدائن صالح) في الطريق بين المدينة والشام وهو إلى المدينة أقرب، وقد ذكر القرآن الكريم خبرهم مع صالح عليه السلام إذ قال لهم: (يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ)[8] وجاءهم بآية بينة ومعجزة كبرى وهي الناقة التي سخرها الله لهم، تمر على بيوتهم بأمر الله، فيأخذون من لبنها ما يشتهون، وتكفيهم جميعاً بقدرة الله، ولكنهم لكفرهم وعنادهم جحدوا تلك النعمة، وأنكروا هذه المعجزة الخالدة، فعقروا الناقة فأهلكهم الله بالطاغية فأصبحوا في ديارهم جاثمين[9].

ب- العرب العاربة: وهم الذين جاءوا على أثر العرب البائدة، ويرجعون في نسبهم إلى يعرب بن قحطان، وينتمون إلى سام بن نوح عليه السلام، ويقال لهم: القحطانيون أيضاً، وهؤلاء العرب كانوا يقيمون في بلاد اليمن، ولكنهم لما تناسلوا وكثرت ذريتهم على توالي السنين والأزمان تفرقوا في أنحاء شبه الجزيرة العربية، فكانت سبأ وحمير باليمن، وكانت جرهم في مكة إلى القرن الثاني الميلادي، ثم

(1) سورة هود آية 50.
(2) سورة الأعراف آية 66-67-68.
(3) صرصر: شديدة الصوت وقوية.
(4) عاتية: تعصف عصفاً شديداً.
(5) حسوماً: متتابعة لا تنقطع.
(6) خاوية: نخرة، أو متآكلة ومتداعية.
(7) سورة الحاقة آية 6-7-8.
(8) سورة هود آية 61.
(9) جاثمين: مصروعين وهالكين.

كانت خزاعة في مكة منذ القرن الثاني إلى القرن الخامس، وكان الأوس والخزرج في المدينة المنورة. وهم الذين صاروا بعد الهجرة النبوية أنصار الرسول ﷺ، ومن يومئذ عرفوا بالأنصار.

ج- العرب المستعربة: وأما العرب المستعربة فيرجعون في نسبهم إلى إسماعيل عليه السلام، وهم عرب من جهة الأمهات لا من جهة الآباء، حيث أبوهم إسماعيل غير عربي، ولكنه تزوج عربية من قبيلة جرهم فسمى أبناؤه عرباً مستعربة.

3. قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في مكة ونبع زمزم

نشأ سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام في بلاد العراق، وفيها دعا قومه إلى توحيد الله وترك عبادة الأصنام، وقد عاش عمراً طويلاً دون أن يرزق بولد من زوجته سارة، وكانت سارة حزينة من أجل ذلك، فحملها حبها وإخلاصها لزوجها على أن تهب له جاريتها هاجر [1] ليتزوجها، وقالت له: إني حرمت من الولد فعسى الله أن يرزقك منها غلاماً تقرّ به عينك، وقد حقق الله آمال إبراهيم وزوجته سارة، فحملت هاجر وولدت إسماعيل عليه السلام، وهنا اشتدت غيرة سارة، فلم تطق رؤية هاجر وطفلها إسماعيل، ولحكمة يريدها الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بأن يخرج بزوجته هاجر وطفله إسماعيل إلى أرض الحجاز، وكان بيت الله الحرام، وكان وادياً مجدباً خالياً من السكان، وليس فيه زرع ولا ثمر ولا ماء.

وبعد أن وضع زوجته وطفله مكان البيت وأراد الرجوع لوحده وقد همّ بالرحيل، قالت له هاجر: أذاهب أنت وتاركنا ها هنا؟ قال: نعم، قالت: إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله! قالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيعنا! ثم انصرف وهو يقول: (إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)(2).

وبقيت هاجر مع طفلها في هذا المكان الخالي الذي ليس فيه أحد (إلا الله) فنصبت لها عريشاً(3) وكان معهما شيء من الطعام والشراب قد تركه لهما إبراهيم عليه السلام، ولما نفذ ما لديهما من الماء، عطش إسماعيل عطشاً شديداً، فجعلت أمه تبحث له عن ماء، وأخذت تتردد بين الصفا والمروة سبع مرات(4) وترقى على الصفا ثم على المروة تقلب بصرها تبحث عن ماء فلم تجد شيئاً فرجعت آسفة

---

(1) السيدة هاجر المِصرية هي أم النبي إسماعيل أكبر أولاد النبي إبراهيم عليهم السلام والذي من نسله النبي مُحَمَد بن عَبْد الله ﷺ ، وهي أول من ثقبت أذنها وأطالت قناعها وارخته من النساء، وقد كانت إحدى الأميرات ثم أُسِرَت إلى أن أصبحت جارية لسارة زوجة النبي إبراهيم ثم أهدتها له فتزوجها، وأنجبت منه إسماعيل ثم انتقل بها إلى مكة.

(2) سورة إبراهيم آية 37.

(3) العريش: الخيمة ـ وكانت من أغصان الشجر.

(4) يقال: لذلك شرع السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط.

حزينة، ولكن حزنها لم يلبث أن انقلب سروراً واطمئناناً حين رأت الماء ينبع من تحت أقدام إسماعيل، فشربا وحمدا الله وأقاما بهذا المكان، وسمي ذلك المنبع الذي أكرم الله به إسماعيل وأمه: ماء زمزم.

أصبح الماء يجري على سطح الأرض، ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء، فلما رأت جرهم[1] الطير تقع على الوادي قالوا: إننا لا نعهد ماءً في هذا الوادي، ولكن ما لزمته الطير إلا وفيه ماءً، فلما جاءوا وجدوا هاجر وطفلها والماء عندهما، فقالوا لهاجر: لو شئت فكنا معك فآنسناك والماء ماؤك؟! قالت: نعم، فكانوا معها يشربون ويسقون مواشيهم، ويهدونها من اللبن مكافئة لها على معروفها معهم، حتى شبّ إسماعيل وماتت هاجر فتزوج إسماعيل منهم وتعلم إسماعيل عليه السلام العربية منهم هو وأولاده.

وقد ولد لإسماعيل عليه السلام اثنا عشر ولداً، وهم وذريتهم العرب المستعربة، وقد ثبت عند العلماء أن عدنان جد النبي ﷺ الحادي والعشرون يتصل نسبه إلى إسماعيل عليه السلام[2]. وروى عنه ﷺ أنه قال: "أنا ابن الذبيحين"، يعني أباه عبد الله ابن عبد المطلب وجده إسماعيل.

زيارة إبراهيم لولده عليهما السلام وبناء البيت

يحدثنا القرآن الكريم بأن إبراهيم عليه السلام زار ولده إسماعيل واجتمع معه أكثر من مرة، منها: لما أمره الله تعالى بذبح ولده في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ {102} فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ {103} وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ {104} قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {105} إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ {106} وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[3].

ومنها لما أمره الله تعالى ببناء البيت الكعبة المشرفة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {127} رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {128} رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[4].

---

(1) قبيلة قديمة من السكان الأصليين لشبه الجزيرة العربية، نزلوا بمكة عند هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام قادمين من جنوب الجزيرة العربية.
(2) وسيأتي ذلك: في نسبه الشريف.
(3) سورة الصافات آية 102-107.
(4) سورة البقرة آية 127-129.

4. ديانة العرب في العصر الجاهلي

كانت الديانة المنتشرة في العصر الجاهلي (وهو عصر ما قبل الإسلام) هي الديانة الوثنية، وهي عبادة الأصنام، وقد ذكر الله تعالى في كتابه بعض هذه الأصنام في عدة آيات، منها قوله عز وجل: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى {19} وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى {20} أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى {21} تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى[1]{22} إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ)[2] إلى غير ذلك من الآيات الواردة في القرآن الكريم, وكانت الكعبة في ذلك العصر الجاهلي مقر الوثنية، إذ كانت تحيط بها الأصنام من كل جانب، وكان أعظمها عندهم صنم هُبل.

أما عقيدتهم في تلك الأصنام فقد كانوا فريقين، فأكثرهم كان يعبدها على أنها تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه، ويعتقدون أن هناك (إله)، وبعضهم كان يعبدها على أنها هي الآلهة التي تضر وتنفع، وتعطي وتمنع، وتحيي وتميت، وهؤلاء هم عامتهم وضعفاء العقول منهم. وكانت في البلاد العربية ديانات مختلفة، كاليهود في يثرب وخيبر، والمسيحية في الحيرة وغسان، وفي بعض البلاد من يعبد الشمس أو النار، ولكن الأكثرية كانت تدين بالوثنية. وقد وجد بعض أفراد من الناس أدركوا بعقولهم فساد هذه الأديان جميعاً ووصلوا بإلهام الله وهدايته إلى التوحيد وعبادة الله عز وجل، ويقال لهم: الحنفاء.

الحنفاء

هم الذين لم تعجبهم عبادة الأصنام، هذه الحجارة التي ينحتونها بأيديهم ثم يعبدونها! فأخذوا يفكرون في ملكوت السموات والأرض وعظمة هذا الكون، ودقة ترتيبه وإبداعه، ثم ينظرون في هذه الأصنام التي يقال لها: آلهة، فهداهم الله إلى معرفته وعبادته ونبذ الوثنية الباطلة، ولكنهم أفراد قلائل.

منهم: ورقة بن نوفل بن عبد العزى –ابن عم خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها– وسيأتي ذكره فيما بعد يوم البعثة، وما قال لخديجة رضي الله عنها، وهو من المؤمنين, ومنهم أيضا زيد بن عمرو بن نفيل، الذي سمعه رسول الله صل الله عليه وسلم يقول: –وذلك قبل البعثة– الشاة خلقها الله، وأنزل لها الماء من السماء، وأنبت لها الكلأ من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله! لذلك لم يذق صلى الله عليه وسلم شيئاً ذبح على النصب، ومات زيد قبل مبعثه ﷺ بقليل.

(1) قسمة ضيزى: أي جائرة وغير عادلة .
(2) سورة النجم آية 19–23.

ومنهم: أمية بن أبي الصلت، اهتدى بعقله إلى وجود الإله، وبطلان عبادة الأصنام، هذه الحجارة التي لا تغني عن الإنسان شيئاً أمام الله، ثم بلغه بعثه النبي ﷺ فلم يؤمن به حسداً وعناداً –لأنه كان يطمع في النبوة على زعمه– فمات كافراً.

أخبار حمير ملوك اليمن

تقدم معنا بأن العرب العاربة، ويقال لهم القحطانيون وكانوا يسكنون اليمن فلما تناسلوا وكثرت ذريتهم تفرقوا في البلاد العربية، وبقيت سبأ وحمير باليمن، وكانت ديانتهم الوثنية أو المجوسية، وما زالت ملوك حمير تحكم اليمن سنين عديدة إلى أن ضعف أمرهم، وتفرقت كلمتهم، وكان آخر ملوكهم اسمه: ذو نواس، ويقال بأنه هو (صاحب الأخدود) الذي اضطهد المؤمنين من أهل نجران.

خبر الأخدود

وكان في نجران بقايا من المؤمنين بعيسى عليه السلام، أهل استقامة على الدين الصحيح لم يغيروا أو يبدلوا، فأراد ملكهم –ذو نواس– أن يكفر المؤمنين خوفاً من انتشار دينهم في بلاده واتساع أمرهم، فأمر بحفر الأخدود[1] وأوقدوا فيها النيران، ثم جمعهم وأمرهم بالكفر في دينهم، ومن لم يطعه ألقاه في الأخدود، النار ذات الوقود، حتى قتل منهم خلقاً كثيراً ما بين إحراق بالنار وقتل بالسيف.

كيف تغلبت الحبشة على اليمن وتدخل الحبشة في بلاد العرب

ولما فعل ذو نواس ما فعل من قتل المؤمنين وتحريقهم، فقد أفلت منهم رجل من سبأ –وهو من رؤسائهم– يقال له دوس ذو ثعلبان، على فرس له حتى قيصر ملك الروم في بلاد الشام، فأخبره بما فعل ذو نواس واستنصره عليه، فقال له: بعدت بلادك منا، ولكني سأكتب إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين –النصرانية– وهو أقرب إلى بلادك، فكتب إليه يأمره بنصره.

فقدم دوس على النجاشي ملك الحبشة بكتاب قيصر، فبعث معه جيشاً عظيماً من الحبشة، وأمر عليهم رجلاً منهم يقال له: أرياط، ومعه في جنده: أبرهة، فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس، ولما بلغ ذا نواس خبره سار إليه في حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقى الجمعان انهزم ذو نواس وجيشه، ولما رأى ذو نواس ما حلّ به وبقومه، وجه فرسه في البحر فخاض حتى هلك، وملك أرياط اليمن.

(1) الأخدود: حفرة طويلة وعميقة في الأرض كالخندق (وقد أوقدوا فيها النيران) كما في سورة البروج آية 4–10.

اختلاف أرياط وأبرهة

فأقام أرياط في أرض اليمن سنين في سلطانه ذلك، ثم نازعه أبرهة الحبشي سلطانه حتى تفرقت عليهما الحبشة، فأنحاز إلى كل منهما طائفة منهم، واستعدوا للقتال وخرجوا له، فلما رأى أبرهة أن الحرب ستقضي على أكثر الفريقين وكلهم حبشي، أرسل إلى أرياط: أن ابرز إليّ وأبرز إليك، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده، فقال أرياط: أنصفت. فلما التقيا رمى أرياط أبرهة بالحربة فوقعت على وجهه فشرمت حاجبه وأنفه وشفته، فبذلك سميّ (أبرهة الأشرم) وحمل غلام أبرهة وكان خلف ظهره -على أرياط فقتله- وإنحاز الجند كله إلى أبرهة، فإجتمعت عليه الحبشة باليمن.

5. قصة أبرهة وأصحاب الفيل وجد الرسول ﷺ

ثم إن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء اسمها (القلّيس) وأنفق عليها أموالاً طائلة وزينها بالذهب والجواهر، حتى غدت لا مثيل لها في زمانها، وقد أراد أن يصرف إليها حج العرب بدلاً من بيت الله الحرام بمكة، فجهز جيشاً من الأحباش وسار بهم نحو الحجاز يريد هدم الكعبة المشرفة، ففزع العرب لهذا النبأ وعرض له في طريقه ذو نفر، بمن معه من قبائل اليمن فقاتله فهزم ذو نفر وأصحابه (أنظر الخريطة).

ثم عرض له نفيل بن حبيب في خثعم -قبيلة من العرب- فلم يثبتوا أمام جيش أبرهة وانهزموا، وسار أبرهة حتى نزل المغمس فبعث رجلاً من الحبشة على خيل له حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال تهامة، وفيها مئتا بعير لعبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها.

ثم بعث أبرهة -حناطة الحميري- وهو: قائد الخيالة إلى مكة وقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ثم قل له: إن الملك يقول لك: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم يعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي في دمائكم، وإن كان لم يرد حربي فأتني به.



خريطة تحرك جيش أبرهة لهدم الكعبة المشرفة

لقاء عبدالمطلب وأبرهة وإلتجاء عبد المطلب إلى ربّ البيت

فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له عبد المطلب فجاءه فبلغه ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه ومالنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخلّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع له. فقال حناطة: إذاً انطلق معي إليه، فإنه قد أمرني بذلك، فأنطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى العسكر، وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم، وله مهابة ووقار، فلما رآه أبرهة أجله وعظمه وأكرمه أن يجلسه تحته، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له حاجتك! فسأله الترجمان عن حاجته، فقال: حاجتي أن يردّ عليّ الملك مئتي بعير أصابها لي، فلما قال ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مئتي بعيرك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟ قال له عبدالمطلب: أنا ربّ الإبل، وإن للبيت رباً هو يمنعه! قال: ما كان ليمتنع مني! قال عبدالمطلب: أنت وذلك. وردّ أبرهة على عبدالمطلب إبله، وانصرف عبدالمطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شغف الجبال والشعاب تخوفاً عليهم من معرة الجيش[1].

(1) هو ما يتعرض له المغلوب من السبي والعار.

ثم قام عبدالمطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة يدعو الله ويستنصره على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لاهمّ إنّ العبد يمنع رحله فامنـع رحالك[1]

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

هم جردوا لك جمعهم والفيل كي يسبوا عيالك

إن كنت تاركهم وقب لتنا فأمر ما بدا لك

ثم قال:

يا ربّ لا أرجو لهم سواك يارب منهم حماك

إن عدو البيت من عاداك امنعهموا أن يخربوا فناك

يا ربّ لا أرجو لهم سواك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

امتناع الفيل عن مكة وهلاك أصحاب الفيل

فلما أصبح أبرهة, تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله وعبأ جيشه وكان اسم الفيل محموداً وأبرهة مجمع لهدم البيت فبرك الفيل وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن[2] في مراقه[3] فبزغوه به ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً نحو اليمن فقام يهرول، وجهوه نحو الشام فهرول أيضاً، ثم وجهوه إلى مكة فبرك!

فأرسل الله تعالى على أبرهة وجنده: طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها، حجر في منقاره وحجران في رجليه، أمثال الحمص أو العدس، لا تصيب منهم أحداً إلا أهلكته، وولوا هاربين يبتدرون الطريق الذي جاءوا منه، يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك، وعلى كل منهل، وأصيب أبرهة في جسمه فمات شر ميتة.

وقد ذكر الله تعالى هذه القصة في القرآن الكريم، وأنزل فيها سورة الفيل يمتنّ على قريش ما ردّ عنهم من أمر الحبشة[4]. وقد أرّخت قريش بهذا العام، وسموه عام الفيل، وولد سيد الخلق محمد ﷺ عام الفيل.

(1) لاهمّ: أي اللهم.
(2) المحجن: عصا رأسها معوج من أعلاها، قد يجعل في طرفها السفلي حديد.
(3) المراق: أسفل البطن، وبزغوه: أي نخوه.
(4) كعصف مأكول: كورق الشجر، أو: كالتبن الهالك المنخور (سورة الفيل آية 1–5).

6. طهارة نسبه الشريف ﷺ: إبن الذبيحين

هو سيدنا محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. ههنا انتهى النسب الصحيح.

وعدنان بلا شك هو من ولد إسماعيل الذبيح ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه كان ﷺ إذا انتسب لم يجاوز معدّ بن عدنان، ثم يمسك ويقول: كذب النسابون، يكررها مرتين أو ثلاثاً.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء، وما ولدني إلا نكاح أهل الإسلام"[1]. وعن علي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: "خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء"[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "لم يلتق أبواي على سفاح، ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما".

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه".

وفي صحيح مسلم عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار". وعن أبي هريرة رضي لله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما ولدتني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم، ولم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب، هاشم وزهرة"[3].

نسبه لأمه ﷺ وفضائل جده وقريش

أمه ﷺ هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن قصي بن كلاب، فيجتمع نسبه لأمه مع قصي بن كلاب، فكان من أفضل حيين من العرب: بني هاشم وبني زُهرة.

(1) أخرجه الطبراني, تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور, السيوطي.

(2) أرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل, الالباني.

(3) رواه ابن عساكر .

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله، قتل فلان –لرجل من ثقيف– قال: "أبعده الله إنه كان يبغض قريشاً"، وفي الجامع الصغير مرفوعاً: "قريش صلاح الناس، ولا يصلح الناس إلا بهم، كما أن الطعام لا يصلح إلا بالملح، قريش خاصة الله تعالى، فمن نصب لها حرباً شيب، ومن أرادها بسوء خزي في الدنيا والآخرة". وعن أبي هريرة رضي الله عنه: "الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم".[1]

بعض من مزايا عبدالمطلب

هو عبد المطلب بن هاشم –جد النبي ﷺ– واسمه: شيبة الحمد، وعمه المطلب، وقد مات أبوه هاشم وهو صغير فكفله عمه المطلب، فلقبوه بعبد المطلب. وكان عبد المطلب من حلماء قريش وحكمائها، وكان مجاب الدعوة, محرماً الخمر على نفسه، وهو أول من تحنث[2] بحراء وكان إذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين، وكان صعوده حراء للبعد عن الناس، وانفراده لوحده يتفكر في جلال الله تعالى وعظمته، وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال، ولذلك كان يقال له: مطعم الطير، وكثير الجود. وقد اتصف ﷺ بمكارم الأخلاق وأكمل الصفات، وانتهت إليه رئاسة قريش بعد عمه المطلب، وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على أحسن الأخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور، وكان يقول: لن يخرج من الدنيا ظالم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة، إلى أن هلك رجل مشهور بالظلم والبغي ولم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب في ذلك، ففكر وقال: والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته.

ورفض عبد المطلب في آخر عمره عبادة الأصنام، ووحد الله تعالى. ويؤثر عنه سنن وخصال أقرّ الإسلام أكثرها، وجاءت السنة بها، منها: الوفاء بالنذر، والمنع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموؤدة[3] وتحريم الخمر، وأن لا يطوف بالبيت عريان.

وكان عبد المطلب قد نذر: لئن ولد له عشرة بنين، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه، لينحرنّ أحدهم لله عند الكعبة، ولما تكامل بنوه عشرة وصاروا يمنعونه وكان قد نسي نذره، فجاءه هاتف بالرؤيا يذكره بوفاء نذره، فجمع أولاده وأخبرهم برؤياه ووفاء النذر فأطاعوه، فقال: ليأخذ كل واحد منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتوني به، ففعلوا ثم أتوه، فدخل بهم على هبل[4] فقال للسادن: اضرب على بني هؤلاء بقداحهم

(1) متفق عليه .
(2) تحنث: تعبد. وحراء: جبل مشهور بمكة، وفيه (الغار) الذي تعبد فيه النبي ﷺ.
(3) الموؤدة: كانوا في الجاهلية يدفنون البنت حية ليقتلوها: تخلصاً من العار على زعمهم، وهذه اسمها (موؤدة).
(4) هبل: هو كبير الأصنام عندهم، كانوا يقترعون عنده.

هذه، وأخبره بنذره الذي نذر، فأعطاه كل واحد منهم قدحه الذي فيه اسمه، فضرب صاحب القداح فخرج القدح على عبد الله –والد النبي ﷺ– وكان أحبّ بني عبد المطلب إليه، فأخذه عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة ثم أقبل به إلى إساف ونائلة[1] ليذبحه! فقامت إليه قريش من أنديتها وقالوا: ماذا تريد يا عبدالمطلب؟ قال: أذبحه وفاء لنذري، فقالوا: والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه، وقال عبد الله بن المغيرة بن عمر ابن مخزوم: والله لا تذبحه أبداً حتى نعذر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه، ثم قالوا له: انطلق إلى فلانة الكاهنة فعلها أن تأمرك بأمر فيه فرج لك.

استفتاء الكاهنة والقرعة ونجاة عبد الله

فانطلقوا حتى أتوها بخيبر، فقصّ عليها عبد المطلب القصة فقالت: كم دية الرجل عندكم؟ قالوا: عشرة من الإبل، قالت: ارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشراً من الإبل ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح فإن خرجت عليه فزيدوا عشراً من الإبل ثم اضربوا عليهما أيضاً، وهكذا زيدوا عشراً فعشراً حتى يرضى ربكم. فرجع عبد المطلب وجماعته إلى مكة، وقربوا عبد الله وعشرة من الإبل، وقام عبد المطلب يدعو الله تعالى، فخرجت القداح على عبد الله، فلم يزل يزيد عشراً فعشراً وهي تخرج على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة فخرجت القداح على الإبل، فقالت قريش ومن حضر: قد رضي ربك يا عبدالمطلب! فقال عبدالمطلب: لا والله، حتى أضرب عليها ثلاثاً. ثم ضربوا عليها الثانية والثالثة وفي كل مرة تخرج على الإبل، فنحرت كلها وتركت لا يُصدّ عنها إنسان ولا طائر ولا وحش. وهكذا فدى الله والد محمد ﷺ من الذبح، كما فدى جده إسماعيل عليه السلام من قبل.

زواج عبدالله من آمنة أم النبي ﷺ

كان عبدالله بن عبدالمطلب والد النبي ﷺ أحسن رجل في قريش خلقاً وخلقاً، وكان أكمل إخوته وأحسنهم، وأعفهم، وأحبهم إلى قريش، وكان نور النبي ﷺ مضيئاً في وجهه، ولما بلغ من العمر ثمان عشرة سنة، وبعد فدائه من الذبح، خرج مع أبيه ليزوجه آمنة بنت وهب وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وشرفاً، فأتى أباها وهب بن عبد مناف فزوجه إياها، بعد عقده عليها، فدخل بها عبدالله فحملت برسول الله ﷺ وانتقل ذلك النور إليها، ولما حملت به أمه، ظهر لها كثير من خوارق العادات، إرهاصاً لنبوته ﷺ منها: أنها لم تشك لحمله ثقلاً، وأتاها آت في المنام فقال لها: إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها، إلى غير ذلك من الإرهاصات الكثيرة التي شاهدتها، والخوارق.

(4) إساف ونائلة: صنمان كانوا يذبحون لهما.

7. وفاة عبدالله والد النبي ﷺ وحزن أمه آمنة عليه وولادته ورضاعته ﷺ

وبعد الزواج بقليل سافر عبدالله في قافلة إلى الشام بتجارة مع قريش ولما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة، أصيب عبدالله بمرض أقعده عن متابعة السفر مع رفقته، فتخلف عند بني عدي بن النجار -وهم أخوال أبيه- فأقام عندهم مريضاً شهراً، فلما قدم أصحابه مكة، سألهم عبدالمطلب عنه فقالوا: خلفناه مريضاً عند أخواله، فبعث عبدالمطلب إليه أخاه الحارث، وقيل الزبير فوجده قد توفي بالمدينة ودفن بها (وقبره معروف).

ولما بلغ آمنة وفاته حزنت عليه حزناً شديداً وقالت ترثيه:

عفا جانب البطحاء من آل هاشم — وجاور لحداً خارجاً في الغمائم

دعته المنايا دعوة فأجابها — وما تركت في الناس مثل ابن هاشم

عشية راحوا يحملون سريره — تعاوره أصحابه في التزاحم

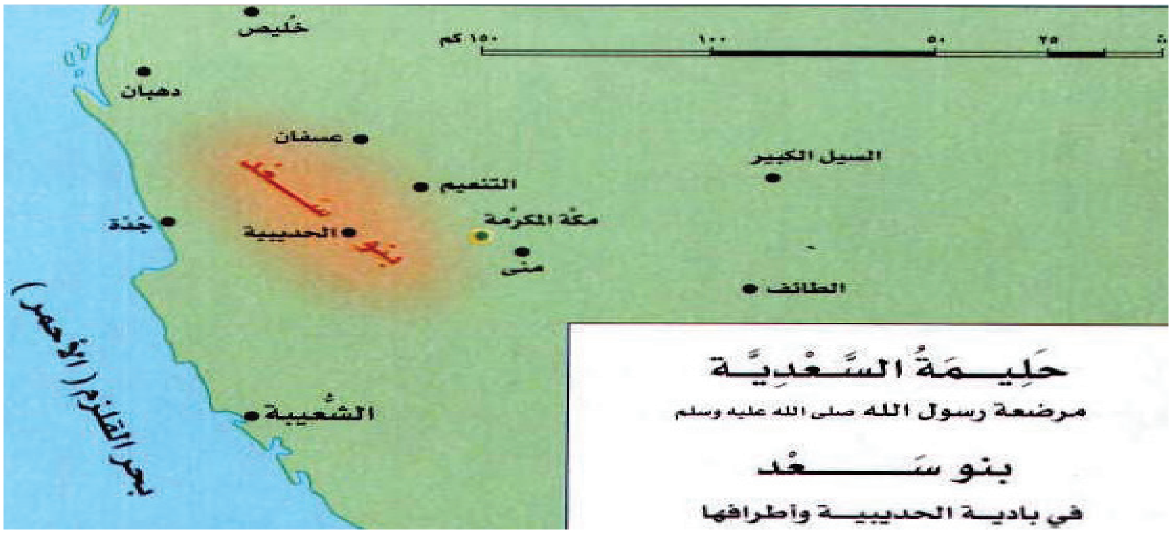
فإن تك غالته المنون وريبها — فقد كان معطاءً كثير التراحم

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما توفي عبدالله والد النبي ﷺ قالت الملائكة: يا إلهنا وسيدنا، بقى نبيك يتيماً لا أب له، فقال الله تعالى لهم: أنا له حافظ ونصير, ولما توفي والده عبدالله كانت أم النبي ﷺ حامل به.

ولادته ورضاعته عليه الصلاة والسلام وخبر حليمة السعدية وبركته ﷺ

ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل. وكانت ولادته في دار عرفت: بدار ابن يوسف، من شعب بني هاشم، وكانت قابلته: الشفاء، أم عبد الرحمن بن عوف، ولما ولد أرسلت أمه لجده عبد المطلب تبشره، فأقبل مسروراً وسماه (محمداً) ولم يكن هذا الاسم شائعاً عند العرب، ولكن الله ألهم جده ذلك تحقيقاً وتصديقاً لما ذكر في الكتب السابقة، كالتوراة والإنجيل، وإنفاذاً لأمر الله. وكانت حاضنته ﷺ: أم أيمن بركة الحبشية -أمة أبيه عبد الله- وأول من أرضعه أمه ﷺ، ثم ثويبة الأسلمية مولاة أبي لهب -التي أعتقها- حين بشرته بولادته ﷺ. وكان من عادة العرب الذين يسكنون المدن أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي، فيكون أنجب للولد وأنشط.

وجاءت نسوة من بني سعد بن بكر (أنظر موقع ديار بني سعد عن مكة) يطلبن أطفالاً يرضعنهم، فعرضوا عليهنّ رسول الله ﷺ، فكلما سمعت واحدة منهنّ بيتمه تأبى أن تأخذه وتقول: ماذا عند اليتيم؟ إنا نرجو الخير من الآباء. وقد أخذ كل واحدة منهنّ رضيعاً إلا حليمة السعدية.



خريطة بني سعد قوم حليمة السعدية رضي الله عنها

قالت حليمة لزوجها أبي كبشة: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي بغير رضيع، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم، فقال: لا بأس عليك أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه البركة. قالت حليمة: فرجعت إلى عبد المطلب فوجدته قاعداً ينتظرني، فقلت: هلمّ الصبي! فأستهلّ وجهه فرحاً، فأخذني وأدخلني بيت آمنة، فرحبت بي وفرحت لقدومي، وأدخلتني البيت الذي فيه محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا هو مدرج في ثوب من صوف أبيض، وتحته حريرة خضراء راقد عليها –على قفاه– يغط تفوح منه رائحة المسك، فأشفقت عليه أن أوقظه من نومه، فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكاً وفتح عينيه إليّ فخرج منهما نور يأخذ بالقلوب فقبلته بين عينيه وحملته، وأعطيته ثديي فلما أخذه بفمه درّ عليه باللبن الغزير، وكان أخوه لا ينام قبل ذلك من شدة الجوع والقحط الذي أصابنا، ولما أرضعتُ محمداً تغيرت حالنا، وفاض اللبن حتى شبع محمد وأخوه، ونام الولد ونمنا معه. فقال صاحبي حين أصبحنا: والله يا حليمة لقد أخذنا نسمة مباركة، فقلت: والله إني لأرجو ذلك.

ثم خرجنا وركبتُ أتاني وحملته معي عليها، فوالله إنها قطعت بالركب ما يقدر على مرافقتها شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي يقلن لي: يا بنت أبي ذؤيب، ويحك أربعي علينا[1] أليست هذه أتانك

(1) أربعي علينا: أي ارفقي بعدم سرعة السير.

التي كنت عليها، تخفضك وترفعك وأنت أبداً متخلفة عن الركب؟ فأقول: بلى والله إنها لهي، فيقلن: والله إن لها لشأناً.

الخير والبركة في بيت حليمة وفطامه ﷺ

قالت حليمة: ثم قدمنا منازلنا بني سعد، ولا أعلم أرضاً من أراضي الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح علينا حين قدمنا شباعاً لبناً[1] فنحلب ونشرب ما شاء الله، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان المقيم في المنازل من قومنا يقول لرعائهم: ويحكم! اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبضّ بقطرة لبن –والمرعى واحد– ونحن فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير.

ولما مضت سنتاه فطمته، وكان يشبّ شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يقطع سنتيه، حتى كان غلاماً جفراً[2], وعن حليمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صل الله عليه وسلم لما بلغ شهرين يحبي إلى كل جانب، وفي ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه، وفي أربعة كان يمسك الجدار ويمشي، وفي خمسة أشهر كان يمشي تماماً كالعادة، فلما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يفهم ما يقول، ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح، ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي بالسهام مع الصبيان. وقد ألقيت محبته في قلوب القوم واعتقدوا بركته، حتى أن أحدهم كان إذا نزل به أذى في جسمه أو ولده أخذ كفه ﷺ فيضعها موضع الأذى فيبرأ بإذن الله تعالى سريعاً، وكذا إذا اعتلّ لهم شاة أو بعير.

8. شق بطنه عليه الصلاة والسلام ورجوعه إلى أمه ووفاتها

قالت حليمة رضي الله عنها: وبعد فطامه قدمنا به مكة ﷺ على أمه، ونحن أحرص على مكثه فينا، لأننا لا نستطيع فراقه! فكلمت أمه وقلت لها: لو تركتي ابني عندي سنة أخرى حتى يقوى فإني أخشى عليه وباء مكة، فلم نزل بها (نقنعها) حتى ردته معنا، فرجعنا به فرحين مسرورين.

قالت حليمة: وبعد أن قدمنا به ﷺ من مكة بشهرين أو ثلاثة، ومحمد مع أخيه (من الرضاع) خلف بيوتنا، إذ أتى أخوه يشتد مسرعاً فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشي، قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه[3]، قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه مستنقعاً وجهه، فألتزمته وألتزمه أبوه فقلنا: ما بك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو

(1) شباعاً لبنا: أي لبناً غزيراً.
(2) جفراً: أي قوياً صحيح الجسم.
(3) يسوطانه: خلط الشيء بعضه ببعض.

هو؟ قال: نعم، فأقبلا يبتدراني، فأخذاني فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئا فوجداه وأخذاه وطرحاه ولا أدري ما هو! قالت حليمة فرجعنا به إلى خبائنا، فقال أبوه: يا حليمة! لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب بمسّ[1] فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، وأخرجي من أمانتك.

قالت حليمة: فلما رددناه ﷺ إلى أمه قالت: ما أقدمك به؟ ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك. قلت: قد بلغ والله وقضيت الذي عليّ، وتخوفت الأحداث فأدنيه عليك كما تحبين! قالت: ما شأنك؟ فأصدقيني خبرك! قالت فلم تدعني حتى أخبرتها قالت: فتخوفت عليه الشيطان؟ قلت: نعم، قالت: كلا، والله ما للشيطان عليه سبيل، وإن لأبني هذا شأناً, ألا أخبرك خبره؟ قلت: بلى، قالت: رأيت حين حملت به أن خرج مني نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام، ثم حملت به فوالله ما سمعت من حمل كان أخف منه قط ولا أسر، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يده بالأرض رافع رأسه إلى السماء! دعيه عنك وانطلقي راشدة.

ولما بلغ رسول الله ﷺ من العمر ست سنين توفيت أمه. روى الزهري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين، خرجت به أمه إلى أخوال جده: بني عديّ بن النجار بالمدينة تزورهم ومعها أم أيمن –بركة الحبشية– فأقامت به عندهم شهراً، ثم رجعت به إلى مكة، فلما كانت بالأبواء (أنظر الخريطة) توفيت أمه ودفنت فيها وكان عمرها في حدود العشرين سنة.

---

(1) أصيب بمسّ :من الجن أو الشيطان.



خريطة الابواء حيث توفيت ودفنت أم الرسول ﷺ

روى أبو نعيم في دلائل النبوة، من طريق الزهري، عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم النبي ﷺ في علتها التي ماتت بها ومحمد ﷺ غلام يافع له خمس سنين –تقريباً– عند رأسها، فنظرت أمه إلى وجهه ثم قالت:

بارك الله فيك من غلام ... يا ابن الذي نجا من حومة الحمام(1)

نجا بعون الملك العلام ... فوديَ غداة الضرب بالسهام(2)

بمائة من إبل سوام ... إن صح ما أبصرتُ في المنام

فأنت مبعوث للأنام ... مكرم في الحل وفي الحرام

تبعث في الدين والإسلام ... دين أبيك البرّ ابراهام

فالله ينهاك عن الأصنام ... أن لا تواليها مع الأقوام(3)

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بالٍ، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة وذكرى باقٍ، وولدت طهراً.

---

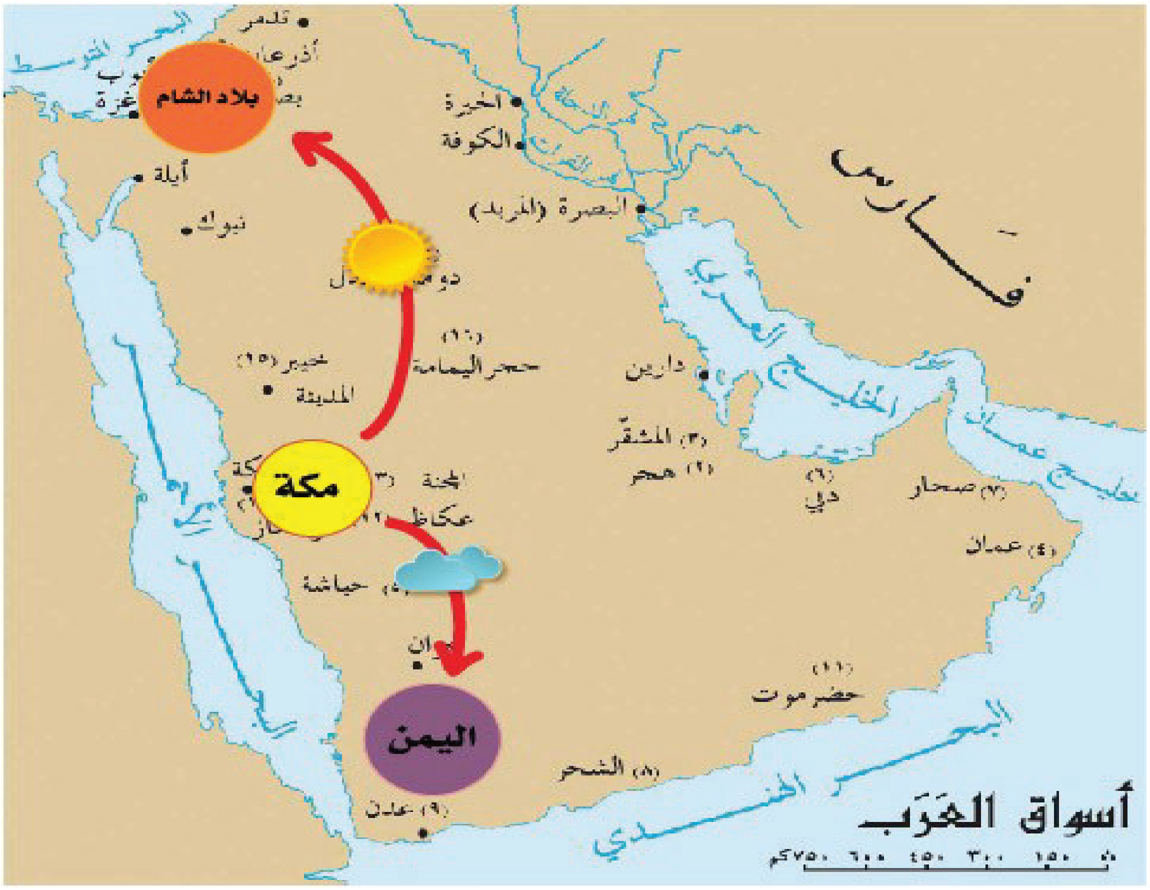
(1) الحمام: الموت. تعني بذلك قصة نجاة والده من الذبح, كما تقدم.
(2) فودي: أي كان فداؤه: مائة من الإبل، لما اقترعوا عليه بالسهام.
(3) لا تواليها: لا تعبدها، مع الأقوام: هم المشركون.

9. كفالة الجد عبدالمطلب ووفاته ثم كفالة العم أبو طالب

وبعد وفاة والديه عليه الصلاة والسلام، كفله جده عبد المطلب، فكان عبد المطلب يكرم النبي ﷺ ويعظمه وهو صغير ويقول: إن لأبني هذا لشأناً عظيماً، لما كان يتفرس فيه، ومما كان سمعه من الكهان والرهبان قبل مولده وبعده، وكان عبد المطلب سيداً في قريش معظماً عند العرب، وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس، ويجتمع حوله رؤساء قريش، ولا يستطيع أحد أن يجلس على فراشه، ولا أن يطأه بقدمه، وكان النبي ﷺ وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس جنب جده عبد المطلب، وربما جاء قبل جده فجلس على فراشه، فإذا أراد أحد أعمامه أن يمنعه يزجره جده عبدالمطلب ويقول: دعوه، إن له لشأناً ثم يجلسه عليه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عبد المطلب كان يقول لهم: دعوا ابني يجلس، فإنه يحسّ من نفسه بشيء، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده. ولما مرض عبد المطلب وحضرته الوفاة أوصى بالنبي ﷺ إلى عمه شقيق أبيه أبي طالب، وكان أبو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كأبيه عبد المطلب، وكان عمره ﷺ لما توفي جده ثمان سنين.

وكان أبو طالب مقلاً من المال، فكان عياله إذا أكلوا وحدهم فرادى أو جميعاً لم يشبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم: كما أنتم -أي لا أحد يأكل- حتى يأتي ابني، فيأتي رسول الله صل الله عليه وسلم فيأكل معهم فيشبعون ويفضل من الطعام، وإذا كان لبناً، شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم يتناول العيال القدح فيشربون منه فيرووا عن آخرهم، ولو كانوا وحدهم لكان يشربه واحد منهم، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك يا بني. وكان أبو طالب يحبه حباً شديداً لا يحب أولاده كذلك، ولذا كان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج به إذا خرج.

ولما بلغ ﷺ الثانية عشرة من عمره أراد عمه أبو طالب السفر إلى الشام في تجارة وهي تجارة الصيف كما ذكرت بالقران الكريم رحلة الشتاء والصيف (أنظر الخريطة) ، فأحبّ النبي ﷺ أن يخرج مع عمه فأخذه معه، وفي القرب من بصرى مروا على راهب يقال له: بحيرا، فلما شاهد محمداً ﷺ أخذ يسأله عن أشياء من حاله، ومن نومه ويقظته، وأموره، وأخذ رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، فأقبل على عمه أبي طالب يقول له: ما هذا الغلام منك؟ فقال: ابني، فقال له بحيرا: ما هو بإبنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، ثم نصح عمه ألا يوغلوا به في بلاد الشام خوفاً عليه من اليهود أن ينالوه بأذى إذا رأوا به تلك الأمارات، لأن صفته مفصلة في كتبهم.



رحلة الشتاء والصيف لتجار مكة

10. عصمته ﷺ من الصغر وتجنبه الأصنام ودوره بحرب الفجار

عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما هممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بالنبوة إلا مرتين من الدهر، كلتاهما عصمني الله عز وجل من فعلهما، قلت لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناءاً وصوت دفوف ومزامير، فقلت: من هذا؟ قالوا: فلان تزوج فلانة، فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيناي فنمت فما أيقظني إلا مسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فأخبرته، ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك. وروي عن

أم أيمن قالت: كانوا في الجاهلية يجعلون لهم عيداً عند بوانة[1] فكان أبو طالب يحضر مع قومه، ويكلم رسول الله ﷺ أن يحضر معه فيأبى ذلك، فقد عصمه الله من عبادة الأصنام وكرهها إليه.

ولما بلغ ﷺ من العمر أربع عشرة سنة وقعت حرب الفجار[2]، بين قريش وكنانة من جهة، وبين هوازن وقيس عيلان من جهة أخرى، وقد حضرها ﷺ، وكان يناول عمومته السهام، وكانت الغلبة والظفر لقريش وكنانة بعد أن دامت الحرب أربعة أيام، ثم انصرفوا بعد أن تواعدوا للعام المقبل بعكاظ. فلما كان العام المقبل جاءوا للموعد، وكان أمر كنانة وقريش: إلى عبد الله بن جدعان التيمي –ابن عم أبي بكر رضي الله عنه– ولما تهيئوا وأصطفوا للقتال، قام رجل من قريش على بعير له بين الصفين ينادي بالصلح، فأتفقوا على ذلك، وأنصرفوا بغير قتال.

11. حلف الفضول

ثم كان حلف الفضول[3]، وقد حضره صل الله عليه وسلم وهو أشرف حلف عقده العرب، وكان منصرف قريش من حرب الفجار، وأول من دعا إليه: الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وسببه: هو أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فأشتراها منه العاص بن وائل السهمي وكان من رؤساء قريش وله مكانته في مكة، فحبس عن الزبيدي الثمن ولم يعطه حقه، فأستدعى عليه الزبيدي الأحلاف: بني عبدالدار، ومخزوم، وجمح، وسهم، وعدي بن كعب، فأبوا أن يعينوه على العاص وانتهروه. فلما كان الغد عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فقال بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت مكارمه ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام الزبير بن عبدالمطلب وعبد الله بن جدعان ومن معهم واجتمعوا في دار عبدالله بن جدعان، وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونُنَّ مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه، وحضر رسول الله ﷺ هذا الحلف! وفي ذلك قال: لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحبّ أن لي حمر النعم –أي بفواته– ولو دعي به في الإسلام لأجبت، لأن الإسلام أقرّ الكمالات والخصال الحميدة.

(1) بوانة: اسم لصنم كانت تعبده قريش وتذبح له، وتعكف عليه يوماً إلى الليل في كل سنة، وهذا اليوم هو عيد للصنم.
(2) وسميت حرب الفجار: لأن العرب فجرت فيه حيث وقع في الشهر الحرام.
(3) الحلف: هو اليمين أو العهد، والفضول هو الظلم والتعدي، وقد تعاهدوا على منع الظلم والتعدي، والأخذ على يد الظالم.

وكان عبدالله بن جدعان يكنى أبا زهير، وكان من فضلاء العرب يطعم الطعام وكانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير، وكان حرم الخمر على نفسه، وقد حفظ له رسول الله صل الله عليه وسلم منزلته ومكانته. فقال ﷺ في أسرى بدر: لو كان أبو زهير حياً فأستوهبهم لوهبتهم له.

قال السهيلي: قدم مكة رجل من خثعم معتمراً، أو حاجاً ومعه بنت له وضيئة، فأغتصبها منه نبيه بن الحجاج، فقيل للرجل عليك بحلف الفضول، فوقف عند الكعبة ونادى: يالحلف الفضول: فإذا هم يعنقون إليه من كل جانب وقد جردوا أسيافهم يقولون: جاءك الغوث، فمالك؟ فقال: إن نبيهاً ظلمني في بنتي فنزعها مني قسراً، فساروا إليه فقالوا: ردها، فقال: أفعل ولكن متعوني بها الليلة، فقالوا: والله ولا لحظة، فأخرجها إليهم.

12. سفره ﷺ إلى الشام بتجارة لأم المؤمنين خديجة بنت خويلد

ولما بلغ ﷺ خمساً وعشرين سنة، قال له عمه أبو طالب: يا ابن أخي، أنا رجل لا مال لي، وقد اشتد علينا الزمان، وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا مادة ولا تجارة، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك يتجرون لها ويصيبون منافع، فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من صدقك وأمانتك، فقال ﷺ: لعلها ترسل إليّ في ذلك، فقال أبو طالب: إني أخاف أن تولي غيرك فتطلب أمراً مدبراً.

ولما بلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له، وكانت قد سمعت كثيراً قبل ذلك عن صدقه، وحسن معاملته، وأمانته، ونبله، وكانت خصاله هذه شائعة في نوادي قومه يتحدث بها الناس. فقالت خديجة: ما علمت أنه يريد هذا، وأرسلت إليه وقالت: دعاني إلى البعثة إليك، ما بلغني من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلاً من قومك، فذكر ذلك لعمه فقال: إن هذا لرزق ساقه الله إليك.

فخرج ﷺ ومعه ميسرة غلام خديجة وقالت لميسرة لا تعص له أمراً، ولا تخالف له رأياً، وجعل عمومته يوصون به أهل العير، وسارت القافلة برعاية الله حتى بلغوا بلاد الشام، فباع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشترى، ثم رجع قافلاً إلى مكة، وكان يرى ميسرة من الخوارق والكرامات في هذه السفرة الشيء الكثير، وربحت تجارتهم ضعف ما كانت تربحه من قبل، فأحبه ميسرة حباً جماً، وقد حدّث خديجة بما رأى من الخوارق والكرامات الباهرة.

فلما رأت خديجة البركة والربح العظيم، وما أتصف به ﷺ من الأخلاق الكريمة والصفات الرفيعة، وما حدثها به ميسرة عن هذه الخوارق والكرامات التي شاهدها، أرادت أن لا يفوتها هذا الخير العظيم فأرسلت تخطبه لنفسها وكان عمرها 28 سنه[1] عندما تزوجها النبي ﷺ وهو ابن 25 سنه.

13. خديجة رضي الله عنها وخطبتها وزواجها

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب فيجتمع نسبه لامه مع قصي بن كلاب، وكانت امرأة حازمة لبيبة شريفة، مع ما أراد الله لها من الكرامة والسعادة والخيرة، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً. عن نفيسة بنت منية قالت: أرسلتني خديجة –خفية– إلى محمد ﷺ بعد أن رجع في عيرها من الشام، فقلت يا محمد أو ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال: ما بيدي ما أتزوج به، قلت، فإن كفيت ذلك؟ ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة، ألا تجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ قلت: فما عليك أنت إلا أن تخطبها.

فلما أخبر أعمامه بذلك فرحوا، وخرج معه أبو طالب وحمزة، حتى دخلا على عمها عمرو ابن أسد، فخطبها أبو طالب من عمها عمرو للنبي ﷺ فرضي، وأصدقها عشرين بكرة[2]، وحضر أبو بكر رضي الله عنه، ورؤساء مضر.

خطبة أبي طالب عن الرسول ﷺ

وخطب أبو طالب فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضئ معدّ، وعنصر مضر، وجعلنا حضنه بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله, لا يوزن برجل إلا رجح به شرفاً ونبلاً، وفضلاً وعقلاً، فإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته، قد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها: ما آجله وعاجله كذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل جسيم.

خطبة ورقة بن نوفل عن أمنا خديجه

فقام ورقة بن نوفل فقال: الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت، وفضلنا على ما عددت، فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كله، لا تنكر العشيرة فضلكم، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، وقد

(1) هذه رواية ابن اسحاق وهو ثقه في ميزان علماء الحديث, اما القول انها كانت في سن 40 فهي رواية الواقدي وفيها شكوك حتى ان البخاري لم يروي منه شيء. كما ان الطب الحديث يؤيد ان المرأه في سن 28 أقدر عضويا ان تنجب 6 مرات حملا ورضاعة والله أعلم.

(2) صغير الابل.

رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم، فأشهدوا عليّ معاشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبدالله على كذا.

فقبل محمد ﷺ (النكاح)، وشهد على ذلك صناديد قريش. وأنحر ﷺ جزوراً أو جزورين وأطعم الناس. وفرح ابو طالب فرحاً شديداً وقال: الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب، ودفع عنا الهموم. ودخل ﷺ بخديجة رضي الله عنها فعاشا بأرغد عيش وأهنئه.

14. ترميم الكعبة واختلاف قريش في وضع الحجر وحكم الرسول ﷺ

ولما بلغ ﷺ من العمر خمساً وثلاثين سنة، جاء سيل جارف فتصدعت جدران الكعبة بعد أن كانت توهنت من قبل من الحريق الذي أصابها، فأرادت قريش هدمها ليرفعوها ويسقفوها من جديد ولكنهم هابوا هدمها لمكانتها في قلوبهم، فقال لهم أبو الوليد بن المغيرة: أتريدون بهدمها الإصلاح أم الإساءة؟ قالوا: بل الإصلاح، قال: إن الله لا يهلك المصلحين. وشرع يهدم فتبعوه وهدموا حتى وصلوا إلى أساس إسماعيل، ثم ابتدؤا في البناء، فقال لهم أبو الوليد بن المغيرة، أو أبو وهب بن عمرو: قال يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً, لا يدخل فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس. وجعل الأشراف من قريش يحملون الحجارة على أعناقهم، وكان نبي الله ﷺ يحمل معهم، وكان الذي يلي البناء نجار رومي اسمه (باقوم)، وقد ضاقت بهم النفقة الطيبة عن إتمامه على قواعد إسماعيل، فأخرجوا منها حجر إسماعيل, وبنوا عليه جداراً قصيراً علامة أنه من الكعبة.

ولما وصلوا إلى مكان الحجر الأسود اختلف أشرافهم في وضعه، وتنافسوا في ذلك حتى كادت تشب بينهم نار الحرب، ودام بينهم هذا الخصام أربعة أيام، وكان أسنّ رجل في قريش إذ ذاك أبو أمية بن المغيرة(1) فقال لهم: يا قوم لا تختلفوا وحكموا بينكم أول من يدخل الحرم، ففعلوا، فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، هذا محمد رضينا به.

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، بسط رداءه، وقال: لتأخذ كل قبيلة بناحية الثوب، ثم وضع فيه الحجر، وأمرهم برفعه حتى انتهوا إلى موضعه، أخذه بيده ووضعه ثم بنى عليه، وهكذا انتهت هذه المشكلة بحكمته ﷺ ودرايته وحسن تدبيره.

---

(1) هو أبو أمية، حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم عم خالد بن الوليد.

15. أخبار الكهان والاحبار والرهبان وسيرته ﷺ في قومه قبل البعثة

كان ﷺ أحسن الناس خلقاً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأفضلهم مروءة وحكمة، وخيرهم جواراً، فسموه (الأمين) لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة الحميدة، والأخلاق العالية السديدة، فكان مثالاً للمروءة، والشهامة، والجود، والشجاعة، والحلم، والحياء، والوفاء، والتواضع، والعدل، والرأفة، والرحمة، والرضى، والأناة، وقوة العزيمة، والصفح، والتغاضي، والعفو عند المقدرة، ولين الجانب، إلى غير ذلك من الأخلاق والصفات التي لا تحصى، حتى شهد له ألدّ أعدائه، منهم النضر بن الحارث من بني عبد الدار حيث يقول لقومه: قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم الشيب في صدغيه، وجاءكم بما جاءكم قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، إلى آخر حديثه، كما سيأتي لاحقاً.

ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان قائلاً: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا، فقال هرقل: ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله، ومنهم أبو جهل، وقد سأله الأخنس يوم بدر فقال: يا أبا الحكم أترى محمداً يكذب؟ فقال أبو جهل: كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الأمين لأنه ما كذب قط؟! ولكن إذا كانت في بني عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة، ثم تكون فيهم النبوة، فأي شيء بقي لنا؟

وقد حفظه الله من صغره عن أعمال الجاهلية التي تنافي شرعه الشريف، وبغضت اليه الأوثان، فكان لا يقربها، ولا يأكل ما ذبح عليها، وحرم على نفسه الخمر مع شيوعها في قومه وشغفهم بها، وذلك كله من الصفات التي يحلي الله بها أنبياءه؛ ليكونوا على أتمّ الاستعداد لتلقي رسالته، فهم معصومون من الأدناس قبل النبوة وبعدها، أما قبل النبوة، فليتأهلوا للأمر العظيم الذي سيصير اليهم، وأما بعدها، فليكونوا قدوة للأمم صلوات الله عليهم وسلامه.

التحسس بقرب البعثة

وكانت الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول سيظهر، وقد قرب زمانه، وذلك قبل مبعثه ﷺ بقليل. أما الأحبار والرهبان فمما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه، وأما الكهان من العرب فكانت تأتيهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع؛ إذ كانت لا تحجب عن ذلك بالقذف في الشهب. فلما قرب مبعثه ﷺ منعت الشياطين عن السمع، وقذفت بالشهب.

لقد كثرت الشائعات عن قرب نبي منتظر، وتحدث الناس بذلك، فكان اليهود يستفتحون على عرب المدينة برسول منتظر، فقد حدّث عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال قومه -أي الأنصار- قالوا: إنما دعانا للإسلام مع رحمة الله تعالى لنا، ما كنا نسمع من أحبار يهود، كنا أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم، وليس لنا -كتاب- وكانت لا تزال بيننا وبينهم حروب، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: قد تقارب زمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكثيراً ما كنا نسمع ذلك منهم. فلما بعث الله رسوله محمداً ﷺ أجبنا حين دعانا إلى الله، فكنا نقول: هذا والله هو النبي الذي كان يتوعدنا به اليهود، فآمنوا قبل يسبقكم إليه يهود، فبادرناهم إليه، فآمنا بفضل الله وكفروا!

وكان أمية بن أبي الصلت[1], كثيراً ما يقول: إني لأجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا، وكان ورقة بن نوفل، كان ينتظر بعثة نبي، وقد آمن حينما سمع بنزول الوحي على النبي ﷺ.

تحنثه ﷺ بغار حراء

كان ﷺ يحبّ العزلة والخلوة واجتناب الناس من صغره. قالت حليمة رضي الله عنها: لما ترعرع محمد ﷺ كان يخرج إلى الصبيان وهم يلعبون، فيتجنبهم، ولما قربت بعثته ازداد محبة في الخلوة؛ لأن الخلوة يكون بها فراغ القلب وصفاؤه، فتشرق عليه أنوار المعرفة الإلهية، ويهيئه الله لتلقي الوحي والرسالة، وقد قال البوصيري رحمه الله في همزيته:

ألف النسك والعبادة والخلـ   ـوة طفلاً وهكذا النجباء

وإذا حلت الهداية قلباً   نشطت في العبادة الأعضاء

وكان يخلو بغار حراء فكان يتحنث فيه الليالي، أقلها ثلاث ليال، وأكثرها شهر رمضان أو غيره، حسب ما يتزود له. فإذا نفذ زاده رجع إلى مكة، وتزود إلى غيرها، وكانت خديجة رضي الله عنها تزوده الكعك والزيت. وكان أول من تحنث بحراء جده عبد المطلب، ثم تابعه على ذلك بعضهم، كورقة بن نوفل، وأبي أمية بن المغيرة.

(1) يقال عنه أبوالحكم شاعر جاهلي مثل أبيه من رؤساء ثقيف أشتهر بالحنيفية والتوحيد وكان من دعاة الى نبذ الاصنام وتوحيد الاله.

الجزء الثاني
البعثة النبوية والمرحلة المكية

1. بعثته ﷺ ونزول جبريل عليه السلام بالوحي وإجتماعه بورقة بن نوفل

لما بلغ صلى الله عليه وسلم سن الكمال وهي: أربعون سنة، أرسله الله تعالى للعالمين؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وكان ذلك في السابع عشر من رمضان على الأصح. وأول ما بدئ به الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح، وذلك لما جرت به عادة الله في خلقه من التدريج في الأمور حتى تصل بهم إلى درجة الكمال.

وبينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم قائماً في حراء في جبل النور (أنظر الصورة للغار)، اذ ظهر له شخص بين السماء والأرض فقال: أبشر يا محمد أنا جبريل، وأنت رسول الله إلى هذه الأمة، وقيل: إنه كان أتاه قبل ذلك مناماً يوم السبت، ثم ظهر له يقظة يوم الاثنين فقال له: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ -لأنه كان أمياً- فأخذه، فغطه بالنمط (البساط) الذي كان ينام عليه حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، فأخذه، فغطه ثانية، ثم أرسله فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، فغطه ثالثة ثم أرسله فقال: (اقرأ بأسم ربك الذي خلق ..)[1]، فكانت أول ما نزل على محمد ﷺ، فرجع ﷺ إلى مكة يرجف به فؤاده مما ألّم به من رؤية الملك لأول وهلة، فدخل على خديجة رضي الله عنها، فقال: زملوني، زملوني[2]، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فأخبر خديجة الخبر وقال: لقد خشيت على نفسي، فقالت: كلا! والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق, فلا يسلط الله عليه الشياطين والأوهام.



صورة غار حراء في جبل النور

(1) سورة العلق آية 1.

(2) زملوني: أي غطوني، لفوني.

ثم ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان قد تنصرّ بالجاهلية، ودرس العبرانية، وكان شيخاً كبيرا قد كفّ بصره، فقالت له خديجة: يا ابن عم! إسمع من ابن أخيك! فقال: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى! فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة، وهذا الناموس –أي جبريل– الذي نزّل الله على موسى، ثم قال: يا ليتني فيها جذعاً[1] إذ يخرجك قومك، فقال: أومخرجيّ هم؟ قال: لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، ثم قال: وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، وقد استدلّ من مقالة ورقة بأنه مؤمن، ثم توفي، ولما توفي ورقة قال رسول الله صل الله عليه وسلم: رأيت القس في الجنة –يعني ورقة– وعليه ثياب الحرير.

فترة الوحي وعودته

لقد فتر الوحي[2] عن رسول الله ﷺ مدة اختلف فيها المؤرخون حتى شقّ ذلك عليه فأحزنه، ظناً منه بأن الله تركه وقلاه، وقد تكلم المشركون بأنه ﷺ ودعه ربه وقلاه، حتى كاد أن يتردى من رؤوس الجبال، وكلما همّ أن يلقي نفسه يظهر له الملك قائلاً: أنت رسول الله حقاً، فيطمئن خاطره، ويرجع عما عزم عليه. فلما اشتد شوقه صلى الله عليه وسلم لتلقي الوحي، وأراد الله تعالى إظهار نور هذا الدين، وسعادة البشر عاد إليه الوحي، فجاءه جبريل عليه السلام بسورة (الضحى) فخاطبه سبحانه وتعالى بأجمل ما يقال وهو يقسم له بكلماته العظيمة ويواسيه فيها الله عز وجل لرسوله ﷺ ويقول ما أبغضك بعدما أحبك الى آخر السورة.

2. إسلام خديجة وبشارتها من الله وإسلام علي الله ابى طالب وأوائل المسلمين

فقام صلى الله عليه وسلم بالأمر، ودعا لعبادة الله تعالى سراً، فبدأ بأهل بيته، فكان أول من آمن بالله ورسوله، صدّيقة النساء حبيبته خديجة رضي الله عنها، وكانت تعينه ﷺ وتثبته، وتشجعه على المضي بأمر الله، وتخفف عنه ما يلاقيه من رد قومه وتكذيبهم، رضي الله عنها وأرضاها وجزاها خير الجزاء. وأرسل الله تعالى جبريل إلى النبي ﷺ يبشرها، فقال له: اقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب، فقالت: هو السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته.[3]

---

(1) جذعاً: أي فتىً، شاباً.

(2) لقد أنزل القران الكريم على النبي ﷺ في بدء بعثته، وكان أول نزوله في شهر رمضان، في ليلة القدر, كما قال تعالى: (اِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) سورة القدر اية 1، وقال أيضا: (حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) في سورة الدخان ويا لها من ليلة عظيمة.

(3) صحيح البخاري.

وكان أول من أسلم بعد خديجة، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنهما، وكان مقيماً عند النبي صلى الله عليه وسلم يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره؛ لأن قريشاً كانوا قد أصابتهم مجاعة، وكان أبو طالب كثير العيال فقال ﷺ لعمه العباس: إن أخاك أبا طالب كثير العيال، والناس فيما ترى من الشدة، فانطلق بنا إليه لنخفف من عياله، تأخذ واحداً، وأنا آخذ واحداً، قال: نعم، فانطلقا وعرضا عليه الأمر، فأخذ العباس جعفراً، وأخذ ﷺ علياً، فكان في كفالته كأحد أولاده، وكان تابعاً للنبي ﷺ في كل أعماله، فآمن وأسلم، وكان عمره على الأرجح عشر سنين.

3. إسلام أبي بكر الصديق والذين أسلموا بدعايته رضي الله عنهم

وأول من أجاب من الرجال: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكان صديقاً للنبي ﷺ قبل البعثة، يعلم ما اتصف به من مكارم الأخلاق، ولم يعهد عليه كذباً منذ أصطحبا، فحينما أخبره برسالة الله أسرع بالتصديق وقال: بأبي أنت وأمي، أهل الصدق والله أنت، أشهد أن لا اله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله.

وكان أبو بكر رضي الله عنه، معظماً في قومه ومحبباً إليهم، وكان من أرجح قريش عقلاً، على سعة من المال وكرم الأخلاق، وكان من أعفّ الناس وأكرمهم، وكان أعلم الناس بتعبير الرؤيا وبعلم الأنساب، فلهذه الأخلاق الكريمة والخصال الحميدة، كان رجال من قومه يألفونه ويحبون مجالسته. لما أسلم أبو بكر رضي الله عنه صار يدعو الذين يعرفهم ويثق بهم إلى الإسلام، فأسلم بدعوته جماعة، منهم: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام وعمره اثني عشرة سنة، ومنهم عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص وكان عمره تسع عشرة سنة رضي الله عنهم جميعا.

وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا رأى عبداً يعذب في الله اشتراه وأعتقه، وقد اشترى عدداً من المستضعفين: رجالاً ونساءاً. ذكر في السيرة الحلبية: مرّ أبو بكر رضي الله عنه ببلال وهو يعذب، وعلى صدره صخرة عظيمة، فقال أبو بكر لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين، قال: أنت أفسدته فأنقذه بما ترى، قال أبو بكر: عندي غلام أسود أجلد منه على دينك أعطيكه به، قال: قبلت، فأعطاه الغلام وأخذ بلالاً فأعتقه رضي الله عنهم.

ومنهم: حمامة أم بلال رضي الله عنهم اشتراها وأعتقها، واشترى عامر بن فهيرة رضي الله عنه – رفيقهما في الهجرة– وأبا فكيهة، ولبينة، والنهدية، وبنتها زنيرة، وعنيس، وابنتها لطيفة، وأم عامر بن فهيرة وأخته، كانت لعمر بن الخطاب وكان يعذبها –قبل إسلامه– فمرّ أبو بكر رضي الله عنه وهو يضربها حتى ملّ، فاشتراها أبو بكر وأعتقها رضي الله عنهم جميعا.

وذكر في السيرة الحلبية أن المسلمون يستخفون في عبادتهم في دار الأرقم، فأراد أبو بكر رضي الله عنه الظهور وألحّ على رسول الله ﷺ في الخروج إلى المسجد فقال له: إنا قليل، فلم يزل به حتى خرج رسول الله ومن معه من الصحابه رضي الله عنهم جميعا، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس، ودعا إلى الله تعالى، فثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين يضربونهم، فضربوهم ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر رضي الله عنه بالأرجل، وضرب عتبة بن ربيعة أبا بكر على وجهه حتى هشم أنفه حتى صار لا يعرف أنفه فجاءت بنو تيم قوم أبوبكر يتعادون، فأجلت المشركين عن أبي بكر إلى أن أدخلوه منزله ولا يشكون في موته، ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة، ثم رجعوا إلى أبي بكر، وصاروا يكلمونه فلا يجيب، حتى إذا كان آخر النهار تكلم وقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فعذلوه ولاموه، فصار يكرر ذلك فقالت أمه: والله مالي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل[1] بنت الخطاب فأسأليها عنه، فخرجت إليها وقالت لها: إن أبا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله؟ فقالت: لا أعرف محمداً ولا أبا بكر[2]، ثم قالت لها: تريدين أن أخرج معك؟ قالت: نعم، فخرجت معها إلى أن جاءت أبا بكر رضي الله عنه فوجدته طريحاً فصاحت وقالت: إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق، وإني لأرجو أن ينتقم الله منهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت له: هذه أمك تسمع، قال: فلا عليك منها! قالت: سالم والحمدلله، قال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم، فقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً أو آتي رسول الله ﷺ! قالت أمه: فأمهلناه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكئ عليّ حتى دخل على رسول الله ﷺ، فرقّ له رقة شديدة وأكبّ عليه يقبله، وأكبّ عليه المسلمون كذلك، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما بي من بأس إلا ما نال الناس من وجهي، وهذه أمي برّة بولدها، فعسى الله أن يستنقذها بك من النار، فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الإسلام فأسلمت.

4. قصة زيد بن حارثة وإسلامه رضي الله عنه

كانت خديجة رضي الله عنها أمرت ابن أخيها حكيم بن حزام بن خويلد أن يشتري لها غلاماً عربياً ذكياً، فلما قدم سوق عكاظ وجد زيداً يباع وعمره ثمان سنين، وقد أسر من أخواله طيء، فاشتراه حكيم، ولما رأته خديجة رضي الله عنها أعجبها فأخذته، فلما تزوجها رسول الله ﷺ أعجب به، فاستوهبها اياه

(1) هي أخت عمر بن الخطاب: كانت أسلمت ومن السابقات للإسلام.
(2) قالت ذلك: خوفاً من أخيها عمر بن الخطاب أن يعلم بإسلامها.

فوهبته له، فأعتقه ﷺ وتبناه وذلك قبل البعثة, فعرف بين قريش بذلك وقالوا: زيد بن محمد، إلى أن نسخ القرآن هذه العادة[1].

ثم إن ناساً قدموا مكة حاجين فرأوا زيداً فعرفوه وعرفهم، فلما رجعوا أعلموا أباه، فجاء أبوه وعمه في فدائه، فسألا عن النبي ﷺ فقيل: هو في المسجد، فدخلا عليه فقالا: يا ابن عبدالمطلب، يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون الأسير العاني، وتطعمون الجائع، جئناك في ولدنا عندك، فأمنن علينا وأحسن في فدائه، فقال: وما ذاك؟ قالوا: زيد بن حارثة، قال: أوغير ذلك! قالوا: وما هو؟ قال: ادعوه فخيروه، فإن اختاركم فهو لكم من غير فداء، وان اختارني، فوالله ما أنا بالذي أختار من اختارني فداءاً، قالوا: زدتنا إنصافاً وأحسنت، فدعاه فقال: أتعرف هؤلاء؟ قال: نعم، أبي وعمي، فقال له النبي ﷺ: أنا من قد علمت وقد رأيت صحبتي، فاخترني أو اخترهما، فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني مكان الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد، تختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال: نعم، ما أنا بالذي أختار عليه أحداً، فأنصرفوا عنه، وكان رضي الله عنه من السابقين للإسلام، وكان معدوداً من أهل بيته ﷺ.

5. السابقات والسابقين للإسلام

وكان أول من أسلم من النساء بعد خديجة رضي الله عنها: أم أيمن حاضنته صلى الله عليه وسلم، وأم الفضل زوج العباس، وأسماء بنت أبي بكر، وأم جميل بنت الخطاب رضي الله عنهنّ جميعا.

إسلام جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

لما أسلم علي رضي الله عنه كان صبياً ابن عشر سنين، وكان يخفي إسلامه عن أبيه حتى اطلع عليه أبوه فأمره بالثبات على الإسلام. وفي أسد الغابة لابن الأثير: أن أبا طالب رأى النبي ﷺ يصلي وعليّ على يمينه، فقال لجعفر: صل جناح ابن عمك، فصلى على يسار النبي ﷺ، فأسلم جعفر وكان إسلامه بعد على رضي الله عنهما بقليل, وهذه من دلائل إيمان أبي طالب، ولكنه لم يعلن إسلامه خوفاً على ابن أخيه الرسول ﷺ لاستمرار حمايته ومن تعيير قريش والله أعلم.

---

(1) سورة الأحزاب آية 5.

السابقين للإسلام

منهم: سعيد بن زيد[1]، زوج فاطمة بنت الخطاب، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب الشهيد يوم بدر، وأبو سلمة –عبد الله بن عبد الأسد المخزومي– وعثمان بن مظعون الجمحي، وأخواه قدامه وعبد الله، والأرقم بن أبي الأرقم[2] –الذي نسب إليه دار الأرقم– وعبدالله بن مسعود[3] رضي الله عنهم جميعا.

كيف أسلم ابن مسعود رضي الله عنه

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كنت في غنم لآل عقبة بن أبي معيط، فجاء رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: هل عندك من لبن؟ فقلت نعم، ولكن مؤتمن، قال: هل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل؟ قلت: نعم، فأتيته بشاة شصوص[4] فمسح ﷺ مكان الضرع، فإذا ضرع حافل، فأتيت النبي ﷺ بصخرة منقورة . قدح من الحجر . فاحتلب النبي ﷺ، فسقى أبا بكر، وسقاني ثم شرب، ثم قال للضرع: اقلص، فرجع كما كان، فأسلم ابن مسعود وقال: يا رسول الله علمني، فمسح رأسه وقال: بارك الله فيك، فإنك غلام معلم! فكان من المقربين، وروى الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ، ولازمه، وكان يمشي أمامه، ويستره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، ويلبسه نعليه إذا قام، فإذا جلس أدخلهما في ذراعيه.

إسلام خالد بن سعيد رضي الله عنه

ومن السابقين خالد بن سعيد بن العاص الأموي، وكان أبوه من رؤساء قريش، وكان خالد هذا قد رأى في منامه أنه سيقع في هاوية فأدركه رسول الله صل الله عليه وسلم وأنقذه منها، فجاء إليه وقال: إلام تدعو يا محمد؟ قال: أدعوك إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن تخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع، والإحسان إلى والديك، وأن لا تقتل ولدك خشية الفقر، ولا تقرب الفاحشة ما ظهر منها وما بطن، وألا تقتل نفساً حرم الله إلا بالحق، وألا تقرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأن توفي الكيل والميزان بالقسط، وأن تعدل في قولك ولو حكمت على ذوي قرباك، وأن توفي لمن عاهدت، فأسلم رضي الله عنه.

---

(1) وكان عمره 19 سنة.
(2) وكان عمره 12 سنة.
(3) وكان عمره 14 سنة.
(4) شصوص: الشاة الشصوص: التي لا ضرع لها.

إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

ومن السابقين إلى الإسلام أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، وكان من أعراب البادية، فصيحاً، ولما بلغه مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب الى هذا الوادي –يريد مكة– فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق الأخ حتى قدم مكة وسمع من قول رسول الله ﷺ ثم رجع الى أبي ذر فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، ويقول كلاماً حسناً ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني مما أردت، فتزود وحمل قربة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه لما بلغه من كراهة قريش لكل من يخاطب النبي ﷺ, وبقي في مكة ثلاثة أيام حتى أدخله عليّ رضي الله عنه على النبي ﷺ فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال له النبي ﷺ: ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري، قال: والذي نفسي بيده لأصرخنّ بها بين ظهرانيهم! فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلا صوته: أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقاموا إليه فضربوه حتى أضجعوه، وقام العباس بن عبد المطلب فأكبّ عليه وقال: ويلكم، أولستم تعلمون أنه من غفار؟ وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليه! فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها، فضربوه وثاروا عليه.

6. من دار الأرقم الى الجهر بالدعوة

كان صلى الله عليه وسلم يدعو الناس خفية ثلاث سنين **(يا ايها المدثر قم فأنذر ...)**[1]، فكان من أسلم إذا أراد الصلاة –وكانت ركعتان بالغداة والعشي– يذهب إلى بعض الشعاب يستخفي بصلاته من المشركين، وبينما سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في نفر من المسلمين في شعب من شعاب مكة يصلون إذ ظهر عليهم نفر من المشركين، فاستهزؤوا بهم وسخروا من صلاتهم حتى قاتلوهم، فضرب سعد رضي الله عنه رجلاً منهم بلحى بعير[2] فشجه، ثم ظهرت العداوة بعد ذلك بينهم، واشتدّ الأمر فدخل رسول الله ﷺ هو وأصحابه دار الأرقم، فكانوا يصلون بها ويعبدون الله تعالى وهم يومئذ بضع وثلاثون رجلاً، وقيل: بإسلام الحمزة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما صاروا أربعين رجلاً.

مضت مدة والنبي صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه مستخفين في إسلامهم وعبادتهم في دار الأرقم حتى أمر الله بالجهر بقوله تعالى: (فأصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين...)[3] فقام ممتثلاً أمر ربه، فصعد على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، وجعل يعدّ بطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل أحداً لينظر الخبر، فقال الرسول ﷺ: "أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد! فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعتنا؟" فأنزل الله في شأنه: (تبت يدا ابي لهب وتب...)[4]. ثم مكث ﷺ أياماً فنزل عليه قوله تعالى: (ام حسبتم ان تدخلوا الجنه ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ...)[5].

7. خطبته ﷺ بالأقربين وإجماع قريش على مخالفته

وفيما روى البخاري فجمعهم المصطفى صلى الله عليه وسلم ثانية وخطبهم فقال: "إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا اله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتنّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون،

(1) سورة المدثر آية 1.
(2) لى بعير: أي عظم اللحى من البعير.
(3) سورة الحجر آية 94.
(4) سورة المسد آية 1.
(5) سورة الحجر آية 214.

ولتحاسبنّ بما تعملون، ولتجزونّ بالإحسان احساناً وبالسوء سوءاً، وإنها لجنة أبداً أو لنار أبداً، يا بني عبد المطلب ما أعلم شاباً جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة".

فتكلم القوم كلاماً ليناً غير أبي لهب فإنه قال: يا بني عبدالمطلب هذه والله السوأة، خذوا على يديه وامنعوه عن هذا الأمر بحبس أو غيره، قبل أن يأخذ على يديه غيركم، فإن أسلمتموه حينئذ ذللتم وإن منعتموه قتلتم! فقال أبو طالب: والله لنمنعنّه ما بقينا.

لما أعلن رسول الله ﷺ الدعوة وجهر بها، تنكرت له قريش وسخرت منه، فكان إذا مرّ بهم في مجالسهم يقولون: هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء، وهذا يتيم أبي طالب يأتيه الملك، ولا يزيدون على ذلك، فلما عاب آلهتهم وسفه عقولهم، وقال لهم: والله يا قوم لقد خالفتم دين أبيكم إبراهيم، أخذتهم العصبية، وثارت في رءوسهم الحمية –حمية الجاهلية– غيرة على تلك الاصنام الآلهة التي كان يعبدها آباؤهم، فأجمعوا على خلافه وعداوته. ثم جاءوا إلى أبي طالب وقالوا: إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فقال لهم أبو طالب قولاً ليناً، وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه.

ومضى رسول الله ﷺ يدعو إلى الله لا يرده عن ذلك شيء! ثم تزايد الأمر وأظهرت قريش العداوة لرسول الله ﷺ والحقد على المسلمين، وأكثروا من ذكر النبي ﷺ وأصحابه في مجالسهم.

ثم مشوا لأبي طالب ثانياً فقالوا: يا أبا طالب، إن لك منزلة وشرفاً فينا، وإنا قد طلبنا منك أن تنهي عنا ابن أخيك فلم ينته، وإنا والله لا نصبر على هذا الأمر، إما تكفه عنا أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين! فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولا يريد أن يخذل النبي ﷺ فقال له: يا إبن أخي، إن قومك جاءوني فقالوا لي: كذا وكذا، فأبقِ عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر مالا أطيق! فظن ﷺ أنه خاذله فقال: يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أنزل عن هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك دونه ما تركته، ثم قام باكياً، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما شئت والله لا أسلمك، ثم أنشأ يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً
فأصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر وقرّ بذاك منك عيوناً
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم أميناً
وعرضت ديناً لا محالة أنه من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

8. إيذاء رسول الله ﷺ

وأما النبي ﷺ ورغم كل الايذاء الشديد من قريش بعد أن كان عزيز وأمين قريش وحكيمها أصبح عدوها الاول إلا أن منعه الله بعمه أبي طالب، وبما أيده الله بخوارق العادات، إلا ما أصابه كثيرا, منها تحول جميع جيرانه بالتناوب على إيذاءه كل يوم وكل ساعه على مدى ثلاث عشر سنين عاش بها في مكة يتلقى الايذاء بكل صنوفه وهو صابر محتسب عند الله عز وجل، ومنها: ما حدث به عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد وهو يصلي، وقد نحر بعضهم جزوراً وبقي فرثه، فقال أبو جهل: أيكم يأخذ سلا جزور بني فلان فيضعه بين كتفيه إذا سجد؟ فقام الشقي عقبة بن أبي معيط، وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبي ﷺ وهو ساجد، فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم إلى بعض من شدة الضحك، قال ابن مسعود: فهبنا أن نلقيه عنه حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها بعد أن ذهب إليها إنسان وأخبرها بذلك، واستمر ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فقام ﷺ . للركعة التالية . فسمعته يقول وهو قائم يصلي: اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، اللهم عليك بأبي الحكم بن هشام -يعني أبا جهل- وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد ابن عتبة، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد(1)، وأمية بن خلف، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وهابوا دعوته! قال ابن مسعود: والله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب: قليب بدر. ومنها عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يطوف بالبيت ويده على يد أبي بكر رضي الله عنه، وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس: عقبة بن أبي معيط، أبو جهل بن هشام، أمية بن خلف، فمرّ رسول الله ﷺ فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره، فعرف ذلك في وجه الرسول ﷺ، فدنوت منه ووسطته -بيني وبين أبي بكر- فأدخل أصابعه في أصابعي وطفنا، فلما حاذاهم قال أبو جهل: والله ما نصالحك ما بلّ بحر صوفة وأنت تنهى أن نعبد ما يعبد آباؤنا، فقال رسول الله ﷺ: أنا على ذلك، ثم مشى عنهم، فصنعوا في الشوط الثالث مثل ذلك، حتى إذا كان الشوط الرابع قاموا له ووثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجامع ثوبه، فدفعت في صدره فوقع على استه، ودفع أبو بكر أمية ودفع رسول الله ﷺ عقبة بن أبي معيط، ثم انفرجوا عن رسول الله ﷺ وهو واقف ثم قال: أما والله لا تنتهون حتى يحلّ عليكم عقابه، قال عثمان: فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذته الرعدة، فجعل رسول الله ﷺ يقول: "بئس القوم أنتم لنبيكم"، ثم انصرف إلى بيته، وتبعناه حتى انتهى إلى باب بيته، ثم أقبل علينا

---

(1) عمارة بن الوليد: هلك قبل بدر، له قصة في هجرة الحبشة.

بوجهه فقال: "أبشروا فإن الله عز وجل مظهر دينه، ومتم كلمته، وناصر نبيه، إن هؤلاء ترون من يذبح منهم على أيديكم عاجلاً، ثم انصرفنا إلى بيوتنا! فوالله لقد ذبحهم الله بأيدينا يوم بدر".

ومن ذلك، ما حدث به عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: ما رأيت قريشاً أصابت من عداوة أحد ما أصابت من عداوة رسول الله ﷺ، ولقد حضرتهم يوماً وقد اجتمع ساداتهم وكبراؤهم في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما صبرنا لأمر قط كصبرنا لأمر هذا الرجل، ولقد سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسبّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مرّ طائفاً بالبيت، فلما مرّ عليهم لمزوه ببعض القول، فعرفنا ذلك في وجهه، ثم مرّ بهم الثانية فلمزوه بمثلها، فعرفنا ذلك في وجهه، ثم مرّ بهم الثالثة فوقف عليهم وقال: أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح، فأرتعبوا لكلمته تلك، وما بقي رجل إلا كأنما على رأسه الطير، فصاروا يقولون: يا أبا القاسم، انصرف فوالله ما كنت جهولاً، فانصرف النبي ﷺ، فلما كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغه منكم وما بلغكم منه، حتى إذا ناداكم بما تكرهون تركتموه؟ فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فتواثبوا إليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به وهم يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ –يعنون عيب آلهتهم– فقال: نعم، أنا الذي أقول ذلك! فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه، فقام أبو بكر وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله؟ فأطلقه منهم ووقعت الهيبة في قلوبهم فأنصرفوا.

روي أن أبا جهل قال يوماً لقريش: إن محمداً قد أتى إلى ما ترون، من عيب دينكم، وشتم آلهتكم، وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر لا أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته رضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم، فقالوا: والله لا نسلمك لشيء أبداً، فامض لما تريد، فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره! وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو إلى الصلاة، وكان يصلي ﷺ بين الركن اليماني والحجر الأسود، وقريش جلوس في أنديتهم ينتظرون أبا جهل ما هو فاعل، فلما سجد النبي ﷺ احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونه من الفزع، وقامت إليه رجال من قريش وقالوا: مالك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم، فلما دنوت منه عرض لي فحل من الإبل ما رأيت مثله قط همّ أن يقتلني، فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ قال: ذاك جبريل لو دنا لأخذه.

9. إيذاء المسلمين وتعذيبهم رضي الله عنهم

لما أسلم الزبير رضي الله عنه وكان عمره اثنا عشرة سنة كما قدمنا فجعل عمه يعذبه ويدخن عليه ويقول له: ارجع، فكان يتحمل الأذى ويقول: والله لا أكفر أبداً.

ومن العداوة والحرب النفسية ضد الرسول ﷺ وأصحابه منهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكان عمره تسع عشرة سنة، فكرهت أمه إسلامه وكان باراً بها، فقالت: ألست تزعم أن الله يأمرك بصلة الرحم وبر الوالدين؟ قال: نعم، فقالت: والله لا أكلت طعاماً ولا شربت شراباً حتى تكفر بما جاء به محمد، وتمس إسافة ونائلة[1]، فمكثت يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب، وقد خمدت، ثم مكثت يوماً وليلة كذلك لا تأكل ولا تشرب، قال سعد: فلما رأيت ذلك قلت لها: تعلمين يا أماه، والله لو كان لك مائة نفس تخرج نفساً نفساً ما تركت دين محمد، فكلي إن شئت أو لا تأكلي! فلما رأت ذلك أكلت. وروى أنه نزل في سعد قوله تعالى: (أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون)[2]، ثم اشتد الأمر على قريش وأظهروا وزادوا بالعداوة، وأتفقوا على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم إن كانوا من المستضعفين، وإذا أسلم الشريف أو ذو المنعة لاموه، وقالوا له: تركت دين أبيك وهو خير منك، أو سلطوا عليه عشيرته وأقاربه؛ ليردوه عن دينه إن استطاعوا ولن يستطيعوا ذلك.

فممن عذب في الله وأوذي: آل ياسر، وهم: عمار بن ياسر[3]، وأبوه ياسر، وأمه سمية، وأخوه عبد الله رضي الله عنهم، وعن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت: إن عمار بن ياسر وأبواه ياسر وسمية وأخاه عبدالله رضي الله عنهم كانوا يعذبون في الله، فمرّ بهم النبي ﷺ فقال: صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة. ومرّ ﷺ يوماً بعمار وكان يعذب في النار، فمد يده على رأسه وقال: يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم عليه السلام.

وما زالوا يعذبونهم حتى مات ياسر في العذاب، وأعطيت سمية أم عمار لأبي جهل فعذبها عذاباً شديداً رجاء أن يفتنها عن دينها فلم تجبه على الكفر، ثم طعنها في حربة فماتت. وأما عمار بعد أن قتلوا أباه وأمه وأزدادوا في تعذيبه، تلفظ لهم بالكفر بلسانه، فقيل للنبي ﷺ: قد كفر عمار، فقال: كلا،

---

(1) إسافة ونائلة: صنمان كانوا يعبدونهما.
(2) سورة العنكبوت آية 8.
(3) كان عمره 14 سنة.

والله إن الإيمان قد خالط بشاشة قلبه! وفي عمار أنزل الله تعالى(من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم)[1].

وكان كفار قريش يسخرون من هؤلاء المستضعفين ويقولون: لو كان ما أتى به محمد خيراً ما سبقونا إليه! ويقول أبو جهل: لو كان خيراً ما سبقتنا إليه زنيرة، فأنزل الله في ذلك قوله تعالى: (وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه...) [2]. ولما اشتدّ الضرب والعذاب على زنيرة عميت وذهب بصرها، فقال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: والله ما يدري اللات والعزى من يعبدهما، ولكن هذا أمر من السماء، وربي قادر على أن يردّ بصري، فرد الله عليها بصرها تلك الليلة، فاشتراها أبو بكر وأعتقها.

وقال أبو قحافة –والد أبي بكر– لأبي بكر: يا بنيّ إني أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت، أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبت، إني إنما أريد بما فعلت وجه الله عز وجل، فأنزل الله في حقه: (وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى...)[3].

تعذيب خباب رضي الله عنه

ومنهم: خباب بن الأرت، عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: "أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة شديدة، فقالت: يا رسول الله، ألا تدعو الله لنا؟ فقعد محمراً وجهه، فقال: إنه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد، ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ليظهرنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه"[4]، وكان خباب حداداً، وكان قد سبي من أهله في الجاهلية، فاشترته امرأة تسمى أم أنمار، فلما أسلم صارت مولاته تعذبه في الحديدة المحمية بالنار فتضعها على رأسه، فشكى ذلك لرسول الله ﷺ فقال: اللهم انصر خباباً!! فاشتكت مولاته رأسها، فصارت تعوي مع الكلاب، فقيل لها: أكتوي، فكانت تأمر خباباً فيأخذ الحديد المحمي فيكوي به رأسها.

---

(1) سورة النحل آية 106.
(2) سورة الأحقاف آية 11.
(3) سورة الليل آية 17–21.
(4) رواه البخاري.

تعذيب بلال رضي الله عنه

ومنهم سيدنا بلال رضي الله عنه، وكان عبداً اشتراه أمية بن خلف، وكان يعذبه أنواع التعذيب، روى ابن اسحق أن أمية كان يخرج بلالاً إذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه يوماً وليلة، فيطرحه على ظهره في الرمضاء(1)، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيأبى ذلك ويقول: أحد أحد.

وكانوا يعطونه للولدان فيربطونه بحبل ويطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد. وقيل مرّ به ورقة بن نوفل وكان يعذبه أمية بن خلف وبلال يقول: أحد أحد، فقال ورقة: نعم أحد أحد والله يا بلال، ثم قال لأمية بن خلف: والله إن قتلتموه لأتخذنّ قبره مقاماً(2).

10. إسلام الحمزة رضي الله عنه

روى ابن اسحق قال: حدثني رجل من أسلم، أن أبا جهل مرّ برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه ما يكره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ، وهناك مولاة لعبدالله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك وتبصره! ثم انصرف أبو جهل إلى نادي قريش في المسجد فجلس معهم، فلم يلبث حمزة أن أقبل راجعاً من قنصه متوشحاً سيفه، فمر بتلك المولاة فقالت له: يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي إبن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم بن هشام –تعني أبا جهل– وجده ههنا جالساً فآذاه، وسبه، ونال منه ما يكره، ثم أنصرف عنه، ولم يكلمه محمد، فأحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل جالساً في القوم، فأقبل نحوه حتى قام على رأسه، ورفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فردّ عليّ إن استطعت، فقام رجال من بني مخزوم –عشيرة أبي جهل– لينصروا أبا جهل، فقالوا لحمزة: ما نراك إلا قد صبأت، فقال حمزة: وما يمنعني؟ وقد استبان لي منه أنه رسول الله والذي يقول حق، والله لا أفزع، فأمنعوني إن كنتم صادقين، فقال لهم أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني والله قد أسمعت ابن أخيه شيئاً! فسرّ رسول الله ﷺ بإسلام عمه الحمزة رضي الله عنه سروراً عظيماً؛ لأنه كان أعز فتى في قريش، وأشدهم شكيمة[3]، ومن ثم عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّ وسيمنعه عمه، فكفوا عنه بعض ما كانوا ينالون منه, فأقبلوا على أذية المستضعفين.

---

(1) الرمضاء: أي التراب أو الرمل إذا اشتدت حرارته من الشمس.

(2) مقاماً: أي مزاراً للتبرك, ورواه ابن اسحق.

(3) الرجل الابي الانوف الذي لا ينقاد ذو العزة والشدة والعزيمة.

11. ما نزل بالقرآن في المستهزئين: أبو لهب وامرأته وأمية والعاص والوليد وعتبة

قال ابن اسحق: لما سمعت أم جميل[1] ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر، وفي يدها فهر[2] من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني! والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني.

وكان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه، فأنزل الله تعالى فيه: (ويل لكل همزه لمزه الذي جمع مالاّ وعدده يحسب أن ماله أخلده كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة)[3].

العاص بن وائل السهمي

كان خباب بن الأرت حداداً كما تقدم يصنع السيوف، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفاً، فجاءه خباب يتقاضى ثمنها، فقال له العاص: يا خباب، أليس يزعم محمد صاحبكم الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم؟ قال خباب، بلى، قال: فأنظرني إلى يوم القيامة فأقضيك هنالك حقك، فوالله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب آثر عند الله مني ولا أعظم حظاً في ذلك. فأنزل الله فيه، قوله تعالى: (أرأيت الذي كفر باياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ... ونرثه ما يقول ويأتينا فردا)[4].

الوليد بن المغيرة

قال الوليد بن المغيرة: أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود الثقفي[5] سيد ثقيف، ونحن عظيما القريتين؟[6] فأنزل الله فيه قوله تعالى: (وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم...)[7]. ونزل في غير ما ذكرنا، وفي حوادث ومناسبات متعددة يطول معنا شرحها، ولا يتسع لها هذا الموجز.

(1) أم جميل اروى بنت حرب ابي سفيان: هي امرأة أبي لهب، كانت تلقي الشوك في طريق النبي ﷺ فأنزل الله فيها: "وامرأته حمالة الحطب، في جيدها حبل من مسد. (سورة اللهب) نزل فيهما سورة كما تقدم.
(2) الفهر: حجر في مقدار ملء الكف.
(3) سورة الهمزة اية 1 الى 6.
(4) سورة مريم آية 77-80.
(5) بأبو مسعود الثقفي: هو عمر بن عمير الثقفي، سيد ثقيف يومئذ.
(6) القريتان: مكة والطائف.
(7) سورة الزخرف آية 31-32.

لما ازداد كفار قريش في أذاهم للمسلمين، رأوا أن ذلك الأذى لم يجدهم نفعاً، بل كلما زادوا المسلمين أذىً إزداد يقينهم، فأجتمع المشركون للشورى فيما بينهم، فقال لهم عتبة بن ربيعة –وكان سيداً مطاعاً في قومه–: يا معشر قريش، ألا أقوم لمحمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً عله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا؟ فقالوا: قم يا أبا الوليد فكلمه، فذهب إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي في المسجد فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت، من خيارنا حسباً ونسباً، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم، وكفرت من مضى من آبائهم، فأسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع، فقال: يا ابن أخي، إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرءك منه؟ فقال ﷺ: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فأسمع مني، فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم (كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون ...الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون)[1]، إلى أن وصل إلى قوله تعالى (فإن اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)[2]، فلما وصل ﷺ إلى (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة أخزى وهم لا ينصرون)[3] أمسك عتبة بفيه ﷺ وناشده الرحم أن يكفّ عن ذلك، فلما رجع عتبة سألوه فقال: والله لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالكهانة، ولا بالسحر، يا معشر قريش أطيعوني فأجعلوها لي، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فأعتزلوه، فوالله ليكونن لكلامه الذي سمعت نبأً، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فعزه عزكم! فقالوا: لقد سحرك محمد، فقال: هذا رأيي.

(1) سورة فصلت آية 3-7.
(2) سورة فصلت آية 13.
(3) سورة فصلت ايه 16.

12. تحدي المشركين لرسول الله ﷺ

ثم اجتمع رؤساء قريش من كل قبيلة، مثل: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبو البختري بن هشام، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أمية، والعاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأمية بن خلف، اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قالوا: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: إنّ أشراف قومك قد أجتمعوا لك ليكلموك فأتهم.

فجاءهم رسول الله صل الله عليه وسلم سريعاً، وهو يظن أن قد بدا لهم في أمرهم خيراً –وكان حريصاً على هدايتهم– حتى جلس إليهم، فقالوا له: يا محمد! إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا، فنحن نسودك علينا، وان كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وان كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه[1] قد غلب عليك, بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرءك منه أو نعذر فيك!! فقال صلى الله عليه وسلم: ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله أبتعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم، قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أن ليس أحد من الناس أضيق بلداً، ولا أقل ماءاً، ولا أشد عيشاً منا فسل لنا ربك الذي بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق، فنسألهم عما تقول، أحق أم باطل! فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بهذا بعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم. قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك، سل ربك أن يبعث معك

---

(1) رئياً: أي مس من الجن.

ملكاً يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وسله فليجعل لك جناناً وقصوراً، وكنوزاً من ذهب وفضة، يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً فيما تزعم، فقال لهم ﷺ: ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم، قالوا: فأسقط السماء علينا كسفاً كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل.

فقال صلى الله عليه وسلم: ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل، قالوا: يا محمد، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب، إنه قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له: (الرحمن) وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا.

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم! وقام معه عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة –وهو ابن عمته– أسلم قبل الفتح فقال له: يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليختبروا بها منزلتك من الله كما تقول، فيصدقوك ويتبعوك فلم تفعل، فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون كما تقول، وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك، فأنصرف عنه رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً آسفاً لما فاته مما كان يطمع به من هداية قومه، ولما رأى من مباعدتهم عنه، فأنزل الله في ذلك، قوله تعالى: (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ... قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا)[1].

13. الهجرة الأولى إلى الحبشة والرجوع منها

روى ابن اسحق عن سبب الهجرة الأولى إلى الحبشة: أن رسول الله ﷺ لما رأى المشركين يؤذون أصحابه ولا يستطيع أن يكفهم عنهم، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرجوا إليها فراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام، وذلك في رجب سنة خمس من النبوة, فمنهم من هاجر بنفسه، ومنهم من هاجر بأهله، فممن هاجر بأهله: عثمان بن عفان هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبي ﷺ ورضي الله عنهما،

(1) سورة الإسراء آية 90–93.

وأبو سلمة هاجر ومعه زوجته أم مسلمة رضي الله عنهما، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة هاجر ومعه زوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو، وعامر بن أبي ربيعة هاجر ومعه زوجته ليلى العدوية، وهاجرت أم أيمن بركة الحبشية مع رقية رضي الله عنها لتخدمها لأنها مولاة أبيها النبي ﷺ، وممن هاجر بلا زوجة: عبدالرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعثمان بن مظعون، وسهيل بن بيضاء، وأبو سبة بن أبي رهم، وحاطب بن عمرو، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين.



خريطة الهجرة الاولى من مكة الى الحبشة

وخرجوا مشاة متسللين سراً حتى وصلوا ساحل البحر فاستأجروا سفينة إلى الحبشة (أنظر الخريطة)، وبلغ قريشاً خبرهم، فخرجوا في آثارهم ليردوهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوا منهم أحداً، وكان أول من خرج عثمان بن عفان معه زوجته رقية بنت الرسول ﷺ، فقال ﷺ: إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد نبي الله لوط عليه السلام.

فأقاموا في خير جوار مع النجاشي، وبعد ثلاثة أشهر من هجرتهم بلغهم أن المسلمين بمكة أصبحوا بمأمن من أذى قريش بعد إسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما فرجعوا إلى مكة، وهذه هي الهجرة الأولى.

14. إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ممن ردّ الدعوة، وعارض الإسلام وصدّ عنه، وكان فتى صريحاً قوياً في عقيدته، لا يخاف في الله لومة لائم، يقول الحق ولو على نفسه، وكان يعتقد بأنه هو وجماعته على الحق، وأن هذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ باطل، لذلك حاربه وعاداه.

ولكنه لما اطلع على حقيقة الدين، وتبين له أنه هو الحق آمن به ودافع عنه، وكان من أشد أنصاره وأعوانه! وبإسلامه أعز الله الدين، وكان رسول الله ﷺ قد دعا ربه فقال: اللهم أعزّ هذا الدين بأحد العمرين(1)، وفي رواية: بأحب الرجلين إليك(2). فكان هو أحبّ إلى الله تعالى وأسعد.

كانت أخته فاطمة بنت الخطاب قد أسلمت هي وزوجها سعيد بن زيد، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة وزوجها يقرئهما القرآن، ولم يعلم عمر بإسلامهما –لأن المسلمون يومئذ يخفون إسلامهم– فخرج عمر متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ، فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً هذا الصابئ، الذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسبّ آلهتها فأقتله، فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم –يريد أن يصرفه عن النبي ﷺ– قال عمر: وأيّ أهل بيتي تعني؟ قال: ختنك(3) سعيد بن زيد، وأختك فاطمة، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه. فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه وعندهما خباب بن الأرت، فجاء حتى قرع عليهم الباب، فقيل: من هذا؟ قال: ابن الخطاب، وكان القوم جلوساً يقرءون صحيفة معهم، فلما سمعوا صوته تبادروا واختفوا ونسوا الصحيفة من أيديهم، فقامت أخته ففتحت له فدخل عليها فقال: يا عدوة نفسها، قد بلغني عنك أنك صبأت ثم ضربها على وجهها فشجها، فلما رأت الدم بكت وغضبت وقالت: أتضربني يا عدوّ الله، على أن أوحد الله؟ فقد أسلمنا على رغم أنفك يا ابن الخطاب، فما كنت فاعلاً فأفعل، قال عمر رضي الله عنه: فأستحييت حين رأيت الدم! فقمت وجلست على السرير وأنا مغضب فنظرت فإذا كتاب في ناحية البيت فقلت: ما هذا الكتاب؟ أعطينيه أنظره –وكان عمر قارئا–. فقالت له: لا أعطيكه أنت نجس، وهذا الكتاب لا يمسه إلا المطهرون، فأغتسل وتوضأ (حتى أعطيكه).

(1) العمران: هما ـ عمر بن الخطاب، أو عمرو بن هشام ـ أبو جهل ـ
(2) الرجلان: هما عمر بن الخطاب يعني نفس الرجلين .
(3) زوج أختك.

فاغتسل وتوضأ ثم قال: أعطني الصحيفة، قال عمر رضي الله عنه: فأعطوني صحيفة فإذا بها: بسم الله الرحمن الرحيم، فقلت: أسماء طيبة طاهرة، فقرأت: (طه ما أنزلنا عليك القران لتشقى ... الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى)(1)، قال: فعظمت في صدري وقلت: من هذا فرت قريش؟ ثم قرأ إلى أن بلغ قوله تعالى: (وأنا أخترتك فأستمع لما يوحى)(2). فتشهد ثم قال: ما ينبغي لمن يقول هذا أن يعبد معه غيره، دلوني على محمد!! فخرج ختنه سعيد وخباب وأخته فرحين يتبادرون بالتكبير، وحمدوا الله على إسلام عمر، ثم قالوا: أبشر يا ابن الخطاب فإن رسول الله ﷺ دعا يوم الاثنين فقال: اللهم أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب، أو بعمرو ابن هشام، وإنا نرجو أن تكون دعوته لك فأبشر. قال: فلما عرفوا مني الصدق أخبروني بمكان رسول الله ﷺ، فقالوا: هو في أسفل الصفا في دار الأرقم، قال عمر: ولما أتيت دار الأرقم قرعت الباب فقيل: من هذا، قلت: ابن الخطاب، قال: وقد عرفوا شدتي على رسول الله ﷺ ولم يعلموا بإسلامي، فما اجترأ أحد أن يفتح الباب، فقال ﷺ: افتحوا له، فإن يرد الله به خيراً يهده، وقال حمزة رضي الله عنه لما رأى وجل(3) القوم: افتحوا له، فإن يرد الله به خيراً يسلم ويتبع النبي ﷺ، وإن يرد غير ذلك كان قتله علينا هيناً! ففتحوا له، فأستقبله النبي ﷺ في صحن الدار فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وهزه هزة أرتعد منها ثم قال له: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة، فقال: يا رسول الله جئت لأؤمن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله، فكبر النبي ﷺ وكبر المسلمون تكبيرة واحدة حتى سمعت بطرق مكة.

قال عمر: وكان الرجل إذا أسلم أستخفى بإسلامه، فقلت: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى! والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم، قلت: ففيم الخفاء يا رسول الله، علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل؟ فقال: يا عمر، إنا قليل وقد رأيت ما لقينا. فقال عمر: والذي بعثك بالحق نبياً، لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان. وقال: ثم تذكرت أي أهل مكة أشد عداوة لرسول الله ﷺ حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت، فذكرت أبا جهل فجئته، فطرقت عليه الباب فقال: من بالباب؟ فقلت: عمر بن الخطاب فخرج إليّ وقال: مرحباً وأهلا يا ابن

---

(1) سورة طه آية 1-8.

(2) سورة طه آية 13.

(3) خوف وفزع.

أختي، ما جاء بك؟ قلت: جئت لأبشرك بشارة، قال أبو جهل: وما هي يا ابن أختي؟ فقلت: إني آمنت بالله ورسوله محمد ﷺ وصدّقت ما جاء به، فضرب الباب في وجهي وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به.

وقيل كان المسلمون يوم إسلام عمر تسعة وثلاثين رجلاً، وهم الذين كانوا في مكة، عدا عن مهاجري الحبشة –في الهجرة الأولى– وقد كمل الله به الأربعين. ثم جعل عمر يراجع النبي ﷺ، ويلح عليه في الخروج من دار الأرقم إلى المسجد حتى وافقه على ذلك، فخرجوا في صفين، يتقدم أحدهما عمر بن الخطاب، والثاني يتقدمه حمزة رضي الله عنهما حتى دخلوا المسجد، فلما رأتهم قريش أصابتها كآبة لم تصبها مثلها.

اتفاق قريش على قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لما رأت قريش هذا التحدي من عمر، وأن الإسلام آخذ بالقوة والعزة، اتفقوا فيما بينهم على قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى اجتمع جمع حول داره ينتظرونه، فجاء العاص بن وائل السهمي – رئيس بني سهم– وهم حلفاء بني عدي قوم عمر، وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير فقال لعمر: ما بالك؟ فقال: زعم قومك أنهم سيقتلونني إذ أسلمت، قال: لا سبيل إليك فأنا لك جار، فأمّن عمر، وانطلق العاص فوجد الناس قد سال بهم الوادي فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ، قال: لا سبيل إليه. إني قد أجرته وأمّنته، فرجع الناس من حيث أتوا.

الجزء الثالث
المجاهرة بالدعوة وتحديات البقاء

1. الهجرة الثانية إلى الحبشة وملاحقة قريش وموقف النجاشي

وجد المسلمون الذين رجعوا من الحبشة أن موقف قريش مع الرسول ﷺ والمسلمين لم يتغير، بل اشتد وأخذ مظهراً جديداً بالغاً في قسوته وعنفه، لذلك قرر الذين هاجروا الهجرة الأولى إلى الحبشة أن يعودوا إليها ثانية، كما رغب غيرهم في مرافقتهم، لأن كثرة الداخلين في الإسلام قد أفزعت قريشاً ودفعتها إلى التضييق على المسلمين والاستبداد بهم. فأخذ المسلمون يتسللون إلى الحبشة متفرقين خوفاً أن تعترضهم قريش، فكانوا في هذه المرة –الهجرة الثانية– ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة بعد أن كانوا في الهجرة **الاولى أحد عشر رجلًا وأربع نسوة فقط.**

لما رأت قريش أن المسلمين قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، تشاوروا بينهم واتفقوا على أن يبعثوا فيهم رجلين من قريش إلى النجاشي، فيردهم عليهم ليفتنوهم عن دينهم، ويخرجوهم من هذه الأرض التي اطمأنوا بها، وعبدوا الله فيها بحرية وأمان، فبعثوا عمرو بن العاص، وعبدالله بن أبي ربيعة – أو عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص– وجمعوا لهما هدايا للنجاشي وبطارقته، ثم بعثوهما إليهم.

رُوي عن جعفر بن أبي طالب قال: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا خير جار، أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً أئتمروا أن يبعثوا رجلين جلدين، وأن يهدوا للنجاشي من متاع مكة، وكان أعجب ما رأيته منها الأدم[1]، فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا أحداً من بطارقته إلا أهدوا له، ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص وقالوا لهما: ادفعوا لكل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدّما للنجاشي هداياه، ثم أسألاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم، وقد فعلوا ما أمرهم به، فلما جاءا إلى الملك قالا له: أيها الملك –النجاشي–، قد صبأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، جاءهم رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله، ولم يتبعه منا إلا السفهاء، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم، من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم؛ ليردوهم إليهم فهم أعلم بما عابوا عليهم، فقال بطارقته: صدقوا أيها الملك، قومهم أعلم بهم، فأسلمهم إليهما ليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

فغضب النجاشي وقال: لا والله لا أسلمهم ولا يكادون، قوم جاوروني، ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان من أمرهم، فإن كان كما يقولان سلمتهم إليهما، وإلا منعتهم عنهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني، قال جعفر رضي الله عنه: ثم أرسل النجاشي إلينا ودعانا،

---

(1) الجلد، وكانوا يستعملون جلود الضأن بصوفها يفرشونها كالبساط.

فلما دخلنا سلمنا، فقال من حضره: مالكم لا تسجدون للملك؟ قلنا: لا نسجد إلا لله تعالى، فقال النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملوك؟ قلنا[1]: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولاً كما بعث الرسل من قبلنا، وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفته. فدعانا إلى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الأحجار والأوثان، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم، وحسن الجوار، ونهانا عن الفواحش وسفك الدماء وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، فصدقناه وآمنا به وأتبعناه على ما جاء به، فعدا علينا قومنا ليردونا إلى عبادة الأصنام واستحلال الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

فقال النجاشي: هل عندك شيء مما جاء به؟ قلت: نعم. قال: فاقرأ عليّ. فقرأت عليه صدراً من سورة مريم (كهيعص)؛ لأن فيها قصة مريم وعيسى عليهما السلام. قال جعفر: فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكى أساقفته حتى أخضلوا لحاهم. ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة.

وقال لعمرو بن العاص وصاحبه: إنطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ثم غدا عمرو بن العاص على الملك من الغد فقال له: أيها الملك: إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فأسألهم عما يقولون فيه. فأرسل إليهم، فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: نقول فيه ما جاءنا به نبينا ﷺ، إنه يقول: هو عبدالله ورسوله وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود، وقال للقوم –للمسلمين– اذهبوا، فأنتم شيوم بأرضي –أي آمنون– من سبكم غرم، من سبكم غرم! ما أحب أن لي ديراً من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم.

ثم قال: ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها. قال: فخرجا من عنده خائبين، وأقمنا نحن بخير دار وخير جار.

(1) قلنا: أي المتكلم: وهو جعفر بن أبي طالب، بالاتفاق.

2. حق الأراشي من عند أبوجهل

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي -وكان واعية- قال: قدم رجل من إراش - قال ابن هشام: ويقال: إراشة - بإبل له مكة، فأبتاعها منه أبو جهل، فماطله بأثمانها, فأقبل الإراشي حتى وقف على ناد من قريش، ورسول الله ﷺ ناحية المسجد جالس، فقال: يا معشر قريش، من رجل يعينني على أبي الحكم بن هشام، فإني رجل غريب، ابن سبيل، وقد غلبني على حقي؟ قال: فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس -رسول الله ﷺ وهم يهزءون به- اذهب إليه فإنه يعينك عليه. فأقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ, فقال: يا عبدالله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله، وأنا رجل غريب ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لي حقي منه، فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقي منه، يرحمك الله؛ قال: انطلق إليه، وقام معه رسول الله ﷺ، فلما رأوه قام معه. قالوا لرجل ممن معهم: أتبعه، فأنظر ماذا يصنع.

وخرج رسول الله صل الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه، فقال: من هذا؟ قال: محمد، فأخرج إلي، فخرج إليه، قد أنتقع لونه، فقال: أعط هذا الرجل حقه؛ قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيه الذي له، قال: فدخل، فأخرج له حقه، فدفعه إليه. ثم انصرف رسول الله ﷺ, وقال للاراشي: الحق بشأنك، فأقبل الأراشي حتى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيراً، فقد والله أخذ لي حقي.

قال: وجاء الرجل الذي بعثوا معه، فقالوا: ويحك! ماذا رأيت؟ قال: عجباً من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه، فخرج إليه وما معه روحه، فقال له: أعط هذا حقه، فقال: نعم، لا تبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل فخرج إليه بحقه، فأعطاه إياه.

ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا له: ويلك! ما لك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط! قال: ويحكم، والله ما هو إلا أن ضرب علي بابي، وسمعت صوته، فملئت رعباً، ثم خرجت إليه، وإذا فوق رأسه فحل من الإبل، ما رأيت مثل هامته، وعنقه، ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلني.

3. صحيفة المقاطعة وحصار قريش للمسلمين وبني هاشم

لما رأت قريش عزة النبي ﷺ ومن معه بإسلام الحمزة وعمر، ورأت عزة أصحابه بالحبشة وصار الإسلام يفشو في القبائل، أجمعوا على أن يقتلوا النبي ﷺ وقالوا لقومه: خذوا منا دية مضاعفة فأبوا عليهم ذلك، ثم عرضوا على عم الرسول ﷺ أبي طالب أن يعطوه شاباً من ساداتهم يتبناه ويسلم إليهم ابن أخيه فقال: عجباً لكم أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟

فلما رؤوا ذلك أجمعوا أمرهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب– ولَدَي عبد مناف– وإخراجهم من مكة والتضييق عليهم فلا يبيعونهم شيئاً ولا يبتاعون منهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها داخل الكعبة, كل ذلك في هلال محرم سنة سبع من النبوة، فأنحاز بنو هاشم بسبب ذلك إلى شعب أبي طالب، ودخل معهم بنو المطلب سواء في ذلك، مسلمهم وكافرهم ما عدا أبا لهب فإنه كان مع قريش، وأنخذل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل إبني عبد مناف. فأقاموا في الشعب سنتين (أنظر الخريطة)، وقيل: ثلاث سنين حتى جهدوا لقطعهم عن الميرة والمادة، حتى كانوا يأكلون الخبط[1]، ولما دخل النبي ﷺ الشعب ومن معه من بني هاشم والمطلب أمر من كان بمكة من المسلمين أن يخرجوا إلى الحبشة الخروج الأخير[2] وكان يصلهم إلى الشعب هشام بن عمرو العامري – أسلم بعد – يضلهم بما يستطيع من طعام، أدخل عليهم مرة ثلاث أحمال طعاماً، ثم أدخل عليهم ليلاً حملاً أو حملين، فعلمت قريش به فأغلظوا له القول، فقال أبو سفيان: دعوه رجل وصله أهله ورحمه. وكان ممن يصلهم أيضاً حكيم بن حزام–أسلم بعد– كان يحمل الدقيق إلى عمته خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها.



خريطة ومخطط شعب أبي طالب حيث حوصر وقوطع المسلمين

---

(1) الخبط: ورق الشجر.

(2) الهجرة الثانية للحبشة سيشرح لاحقا.

4. نقض صحيفة المقاطعة

ولما أراد الله أن يصرف عنهم هذه المحنة سلط على الصحيفة الأرضة[1]، فأكلت جميع ما في الصحيفة من القطيعة والظلم، ولم تدع إلا أسم الله فقط وأوحى الله إلى النبي عليه الصلاة والسلام بذلك، فأخبر عمه أبا طالب، فقال: يا ابن أخي أربك أخبرك بهذا؟ قال: نعم. قال: والثواقب[2] ما كذبتني قط، فانطلق في نفر من بني هاشم إلى قريش فأخبرهم بما قال عليه الصلاة والسلام وطلب إخراج الصحيفة وقال: إن كان الأمر كما يقول فأفيقوا وأقلعوا عما أنتم عليه، فوالله لا نسلمه حتى نموت عن آخرنا، وإن كان باطلاً دفعناه إليكم فأفعلوا به ما شئتم، قالوا: رضينا، ففتحوها فوجدوها كما قال، فقالوا: هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغياً وعدواناً، ثم انصرف هو ومن معه إلى الشعب.

عند ذلك قامت طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة فمشى هشام بن عمرو إلى زهير بن أبي أمية فقال: يا زهير ! أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وأخوالك حيث قد علمت من الجوع والشدة؟ فقال: ويحك يا هشام، فماذا أصنع؟ فإنما أنا رجل واحد، ولو كان معي رجل آخر لقمت في نقض الصحيفة! فقال: أنا معك، فقال: أبغنا ثالثاً فمشيا إلى المطعم بن عدي فقالا له: أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد. فقال: إنما أنا واحد فقالا: إنا معك. فقال: أبغنا رابعاً. فذهبوا إلى أبي البختري فقال: أبغنا خامساً. فذهبوا إلى زمعة بن الأسود فوافقهم على ذلك. فقعدوا ليلاً بأعلى مكة وتعاقدوا وتعاهدوا على نقض تلك الصحيفة وإخراج بني هاشم من الشعب. فقال لهم زهير: أنا أبدأكم وأكون أول من يتكلم.

فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، إنا نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. فقال أبو جهل: كذبت والله لا تشق. فقال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب. ما رضينا كتابتها حين كتبت. فقال أبو البختري: صدق زمعة. فقال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب. من قال غير ذلك؟ نبرأ إلى الله منها, ومما كتب فيها. فقال هشام بن عمرو مثل ذلك. فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بالليل. فقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة فشقها. ثم قام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة فلبسوا السلاح ثم خرجوا إلى بني هاشم والمطلب فأمروهم بالخروج إلى مساكنهم ففعلوا.

---

(1) الأرضة: حشرة كالعت تقرض الثياب والجلد والورق وغيره.

(2) والثواقب: يعني والنجوم، كانوا يقسمون بذلك.

5. وفاة وخديجة رضي الله عنها عم الرسول ﷺ أبو طالب (عام الحزن)

وبعد الخروج من الشعب بقليل توفي أبو طالب وخديجة رضي الله عنها[1] في أيام متقاربة في السنة العاشرة للبعثة وعمر الرسول عليه الصلاة والسلام خمسون سنة، وذلك قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين، فلما توفي أبو طالب نالت قريش من رسول الله صل الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به من قبل، حيث كان يمنعه في حياته ويحميه، وكانت له وجاهة في قريش ومكانة.

ولما إشتكى أبو طالب وثقل وطمع النبي ﷺ في إسلامه، وكان أبو طالب مؤمناً بأن دين ابن أخيه هو الحق ومصدقاً بما جاء به. ولكن لم يعلن إسلامه ولم ينطق بالشهادة فأراد منه الرسول ﷺ أن ينطق بالشهادتين عند موته، فقال يا عم: قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها عند ربي. وأستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة، فقال: يا ابن أخي والله لولا مخافة السبة وأن تظن قريش إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها وأقررت بها عينك. فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس[2] إليه يحرك شفتيه فأصغى إليه بأذنه فقال: والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، فقال رسول الله ﷺ: لم أسمع. **فلما هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب.**

وأما خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها حبيبة رسولنا عليه الصلاة والسلام: لما ماتت فقد حزن عليها ﷺ حزناً شديداً وكان كثيراً ما يذكرها، ويترحم عليها، فقد كانت تواسيه وتخفف عنه في الشدائد، وكانت لها عقل وتدبير، وحكمة ورأي سديد، ولها مكانة وهيبة عند قريش، واعتزاز بعشيرتها بني أسد، وكانت أم أولاد النبي ﷺ[3]. أما أولادها رضي الله عنها: أكبرهم زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، والقاسم الذي يكنى به النبي ﷺ وعبدالله الملقب: بالطيب والطاهر، وقد سمى رسول الله ﷺ ذلك العام عام الحزن.

---

(1) قد يكون أحد الاسباب الرئيسية لوفاتهم في هذا الوقت هو المقاطعة وما سببته من وهن ومرض وجوع وضائقة نفسية رضي الله عنهم جميعا.

(2) هناك دلالت كثيرة في السنة النبوية بأن عم الرسول ﷺ أبي طالب قد أسلم سراً قبل وفاته أما العباس فالدلالات أكثر بكثير بأنه قد أسلم سراً منذ مراحل متقدمه بمكة قبل الهجرة النبوية والله ورسوله ﷺ أعلم.

(3) ما عدا إبراهيم فأمه مارية القبطيه رضي الله عنها.

6. بدأ عولمة الدعوة الاسلامية: وفد نجران والسعي إلى الطائف وإسلام عداس والجن

وفد على رسول الله صل الله عليه وسلم وفد من نصارى نجران، بلغهم خبره من مهاجري الحبشة، ومن عرب اليمن الذي يحجون إلى مكة، فقدموا عليه حتى يروا صفاته مع ما ذكر منها في كتبهم، وكانوا قريباً من عشرين رجلاً.

فلما قرأ رسول الله ﷺ القرآن ورأوا صفاته ﷺ آمنوا كلهم، فقال لهم أبو جهل: ما رأينا ركباً أحمق منكم، أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصبأتم؟ فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم، لكم ما أنتم عليه ولنا ما إخترناه لأنفسنا. فأنزل الله فيهم قوله تعالى: (الذين آّتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ... واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعماكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين)[1].

بعد وفاة أبي طالب اشتد أذى المشركين لرسول الله ﷺ وإستهانتهم به وتكذيبهم إياه، فأراد ﷺ أن يأوي إلى قوم يمنعونه وينصرونه حتى يؤدي رسالة ربه، فخرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، وخرج معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فلما قدم الطائف وطريقها جبلي شاق (أنظر الخريطة) قابل رؤساءهم وكانوا ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب أولاد عمرو الثقفي فدعاهم إلى الله وبما جاءهم له من نصرته، والقيام معه على مخالفه من قومه، فلم يجيبوه في قبول الإسلام، بل ردوا عليه قبيحاً وأبوا نصرته. فقام من عندهم وقد قال لهم: إذا فعلتم ما فعلتم فأكتموا عني ما جئتكم به. وكره صل الله عليه وسلم أن يبلغ قريشاً إستعانته بهم فيشتد أذاهم للمسلمين، فلم يكتموا أمره وأرسلوا من يخبر قريش بذلك, بل وأغروا به عبيدهم وسفهاءهم يصيحون به ويرمونه بالحجارة، وكان زيد رضي الله عنه يدرأ عنه، ويقيه بنفسه ويتلقى الحجارة بجسمه حتى سالت منه الدماء، وأصابت بعض الحجارة قدم النبي ﷺ فأدموا عقبه حتى ألجؤوه إلى حائط لشيبة وعتبة ابني ربيعة وهما فيه، فرجع عنه من سفهاء ثقيف من كان تبعه، فعمد إلى ظل شجرة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء الطائف، وكانا من أعدائه فكره مكانهما.

فلما اطمأن رسول الله ﷺ دعا الله تعالى فقال: "اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟! إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالى, أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له الظلمات وصلح عليه

(1) سورة القصص آية 52-55.

أمر الدنيا الآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى[1] حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك"[2].



جبال الطائف والتي يبلغ أرتفاعها 1800 ومخطط الطريق بين مكة والطائف

(1) أسترضيك حتى ترضى والاعتراف بالذنب والخطأ إرضاء لمن يعاتب.

(2) كتاب عدة الصابرين وكتاب زاد المعاد لابن القيم.

فلما رأى إبنا ربيعة ما لقي رقّا له وأرسلا إليه بقطف من عنب مع غلام لهما نصراني اسمه: عداس، فوضعه بين يديه وقال: كُلْ. فلما ابتدأ ﷺ قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم أكل، فتعجب عداس وقال: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله ﷺ: من أي البلاد أنت وما دينك؟ فقال: نصراني من نينوى، فقال له: من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى؟ قال: وما علمك بيونس بن متّى؟ فقال صل الله عليه وسلم: ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي. ثم قرأ له من القرآن ما فيه قصة يونس. فأكب عداس على رسول الله ﷺ ثم قال أحد أبناء ربيعة وهم ينظرونهم لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما رجع عداس قالا له: ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض أحد خير من هذا, لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي قالا له: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك, وهذه من اوائل الاشارات بأن الاسلام جاء للناس كافه وهو خاتم الاديان ﷺ.

ثم أرسل الله عز وجل جبريل عليه السلام فقال للنبي ﷺ: إن الله أرسل معي ملك الجبال وأمره أن يطيعك. فقال ملك الجبال: يا رسول الله مرني بما تشاء. فإن أردت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت[1] فقال ﷺ: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

إسلام النفر من جن نصيبين

ثم إن رسول الله ﷺ انصرف راجعاً إلى مكة حتى إذا كان بنخلة[2]، قام يصلي من جوف الليل، فمر به ﷺ النفر من جن نصيبين[3] واستمعوا لقراءته فلما فرغ من صلاته آمنوا ثم ولوا إلى قومهم منذرين. فأنزل الله فيهم قوله تعالى (واذ صرفنا اليك نفر من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا أنصتوا ... ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء اولائك في ضلال مبين) [4] وهذه من أوائل الاشارات بأن الاسلام جاء للجن أيضا كافه فهو رسول العالمين وهو خاتم الاديان ﷺ. وقد فصل الله تعالى قصتهم في سورة خاصة واسمها: سورة الجن.

(1) الأخشبان: جبلان عظيمان فوق مكة. أن يطبق عليهم: يعني على أهل مكة.
(2) نخلة: مكان بين الطائف ومكة وهي لمكة أقرب.
(3) نصيبين: هي بلدة قديمة وهي الآن تقع في حدود القامشلي من الشمال تبعد ثلاث اميال تقريبا.
(4) سورة الأحقاف آية 29-32.

7. الإسراء والمعراج

لا يمكن لمسلم صحيح الإيمان سليم العقيدة أن يشك في صحة هذه القصة. فحكم من ينكر الإسراء: فهو كافر بالإجماع لأنه ينكر حكماً ثابتاً بنص قطعي وصريح في القرآن الكريم. ومن ينكر المعراج: فهو فاسق لأنه أنكر حديث رسول الله ﷺ. والقصة هنا فقد أوجزتها عن كتب السيرة والأحاديث الواردة وهي: بينما كان رسول الله صل الله عليه وسلم نائماً في الحرم[1] في الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب في السنة الحادية عشر من البعثة سمع صوتاً يناديه فأستيقظ فإذا جبريل عليه السلام ومعه البراق ويا لعظمتها من ليلة فقال: اركب. فركب ﷺ وأنطلق به انطلاق السهم نحو المسجد الأقصى. يقول ﷺ: فلما انتهينا إلى باب المسجد أنزلني جبريل، فلما دخلت المسجد إذا أنا بالأنبياء حولي فسلموا عليّ، فقلت لجبريل: من هؤلاء؟ قال: إخوانك من الأنبياء، ثم جمعهم جبريل وقدمني، فصليت بهم ركعتين ثم خرجت، فأتاني جبريل بإناء من لبن وإناء من خمر فأخترت اللبن فقال جبريل: اخترت الفطرة. هذا ما تيسر ايجازه عن الإسراء وقد رأى ﷺ من الآيات بين السماء والأرض ما رأى[2].



صورة الكعبة المشرفة والمسجد الاقصى

(1) وفي رواية كان نائماً في الحجر، أي حجر اسماعيل وهو الحجر داخل الحرم.
(2) لقد كتب المؤرخون وذكر المحدثون وكتاب السيرة عن قصة الإسراء والمعراج أحاديث كثيرة وأقوالاً متعددة منها المطول، ومنها الموجز، وقد ألف في هذا الباب رسالات خاصة وواسعة إلا أن يحدث بعض الاختلاف – بالألفاظ – في مثل هذه الروايات ولكن المعنى واحد، والقصة لا شك في حدوثها وصحتها.

8. المعراج وفرض الصلاة

يقول ﷺ: ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا فأستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا بآدم عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فأستفتح جبريل. فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإبني الخالة يحيى وعيسى ابن مريم عليهما السلام فرحبا ودعوا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول. ففتح لنا. وإذا أنا بيوسف عليه السلام. وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فذكر مثله. فإذا أنا بإدريس عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير. قال تعالى: ورفعناه مكاناً علياً. ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله. فإذا أنا بهارون عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور. وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه. ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا أوراقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال. فلما غشيها من أمر ربي ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها. فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض علي وعلى أمتي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قال: خمسين صلاة. قال: إرجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك. فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتم. قال: فرجعت إلى ربي وقلت له: يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمساً. فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال سبحانه: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة, ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكب له شيئاً ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة. قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف، فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه.

9. موقف قريش والصديق من الإسراء

ثم رجع صل الله عليه وسلم من ليلته فلما أصبح غدا إلى ناد قريش فجاء إليه أبو جهل: فسأله هل من خبر جديد يا محمد؟ قال: نعم، فحدثه رسول الله ﷺ بما جرى له، فقال أبو جهل: (هل تحدث قومك بهذا إذا دعوتهم؟ فنادى أبو جهل: يا بني كعب بن لؤي هلموا، فأقبل عليه كفار قريش فأخبرهم رسول الله ﷺ الخبر فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً وارتد بعض ضعيفي الإيمان[1]. واشتد تكذيب المشركين للنبي ﷺ وأذاهم إياه وقالوا: نحن نضرب أكباد الإبل شهراً ذهاباً إلى بلاد الشام وشهراً إياباً، أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة فيصبح بين أظهرنا والله هذا لإمر[1] فصدق ذلك أهل الصدق والإيمان وكذبه أهل الكذب والبهتان.

أما أبو بكر رضي الله عنه فقد ذهب إليه بعض المشركين الذين كذبوا هذا الأمر وأستبعدوه فقالوا: يا أبا بكر هلم إلى المسجد وإسمع ما يحدث به صاحبك. فقال: وبماذا يحدث؟ قالوا: يزعم أنه ذهب هذه الليلة إلى بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ثم أصبح بين أظهرنا قال: أوقال ذلك؟؟ قالوا: نعم. أفتصدقه؟؟ قال: نعم والله إني لأصدقه بأعظم من ذلك، أصدقه بخبر السماء.

فلقب بالصديق من ذلك اليوم. وكان الإسراء والمعراج في الروح والجسد وقد ثبت ذلك في القرآن الكريم: (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير) [(2)] وثبت في الأحاديث الصحيحة.

ثم قام المشركون يمتحنون النبي ﷺ فقالوا: صف لنا بيت المقدس وفيهم رجال رأوه ويعلمون بأن رسول الله ﷺ لم يكن رآه قبل ذلك فجلاه الله له حتى صار ينظر إليه ويصفه باباً باباً وموضعاً موضعاً فقالوا: أما النعت فقد أصاب فأخبرنا عن عيرنا وكانت لهم عير قادمة من الشام فأخبرهم عن أحوالها وصفاتها وقال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق. فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم: هذا والله الشمس قد أشرقت. فقال آخر: وهذا والله العير قد أقدمت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ﷺ. ثم لم يزدهم ذلك إلا كبراً وعناداً حتى قالوا: هذا سحر مبين.

---

(1) الإمر: يعني العجيب أو العظيم.

(2) سورة الإسراء آية 1.

10. عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل والانصار

ولما رأى رسول الله صل الله عليه وسلم إصرار قومه على عنادهم وكفرهم وصدهم في وجه الدعوة أكثر من عشر سنين وأن لا سبيل لإصلاحهم فإنه حريص على هدايتهم رأفة بهم ورحمة وهم يزدادون في تباعدهم ويتحادون في طغيانهم، فتارة يقولون: (فقالوا قلوبنا في اكنه مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون)[1]. ومرة يقولوا: (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم)[2]، إلى غير ذلك من مثل هذه الأقوال.

فلما رأى الرسول ﷺ ذلك منهم وقد يئس من هدايتهم أيقن أن لابد له من تغيير إتجاهه ولجوءه إلى طريق أسهل وأقرب من طريق قومه، فأخذ يبحث عن قوم يؤيدونه ويمنعونه ليبلغ رسالة ربه وبدأ يترقب مواسم الحج وقدوم العرب من كل فج، وكانت عادة القبائل العربية لها منازل معلومة في منى، كل قبيلة لها منزل خاص تنزل به.

ولما كان الموسم عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل ودعاهم إلى الإسلام وهم: بنو عامر، وغسان، وبنو فزارة، وبنو مرة، وبنو حنيفة، وبنو سليم، وبنو عبس، وبنو النصر، وثعلبة بن عكابة وكندة وكلب، وبنو الحارث بن كعب، وبنوعذرة، وقيس، وأبو الحيسر. فكان يأتي كل قبيلة منها يعرض نفسه عليه فيقول: من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني حتى أبلغ رسالة ربي؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي، فكانت العرب على أقسام: منهم من يعتذر خوفاً من قريش، ومنهم من يرد عليه رداً قبيحاً كما فعلت بنو حنيفة، ومنهم من طلب أن يكون الأمر لهم من بعده كما فعلت بنو عامر بن صعصعة، فإنه لما عرض عليهم ما عرض، قال له رجل منهم: أرأيت إن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. فقال له: أفنهدف نحورنا دونك للعرب، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك.

11. سبقت السعادة للأنصار (العقبة الأولى)

ولكن السعادة سبقت إلى الأنصار أهل يثرب، حيث قضت مشيئة الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه، وإنجاز موعده له. خرج الرسول ﷺ في الموسم كما كان يفعل قبل، فبينما هو عند العقبة[3] لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً فقال لهم ﷺ: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالي يهود؟

(1) سورة فصلت آية 5.

(2) سورة الأنفال آية 32.

(3) العقبة: موضع بين منى ومكة، بينها مكة نحو ميلين وفيها ترمى جمرة العقبة.

قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن وكانوا مجاورين اليهود في يثرب، وكان اليهود أهل كتاب وعلم، وكانوا إذا أصابوا من اليهود وغلبوهم قالت لهم اليهود: إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه، سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله ﷺ ذلك النفر ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه.

فأجابوه فيما دعاهم إليه، وآمنوا به وصدقوه وقالوا: إنا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك، ووعدوه المقابلة في الموسم القادم, وهذه اسمها (العقبة الأولى).

12. إسلام الطفيل الدوسي

كان الطفيل بن عمر الدوسي شريفاً في قومه، وكان شاعراً نبيلاً، قدم مكة، فلما رآه رجال من قريش خافوا أن يتبع الرسول ﷺ إن رآه أو سمع القرآن، فأرسلوا إليه نفراً ممن يعرفهم فقالوا: يا أبا فلان، إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا، قد أعضل أمره بنا، وفرق جماعتنا وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمع منه، قال الطفيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت على أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً[1] خوفاً من أن أسمع من قوله شيئاً، ثم دخلت المسجد فإذا برسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريباً منه فأبى الله إلا أن أسمع بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً فقلت في نفسي: أنا لا يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أعلم من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلت، وإن كان قبيحاً تركت. فمكثت حتى انصرف إلى بيته تبعته فقال: يا محمد، إن قومك قالوا لي :كذا وكذا حتى سددت أذني بكرسف كي لا أسمع قولك، فأعرض علي أمرك فعرض عليه الإسلام وتلا عليه من القرآن قال: والله ما سمعت قط قولاً أحسن من هذا ولا أمراً أعدل منه فأسلمت وقلت: يا نبي الله إني أمرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام فأدع الله أن يكون عوناً عليهم. فقال: اللهم اجعل له آية. قال: فخرجت حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر –وكان ذلك في ليلة مظلمة– وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت: (يا رب) في غير وجهي فإني أخشى أن يظنوا أنه مثلة، فتحول (النور) إلى رأس سوطي، فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور كالقنديل، ومن ثم عرف الطفيل بذلك فقيل له: ذو النور، قال الطفيل:

---

(1) الكرسف: هو القطن.

فأتاني أبي فقلت: إليك عني يا أبت فلست مني ولست منك. قال: لم يا بني. قلت: قد أسلمت وتبعت دين محمد ﷺ. فقال: أي يا بني ديني دينك فأسلم قال: ثم أتتني صاحبتي فذكرت لها مثل ذلك فقالت: ديني دينك فأسلمت. ثم دعوت دوساً للإسلام فأبطؤوا علي ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله قد غلبتني دوس، قد غلبني على دوس الزنا فأدع الله عليهم. فقال: (اللهم اهد دوس وآتِ بهم) قال الطفيل: فرجعت فلم أزل بأرض قومي أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ومضت بدر وأحد والخندق أسلموا، فقدمت بمن أسلم من قومي على النبي ﷺ وهو بخيبر مع سبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ومنهم أبو هريرة رضي الله عنهم فأسهم لنا مع المسلمين.

13. الأوس والخزرج في يثرب (العقبة الثانية)

يثرب هي المدينة المنورة ويسكنها بالاضافة لليهود قبيلتان إحداهما من ولد أوس والثانية من ولد الخزرج، وكان النزاع بينهما مستمر، ومن اليهود: بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير. وكان لكل من الأوس والخزرج حلفاء من اليهود وموالي. فكانت بنو قينقاع من حلفاء الخزرج، وكانت بنو قريظة محالفة لأوس، وذلك قبل الإسلام.

فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً منهم تسعة من الخزرج وهم: أسعد بن زرارة، وعوف بن عفراء، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، ومعاذ بن الحارث بن رفاعة، وذكوان بن عبدالقيس، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة. وثلاثة من الأوس وهم: أبو الهيثم مالك بن التيهان (ذي السيفين)، وعويم بن ساعدة والبراء بن معرور رضي الله عنهم.

فأجتمعوا مع الرسول ﷺ عند العقبة وبايعوه على الإسلام كبيعة النساء، وذلك قبل أن يؤمر بالقتال. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزن، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل، إن شاء عذب وإن شاء غفر.

وأرسل معهم مصعب بن عمير أول سفير بالاسلام[1], وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين. فكان يسمى المقرئ في المدينة. وأرسل معه عبدالله بن أم مكتوم رضي الله عنهم، ونزل مصعب بن عمير على أسعد بن زرارة، وصار يدعو بقية الأوس والخزرج للإسلام، فتقبل أهل المدينة هذا الدين برغبة وبدأ يفشو الإسلام فيها.

---

(1) وكان قبل أسلامه فتى مكة المدلل، يفيض شبابا وجمالا، ونشأ منعما في بيت أبوين ثريين، وكانا يغدقان عليه كل أسباب الدعة والراحة .وأم مصعب بن عمير هي خُناس بنت مالك، وكانت امرأة ثرية ذات جاه ومهابة، وكانت تكسوه أحسن ما يكون من الثياب حتى لم يكن بمكة أحسن لمة و لا أنعم منه ولما أسلم أنقلب ذلك لأشد العداء.

14. أسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ والبيعة الثانية والنقباء (العقبة الأخيرة)

وبينما كان مصعب بن عمير في بستان مع أسعد بن زرارة رضي الله عنهم إذ رآهما سعد بن معاذ رئيس قبيلة الأوس فقال لأسيد بن حضير ابن عمه: ألا تقوم إلى هذين الرجلين الذين أتيا يسفهان ضعفائنا لتزجرهما، فقام لهما أسيد بحربته، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه، وقد جاء فأصدق الله فيه. فلما وقف عليهما قال: ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا, إعتزلا إن كان لكما بأنفسكما حاجه. فقال مصعب: أوتجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره. فقرأ عليه مصعب القرآن وعرض عليه الإسلام، فأستحسن ذلك وهداه الله فآمن وتشهد. فرجع إلى سعد فسأله عما فعل فقال: والله ما رأيت بالرجلين بأساً. فغضب سعد وقام لهما متغيضاً ففعل معه مصعب كما فعل بأسيد بن حضير، فهداه الله للإسلام رضي الله عنهم أجمعين.

ثم رجع سعد بن معاذ رضي الله عنه إلى بني عبدالأشهل وهو بطن من الأوس فقال لهم: ما تعدونني فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا. ثم قال كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا. فلم يبق بيت من بيوت عبد الأشهل إلا أجابه. وقد انتشر الاسلام في دور يثرب، حتى لم يكن بينهم حديث إلا رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ثم لما كان الموسم في العام الذي يلي العقبة الثانية وافى الموسم من الأنصار خلق كثير ما بين مشرك ومسلم، وزعيمهم البراء بن معرور رضي الله عنه، فتسلل ممن أسلم منهم جماعة مستخفين لا يشعر بهم أحد، واجتمعوا برسول الله عليه الصلاة والسلام قبل يوم عرفة، وواعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة، فأمرهم أن لا ينبهوا في ذلك الوقت نائماً، ولا ينتظروا غائباً حذراً من قريش كي لا يطلعوا على الأمر فيسعوا في نقض ما أبرم.

ولما فرغ الأنصار من حجهم توجهوا إلى موعدهم كاتمين أمرهم عن من معهم من المشركين وكان ذلك بعد مضي الثلث الأول من الليل، فكانوا يتسللون الرجل والرجلين حتى تم عددهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان هما: أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية وأم منيع أسماء بنت عمرو رضي الله عنهم اجمعين.

ووافقهم رسول الله ﷺ هناك ومعه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ومعه عمه العباس. فأراد أن يحضر أمر ابن أخيه ليكون متوثقاً له، فأوقف العباس علياً على فم الشعب عيناً له، وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عيناً له. ثم تكلم العباس رضي الله عنه فقال: يا معشر الخزرج، إن محمداً منا حيث علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، وهو في عز ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده. قالت الأنصار: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

فتكلم رسول الله ﷺ فتلا عليهم القرآن ورغبهم بالإسلام وطلب منهم هذه البيعة. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم.

وبعد المبايعة تخير رسول الله ﷺ منهم اثنا عشر نقيباً تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس وهم: أبو الهيثم بن التيهان، وأسعد بن زراة، وأسيد بن حضير، والبراء بن معرور، ورافع بن مالك، وسعد بن أبي خيثمة، وسعد بن الربيع، وسعد بن عبادة، وعبدالله بن رواحة، وعبدالله بن عمرو، وعبادة بن الصامت، والمنذر بن عمرو. ثم قال لهم: أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي.

وقضت مشيئة الله تعالى لحكمة يعلمها إظهار خبر هذه البيعة لمشركي قريش، فجاؤوا صباح تلك الليلة ودخلوا شعب الأنصار وقالوا: يا معشر الخزرج، بلغنا أنكم جئتم لصاحبنا تخرجونه من أرضنا وتبايعونه على حربنا؟ فأنكروا ذلك، وصار بعض المشركين الذين لم يحضروا البيعة يحلفون لهم أنهم لم يحصل منهم شيء في ليلتهم، وقال عبد الله بن أبي بن سلول –من رؤساء الخزرج–: ما كان قومي ليفتاتوا(1) علي بشي من ذلك.

15. بدء الهجرة للمدينة المنورة

لما شاع أمر البيعة بين قريش واستبان الأمر، وعلمت قريش أن رسول الله ﷺ استند إلى قوم أهل حرب ونجدة، ضيقوا على المسلمين في مكة ونالوا منهم مالم يكونوا ينالونه من الشتم والأذى، وجعل البلاء يشتد عليهم فصاروا: بين مفتون في دينه، أو معذب في أيديهم، أو هارب في البلاد، حتى شكوا

(1) أي يخالفوه أو يمضوا أمراً دونه.

إلى رسول الله ﷺ واستأذنوه في الهجرة فأذن لهم وقال: من أراد أن يخرج إلي يثرب فليخرج! فصاروا يخرجون إليها أرسالاً متتابعين يخفون ذلك عن قريش.

فكان أول من هاجر إلى المدينة: أبوسلمة ثم عامر بن ربيعة ثم عبدالله بن جحش، هاجر بأهله وأخيه عبد بن جحش –أبو أحمد– وكان أبو أحمد ضرير البصر يطوف مكة كلها بغير قائد، ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم اجمعين. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا مستخفياً سوى عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه، وانتضى أسهماً واختصر عنزته[1]، ومشى قبل الكعبة –والملأ من قريش بفنائها– فطاف بالبيت سبعاً ثم أتى المقام، فصلى ركعتين ثم وقف على قريش في حلقهم واحدة واحدة، ثم قال: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تثكله أمه أو يؤتم ولده، أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي. قال علي رضي الله عنه: فما تبعه أحد حتى مضى لوجهه، وهاجر مع عمر أخوه زيد بن الخطاب رضي الله عنه. وكان أسن من عمر وأسلم قبله. وشهد بدراً والمشاهد كلها، واستشهد باليمامة[2].

وكما نرى من الخريطة المرفقة أختلاف الطريق الذي سلكه المهاجرون والذي يستغرق أسبوع (الخط الاحمر) والطريق الذي سلكه الرسول ﷺ والذي أستغرق اسبوعين تقريبا (الخط الازرق)[3] حسب الروايات.

---

(1) العنزة: هي الحربة.

(2) المواهب اللدنية.

(3) طريق الهجرة النبوية, د عبدالله القاضي.



16. تآمر قريش لقتل الرسول ﷺ

وأقام الرسول ﷺ بمكة بعد أن هاجر أكثر أصحابه ينتظر أن يؤذن له في الهجرة، ولم يتخلف معه ﷺ سوى أبي بكر وعلي والمستضعفين الذين حبسوا وفتنوا رضي الله عنهم جميعا، وكان أبو بكر استأذن النبي ﷺ في الهجرة فقال ﷺ: لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحباً، فطمع أبو بكر في الصحبة معه.

ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له أتباع وأنصار من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم نزلوا داراً وأصابوا منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم، فأجتمعوا له في دار الندوة –وهي دار قصي بن كلاب– فتشاوروا فيها ما يصنعون في أمر محمد ﷺ. عن ابن عباس

رضي الله عنه قال: لما أجمعوا وتواعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ غدوا في اليوم الذي اتعدوا له فأعترضهم إبليس في هيئة شيخ كبير له هيبة، عليه كساء غليظ فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً، قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي أتعدتم له، فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً، قالوا: أدخل، فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشراف قريش. فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل –يعنون النبي ﷺ– قد كان من أمره ما قد رأيتم فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن أتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأياً. فقال قائل منهم: أحبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله من الموت حتى يصيبه ما أصابهم. فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي. والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم. ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره. ثم قال أبو الأسود العامري: نخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فلا نبالي أين ذهب فنصلح أمرنا ونجمع شملنا وألفتنا كما كانت. فقال الشيخ النجدي (ابليس لعنه الله): لا والله ما هذا لكم برأي. ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم إليكم، حتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد، دبروا فيه رأياً غير هذا.

فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه، فنستريح منه، ويتفرق دمه في القبائل كلها، فلا تقدر بنو عبدمناف على حرب قومهم جميعاً، فنعقله لهم –أي يؤدون ديته–. فقال الشيخ النجدي (إبليس لعنه الله): القول ما قال الرجل، هذا الرأي لا رأي غيره. فتفرق القوم وهم مجمعون على ذلك. قال تعالى: (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)[1].

---

(1) سورة الأنفال آية 30.

17. الوحي ينزل من السماء بخبر المؤامرة وهجرة الرسول الله ﷺ

ثم أتى جبريل الرسول ﷺ فأخبره بالأمر وقال له: لا تنم –لا تبت– على فراشك الذي كنت تنام عليه هذه الليلة. ولما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نم أنت على فراشي، وتسجى ببردي هذا الحضري الأخضر، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم. ويا لعظمتها من ليلة[1], عن محمد بن كعب القرظي قال: لما اجتمعوا على بابه وفيهم أبو جهل فقال: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها.

ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: نعم أنا أقول ذلك، وأنت أحدهم، وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو قوله تعالى:(يس والقران الحكيم ... وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون)[2].

ثم انصرف ﷺ حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت فقال لهم: ما تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمداً، قال: خيبكم الله، فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون من شقوق الباب فيرون علياً على الفراش، مسجى ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائم عليه برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا. فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد صدقنا الرجل الخبر.

(1) يذكر في الاثر أن أحد التفاسير لليالي العشر (والفجر وليالي عشر) التي أقسم الله عز وجل بهم خمسه منها تخص أولي العزم من الرسل والخمس الاخرى تخص المصطفى ﷺ وأحدى هذي الليالي هذي الليله التي اجتمع شباب قريش لقتل سيد الخلق ﷺ إلا أن التفسير الاكثر انتشاراً لدى جمهور المفسرين أنها العشر الاول من ذي الحجة كما ذكر القرطبي ومجاهد والسدي والكلبي وابن عباس وغيرهم, والله أعلم.

(2) سورة يس آية 1-9.

الجزء الرابع
الهجرة النبوية

1. الهجرة النبوية: دخول الغار والعنكبوت والحمامة

قال ابن اسحاق: وكان أبو بكر رضي الله عنه استأذن رسول الله صل الله عليه وسلم بالهجرة فقال له رسول الله ﷺ: لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً. فطمع أبو بكر في صحبة رسول الله ﷺ. ثم ذهب فأبتاع راحلتين فأحتبسهما في داره يعلفهما ورق الشجر، إعداداً لذلك.

روى الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قال: كان الرسول ﷺ يأتينا إما بكرة وإما عشياً. فلما كان ذلك اليوم جاءنا في الظهيرة. فقلت: يا أبت هذا رسول الله ﷺ. قال أبو بكر: فداء له أبي وأمي. والله ما جاءني في هذه الساعة إلا لأمر حدث. قالت: فجاء ﷺ فاستأذن فأذن له أبو بكر رضي الله عنه. فدخل فتنحى له أبو بكر عن سريره فأجلسه عليه الصلاة والسلام. فقال لأبي بكر: أخرجْ مَن عندك. فقال أبو بكر: إنما هم أهلك -لأنه كان عقد على عائشة- فقال صل الله عليه وسلم: قد أذن لي في الخروج من مكة إلى المدينة. فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال ﷺ: نعم. قالت عائشة رضي الله عنها: فرأيت أبا بكر يبكي، وما كنت أحسب أن أحداً يبكي من الفرح. فقال أبو بكر رضي الله عنه: فخذ بأبي وأمي يا رسول الله إحدى راحلتيَّ هاتين. قال: لا, بل بالثمن. قال أبو بكر: بالثمن يا رسول الله. وقيل: كان مجيؤه قبل الليلة التي رصده فيها المشركون وتآمروا على قتله.

ثم خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبو بكر وبدأو بالطريق للهجرة إلى غار ثور فدخلاه، ولما دخلا الغار أنبت الله على بابه شجرة أم غيلان، وأمر الله العنكبوت فنسجت على الباب، وأرسل الله حمامتين وحشيتين فعششتا على بابه، وباضتا حماية من الله وحفظاً.

رحم الله البوصيري حيث يقول في همزيته:

ويح قوم جفوا نبياً بأرض ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع إليه وقلوه ووده الغرباء
أخرجوه منها وآواه غار وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ما كنفته الحمامة الحصداء

وكان صل الله عليه وسلم أخبر علياً بمخرجه -هجرته- وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه ﷺ الودائع للناس حيث كان يعتبر ﷺ بنك أمانات مكة وتجارها لأمانته وصدقه رغم عداوتهم له وحقا هو أهلا لها. قال ابن إسحاق: وكان أهل مكة إذا أحد منهم عنده شيء يخاف عليه وضعه عند النبي ﷺ لما يعلمون من صدقه وأمانته ، ولم يعلم بخروجه إلا علي وآل أبي بكر رضي الله عنهم.

2. طلب المشركين وخروج الرسول ﷺ من الغار

ولما فقدت قريش رسول الله ﷺ طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها، وبعثوا القافة[1]، في كل وجه، وجعلوا مائة ناقة لمن جيئ به حياً أو ميتاً، ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم والقافة أمامهم يتبعون الأثر، وعند باب الغار انقطع عنهم الأثر، فنظر بعضهم إلى باب الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع. فقال له أصحابه: ماذا رأيت؟ فقال: رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد.

وأخذوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار. وقال قائلهم: أدخلوا الغار. قال أمية بن خلف: ما حاجتكم إلى الغار؟ إن فيه لعنكبوت أقدم من ميلاد محمد.

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: حدثني أبو بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي صل الله عليه وسلم وهو في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا. فقال لي رسول الله ﷺ: ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ وهذا معنى قوله تعالى: (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)[2].

وقد مكث صل الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار ثلاث ليال حتى يهدأ الطلب، وكان يبيت في الغار عندهما عبدالله بن أبي بكر الصديق وهو غلام شاب فطن، فيدلج من عندهما بسحر إلى مكة فيصبح مع قريش كبائت بمكة، فلا يسمع بأمر فيه مكروه إلا حفظه حتى يأتيهما به حين يختلط الظلام، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنهما يرعى له غنماً فكان يروح عليهما بالغنم كل ليلة حين تذهب ساعة من العشاء، فيحلبان ويشربان ثم يرجع بعد ذهاب عبدالله بن أبي بكر ليعفي الأثر، ثم يصبح في رعيان الناس فلا يفطن له أحد، وكان يفعل ذلك في كل ليلة من الليالي الثلاث.

وخرج رسول الله ﷺ وصاحبه من الغار في اليوم الرابع، وسار بهما الدليل عبدالله بن أريقط وهو على دين كفار قريش، وكان دليلاً ماهراً وانطلق معهم عامر بن فهيرة يخدمهما، يردفه أبو بكر ليس معهما غيره والدليل، فذهب بهما من طريق غير مألوفة حتى يضلل الأعداء، ومروا على أراض وعرة يصعب فيها السير، ولكنه اختارها لبعدها عن الطريق المعروف. فمروا بعسفان[3]، ومروا بالجداجد وهو مكان كثير الصخور. ثم بالعرج وهو مكان ينعرج فيه الطريق. وهكذا حتى وصلوا إلى قباء، بعد رحلة شاقة

---

(1) القافة: أي قصاص الأثر وهم خبراء باتباع أثر المشي في البراري والجبال.

(2) التوبة اية40.

(3) وسميت عسفان لتعسر السير فيها.





فكان كل من لقيهما يعرف أبا بكر لأنه كان يكثر الأسفار للتجارة، وكانوا لا يعرفون النبي ﷺ فيسألون أبا بكر رضي الله عنه: من هذا الذي معك. فيقول: هادٍ يهديني السبيل. ولا يتكلم بكلام إلا يوري في كلامه. وروي أن النبي ﷺ قال لأبو بكر رضي الله عنه: أله الناس عني–أي جاوبهم عني–. فإنه لا ينبغي لنبي أن يكذب –ولو صورة كالتورية–.

3. خبر أم معبد ووصفها للرسول ﷺ

ومروا في طريقهم بقديد على أم معبد –عاتكة بنت خالد الخزاعية– وهي في خيمتها، فطلبوا منها لبناً أو لحماً أو تمراً يشترونه منها، فلم يجدوا عندها شيئاً وقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزنا القِرى، لأنهم كانوا مجدبين –أرضهم قاحلة مافيها ماء–. فنظر صل الله عليه وسلم إلى شاة في الخيمة خلفها الجهد –الهزال– عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك. فقال: هل تأذنين لي بحلبها؟ قالت: نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً. فدعى بالشاة فأعتقلها ومسح عليه الصلاة والسلام ضرعها، وسمى الله تعالى. فدرت ودعا بإناء فجيء له به، فحلب به ثجاً وسقى أم معبد، ثم سقى القوم حتى رووا، ثم شرب آخرهم، وقال: ساقي القوم آخرهم شرباً. ثم حلب فيه مرة أخرى فشربوا عللاً بعد نهل –أي ثانياً– ثم حلب ثالثاً وقال: ارفعي هذا لأبي معبد إذا جاءك. ثم بقيت هذا الشاة إلى زمن عمر رضي الله عنه.

ثم بعد إرتحالهم جاء زوجها أبو معبد واسمه –أكثم بن أبي الجون الخزاعي– فأقبل يسوق غنماً عجافاً هزيلة نحيفة–، فلما رأى اللبن قال: أنى لك هذا يا أم معبد ولا حلاب بالبيت؟ فقالت: لقد مر بنا رجل مبارك من حاله فقال صفيه لي يا أم معبد, قالت: "رأيت رجلا ظاهر الوضاءة[1], أبلج الوجه[2]، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة[3]، ولم تزر به صعلة[4]، وسيم، قسيم[5]، في عينيه دعج[6]، وفي أشفاره وطف[7]، وفي صوته صحل[8]، وفي عنقه سطع[9]، وفي لحيته كثافة، أزج أقرن[10]، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم

---

(1) ظاهر الجمال.

(2) الابيض الحسن الواسع الوجه.

(3) ليس به ضخامة البطن.

(4) لم يشنه صغر الرأس.

(5) الحسن في قسمة الوجه.

(6) ذو العينين السوداوين مع أتساعها وأشتداد بياضها.

(7) شعر رموشه منثن فيه طول.

(8) التحريك كالبحه والا يكون حاد الصوت.

(9) رفع رأسه ومد عنقه اي عنقه طويلة وفيها نور وبهاء.

(10) تقوس في الحاجب فيها طول وامتداد مع إلتقاء الحاجبين.

سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر[1]، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربع[2]، لا يأس من طول، ولا تقتحمه عين عن قصر، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود[3]، لا عابس ولا مفن[4]".[5]

وحكت له القصة فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش، لو رأيته لأتبعته وقد أسلمت أم معبد وزوجها رضي الله عنهما فيما بعد.

4. خبر سراقة بن مالك المدلجي

تعرض لهما سراقة بن مالك المدلجي رضي الله عنه وسبب تعرضه لهما، ما رواه البخاري عنه قال: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه قال سراقة: فعرفت أنهم هم فقلت له: إنهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا ينشدون ضالة لهم، ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، قال أبو بكر: فتبعنا سراقة ونحن في جلد من الأرض، فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا. فقال: لا تحزن إن الله معنا. وكان النبي ﷺ لا يلتفت وأبو بكر كثير الإلتفات، قال: فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة قلت: هذا الطلب قد لحقنا وبكيت. قال رضي الله عنه: ما يبكيك؟ فقلت: والله ما على نفسي أبي ولكن عليك. فقال ﷺ: اللهم اكفناه بما شئت. وفي رواية أنه قال: يا أرض خذيه فساخت قوائم فرسه إلى بطنها، فساق سراقة الفرس فلم يتحرك. فقال: يا محمد الأمان. لو أنجيتني لأكونن معك لا عليك. فقال صل الله عليه وسلم: يا أرض أطلقيه فانطلق فرسه. فلما أيس

(1) وصف كلامه ليس بقليل فيدل عل عي ولا بكثير فاسد.

(2) وسيط القامة معتدلها.

(3) مطاع في قومه يخفون لخدمته, أي يحب الناس خدمته بغير تثاقل ولا إستكراه.

(4) ليس به جهل وقلة عقل وكلامه عظيم الفائدة غير عابس الوجه.

(5) وفي رواية في لحيته كثاثة أزج أقرن, إن صمت فعليه وقار وإن تكلم سماه وعلاه البهاء خافض الطرف لا يثبت بصره, في وجه أحد ليس بالجافي ولا المهين طويل السكت لا يتكلم في غير حاجة عقل الرجل. (فأي صاحب قلم يملك اليوم لسان وصف مثل أبنة البادية أم معبد رضي الله عنها).

سراقة ورأى تلك المعجزة قال: أنا سراقة. أنظروني أكلمكم. فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه. قال: فوقفا لي حتى جئتهما، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت أنه سيظهر أمر رسول الله ﷺ قال: فأخبرتهما خبر ما يريد الناس بهما وبذل المال لمن يحصلهما، فقال له النبي ﷺ: كيف بك يا سراقة إذا تسورت بسواري كسرى؟ قال: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم، نعم، فعجب سراقة من ذلك.

ولما أتي بسواري كسرى في خلافة عمر رضي الله عنه وكان عمر قد سمع بوعد النبي صل الله عليه وسلم لسراقة، فدعى بسراقة فألبسه السوارين تحقيقاً لهذه المعجزة وإظهاراً لها. وقال: ارفع يديك. ثم قال: الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابياً من بني مدلج، ورفع عمر رضي الله عنه صوته في هذا النداء ثم ألحقهما بالغنائم فقسمهما بين المسلمين.

5. وصول الرسول ﷺ بأول المدينة: قباء

ولما سمع المسلمون في المدينة بخروج رسول الله صل الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الحرة، ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فأنقلبوا يوم قدومه ﷺ بعد أن طال انتظارهم وأحرقتهم الشمس، وإذا رجل من اليهود ينادي بأعلى صوته، يا بني قيلة –وهم الأنصار– هذا جدكم[1] الذي تنتظرونه وكان قد صعد على أطم –يعني سطح– لبعض شأنه، فرأى النبي ﷺ فلما سمع المسلمون نداءه ثاروا إلى السلاح وخرجوا يتلقون رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه بظهر الحرة، في ظل نخلة كانت هناك، ثم ركب النبي ﷺ وأصحابه فعدلوا بهم ذات اليمين حتى نزلوا بقباء في دار بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول، وكان نزوله ﷺ عند كلثوم بن الهدم، لأنه كان شيخ بني عمرو بن عوف الأوسي، وكان ﷺ يجلس بالناس ويتحدث مع أصحابه في بيت سعد بن خيثمة لأنه كان عزباً لا أهل له هناك، وكان منزله يسمى منزل العزاب، ونزل أبو بكر رضي الله عنه على حبيب بن أساف، وقيل:على خارجة بن زيد رضي الله عنهم وسرى السرور إلى القلوب، وعم الفرح بوصول النبي ﷺ، قال البراء بن عازب رضي الله عنه: ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله عليه الصلاة والسلام.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صل الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء، وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير عند قدومه يعلن بقولهن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

ولما استقر رسول الله عليه الصلاة والسلام جاء المسلمون من الأنصار يسلمون عليه وأكثرهم لم يره بعد، فكان بعضهم لا يعرفه فيسلم عليهم معاً، حتى قام أبو بكر رضي الله عنه حين أشتد الحر يظلل على رسول الله صل الله عليه وسلم بثوب، فتحقق الناس حينئذ أنه رسول الله ﷺ، ولبث بقباء بعض عشرة ليلة وأسس فيه مسجد قباء الذي أسس على التقوى وقد ذكره تعالى بقوله: (لا تقم فيه أبدا, لمسجد أسس على التقوى أحق أن تقوم فيه, فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين)[2].

ولما أراد عليه الصلاة والسلام الخروج من قباء إلى المدينة ركب ناقته والناس حوله عن يمينه ويساره

(1) يعني حظكم.

(2) سورة التوبة آية 108.

قد حشدوا وقد لبسوا السلاح وذلك من صباح يوم الجمعة، فجعل كلما مر بقوم من الأنصار قالوا: هلم يا رسول الله إلى القوة والمنعة والثروة، فيقول لهم ﷺ خيراً، ثم يقول : دعوها –أي الناقة– فإنها مأمورة. ثم أدركته ﷺ صلاة الجمعة ببني سالم، فصلى بمن كان معه من المسلمين الجمعة، وهم قريب من مائة رجل في مكان مسجد بني سالم الآن، وهي أول جمعة أقامها رسول الله عليه الصلاة والسلام في الإسلام، وأول خطبة خطبها. ويسمى هذا الطريق الذي يربط المسجد النبوي بمسجد قباء "طريق السنة" وقد حرصت المملكة العربية السعودية على أظهار هذا المشروع كما هو مبين (أنظر الصورة).



صورة مشروع "طريق السنة" الرابط ما بين المسجدين النبوي وقباء



موقع دار أبي أيوب ألانصاري بالنسبة للمسجد النبوي

6. دخول المدينة المنورة: النزول في دار أبي أيوب وأول خطبه للرسول ﷺ

وكانت خطبته صل الله عليه وسلم بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس، فقدموا لأنفسكم, تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولي فبلغك، وآتيتك مالاً وأفضلت عليك، فما قدمت لنفسك فلينظرن يميناً وشمالاً، فلا يرى شيئاً ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.[1]

ثم ركب ﷺ ناقته بعد صلاة الجمعة متوجهاً إلى المدينة وقد أرخى لناقته زمامها، وهي تنظر يميناً وشمالاً، وكلما مر على دار من دور الأنصار يدعونه المقام عندهم يقولون: يا رسول الله هلم إلى القوة والمنعة فيقول: بارك الله فيكم, خلوا سبيلها فإنها مأمورة، حتى مرت بدار بني النجار وهم أخوال جده عبدالمطلب، فسأله بنو عدي بن النجار بمثل ما تقدم، فقال لهم خيراً، ثم قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة.

فانطلقت الناقة برسول الله ﷺ حتى بركت بمحل من محال بني النجار، وذلك موضع المسجد عند دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه(أنظر موقعه بالنسبة للمسجد النبويى) ، ثم قامت ورسول الله ﷺ عليها، حتى بركت على باب أبي أيوب –خالد بن زيد– من بني مالك بن النجار، ثم سارت وبركت في مبركها الأول مكان المسجد، وألقت جرانها بالأرض، وأزرمت[2] ونزل عنها عليه الصلاة والسلام وقال: هذا المنزل إن شاء الله.

واحتمل أبو أيوب رحله بإذنه وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنهم، وكانت دار بني النجار أوسط دور الأنصار وأفضلها ، فأكرمهم الله بنزوله عندهم، ثم جاء أسعد بن زرارة فأخذ ناقته صل الله عليه وسلم فكانت عنده، وأهدوه هدية أتته قصعة مثرودة خبزاً وسمناً ولبناً جاءه بها زيد بن ثابت من عند أمه فأكل وأصحابه ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة رضي الله عنه وأقام في بيت أبي أيوب سبعة أشهر حتى تم بناء المسجد والحجرات.

(1) دلائل النبوة للبيهقي, ص 525.

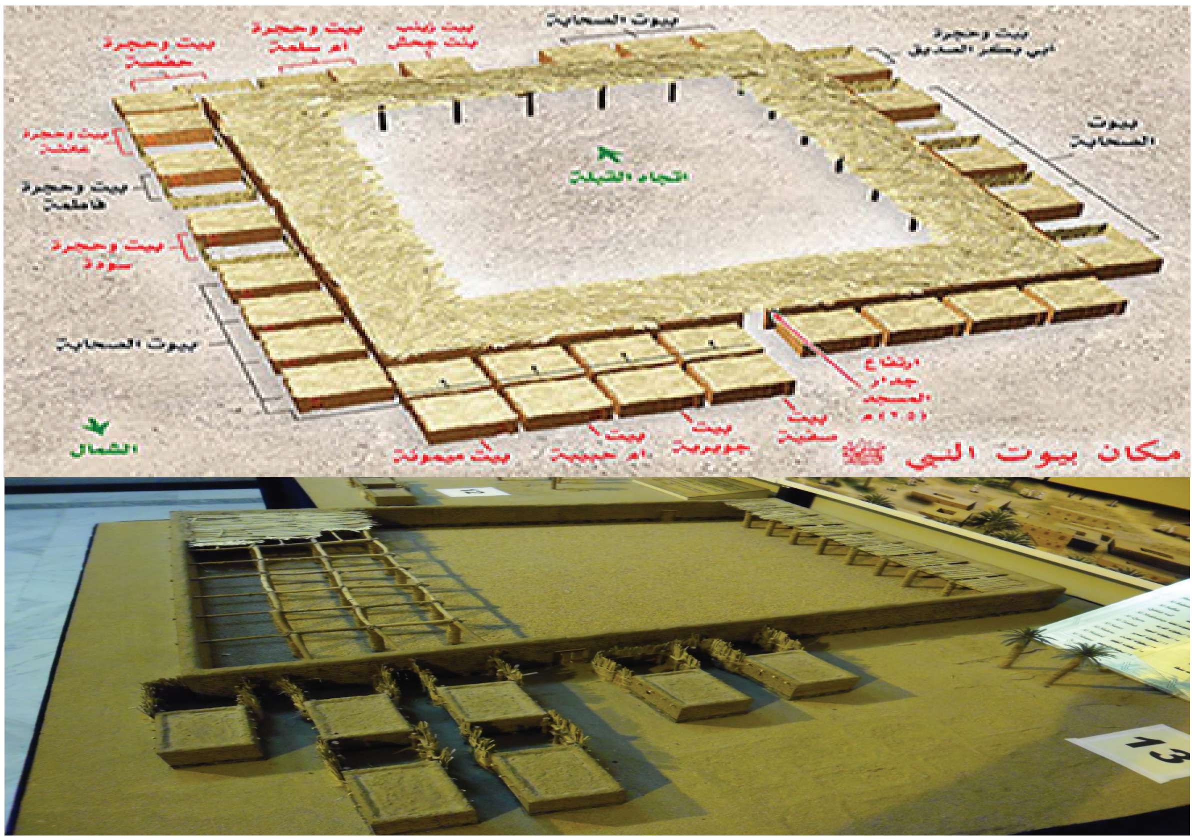
(2) أي باطن عنقها وأزرمت: أي صوتت من غير أن تفتح فاها.

7. بناء المسجد النبوي والحجرات

ولما أراد النبي صل الله عليه وسلم بناء المسجد الشريف، اشترى الأرض وكانت مربداً[1] لسهل وسهيل ابني عمرو –وكانا يتيمين في حجر أسعد بن زرارة– بعشرة دنانير.

وقيل: إنه كان موضع المسجد قسماً منه مربد، وآخر حائط لبني النجار، وقسماً فيه قبور. فأمر رسول الله ﷺ بالقبور فنبشت بالعظام فغيبت وبالنخل فقطعت، وجعلت عمداً للمسجد، ثم أمر بإتخاذ اللبن وبنى المسجد وسقف بالجريد[2]. روى البخاري في صحيحه: أنه كان صل الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بناء مسجده ويقول وهو ينقل اللبن قول عبد الله بن رواحة:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة   فارحم الانصار والمهاجرة



مجسم وصورة حجرات الرسول والمسجد النبوي

وبنى بيوته ﷺ إلى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد. عن الحسن البصري رحمه الله قال: كنت وأنا مراهق أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان رضي الله عنه فأتناول سقفها بيدي. وبعد استقراره صل الله عليه وسلم في المدينة بعث زيد بن حارثة، وأبا رافع مولاه إلى مكة فقدما بسودة بنت

(1) المربد: مكان خاص يستعمله المزارعون لوضع مزروعاتهم بعد حصادها ولتجفيف التمر.
(2) الجريد: أي أغصان النخل.

زمعة رضي الله عنها وكان تزوجها ﷺ بمكة بعد وفاة سيدة نساء الجنة خديجة، وفاطمة الزهراء وأم كلثوم وأسامة بن زيد، وأم أيمن، وأما رقية بنت الرسول فأتى بها زوجها عثمان رضي الله عنهم أجمعين. أما بنت الرسول ﷺ زينب رضي الله عنها فتأخرت عند زوجها أبي العاص ثم أرسلها بعد غزوة بدر[1].

وتحول صل الله عليه وسلم من منزل أبي أيوب إلى حجره لما فرغت وتم بناؤها، وقد أقام في منزل أبي أيوب سبعة أشهر، وخط لأصحابه –من المهاجرين– في كل أرض ليست لأحد، وفيما وهبت له الأنصار، وأقام بعضهم من الذين لم يمكنهم البناء بقباء على من نزلوا. وبنى ﷺ بعائشة رضي الله عنها، وكان عقد عليها بمكة قبل الهجرة، وكان دخوله عليها بعد الهجرة بتسعة أشهر، وقيل غير ذلك.

8. المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

ثم آخى الرسول صل الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، في دار أبي طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه –زوج أم أنس بن مالك– فآخى بين أبي بكر وخارجة بن زيد، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك، وبين بلال وابن رويم الخثعمي، وبين زيد بن حارثة وأسيد بن حضير، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضي الله عنهم جميعا وقد هناك حكمة كبيرة ألهمها الله عز وجل رسوله ﷺ بالمؤاخاة في إختيار المهاجرين والانصار ليكمل أحدهم الاخر. كذلك عند مراجعة أسماء هؤلاء الصحابة، نجد أن تلك المؤاخاة لم تُقم وزناً للاعتبارات القبلية أو الفوارق الطبقية، حيث جمعت بين القوي والضعيف، والغني والفقير، والأبيض والأسود، والحرّ والعبد، وبذلك استطاعت هذه الأخوّة أن تنتصر على العصبيّة للقبيلة أو الجنس أو الأرض، لتحلّ محلّها الرابطة الإيمانيّة، والأخوّة الدينيّة. يقول سعد بن الربيع لأخيه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما: يا أخي إن رسول الله ﷺ آخى بيني وبينك، وإني أكثر الأنصار مالاً فأنا مقاسمك مالي، وعندي امرأتان فانظر أيهما أحببت فإني مطلقها لك فإذا انقضت عدتها فتزوجها، فقال: بارك الله لك في أهلك ومالك. ثم قال: دلوني على السوق. فذهب إلى السوق يبيع ويشتري حتى أغناه الله تعالى فصار من أغنى الصحابة.

وتذكر لنا مصادر السيرة أسماء بعض الذين آخى بينهم النبي ﷺ، فقد آخى بين أبي بكر و خارجة بن زهير، وآخى بين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ، وبين الزبير بن العوام وسلامة بن سلامة، وبين طلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك، وبين مصعب بن

(1) وسيأتي خبرها في حوادث بدر، كيف أسر أبو العاص زوجها، ولما أطلقه ﷺ اشترط عليه أن يرسل زينب رضي الله عنها فأرسلها.

عمير وأبو أيوب خالد بن زيد، وأسماء أخرى بلغت تسعين صحابياً رضي الله عنهم أجمعين. ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، بل إن كثيراً من الأنصار عرضوا على النبي ﷺ أن يقسم الأراضي الزراعيّة بينهم وبين إخوانهم من المهاجرين، ولكنّ النبي ﷺ أراد أن تقوم هذه المواساة دونما إضرارٍ بأملاكهم، فأشار عليهم بأن يحتفظوا بأراضيهم مع إشراك إخوانهم المهاجرين في الحصاد، وقد أورث صنيعهم هذا مشاعر الإعجاب في نفوس المهاجرين، حتى إنهم قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ما رأينا قوما قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلا في كثير منهم، لقد حسبنا أن يذهبوا بالأجر كلّه"، كما كانت تضحياتهم ومواقفهم النبيلة سبباً في مدح الله لهم بقوله: (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)[1].

وقد حفظ النبي ﷺ هذا الفضل للأنصار، فمدحهم بقوله: "لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً، لسلكت في وادي الأنصار"[2]، وبيّن حبه لهم بقوله "الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق؛ فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله"[3]، ودعا لأولادهم وذرياتهم بالصلاح فقال: "اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأزواج الأنصار، ولذراري الأنصار"، وآثر الجلوس بينهم طيلة حياته فقال: "لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار".[4]وبهذا نستطيع أن نلمس عظمة هذا الجيل الذي تربّى على يد النبي ﷺ، عندما كانت الأخوة الإيمانيّة هي الأساس لعلاقاتهم، فما أحوجنا إلى أن نتّخذ هذا المجتمع الفريد قدوة لنا في تعاملنا وعلاقاتنا.

9. إسلام عبدالله بن سلام اليهودي وموقف يهود المدينة

كان عبد الله بن سلام من أحبار اليهود البارزين، وكان من ولد نبي الله يوسف الصديق عليه السلام، ومن يهود بني قينقاع. عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة أتى الناس إليه فكنت فيمن أتى إليه، فلما رأيت وجهه عرفت أنه وجه غير كذاب فسمعته يقول: "أيها الناس أفشوا

(1) الحشر اية 9.

(2) رواه البخاري.

(3) رواه البخاري.

(4) رواه البخاري.

السلام وصلوا الأرحام وأطعموا الطعام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام" (فتحققت أنه النبي المنتظر)[1]. وعند ذلك قلت: أشهد أنك رسول الله حقاً، وأنك جئت بحق، ثم رجعت إلى أهل بيتي فأسلموا، وكتمت إسلامي من اليهود، ثم جئته الرسول عليه الصلاة والسلام في بيت أبي أيوب وقلت له: يا رسول الله لقد علمت اليهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم، فأخبئني يا رسول الله قبل أن يدخلوا عليك، فأدعهم فأسألهم عني قبل أن يعلموا أني أسلمت فإنهم قوم بهت، وإنهم إن يعلموا أني أسلمت قالوا فيّ ما ليس في، وخذ عليهم ميثاقاً أني إن اتبعتك وآمنت بك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذي أنزل عليك.

فأرسل رسول الله ﷺ إليهم فدخلوا فقال لهم رسول الله ﷺ: يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق، أسلموا، قالوا: لا نعلم. فأعاد عليهم ذلك ثلاثاً وهم يجيبونه كذلك. قال لهم: فأي رجل فيكم ابن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: أفرأيتم إن شهد أني رسول الله وآمن بالكتاب الذي أنزل علي أن تؤمنوا (أفتؤمنوا) ؟ قالوا: نعم. فقال: يا ابن سلام اخرج عليهم. فخرج عليهم فقال: يا عبد الله بن سلام أما تعلم أني رسول الله تجدوني عندكم مكتوباً في التوراة والإنجيل، أخذ الله ميثاقكم أن يؤمن بي ويتبعني من أدركني منكم؟ قال ابن سلام: بلى! يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقاً، وأنه جاء بالحق. قالوا: كذبت أنت شرنا وابن شرنا. قال ابن سلام: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله، ألم أخبرك أنهم قوم بهت، أهل غدر وكذب؟ فأخرجهم ﷺ وأظهرت إسلامي.

قال تعالى: (قل أرأيتم ان كان من عندالله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم, ان الله لا يهدي القوم الظالمين)[2]. ولم يسلم من اليهود إلا القليل مع علمهم وما هو موجود عندهم في التوراة من بعثة النبي ﷺ وصفاته، ولكنهم لما رأوا الحق كفروا به، وكانوا من قبله يستفتحون على أهل يثرب برسول الله ﷺ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه. يقولون: سيبعث نبي قرب وقته, صفته كذا وكذا، نقتلكم معه قتل عاد وإرم، ثم بعد أن ظهر الإسلام بالمدينة قال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء رضي الله عنهما: يا معشر يهود اتقوا الله

---

(1) ما كان بين القوسين فهو زيادة من عندي: الكاتب.

(2) سورة الأحقاف آية 10.

وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ, ونحن أهل كفر وشرك، وتخبرون أنه مبعوث وتصفونه لنا، فقال سلام بن مشكم –من رؤساء بني النضير–: ما جاء بشيء نعرفه، وهو الذي كنا نذكره لكم. فأنزل الله في ذلك (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذي كفروا فلما جائهم ما عرفوا كفروا به, فلعنة الله على الكافرين)[1].

ثم وادع صل الله عليه وسلم من بالمدينة من يهود، وكتب بذلك كتاباً، أقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط عليهم أن لا يعينوا عليه أحداً، وإن دهمه بالمدينة عدو ينصرونه، واشترط لهم أن لا يؤذيهم ولا يحاربهم إذا وفوا بعهدهم ولم يغدروا، وهم ثلاث فرق: بنو النضير وبنو قينقاع، وبنو قريظة. وقد كان توزيع قبائل اليهود ما بين قوم الاوس والخزرج توزيع أستراتيجي يجب الحذر منه (أنظر الخريطة).

وكان علماء اليهود وأحبارهم أشد الناس كفراً وحسداً من عند أنفسهم, فمن أشدهم عداوة: حيي بن أخطب، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع، وكعب بن الأشرف، وعبد الله بن صوريا، وابن صلوبا، وكان منهم مخيريق، وهذا قد أسلم وله قصة في أحد.



مخطط توزيع قبائل اليهود ما بين قبائل الاوس والخزرج بالمدينة المنورة

10. عداوة قريش والإذن بالقتال: بدأ السرايا والغزوات

ولما استقر رسول الله ﷺ ثم وادع من بالمدينة من يهود، وكتب بذلك كتاباً، أقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط عليهم أن لا يعينوا عليه أحداً، وإن دهمه بالمدينة عدو ينصرونه، واشترط لهم أن لا يؤذيهم ولا يحاربهم إذا وفوا بعهدهم ولم يغدروا، واليهود يومئذ ثلاث فرق: بنو النضير وبنو قينقاع وبنو قريظة وكانت مواقعهم بالمدينة بين أظهر الأنصار رضي الله عنهم وتكفلوا بمنعه وحمايته، وقد بدأ العداء من

(1) سورة البقرة آية 89.

قريش ثم رمتهم العرب قاطبة لاحقا عن قوس واحدة، وأظهروا لهم العداوة وتعرضوا لهم من كل جانب، وكان الله عز وجل قد أذن للمسلمين بالجهاد بقوله تعالى: (وقاتلوا في سبيل الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا, ان الله لا يحب المعتدين)[1] ولا يتعرض المسلمين بادئ الأمر إلا لقريش الذين آذوا المسلمين، وأخرجوهم من ديارهم وأخذوا أموالهم وبيوتهم، ووقفوا في وجه الدعوة يصدون عنها.

وأمر الرسول بأن يتعرض المسلمون لعير قريش ويصادر أموالهم في ذهابهم إلى الشام وفي رجوعهم منها، فيكون في ذلك عقاباً لهم وأدعى لخذلانهم عند اللقاء لتبدأ الحرب الاقتصادية من خلال سرايا وغزوات بعثها المصطفى ﷺ. فأرسل المصطفى ﷺ بضع وخمسين سرية من المدينة (انظر جدول السرايا النبوية والخريطه) في اتجاهات مختلفة وسنذكر أكثرها أهمية.

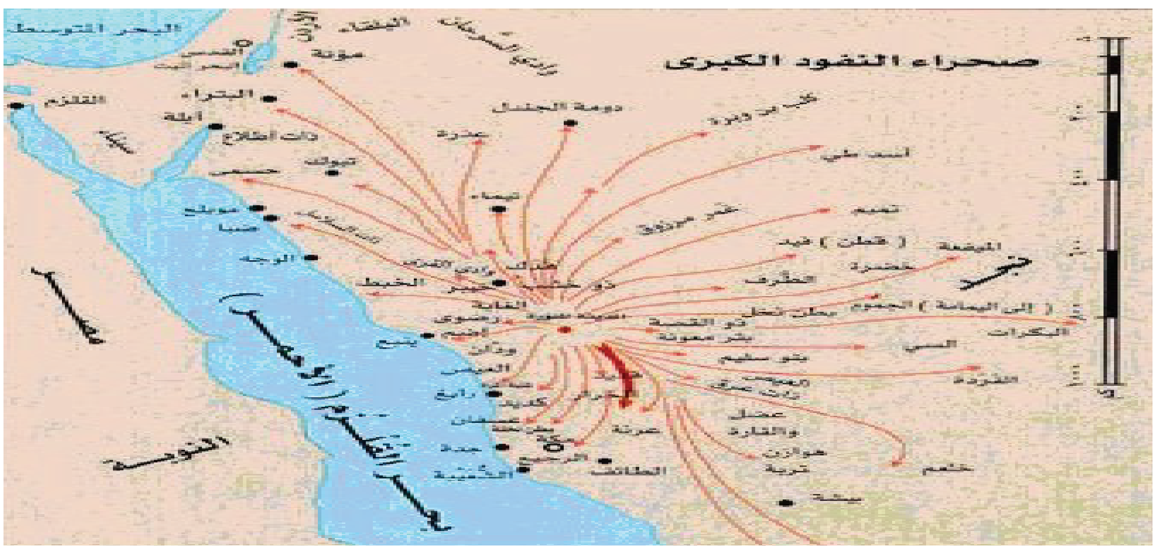


(1) سورة البقرة آية 191.

11. غزوات وسرايا الرسول ﷺ

وبدأ الحصار الاقتصادي والسرايا وسنتناول أهم غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام والسرايا حسب تسلسلها الزمني وأهميتها (انظر جدول وخريطة غزوات الرسول ﷺ وتواريخها) وقد قمت في آخر الكتاب بعمل جدول يضم جميع غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام وتحركاته والزمن المستغرق فيها ونتائجها **في أول إحصاء لجميع رحلاته ﷺ في هجرته ودعوته وعبادته وغزواته في سبيل الله بالجزيرة العربية في جميع إتجاهاتها للدعوة وتوقيع المعاهدات والحج والعمرة وعددها 33 رحلة وذلك للدعوة وإصلاح ذات البين والعبادات بلغ ما يقارب ثمانة وخمسون الف وسبعمائه وثلاثة عشر كيلومتر طولي بحد أدنى وبنحفض شديد. وإذا ما قارنا ذلك بخط الاستواء (أطول خط طولي يقسم الارض) ذو الطول 40 ألف كيلو متر, مما يعني بأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد قطع مسافة الكرة الأرضية أكثر من مرة ونصف أي السفر الى لندن قرابة عشرة مرات فياله من جهد لم يعرف غيره في التاريخ لا من قبل ولا من بعد كما سنوضحه في نهاية الكتاب.**

لقد مشي الرسول صل الله عليه وسلم في أصعب رقعة جغرافية في الكرة الارضية وهي الجزيرة العربية, فبالاضافة إلى إفتقارها للأمان وكثرة عدائيتها بشكل عام وعدائيتها له بشكل خاص, فإنها أيضا أحد الأماكن التي يندر فيها مقومات الحياة مما يجعل مرتحليها معرضين للموت عطشاً أو جوعاً, ناهيك عن صعوبة السفر فيها لكونها ترابية جبلية مما يزيد من مسافات السفر وصعوبته. لا ننسى أيضا من أنها أكثر مناطق العالم حرارة لبيئتها الصحراوية القاحلة, ولم يقوى على تلك المسافات الطويلة وتلك الضروف القاسية إلا المصطفي عليه الصلاة والسلام وحزبه المبارك رضي الله عنهم جميعا.



خريطة السرايا النبوية

سرايا النبي ﷺ

ت	اسم السرية	أمير السرية وهل هو مهاجري أو أنصاري	المكان الذي توجهت إليه السرية	تاريخ خروج السرية الهجري	الأحكام الفقهية في السرية
١	حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه	حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه مهاجري	العيص	رمضان من السنة الأولى	١- اتخاذ الرايات والألوية في الحرب ٢- الإمارة ٣- جواز الانصراف من غير قتال
٢	عبيدة بن الحارث رضي الله عنه	عبيدة بن الحارث رضي الله عنه مهاجري	ماء بوادي رابغ	شوال السنة الأولى	١- اتخاذ الرايات والألوية ٢- الإمارة
٣	سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه	سعد بن أبي وقاص مهاجري	الخرار	ذو القعدة من السنة الأولى	الأحكام السابقة نفسها وجواز القتال في الأشهر الحرم
٤	عبدالله بن جحش رضي الله عنه	عبدالله بن جحش رضي الله عنه مهاجري	نخلة	رجب من السنة الثانية	١- مشروعية التعرض لأموال الحربيين والاستيلاء عليها ٢- إباحة الغنائم ٣- جواز القتال في الأشهر الحرم ٤- صحة الرواية بالمناولة ٥- جواز مفاداة الأسرى
٥	قتل عصماء بنت مروان	عمير بن عدي بن خرشة الأنصاري رضي الله عنه	المدينة المنورة	رمضان من السنة الثانية	جواز قتل من سب الرسول صلى الله عليه وسلم
٦	سرية قتل أبي عفك	سالم بن عمير الأنصاري رضي الله عنه	المدينة المنورة	شوال من السنة الثانية	جواز قتل من سب الرسول صلى الله عليه وسلم
٧	سرية قتل كعب بن الأشرف	زيد بن حارثة رضي الله عنه مهاجري	المدينة المنورة	ربيع الأول من السنة الثالثة	١- جواز قتل من سب الرسول صلى الله عليه وسلم ٢- جواز حمل الرؤوس إلى الولاة ٣- جواز الكذب والخداع في الحرب
٨	سرية القردة	حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه مهاجري	القردة من أرض نجد	جمادى الآخرة من السنة الثالثة	مشروعية التعرض لأموال الحربيين والاستيلاء عليها
٩	سرية أبي سلمة رضي الله عنه	أبو سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنه مهاجري	قطن	المحرم من السنة الرابعة	١- جواز القتال في الأشهر الحرم ٢- مشروعية التعرض لأموال الحربيين

ت	اسم السرية	أمير السرية وهل هو مهاجري أو أنصاري	المكان الذي توجهت إليه السرية	تاريخ خروج السرية الهجري	الأحكام الفقهية في السرية
١٠	سرية بئر معونة	المنذر بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه	بئر معونة	صفر من السنة الرابعة	١- المسلم إذا خشي الأسر له أن يقاتل أو يستأسر ٢- مشروعية القنوت جهرا في الصلوات الخمس عند النوازل ٣- مشروعية الصلاة عند القتل
١١	سرية الرجيع	عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه	الرجيع		
١٢	سرية عبدالله بن عتيك	عبدالله بن عتيك الأنصاري رضي الله عنه	المدينة المنورة	ذو الحجة من السنة الرابعة	١- جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة الإسلامية وأصر على الكفر ٢- جواز قتال من أعان على عداوة الرسول ﷺ بيده أو ماله أو لسانه
١٣	سرية عبدالله بن أنيس	عبدالله بن أنيس الأنصاري رضي الله عنه	عرنة	المحرم من السنة الرابعة	١- جواز القتال في الأشهر الحرم ٢- جواز حمل الرؤوس
١٤	سرية عكاشة بن محصن	عكاشة بن محصن رضي الله عنه **مهاجري**	الغمر	ربيع الأول من السنة الرابعة	١- مشروعية التعرض لأموال الحربيين ٢- إباحة الغنائم
١٥	سرية محمد بن سلمة	محمد بن سلمة رضي الله عنه **أنصاري**	ذو القصة	ربيع الثاني من السنة السادسة	مشروعية التعرض لأموال الحربيين
١٦	سرية أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه	أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه **مهاجري**	ذو القصة	ربيع الثاني من السنة السادسة	١- إذا سمع الإمام بقصد عدوه له وفي جيشه قوة ومنعة لا يقعد وينتظرهم بل يسير إليهم ٢- جواز الاستيلاء على أموال الحربيين
١٧	سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه	زيد بن حارثة رضي الله عنه **مهاجري**	العيص	جمادى الأولى من السنة السادسة	١- جواز إجارة المرأة المسلمة وأمانها للكافر ٢- جواز التعرض لأموال الحربيين والاستيلاء عليها
١٨	سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه	زيد بن حارثة رضي الله عنه **مهاجري**	الطرف	جمادى الآخرة من السنة السادسة	١- الشعار في الحرب ٢- مشروعية التعرض لأموال الحربيين والاستيلاء عليها

ت	اسم السرية	أمير السرية وهل هو مهاجري أو أنصاري	المكان الذي توجهت إليه السرية	تاريخ خروج السرية الهجري	الأحكام الفقهية في السرية
١٩	سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه	زيد بن حارثة رضي الله عنه **مهاجري**	حسمى	جمادى الآخرة من السنة السادسة	١- مشروعية التعرض لاموال الحربيين والاستيلاء عليها ٢- دعوة الناس إلى الإسلام بكسب ودهم
٢٠	سرية عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه	عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه **مهاجري**	دومة الجندل	شعبان من السنة السادسة	لبس العمائم في الحرب
٢١	سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه	علي بن أبي طالب رضي الله عنه **مهاجري**	فدك	رمضان من السنة السادسة	جواز الاستيلاء على أموال الحربيين
٢٢	سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه	زيد بن حارثة رضي الله عنه **مهاجري**	أم قرفة بوادي القرى	شوال من السنة السادسة	جواز قتل من سب الرسول صلى الله عليه وسلم
٢٣	سرية عبدالله بن رواحة رضي الله عنه	عبدالله بن رواحة **أنصاري** رضي الله عنه	خيبر	جمادى الأولى من السنة السادسة	١- للإمام إذا سمع بقصد عدوه له وفي جيشه قوة ومنعة لا يقعد وينتظرهم بل يسير إليهم ٢- جواز الفتك بأهل الحرب
٢٤	سرية نجد	محمد بن سلمة **أنصاري** رضي الله عنه	نجد	المحرم من السنة السادسة	١- جواز القتال في الأشهر الحرم ٢- جواز اعتقال الأسير الكافر في المسجد ٣- المن على الأسرى ٤- اغتسال المشرك إذا أسلم
٢٥	سرية كرز بن جابر الفهري رضي الله عنه	كرز بن جابر الفهري **مهاجري** رضي الله عنه	عكل وعرينة	شوال من السنة السادسة	١- طهارة بول ما يؤكل لحمه وجواز التداوي بأبوال الإبل ٢- حكم المحاربة والإفساد في الأرض
٢٦	سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه	أبو بكر الصديق **مهاجري** رضي الله عنه	نجد	شعبان من السنة السادسة	١- جواز النفل من أمير السرية إلى بعض أمراء الجند ٢- جواز مفاداة الرجل المسلم بالمرأة الكافرة

ت	اسم السرية	أمير السرية وهل هو مهاجري أو أنصاري	المكان الذي توجهت إليه السرية	تاريخ خروج السرية الهجري	الأحكام الفقهية في السرية
٢٧	سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه	عمر بن الخطاب رضي الله عنه مهاجري	تربة	شعبان من السنة السابعة	١- جواز القتال في الأشهر الحرم ٢- جواز الاستيلاء على أموال الحربيين
٢٨	سرية بشير بن سعد رضي الله عنه	بشير بن سعد رضي الله عنه أنصاري	بنو مرة بفدك		
٢٩	سرية غالب بن عبدالله الليثي	غالب بن عبدالله الليثي رضي الله عنه أنصاري	الحرقة من جهينة	شعبان من السنة السابعة	١- تحريم قتل الكافر إن قال لا إله إلا الله ٢- استعمال الشعار في الحرب ٣- جواز التكبير في الحرب
٣٠	سرية بشير بن سعد	بشير بن سعد رضي الله عنه أنصاري	الجناب	رمضان من السنة السابعة	جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة الإسلامية من غير إنذار بالإغارة
٣١	سرية الأخرم ابن أبي العوجة رضي الله عنه	الأخرم بن أبي العوجة رضي الله عنه أنصاري	بنو سليم	ذو الحجة من السنة السابعة	جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة الإسلامية من غير إنذار بالإغارة
٣٢	سرية غالب بن عبدالله الليثي رضي الله عنه	غالب بن عبدالله الليثي رضي الله عنه أنصاري	بنو الملوح بالكديد	صفر من السنة الثامنة	
٣٣	سرية شجاع بن وهب رضي الله عنه	شجاع بن وهب رضي الله عنه مهاجري	السي	ربيع الأول من السنة الثامنة	جواز الإغارة على من بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم
٣٤	سرية كعب بن عمير رضي الله عنه	كعب بن عمير رضي الله عنه أنصاري	ذات أطلاح	ربيع الأول من السنة الثامنة	
٣٥	سرية أبي حدرد الأسلمي رضي الله عنه	أبو حدرد الأسلمي رضي الله عنه أنصاري	الغابة	السنة الثامنة	١- جواز الإغارة على من بلغته دعوة النبي ﷺ ٢- جواز حمل الرؤوس إلى الولاة ٣- جواز النفل من الأمير إلى الجند
٣٦	سرية أبي قتادة رضي الله عنه	أبو قتادة رضي الله عنه أنصاري	إضم	رمضان من السنة الثامنة	المسلم إذا لقي الكافر فإن قال سلام عليكم فلا ينبغي أن يقتل حتى يعلم ما وراء هذا لأنه موضع إشكال
٣٧	سرية عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه	عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه أنصاري	أطراف المدينة	السنة الثامنة	وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية

ت	اسم السرية	أمير السرية وهل هو مهاجري أو أنصاري	المكان الذي توجهت إليه السرية	تاريخ خروج السرية الهجري	الأحكام الفقهية في السرية
٣٨	سرية مؤتة	زيد ، جعفر ، ابن رواحة ، خالد ﵃ مهاجرون إلا ابن رواحة	مؤتة	جمادى الأولى من السنة الثامنة	جواز تعليق الإمارة بشروط وتولية عدة أمراء بالترتيب.
٣٩	سرية عمرو بن العاص﵁	عمرو بن العاص ﵁ مهاجري	ذات السلاسل	جمادى الآخرة من السنة الثامنة	١- جواز إمامة المتيمم للمتطهرين بالماء ٢- جواز تأمير المفضول على الفاضل ٣- جواز الاجتهاد في الوقائع في حياة النبي ﷺ
٤٠	سرية أبي عبيدة بن الجراح﵁	أبو عبيدة بن الجراح ﵁ مهاجري	ذات السلاسل	رجب من السنة الثامنة	جواز أكل ميتة البحر
٤١	سرية خالد بن الوليد﵁	خالد بن الوليد ﵁ مهاجري	صنم العزى	رمضان من السنة الثامنة	هذه السرايا جميعها خرجت لهدم الأصنام ملحوظة: تم إضافة السرايا من السنة العاشرة والسنة الحادية عشرة مع السنة الثامنة من أجل توحيد السرايا لاجتماعها في الحكم
٤٢	سرية عمرو بن العاص﵁	عمرو بن العاص ﵁ مهاجري	صنم سواع	رمضان من السنة الثامنة	
٤٣	سرية سعد بن زيد الأشهاني﵁	سعد بن زيد الأشهاني ﵁ أنصاري	صنم مناة	السنة الثامنة	
٤٤	سرية الطفيل بن عمرو الدوسي﵁	الطفيل بن عمرو الدوسي ﵁ مهاجري	صنم ذي الكفين	شوال من السنة الثامنة	
٤٥	سرية علي بن أبي طالب﵁	علي بن أبي طالب ﵁ مهاجري	صنم طيء	السنة الثامنة	
٤٦	سرية أبي سفيان والمغيرة بن شعبة ﵄	أبو سفيان بن حرب ﵁ مهاجري	صنم اللات	رمضان من السنة العاشرة	
٤٧	سرية جرير بن عبدالله البجلي	جرير بن عبدالله البجلي﵁ مهاجري	صنم ذي الخلصة	صفر من السنة الحادية عشرة	
٤٨	سرية الوليد بن عقبة بن معيط﵁	الوليد بن عقبة بن معيط﵁ مهاجري	إلى بني المصطلق	السنة الثامنة	التبين والتثبت من خبر الفاسق

ت	اسم السرية	أمير السرية وهل هو مهاجري أو أنصاري	المكان الذي توجهت إليه السرية	تاريخ خروج السرية الهجري	الأحكام الفقهية في السرية
٤٩	سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه	خالد بن الوليد رضي الله عنه مهاجري	إلى بني جذيمة	شوال من السنة الثامنة	١- عدم جواز قتل الكفار إذا قالوا صبأنا ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ٢- تحريم سب الصحابة
٥٠	سرية عيينة بن حصن الفزاري رضي الله عنه	عيينة بن حصن الفزاري رضي الله عنه **مهاجري**	إلى بني تميم	المحرم من السنة التاسعة	١- جواز القتال في الأشهر الحرم ٢- جواز إنزال المشرك في المسجد
٥١	سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه	خالد بن الوليد رضي الله عنه **مهاجري**	أكيدر دومة	السنة التاسعة	أخذ الجزية من العربي غير المسلم
٥٢	سرية قطبة بن عامر رضي الله عنه	قطبة بن عامر رضي الله عنه **أنصاري**	إلى خثعم	صفر من السنة التاسعة	جواز الإغارة على من بلغتهم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم من غير إنذار سابق
٥٣	سرية الضحاك بن سفيان الكلابي رضي الله عنه	الضحاك بن سفيان الكلابي رضي الله عنه **أنصاري**	إلى بني كلب	ربيع الأول من السنة التاسعة	
٥٤	سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه	علي بن أبي طالب رضي الله عنه **مهاجري**	إلى اليمن	رمضان من السنة العاشرة	
٥٥	سرية أسامة بن زيد رضي الله عنه	أسامة بن زيد رضي الله عنه **مهاجري**	إلى فلسطين	صفر من السنة الحادية عشرة	١- لا مفاضلة في الإسلام إلا بالعمل الصالح ٢- جواز إمارة العتيق وتقديمه على غيره ٣- جواز تأمير المفضول على الفاضل

المجموع: (٥٥) سرية، ثلاثون منها أمراؤها من المهاجرين، وأربع وعشرون أمراؤها من الأنصار، أما مؤتة فثلاثة من امرائها من المهاجرين وهم: (زيد وجعفر وخالد)، وأما الرابع فهو من الأنصار وهو عبدالله بن رواحة.

12. أول تحرك عسكري لحماية المدينة: سرية حمزة رضي الله عنه

في شهر رمضان –وعلى رأس سبعة أشهر من الهجرة– عقد صل الله عليه وسلم أول لواء لعمه الحمزة رضي الله عنه، في أول سرية من ثلاثين رجلاً فبلغوا ساحل البحر من ناحية العيص يعترضون عيراً لقريش قد جاءت من الشام تريد مكة، فيها أبو جهل في ثلاثمائة راكب، فالتقوا واصطفوا للقتال، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني حتى انصرف الفريقان بغير قتال، وعاد حمزة رضي الله عنه بمن معه إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما حجز بينهم مجدي، وأنهم رأوا منه نصفة –إنصافاً.

وقدم رهط مجدي على النبي صل الله عليه وسلم فكساهم وذكر مجدي بن عمرو فقال: إنه ميمون النقيبة، مبارك الأمر، أو قال: رشيد الأمر. وكان لواء حمزة رضي الله عنه أبيض يحمله أبو مرثد.

سرية عبيدة بن الحارث رضي الله عنه

في شوال من السنة الأولى عقد لواءاً أبيض لعبيدة بن الحارث بن المطلب ابن عم حمزة رضي الله عنهما في ستين راكباً وقيل: ثمانين كلهم من المهاجرين وحمل اللواء مسطح بن أثاثة ليعترضوا عيراً لقريش فيها مئتا راكب، فالتقوا على ماء يقال له: أحياء من بطن رابغ، فتراموا بالنبل ساعة وقد نثر كنانته سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وتقدم أمام أصحابه فرمى بما في كنانته، وكان فيها عشرون سهماً، ما خاب منها سهم إلا ما يجرح إنساناً أو دابة، فكان أول من رمى بسهم في الإسلام، ولم يكن بينهم إلا الترامي بالنبل ولم يسلوا سيفاً، ثم انصرف كل منهما، وفر يومئذ من الكفار إلى المسلمين: المقداد بن الأسود الكندي[1]، وعتبة بن غزوان رضي الله عنهم.

سرية سعد بن أبي وقاص للخرار

ثم عقد صل الله عليه وسلم لواءاً لسعد بن أبي وقاص إلى الخرار[2] حمله المقداد بن الاسود في عشرين أو أحد وعشرين رجلاً من المهاجرين رضي الله عنهم على أقدامهم، فكانوا يسيروا بالليل ويكمنون النهار حتى صبحوا صبح خمس الخرار من الجحفة يريدون عير قريش ففاتتهم. وقد جعل الواقدي هذه السرايا في السنة الأولى وجعلها ابن اسحق في السنة الثانية.

(1) المقداد بن عمرو، ويعرف بأبن الأسود، الكندي البهراني الحضرميّ، أبو معبد، أو أبو عمرو :صحابي، من الأبطال, هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله.

(2) الخرار: موضع بناحية المدينة.

السنة الثانية للهجرة: غزوة ودان (الأبواء)

ثم غزا رسول الله صل الله عليه وسلم ودان[1] فخرج في صفر يعترض عيراً لقريش، وقيل: خرج في ربيع الأول، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه فبلغ الأبواء فلم يلق كيداً، فوادع بني ضمرة بن بكر مع سيدهم مخشى بن عمرو على ألا يكثروا عليه ولا يعينوا عليه أحداً، وكتب بينه وبينهم كتاباً ورجع، فكانت غيبته خمس عشرة ليلة ويقال لهذه الغزوة أيضاً: غزوة الأبواء. وهي أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه. وكان اللواء أبيض وحمله حمزة رضي الله عنه.

غزوة بواط وغزوة العشيرة وغزوة سفوان (بدر الأولى)

ثم كانت غزوة بواط من ناحية رضوى على رأس ثلاثة عشر من الهجرة، فخرج صل الله عليه وسلم يعترض عيراً لقريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش، وألفان وخمسمئة بعير، وخرج معه صل الله عليه وسلم مئتان من الصحابة، وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ، وقيل السائب بن عثمان بن مظعون رضي الله عنهم جميعا، ورجع الرسول ﷺ ولم يلق كيداً، لأن العير كانت قد فاتته، وذلك لما كانت تحذر قريش خوفاً على عيرها من المسلمين.

ثم كانت غزوة العشيرة، خرج ﷺ في جمادى الآخرة يتعرض عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام ومعه مئة وخمسون من أصحابه، ويقال معه مئتا رجل يعتقبون[2] ثلاثين بعيراً، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبدالأسد، وحمل اللواء حمزة رضي الله عنه. وكان قد جاءه ﷺ الخبر بفصول العير من مكة تريد الشام، قد جمعت قريش أموالها في تلك العير.

فسار الرسول ﷺ حتى بلغ ذا العشيرة ببطن ينبع, فأقام بقية الشهر وليال مما بعده، وصالح بين مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ورجع ولم يلق كيداً، وهذه العير هي التي خرج في طلبها لما عادت من الشام، وكانت وقعة بدر. وبعد رجوعه ﷺ من العشيرة بقليل أغار على سرح المدينة كرز بن جابر الفهري، فخرج ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر فلم يدركه، وهذه يقال لها: بدر الأولى، وكان يحمل اللواء علي كرم الله وجهه واستخلف على المدينة زيد بن حارثة رضي الله عنه.

(1) هو جبل بين مكة والمدينة.
(2) يتناوبون في ركوبها.

سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة

وفي رجب من السنة الثانية للهجرة دعا النبي ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب حين صلى العشاء فقال: وافيت الصبح معك سلاحك أبعثك وجهاً. قال: وافيت الصبح عليَّ سيفي وقوسي وجعبتي[1] فصلى النبي ﷺ الصبح بالناس ثم انصرف، فيجدني قد سبقت واقفاً عند بابه، وأجد نفراً من قريش، فدعا رسول الله ﷺ أبي بن كعب فدخل عليه فأمره فكتب كتاباً ثم دعاني فأعطاني الكتاب وقال: قد استعملتك على هؤلاء النفر، فأمض حتى إذا سرت ليلتين فانشر كتابي ثم امض لما فيه. قلت: يا رسول الله أي ناحية؟ قال: اسلك النجدية تؤم ركبة، فانطلق عبد الله في ثمانية وقيل: اثني عشر من المهاجرين كل إثنين يتعاقبان بعيراً حتى إذا كان ببئر ابن ضميرة نشر الكتاب فإذا فيه: سر حتى تأتي بطن نخلة[2] على اسم الله وبركاته، لا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك، وأمض لأمري فيمن تبعك (حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركاته) فترصد بها عير قريش[3]، فلما قرأه عليهم قالوا أجمعين: نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك فسر على بركة الله، فسار حتى جاء نخلة فوجد عيراً لقريش فيها عمرو بن الحضرمي، والحكم بن كيسان، وعثمان بن عبدالله المخزومي وأخيه نوفل، فهابهم أصحاب العير وأنكروا أمرهم، وكانت العير تحمل خمراً وأدماً وزبيباً جاؤوا به من الطائف.

فأراد عكاشة بن محصن رضي الله عنه أن يطمئن القوم ويوهمهم بأنه هو وأصحابه عماراً (معتمرين)، فحلق رأسه، فقال المشركون: لا بأس قوم عمار فأمنوا وقيدوا ركابهم وسرحوها.

وهنا احتار المسلمون في أمرهم وتشاوروا فيما يفعلونه، وكان آخر يوم من رجب، فقالوا: إن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام، ولئن تركتموهن إلى غد فسيدخلن الحرم فيمتنعون به منكم[4] وترددوا قليلاً ثم اتفقوا على اقتحامهم وقتالهم، فرمى واقد بن عبد الله الحضرمي فقتله، ثم شدوا عليهم فأسروا عثمان بن عبدالله المخزومي، والحكم بن كيسان –فأسلم بعد– وهرب نوفل بن عبدالله بن المغيرة، واستاقوا العير حتى قدموا على النبي ﷺ فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام, فسقط في أيديهم وظنوا أن قد هلكوا. وبعثت قريش إلى النبي ﷺ في فداء الأسيرين فقال: لن نفديهما حتى يقدم صاحبانا، وكان سعد

---

(1) الجعبة وعاء من جلد يضعون فيه النبل.

(2) موقع قرب مكة عند حدود الحرم من جهة الشرق الشمالي.

(3) وفي رواية: ارصد لنا قريشاً واعلم أخبارهم.

(4) كانت العرب لا تقاتل في الأشهر الحرم، ولا تقتل أحداً داخل حدود الحرم.

بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان في السرية وضاعت بعيرهما في بحران فلم يحضرا نخلة، وبقيا يومين يبغيان بعيرهما، ثم قدما المدينة ففادى رسول الله ﷺ حينئذ الأسيرين بأربعين أوقية عن كل واحد.

وكان عبد الله بن جحش رضي الله عنه قد قسم ما غنم في رجوعه من نخلة أخماساً، فعزل الخمس لرسول الله ﷺ وقسم الأربعة أخماس بين أصحابه، فكان ذلك أول غنيمة في الإسلام وأول خمس وأول قتل، وأول أسر في هذه السرية المباركة.

وأكثرت قريش القول في هذه القضية، وقالوا: إن محمداً استحل الشهر الحرام، وأشاعت ذلك بين القبائل العربية، ودخل بعض الشك على المسلمين حتى أنزل الله عز وجل: (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله ... وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)[1]. وفي نزول هذه الآية فرج الله عن المسلمين وأزال عنهم الشكوك والهواجس التي ساورتهم، وفرحوا بها واستبشروا.

---

(1) سورة البقرة آية 217.

الجزء الخامس
غزوة بدر

1. تحويل القبلة وفرض العبادات: الصيام والزكاة والاذان

في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة حولت القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، وكان النبي عليه الصلاة والسلام جعل قبلته بعد الهجرة إلى بيت المقدس –المسجد الأقصى–.

وروى أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر في مسجد بني سلمة، وقد صلى ﷺ بأصحابه ركعتين، فأمر بالتحويل وهو يصلي بقوله تعالى: (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ... وما الله بغافل عما يعملون)[1]، فتحول ﷺ في صلاته واستقبل الكعبة، فسمي: مسجد القبلتين. وكان صل الله عليه وسلم يحب أن تكون قبلته الكعبة، يقلب وجهه في السماء داعياً إلى الله بذلك، فقبل الله دعاءه وما يحب وأمره بالتحول إلى المسجد الحرام دليل آخر من ضمن ادلة تزاحمت على مكانة المصطفى عليه الصلاة والسلام عند ربه عز وجل، وكانت هذه الحادثة سبباً لإفتتان بعض المسلمين من ضعيفي الإيمان, كما أكثر اليهود من التنديد على الإسلام بهذا التحويل.

وفي شعبان أيضاً من السنة الثانية من الهجرة أوجب الله صوم شهر رمضان على الأمة الإسلامية، وكان الرسول ﷺ يصوم قبل ذلك: ثلاثة أيام من كل شهر. أن الصيام من أركان هذا الدين وفيه من المنافع الحسية والمعنوية ما لا يحصى منها: أن الغني يشعر بمعاناة الفقير واحتياجاته، فإذا ذاق ألم الجوع وشدة العطش لانت نفسه وصفا قلبه، وتهذب خلقه وعطف على الضعفاء والمساكين، وقد فرض الله تعالى صدقة الفطر على كل مستطيع عوناً للفقير والمحتاج إلى غير ذلك من الحكم.

وفي هذه السنة أيضاً فرض الله على ذوي الأموال زكاة أموالهم: من الذهب والفضة، أي النقود حيث هي والمواشي بأنواعها من الإبل والبقر والغنم وغيرها. ومن المزروعات: الحبوب بأنواعها، ومن الثمار: التمر والزبيب وغيره، ولكل صنف من هذه الأموال نصاب معلوم وتفصيل ذلك تجده في كتب الفقه الإسلامي. الزكاة هي النظام الوحيد والقانون السماوي الذي خص الله به هذا الدين العظيم الذي جعل للفقراء حقاً في أموال الأغنياء بلا فضل من هؤلاء ولا منة. لأن الله جلت حكمته لما أعطى المال للغني أعلمه بأن هذا المال فيه حق لأخيه الفقير، وهو جزء يسير ويسهل على النفس الشحيحة دفعه وقدره: اثنان ونصف بالمائة من الأموال النقدية وعشرة بالمائة عن المزروعات والثمار، وفي المواشي تفصيل ومقادير تختلف حسب أنواعها وأسنانها.

---

(1) سورة البقرة آية 144.

أن في إخراج هذا الجزء اليسير من مال الغني سد لعوز الفقير والعاجز والأرملة واليتيم، وإذا أخرج الغني ما عليه من الزكاة فإن الله سيخلف عليه ما أنفق أضعافاً مضاعفة في الدنيا، وله في الآخرة أجر عظيم، والزكاة ركن من أركان الدين الإسلامي، وقد جمع الله في القرآن الكريم بين الصلاة والزكاة وقرنهما في آيات كثيرة، وقلما ذكر الصلاة في آية إلا وأتبعها بالزكاة، وهي آيات كثيرة منها قال تعالى: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل ... وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون)[1]، وقد بين الله لنا بأن المن يؤذي الفقير، ويبطل الصدقات، فيذهب ثوابها هباءاً فقال تعالى: (يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ...والله لا يهدي القوم الكافرين)[2]، ثم بين عز وجل الذين ينفقون أموالهم بصدق وإخلاص فقال: (ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير)[3]. ثم أمرنا الله بأن ننفق من طيبات أموالنا، ونهانا عن إخراج الرديء والخبيث فقال تعالى: (يا أيها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا من الارض ... واعلموا ان الله غني حميد)[4]. ثم حض الله تعالى على إخفاء الصدقة حين العطاء كي لا يستحي الفقير المتعفف، إذ ربما كان فقير اليد ولكنه غني القلب عزيز النفس فيؤلمه العطاء، ويعذب قلبه وضميره، إذا كان العطاء علانية، فقال تعالى: (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراءفهو خير لكم ويكفر عنكم سيئاتكم والله بما تعملون خبير)[5] ثم وصف لنا الله عز وجل جماعة من الناس بأنهم هم الذين يستحقون العطاء، وإن لهم حق الأفضلية على غيرهم فقال سبحانه: (للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم)[6].

ثم ذكر الله لنا جماعة وفقهم للعطاء، وحببه إليهم، فجعلوا ينفقون أموالهم بغير حساب، بالليل والنهار، سراً وعلانية، ولا تزال طائفة منهم والحمد لله بين أظهرنا لا يردون سائلاً، ولا يخيبون قاصداً، ينفقون ما عندهم حتى إذا نفذ ما عندهم استدانوا وأنفقوا، فإنهم يعتقدون بأنهم وأموالهم ملكاً لله تعالى، وأن الفضل

(1) سورة البقرة آية 83.
(2) سورة البقرة آية 264.
(3) سورة البقرة آية 265.
(4) سورة البقرة آية 267.
(5) سورة البقرة آية 271.
(6) سورة البقرة آية 273.

لله الذي وفقهم بإنفاق ماله، وجعلهم واسطة خير بينه وبين عباده الفقراء، ففي هؤلاء يقول عز وجل (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[1].

خبر الأذان

ولما اطمأن رسول الله صل الله عليه وسلم بالمدينة واجتمع إليه أصحابه من المهاجرين والأنصار، وقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام، وكانوا يأتون إلى الصلاة لحين مواقيتها، فكان بعضهم تفوته صلاة الجماعة لسبب ما، إما أن يشغله عمل أو نوم أو غير ذلك، وكانوا يحرصون على صلاة الجماعة لما لها من فضل ومزايا، والاقتداء بالرسول ﷺ ومشاهدته ومن مزايا صلاة الجماعة: الألفة والمحبة، وتقوية الرابطة الإسلامية، وتعويد النظام والطاعة للقائد –وهو الإمام– إلى غير ذلك.

إذاً فلابد من عمل ينبه الغافل، ويذكر الساهي، ويوقظ النائم، ليكون الاجتماع عاماً، فتشاور النبي ﷺ مع أصحابه فيما يفعلون لذلك فقال بعضهم: نرفع راية إذا حان وقت الصلاة ليراها الناس، فلم يرضوا بذلك لأنها لا تفيد النائم ولا الغافل، وقال آخرون: نشعل ناراً على مرتفع من الهضاب فلم يقبل أيضاً، وأشار البعض ببوق، وهو ما كانت تستعمله اليهود لصلاتهم فكرهه ﷺ، وأشاروا بالناقوس الذي تستعمله النصارى فكرهه أيضاً –لأن الرسول ﷺ لا يحب تقليد اليهود ولا النصارى– وأشار بعضهم بالنداء، فيقول أحدهم إذا حان الوقت فينادي بها. فقبل هذا الرأي، فبينما هو على ذلك إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة، وهو بين النائم واليقظان رأى النداء –الأذان– فأتى النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله إنه طاف بي هذه الليلة طائف، ومر بي رجل عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوساً في يده، فقلت له: أتبيع هذا الناقوس يا عبدالله؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو إلى الصلاة. قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ قلت: وما هو؟ قال تقول: "الله أكبر الله أكبر, أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله, حي على الصلاة حي على الصلاة، حي على الفلاح حي على الفلاح, الله أكبر الله أكبر, لا إله إلا الله"، فلما أخبر بها النبي ﷺ قال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها، فإنه أندى صوتاً منك. فلما أذن بها بلال سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته، فخرج إلى المسجد وهو يجر رداءه، ويقول: يا نبي الله، والذي بعثك لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال ﷺ: فلله الحمد على ذلك.

---

(1) سورة البقرة آية 274.

2. غزوة بدر الكبرى

غزوة بدر الكبرى هي أول غزوة التقى فيها جيش المسلمين بجيش المشركين، وهي الوقعة العظيمة التي فرق الله تعالى فيها الحق والباطل، وأعز الله فيها الإسلام وأهله، وأذل الكفر وأهله، وقد سماها الله تعالى بالفرقان بقوله تعالى: (... وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير)[1] وقوله عز وجل (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)[2].

حصلت في 17 رمضان من السنة الثانية للهجرة، وبدر: هي بلدة بالحجاز إلى الطرف الشرقي من ساحل البحر الأحمر، وبينهما نحو مرحلة، وهي في سهل يليه من الشمال إلى الشرق جبال وعرة ومن الجنوب آكام صخرية ومن الغرب كثبان رملية. وكانت بدر موسماً من مواسم العرب تجتمع لهم بها سوق كل عام –مثل سوق عكاظ وغيرها من الأسواق الموسمية– وهي غرب المدينة المنورة إلى الجنوب, كما هي في المخططات والصور.



موقع غزوة بدر ومخططاتها التي تبين تحركات جيش المسلمين (من المدينة) وقافلة أبو سفيان (من الشام) وجيش قريش (من مكة)

---

(1) سورة الأنفال آية 41.

(2) سورة الاسراء اية 81.

3. أسباب غزوة بدر ونجاة العير وانسحاب الأخنس سيد بني زهرة وقومه

لم يكتفي كفار قريش بمضايقة المسلمين وبمطاردتهم وإذائهم أشد الاذي بل وتم مصادرة أملاكهم والتخطيط لايذائهم أين ما كانوا فلما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة، فيها أموال وتجارة لقريش، فندب المسلمين إليهم وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم فأخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها[1]. فأنتدب الناس بعض لها، وذلك أنهم لن يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً. وكان أبو سفيان حين قرب من أرض الحجاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً من أن يعترضه المسلمون، حتى بلغه من بعض الركبان أن محمداً أستنفر أصحابه له وللعير، فتخوف من ذلك. واستأجر أعرابياً يقال له: ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه. فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة، فلما دنا من مكة جدع بعيره، وحول رحله، وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث. وتجهز الرجال إما خارج بنفسه، أو باعث مكانه رجلاً، ولما فرغوا من جهازهم خرجوا سراعاً.

وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه رضي الله عنهم جميعا واستعمل عمرو بن أم مكتوم على الصلاة بالناس، واستعمل أبا لبابة بن الروحاء على المدينة، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير وكان اللواء أبيض، وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان، أحدهما مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقال لها: العقاب، والأخرى مع بعض الأنصار، وكانت إبل المسلمين سبعين بعيراً يتعقبونها، كل اثنين أو ثلاثة أو أكثر يتعقبون البعير الواحد، ومعهم فرسان، وسلك طريقه من المدينة على العقيق حتى إذا كانوا بعرق الظبية لقوا رجلاً من الأعراب فسألوه فلم يجدوا عنده خبراً، ونزل رسول الله ﷺ بئر الروحاء، ثم ارتحل منها حتى إذا كان بالمنصرف[2]، فلما قرب من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهني وعدي بن أبي الزغباء الجهني إلى بدر يتحسسان له الأخبار عن أبي سفيان وعيره.

أما أبو سفيان لما بلغه خروج المسلمين له جعل يسير متيقظاً خائفاً، حتى إذا دنا من بدر ضرب نحو اليمين وخلى بدراً يساره فأخذ بالساحل حتى ابتعد عن المسلمين ونجا بالعير، وأرسل إلى قريش قيس بن امرؤ القيس يبشرهم بنجاة العير، ويقول لهم: ارجعوا فلا تجزروا أنفسكم أهل يثرب، إنما خرجتم

---

(1) ينفلكموها: أي تغنموها والأنفال: الغنيمة.

(2) (اسم موقع) سلك ذات اليمين يريد بدراً.

لتمنعوا عيركم وأموالكم وقد نجاها الله، فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك. وأراد أكثر القوم الرجوع سوى أبي جهل، فإنه لا زال مصراً على عناده وقال: والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم ثلاثاً، ننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، فلن تزال العرب تهابنا أبداً. ثم عاد قيس إلى أبي سفيان فأخبره بمضي قريش. فقال: واقوماه هذا والله عمل عمرو بن هشام –يعني أبا جهل– كره أن يرجع لأنه ترأس على الناس فبغى، والبغي منقصة وشؤم، إن أصاب محمد النفير ذللنا.

وجاء الأخنس رئيس بني زهرة وأسمه: أبيّ بن شريق وقد خلا بأبي جهل فقال: يا أبا الحكم، أترى محمد يكذب؟ فقال أبو جهل: كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الأمين لأنه ما كذب قط، ولكن إذا كانت في بني عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة، ثم تكون فيهم النبوة فأي شيء بقي لنا؟[1] فحينئذ انخنس[2] أبي بقومه بني زهرة، ولذلك سمي الأخنس، ويقال بأن بني زهرة كانوا ثلاثمائة رجل.

4. استشارة النبي ﷺ لأصحابه والاستخبارات العسكرية وخبر سقاة قريش

وأما رسول الله صل الله عليه وسلم فقد أتاه الخبر بمسير قريش ليمنعوا عيرهم فأستشار الناس وأخبرهم عن قريش وزحفهم للحرب. فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو –من المهاجرين– فقال: يا رسول الله امض لأمر الله فنحن معك، والله ما نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لنبيها: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد(3) لسرنا معك. فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له. ثم قال: أشيروا علي أيها الناس(4). فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله! قال: أجل، قال: أنا أجيب عن الأنصار إنا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فأمض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي منا رجل واحد. وصل من شئت واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة

(1) ابن القيم: هداية الحيارى ص50.

(2) انسحب ورجع.

(3) برك الغماد: موضع بأقصى اليمن.

(4) وكان يريد ﷺ بذلك الأنصار لأنهم اشترطوا له يوم بايعوه أن يمنعوه مما يمنعوا منه أبناءهم ونساءهم أي داخل المدينة، وأراد أن يتأكد من موافقتهم لخارج المدينة المنورة.

الله. فسر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين –العير أو النفير– والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم.

ثم نزل رسول الله ﷺ قريباً من بدر، فركب مع أحد أصحابه يستطلع الأخبار، فلقي شيخاً من العرب –هو سفيان الضمري– فقال رسول الله ﷺ: من الرجل؟ قال: بل من أنتم؟ قال ﷺ: فأخبرنا نخبرك. قال: وذاك بذاك؟ قال: نعم. قال: فسلوا ما شئتم؟ فقال رسول الله ﷺ: أخبرنا عن قريش. قال: بلغني أنهم خرجوا يوم كذا وكذا من مكة، فإن كان الذي أخبرني صادقاً فهم بجانب هذا الوادي. قال ﷺ: أخبرنا عن محمد وأصحابه. قال: خبرت أنهم خرجوا من يثرب يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صادقاً فهم بجانب هذا الوادي –وأشار إلى الجانب الآخر– ثم قال الضمري: فمن أنتم؟ قال النبي ﷺ: نحن من ماء وأشار بيده نحو العراق. فقال: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟ ثم انصرف ﷺ ورجع إلى أصحابه.

لقد تحاذى جيش المسلمين وجيش قريش وقافلة أبوسفيان في مدار واحد دون أن يعلموا ذلك وكانوا قريبين من بعضهم البعض يفصل بينهم تضاريس جبلية وترابية بسيطة وهم لا يعلمون مصداقا لقوله تعالى: (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لأختلفتم بالميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم)[1].

فلما أمسى ﷺ بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه رضي الله عنهم إلى ماء بدر يلتمسون الخبر عليه، فأصابوا سقاة قريش فيها أسلم غلام بني الحجاج، وعريض –أبويسار– غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما، فلما أجهدوهما ضرباً قالا: نحن لأبي سفيان فتركوهما. فلما سلم ﷺ من صلاته قال: إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش. ثم قال لهما: أخبراني عن قريش، قالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، فقال لهما: كم القوم؟ قالا: لا ندري. قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. فقال ﷺ: القوم فيما بين التسعمائة والألف. ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البحتري بمن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وعمرو بن هشام –أبو جهل– حتى ذكرا جميع من حضر من رؤساء قريش. فأقبل ﷺ على الناس فقال: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها.

---

(1) سورة الانفال اية 42.

5. تحديد مواقع جيش المسلمين ونزول المطر

فخرج الرسول ﷺ حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به، فقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل، فأنهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءاً، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي فنهض رسول الله ﷺ بأصحابه فنزل على أدنى ماء من القوم، ثم أمر بالقلب فغورت، وبنوا حوضاً على القليب الذي نزلوا عليه، فملئ ماءاً.



مواقع جيش المسلمين والكفار

وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً[1] تكون فيه، ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على

(1) العريش: هو خيمة صغيرة من أغصان الشجر والنبات.

ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حباً منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك. يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير، ثم بنى له عريش من جريد النخل فكان فيه.

وأرسل الله السماء فأصاب المسلمين ما لبد الأرض[1] ولم يمنع السير، وأصاب المشركين من ذلك ما لم يقدروا أن يرتحلوا منه من شدة الوحل، وكان مجيء المطر نعمة وقوة للمؤمنين، وبلاءاً ونقمة على المشركين. وأصاب المسلمين تلك الليلة نعاس وألقى عليهم فناموا حتى إن أحدهم ما يشعر حتى يقع على جنبه, فما أعظمها من ليلة مصداقا لقول الله تعالى (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماءا ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام)[2].

6. الصف والتهيؤ للقتال

وأصبح رسول الله ﷺ ببدر يوم الجمعة السابع عشر من رمضان قبل أن تنزل قريش، فأقبلت قريش وهو يصفهم، ودفع رايته إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه فتقدم حيث أمره النبي ﷺ أن يضعها، ووقف ﷺ ينظر إلى الصفوف فأستقبل الغرب وجعل الشمس خلفه، وأقبل المشركون فأستقبلوا المشرق فكانت الشمس في وجوههم. فنظر ﷺ إلى قريش وقال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها، وفخرها، تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني. اللهم أحنهم[3] الغداة.

وبعثت قريش عمير بن وهب الجمحي ليحذر المسلمين، فلما لم ير لهم مدداً ولا كميناً. رجع فقال: القوم ثلاثمائة إن زادوا زادوا قليلاً، معهم سبعون بعيراً وفرسان، ثم قال: يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب[4] تحمل الموت الناقع، قوم ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، ألا ترونهم خرساً لا يتكلمون، يتلمظون تلمظ الأفاعى، والله ما أرى أن يقتل منهم رجل حتى يقتل منكم رجلاً، فإذا أصابوا منكم مثل عددهم فما خير بالعيش بعد ذلك! قروا فيه رأيكم. فبعثوا أبا سلمة الجشمي فطاف على المسلمين بفرسه ثم رجع فقال: والله ما رأيت جلداً ولا عدداً ولا حلقة ولا كراعاً، ولكني رأيت قوماً لا

(1) تجمع المطر ورشها .
(2) الانفال اية 11.
(3) أحنهم: أي أهلكهم.
(4) نواضح: جمع ناضح وهو البعير الذي ينضح الماء للسقي.

يريدون أن يؤبوا إلى أهليهم! قوماً مستميتين ليست لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، زرق العيون. كأنها الحصى تحت الحجف، قروا فيه رأيكم.

فمشى حكيم بن حزام في الناس ليرجعوا فوافقه عتبة بن ربيعة، ورفض أبو جهل وذهب إلى عامر الحضرمي أخ المقتول بنخلة وحثه على أخذه بثأر أخيه، فقام عامر ثم حثى على نفسه التراب وصرخ: وا عمراه، فأفسد على الناس الرأي الذي رآه حكيم وعتبة ودعاهم إليه، ثم حرش بين الناس. ثم قام عامر الحضرمي وحمل على المسلمين فناوشهم وشبت الحرب، فخرج إليه مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقتله عامر، فكان مهجع أول من استشهد يوم بدر من المهاجرين، وأول شهيد قتل من الأنصار حارثة بن سراقة رضي الله عنه.

7. خطبته ﷺ يوم بدر وبدء الزحف والمبارزة

وخطب الرسول ﷺ يومئذ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه، وأنهاكم عما نهاكم عنه، فإن الله عظيم شأنه يأمر بالحق ويحب الصدق، ويعطي على الخير أهله على منازلهم عنده، به يذكرون، وبه يتفاضلون، وإنكم قد أصبحتم بمنزل الحق لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغي به وجه! وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم، وينجي به من الغم، وتدركون النجاة في الآخرة، فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم، فأستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شيء من أمركم يمقتكم عليه، فإن الله يقول: لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم، انظروا الذي أمركم به من كتابه، وأراكم من آياته، وأعزكم بعد ذلة، فأستمسكوا به يرضى به ربكم عنكم، وأبلوا ربكم في هذ الموطن أمراً تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته فإن وعده حق وقوله صدق، وعقابه شديد، وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم، إليه ألجأنا ظهورنا، وبه اعتصمنا، وعليه توكلنا، وإليه المصير، يغفر الله لي وللمسلمين.

ثم خرج من المشركين عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وأبنه الوليد، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال ﷺ: "يا بني هاشم، قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث به نبيكم، إذ جاؤوا بباطلهم ليطفؤوا نور الله"، فقام علي وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب رضي الله عنهم جميعا فمشوا إليهم، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: حمزة وعلي وعبيدة. قالوا: نعم، أكفاء كرام. فبارز عبيدة عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز علي الوليد بن عتبة. أما حمزة وعلي فلم يمهلا صاحبيهما أن قتلاه، وأما عبيدة فأختلف مع صاحبه عتبة بضربتين كلاهما

أثبت صاحبه جرحاً بليغاً، وكر حمزة وعلي على عتبة فأجهزا عليه وأحتملا عبيدة فحاذاه إلى أصحابه، ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم. وقال: إن اكتنفكم القوم فأنضحوهم عنكم بالنبل.

8. دخوله ﷺ العريش والاستغاثة بالله عز وجل ونزول الملائكة وبدأ القتال

ثم أتى صل الله عليه وسلم العريش فدخله ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ليس معه غيره، ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر، وفيما يقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد! وأبو بكر يقول: يا نبي الله، بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك. وقد خفق رسول الله ﷺ خفقة[1]–نومة– وهو في العريش ثم أنتبه فقال: أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثنايا النقع[2]. وقد أنزل الله في ذلك قوله تعالى: (إذ تستغيثون ربكم فأستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ... وما النصر الا من عند الله, ان الله عزيز حكيم)[3].

خبر عمير بن الحمام

ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش يحرض المؤمنين على القتال فقال: والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة. فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة، وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل رضي الله عنه.

وما رميت إذ رميت

ثم أخذ رسول الله ﷺ كفاً من حصى فاستقبل قريشا بها ثم قال: شاهت الوجوه، اللهم أرعب قلوبهم، وزلزل أقدامهم، ثم رماهم بها، فلم يبق رجل من المشركين إلا امتلأت عيناه! وأمر أصحابه فقال: شدوا. فكانت الهزيمة ولحقهم المسلمون يقتلون منهم ويأسرون مصداقا لقوله تعالى: (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم)[4].

وقاتل ﷺ بنفسه يوم بدر قتالاً شديداً وكذلك أبو بكر وأصحابه الكرام مما جعل للبدريين (لمن شارك في غزوة بدر) فضل كبير على سائر الصحابة رضي الله عنهم جميعا وقيل أن علي بن أبي طالب قد قتل

---

(1) الخفقة: النومة من قيام أو قعود بغير استلقاء.

(2) النقع : الغبار.

(3) سورة الأنفال آية 9–10.

(4) سورة الأنفال آية 17.

قرابة نصف قتلى الكفار في هذه الغزوة المبالركة, ولما أنهزم المشركون كان رسول الله ﷺ يتبعهم في أثرهم بالسيف مصلتاً يتلو قوله تعالى: (سيهزم الجمع ويولون الدبر)[1] والعجيب أن هذه الآيات نزلت بمكة وتحققت يوم بدر.

رسول الله ﷺ ينهى عن قتل المستكرهين

عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ: إني عرفت رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البحتري بن هشام فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبدالمطلب فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرهاً. ونهى عن قتل الحارث بن عامر بن نوفل فقتله خبيب بن يساف ولا يعرفه، ونهى عن قتل زمعة بن الأسود فقتله ثابت بن جذع ولا يعرفه، ونادى مناديه: من أسر منكم أم حكيم بن حزام فليخل سبيلها، فإن رسول الله ﷺ قد أمنها، وكان قد أسرها رجل من الأنصار وكتفها بذؤابتها فلما سمع المنادي خلى سبيلها.

9. قتلى كفار قريش

وقال رسول الله ﷺ: هذا جبريل يسوق الريح كأنه دحية الكلبي، وإني نصرت بالصبا[2]، وأهلكت عاد بالدبور[3] فعن حمزة بن صهيب قال: ما أدري كم يد مقطوعة، أو ضربة جائفة لم يدم كلمها يوم بدر قد رأيتها. وعن أبي بردة بن دينار قال: جئت يوم بدر بثلاثة رؤوس فوضعتهن بين يدي رسول الله صل الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله أما رأسان فقتلتهما، وأما الثالث فإني رأيت رجلاً أبيض طويلاً ضربه فتهدى أمامه فأخذت رأسه. فقال ﷺ: ذاك فلان من الملائكة.

أبي عبيدة بن الجراح يقتل أبيه

وفي يوم بدر قتل أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه أباه وكان مشركاً، وكان أبوه الجراح قد قصده ليقتله فولى عنه أبو عبيدة لينكف ويرجع فلم ينكف, وأراد قتل أبي عبيدة فرجع إليه أبو عبيدة فقتله[4] وكانت من المواقف الصعبة عليه رضي الله عنه لذلك فهو قائد عظيم من العشرة المبشرين بالجنة

(1) سورة القمر آية 45.
(2) الصبا: الريح التي نصرت اهل القبول.
(3) الدبور: الريح التي اهلكت قوم عاد.
(4) رواه الطبراني والحاكم والبيهقي.

ومن السابقين الاولين لقبة المصطفى ﷺ أمين الامة فقال: (ان لكل أمة أمينا وان أميننا أيتها الامة أبو عبيدة بن الجراح)[1].

مقتل رأس الكفر أمية بن خلف وابنه علي

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: لقيت أمية بن خلف وكان صديقاً لي في الجاهلية، ومعه ابنه علي بن أمية بن خلف آخذ بيده، وكان معي أدراع استلبتها من القوم، فلما رآني أمية ناداني بأسمي فقلت: نعم. قال: هل لك فيّ؟ فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك. أما لكم حاجة في اللبن[2]؟ قلت: نعم. فطرحت الأدراع من يدي وأخذت بيده ويد ابنه علي وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط. ثم قال: من الرجل المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قلت: ذلك حمزة بن عبدالمطلب. قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل. قال عبدالرحمن: ثم خرجت أمشي بهما، فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي، وكان هو الذي يعذب بلالاً عذابا شديدا بمكة ويفتنه عن دينه، فنادى بلال: يا أنصار رسول الله، هذا أمية بن خلف رأس الكفر, لا نجوت إن نجا. فقلت: يا بلال أبأسيري تفعل ذلك؟ قال: لا نجوت إن نجا فكررت وكرر ذلك، ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله "رأس الكفر" أمية بن خلف لا نجوت إن نجا. فأحاطوا بنا. وفي رواية البخاري: عن عبدالرحمن بن عوف أن بلالاً لما استصرخ الأنصار قال: خشيت أن يلحقونا فخلفت لهم أبنه لأشغلهم به، فقتلوه ثم أتونا حتى لحقوا بنا، وكان أمية رجلاً ثقيلاً فقلت: ابرك. فبرك فألقيت عليه نفسي لأمنعه، فتخللوه بالسيف من تحتي حتى قتلوه، فأصاب أحدهم رجلي بسيفه. والذي قتله مع بلال معاذ بن عفراء، وخارجة بن زيد، وحبيب بن إساف فإنهم اشتركوا في قتله، وأما ابنه علي فقتله عمار بن ياسر.

مقتل فرعون الامة أبي جهل

في صحيح مسلم عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وعن شمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار –معاذ بن عفراء وأخوه معوذ– حديثة أسنانهما[3]، فغمزني أحدهما سراً من صاحبه فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل بن هشام؟ فقلت: نعم، وما حاجتك به؟ قال: بلغني أنه كان يسب النبي ﷺ، والذي نفسي بيده إن رأيته لم يفارق سوادي سواده

(1) صحيح البخاري.
(2) يريد أن من أسرني أفتديت منه بإبل كثيرة اللبن.
(3) أي صغار بالسن.

حتى يموت الأعجل منا، ثم غمزني الآخر فقال لي مثلها سراً من صاحبه فعجبت من ذلك، فلم أنشب –ألبث– أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس[1]، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه، فأبتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه[2]، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، قال: هل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا، قال: فنظر في السيفين فقال: كلاهما قتله رضي الله عنهم جميعا.

خبر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

ولما أنقضى القتال وانهزم المشركون أمر رسول الله ﷺ بأبي جهل أن يلتمس في القتلى، فخرج الناس يلتمسونه وفيهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال ابن مسعود: فرأيت أبا جهل وهو بآخر رمق فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه وعلوت صدره –ليقطع رأسه– فقال لي: لقد إرتقيت يا رويعي الغنم مرتقاً صعباً، قال ابن مسعود: فضربته بسيفي لأحز رأسه فلم يغن عني شيئاً، فبصق في وجهي وقال: خذ سيفي واحتز به رأسي. وقال لابن مسعود: لم الدبرة اليوم –أي النصرة– لنا أم علينا؟ قلت: لله ولرسوله ﷺ. وروى أنه قال لابن مسعود: قل لمحمد ما زلت عدواً لي سائر الدهر، واليوم أشد عداوة. ولما أتى النبي ﷺ برأسه وأخبره بقوله، قال: كما أني أكرم النبيين على الله وأمتي أكرم الأمم على الله، كذلك فرعون هذه الأمة أشد وأغلظ من فراعنة سائر الأمم. إذ فرعون موسى حين أدركه الغرق قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين. وفرعون هذه الأمة ازداد عداوة وكفراً.

خبر أسر سهيل بن عمرو

وأسر سهيل بن عمرو، ففر بالروحاء من مالك بن الدخشم. فقال رسول الله ﷺ: من وجده –سهيل بن عمرو– فليقتله، فوجده النبي ﷺ فلم يقتله، وأمر فربطت يداه إلى عنقه ثم قرنه إلى راحلته. وقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أنزع ثنيته يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً –وكان خطيب قريش– فقال رسول الله ﷺ لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً، ولعله يقوم مقاماً لا تكرهه –وقد كان ذلك– يوم وفاة رسول الله ﷺ كما سيأتي.

---

(1) يزول في الناس: أي يتحول من مكان إلى مكان.

(2) إنه لم يمت ولكنه وقع ولم يزل به رمق.

طرح جيف القتلى في القليب

وأمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب فطرحوا، إلا ما كان من رأس الكفر أمية بن خلف فإنه انتفخ وتساقط لحمه فألقوا عليه من التراب والحجارة ما غيبته.

ثم وقف صل الله عليه وسلم فناداهم: يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، يا أبا جهل بن هشام، – فعدد من كان منهم في القليب– هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً! بئس القوم كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس، فقال المسلمون: يا رسول الله أتنادي قوماً قد جيفوا؟ فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني.

10. بشارة المسلمين بالنصر وقتلى المشركين واسراهم

ثم بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية من المدينة بما فتح الله على رسوله وعلى المؤمنين، وبعث أسامة بن زيد بشيراً إلى أهل السافلة. ثم أقبل قافلاً إلى المدينة ومعه الأسرى من المشركين والغنائم التي أصابوها من المشركين، وجعل على الغنائم عبد الله ابن كعب بن عمرو الانصاري، ثم سار ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية، فقسم هنالك الغنائم الذي أفاء الله عليهم على السواء، ثم ارتحل حتى إذا كان بعرف الظبية أمر ﷺ بقتل عقبة بن أبي معيط فإنه كان شديد الإيذاء لرسول الله ﷺ وللمسلمين. فقال عقبة: فمن للصبية يا محمد؟ قال: النار. فقتلوه.

وقتل من المشركين في هذه الواقعة سبعون من أشرافهم، وصناديدهم وأسر سبعون، وناحت قريش على قتلاها بمكة شهراً وجز نساؤها شعورهن. وقد أذل الله رقاب المشركين والمنافقين واليهود، ومن ثم دخل عبدالله بن أبي بن سلول وجماعة من المنافقين في دين الإسلام تقية وظاهراً. واستشهد يوم بدر أربعة عشر رجلاً: ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار رضي الله عنهم كما سنذكرهم بالاسم قبل نهاية الفصل وهنيئاً لهم بالشهادة.

11. خبر النضر بن الحارث

كان النضر بن الحارث من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، وكان يقول في القرآن: إنه أساطير الأولين، ويقول: لو نشاء لقلنا مثل هذا، إلى غير ذلك، ومن تمام قصته: لما كانت وقعة بدر كان النضر من جملة الأسرى، فأمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فضرب عنقه، ولما بلغ الخبر –قتل النضر– أخت النضر قُتَيلة[1]، وقيل: هي ابنته، رثته بأبيات, ثم أسلمت فيما بعد . قالت:

يا راكباً إن الأثيل مظنة | من صبح خامسة وأنت موفق
أبلـغ بها ميتاً بأن تحية | ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني إليك وعبرة مسفوحة | جادت بواكفها وأخرى تخنق
ظلت سيوف بني أبيـه تنوشـه | لله أرحـام هنـاك تشقق
قسراً يقاد إلى المنية معتباً | رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد أولست صفو نجيبة | من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما | منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة | وأحقهم إن كان عتق يعتق[2]

وحين سمع ذلك النبي ﷺ بكى وقال: لو بلغني هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه (أي يقبل شفاعتها).

12. دخول المدينة وفداء الأسرى وخبر العباس رضي الله عنه

ثم مضى رسول الله صل الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم واحد، ودخلها من ثنية الوداع في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من رمضان، فتلقاه الولائد بالدفوف يقلن:

طلع البدر علينا | من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا | ما دعا لله داع

وقدم جبير بن مطعم ومعه أربعة عشر من قريش في فداء الأسرى، فجعل النبي عليه الصلاة والسلام فداء الرجل أربعة آلاف، إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف كل على حسب استطاعته، ومنهم من منّ عليه لأنه لا مال له. ومن كان يكتب ولا مال له: فقبل منه أن يعلم الكتابة عشرة من أبناء الأنصار –

(1) قتيلة: قال الواقدي: هي بنت النضر، التي قالت هذه الأبيات.

(2) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، ويجتمع نسبه بالنبي صلى الله عليه وسلم، لذا قالت في هذا البيت: فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... الخ.

ولم يكن في الأنصار من يكتب- وقد تعلم الكتابة حب رسول الله وترجمانه زيد بن ثابت في جماعة من غلمان الأنصار.

ومن جملة الأسرى أبو العاص بن الربيع -زوج زينب بنت النبي ﷺ- فبعثت زينب رضي الله عنها في فداء زوجها: قلادة لها كانت لأمها خديجة رضي الله عنها، فلما رآها النبي ﷺ رق لها وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا لها متاعها فعلتم! قالوا: نعم، فأطلقوا أبا العاص وردوا القلادة، وأخذ النبي ﷺ على أبي العاص أن يخلي سبيل زينب، فوعده ذلك ثم أرسلها بعد وصوله إلى مكة، ثم أسلم قبل الفتح رضي الله عنه.

ومن الأسرى: العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، فإنه خرج مع قريش ظاهراً حيث لم يمكنه التخلف عنهم، لذلك قال النبي ﷺ من لقي العباس فلا يقتله فإنه خرج مستكرهاً. فجاء به رجل من الأنصار أسيراً، فقال العباس: إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله فقال ﷺ: اسكت فقد أيدك الله بملك كريم[1]. ولما أسر العباس رضي الله عنه شدوا وثاقه كبقية الأسرى فصار يئن، فسمع النبي ﷺ أنينه فلم يأخذه نوم، فقيل: ما أسهرك يا رسول الله؟ قال: أنين العباس. فقام رجل وأرخى وثاقه. فلما صار الغداء قال له رسول الله ﷺ: إفد نفسك يا عباس وابني أخويك: عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب وحليفك عتبة بن عمرو، ففدى نفسه بمائة أوقية وكل واحد بأربعين أوقية. وقال للنبي ﷺ: تركتني فقير قريش ما بقيت. فقال له ﷺ: فأين المال الذي دفعته لأم الفضل وقلت لها: إن أصبت فهذا لبنيَّ الفضل وعبدالله وقثم؟ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبدالله ورسوله فأعلن إسلامه رضي الله عنه.

13. أخبار الخونة بالمدينة وخارجها:

قتل عصماء بنت مروان

وكانت عصماء بنت مروان تحت يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، وكانت تؤذي رسول الله ﷺ وتحرض عليه وقالت شعراً، فنذر عمير بن عدي الخطمي -الأوسي- لإن رد رسول الله ﷺ إلى المدينة سالماً ليقتلنها، فلما رحل ﷺ من بدر جاءها عمير ليلاً حتى دخل بيتها - وحولها نفر من ولدها ينام، منهم من ترضعه في صدرها فجسها بيده -وكان ضريراً- ونحى الرضيع عنها ثم وضع سيفه على

(1) رواه أحمد والبزار.

صدرها حتى أنفذه من ظهرها، ثم أتى المسجد وصلى الصبح مع النبي ﷺ، فلما انصرف من صلاته نظر إليه ﷺ وقال: "أقتلت ابنة مروان؟ قال: نعم يا رسول الله. فقال: نصرت الله ورسوله يا عمير. فقال: هل علي شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: لا ينتطح فيها عنزان، فصارت هذه الكلمة مثلاً، ثم قال ﷺ لأصحابه: "إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فأنظروا إلى عمير بن عدي".

فقال عمر رضي الله عنه: انظروا إلى هذا الأعمى الذي إتشرى –باع نفسه– في طاعة الله تعالى، فقال ﷺ: "لا تقل الأعمى ولكنه البصير". فلما رجع وجد بنيه في جماعة يدفنونها فقالوا: يا عمير أنت قتلتها؟ فقال: نعم فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون، فوالذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي حتى أموت أو أقتلكم.

قتل أبي عفك اليهودي

كان أبو عفك اليهودي شيخاً من بني عمرو بن عوف قد بلغ عشرين ومائة سنة، وكان يحرض على عداوة النبي صل الله عليه وسلم وقال شعراً ويحرض عليه، فنذر سالم بن عمير بن النعمان الأنصاري ليقتلنه أو يموت دونه، وجعل يطلب له غرة، حتى كانت ليلة صائفة فنام أبو عفك بالفناء في بني عمرو بن عوف، فأقبل سالم فوضع سيفه على كبده فقتله.

خبر عمير الجمحي

وكان من جملة الأسرى ببدر وهب بن عمير الجمحي، وكان عمير –الأب– كثير الإيذاء لرسول الله صل الله عليه وسلم، فجلس مع صفوان بن أمية يوماً في الحجر –حجر إسماعيل– يذكران مصاب قريش ببدر، فقال عمير: والله لولا دين عليّ ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الفقر بعدي، كنت آتي محمداً فأقتله فإن ابني أسير في أيديهم، فقال صفوان: دينك عليّ، وعيالك مع عيالي، ثم حمله على بعير وجهزه، فقدم عمير المدينة متقلداً سيفه يريد رسول الله ﷺ، فرآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه –وكان يعرف دهاءه– فأتى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله هذا عدو الله عمير الجمحي متقلداً سيفه ما أتى إلا لشر، فقال: أدخله علي، فأخذ عمر بحمائل سيفه وأدخله، فقال: أطلقه يا عمر، فأطلقه. فقال له النبي ﷺ: ما أقدمك يا عمير؟ قال: قدمت في أسير عندكم فأحسنوا فيه. قال: فما بال السيف؟ قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت من شيء إنما أنسيته حين نزلت وهو في رقبتي! فقال: اصدق، ما أقدمك؟ قال: ما قدمت إلا في أسيري، قال: فما شرطت لصفوان بن أمية في الحجر؟ ففزع عمير فقال:

ماذا شرطت له؟ قال: تحملت له بقتلي على أن يقضي دينك ويعول عيالك والله حائل بيني وبين ذلك. قال عمير: أشهد أنك رسول الله وأنك صادق وأسلم. فقال ﷺ: علموا أخاكم القرآن وأطلقوا له أسيره.(1)

مكر أبي عزة الجمحي الشاعر

وكان أبو عزة عمرو الجمحي الشاعر من جملة أسرى بدر، وكان يؤذي النبي صل الله عليه وسلم والمسلمين بشعره، فمر عليه النبي ﷺ وهو بين الأسرى فقال: يا رسول الله إني فقير وذو عيال وحاجة قد عرفتها فأمنن عليّ، فمن عليه وأطلقه، وأخذ عليه عهداً أن لا يظاهر عليه أحداً (وأن يكف لسانه)، ولما وصل إلى مكة قال: سحرت محمداً، ورجع لما كان عليه من الإيذاء بشعره.

ولما كان يوم أحد خرج مع المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره، فأخذه المسلمون أسيراً لما وصلوا حمراء الأسد وأمر النبي ﷺ بقتله، فقال: يا محمد: أقلني وأمنن علي ودعني لبناتي فإني تائب وأعطيك عهداً أن لا أعود لمثله ما فعلت! فقال ﷺ: لا والله، لا تمسح عارضيك بمكة وتقول: خدعت محمداً مرتين (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)[2] فضربت عنقه.

14. شهداء غزوة بدر

وكان أول شهيد قتل من الأنصار: حارثة بن سراقة رضي الله عنه، فلما انتهت المعركة ودخل النبي ﷺ المدينة، جاءت أم حارثة إلى النبي ﷺ –هي عمة أنس بن مالك– فقالت: يا رسول الله، حدثني عن حارثة فإن يكن في الجنة لم أبك عليه ولكن أحزن، وإن يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا! فقال: يا أم حارثة إنها ليست بجنة ولكنها جنان، وحارثة في الفردوس الأعلى. فرجعت وهي تضحك وتقول: بخ بخ لك يا حارثة، وقد كان حارثة رضي الله عنه سأل النبي ﷺ أن يدعو له بالشهادة.

وقد استُشْهِد من المسلمين في غزوة بدر أربعة عشر شهيداً، كما ذكر ابن هشام وابن كثير وغيرهما: ستة من المهاجرين، وستة من الخزرج، واثنان من الأوس، قال الذهبي[3]:" شهداء بدر: عبيدة بن الحارث المطلبي، وعمير بن أبي وقاص الزهري أخو سعد، وصفوان بن بيضاء واسم أبيه: وهب بن ربيعة الفهري، وذو الشمالين عمير بن عبد عمرو الخزاعي، وعمير بن الحمام بن الجموح الأنصاري –الذي رمى التمرات وقاتل حتى قُتِل–، ومعاذ بن عمرو بن الجموح السلمي، ومعاذ بن عفراء وأخوه عوف. واسم أبيهما الحارث بن رفاعة من بني غنم بن عوف، وحارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي

(1) عن نور اليقين، ملخصاً عن ابن اسحاق، رواه محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير.

(2) رواه البخاري ومسلم.

(3) سير أعلام النبلاء: السيرة النبوية, للامام الذهبي.

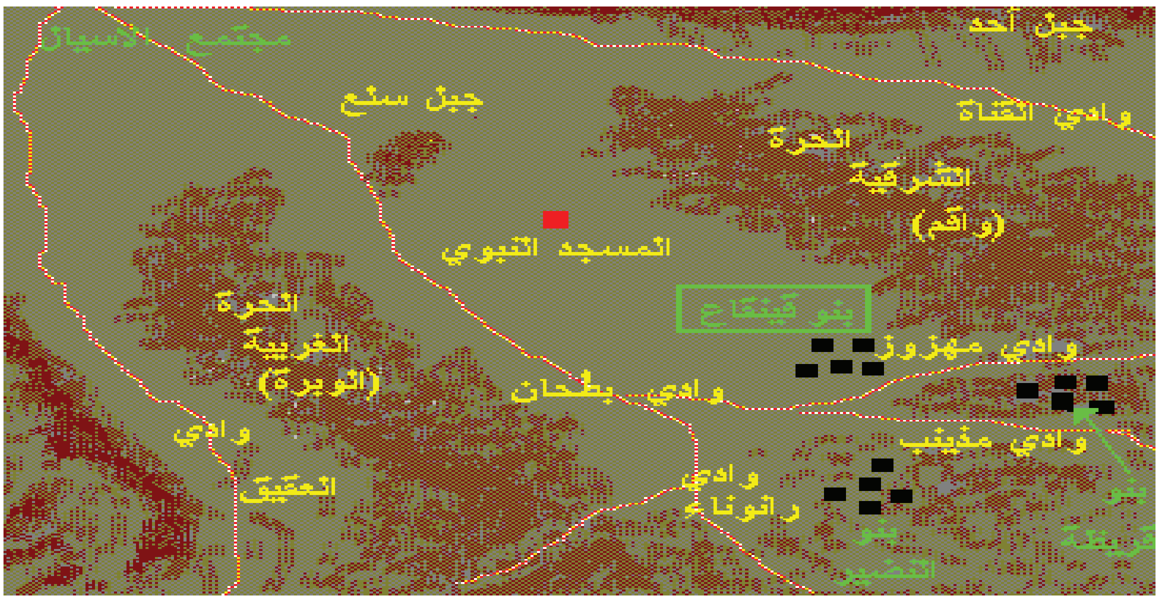
الأنصاري ويزيد بن الحارث بن قيس الخزرجي ورافع بن المعلى الزرقي، وسعد بن خيثمة الأوسي، ومبشر بن عبد المنذر أخو أبي لبابة، وعاقل بن البكير بن عبد ياليل الكناني الليثي –أحد الإخوة الأربعة البدريين–" فعدتهم أربعة عشر شهيدا رضي الله عنهم جميعا.

الجزء السادس
غزوة أحد

1. غزوة بني قينقاع وغزوة السويق

تقدم معنا: أن النبي صل الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان وادع من فيها من اليهود، وكتب بذلك كتاباً اشترط عليهم: أن لا يظاهروا عليه عدواً، وإن دهمه عدو بالمدينة ينصرونه. واشترط لهم: أن يقرهم على دينهم وأموالهم، وأن لايؤذيهم ولا يحاربهم إذا وفوا بعهدهم ولم يغدروا. وهم ثلاث فرق: بنو النضير، وبنو قينقاع، وبنو قريظة؛ وألحق كل قوم منهم بحلفائهم الأنصار.

ولما عاد الرسول عليه الصلاة والسلام من بدر قرير العين، بما أعزه الله، وأيده بنصره، وأستبشر المسلمون بهذا الفتح المبين، وعم الفرح والسرور جميع المسلمين. أما اليهود بشكل عام وبني قينقاع (حلفاء الخزرج) بشكل خاص وكانوا مجاورين بالمدينه (انظر الخريطة) فقد شق عليهم أنتصار المسلمين لأنهم كانوا يتوقعون غير ذلك، وكانوا ينتظرون أنتصار قريش الذين جاؤا بقوتهم وعددهم وخيلائهم، على هذه الفئة القليلة المستضعفة، لذلك امتلئت قلوبهم غيظاً وبغضاً للمسلمين، حقداً وحسداً.



مخطط توزيع القبائل توضح مكان يهود بني قينقاع

وبدؤوا ينبذون العهد، يلمزون المسلمين ويكيدون لهم، حينئذ أمر رسول الله ﷺ بهم فجمعوا في سوق بني قينقاع، وقال لهم ﷺ: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة ريش في بدر فوالله إنكم لتعلمون أنى رسول الله، فقالوا: يا محمد لا يغرنك من لقيت، إنك قهرت قوماً أغماراً -لا خبرة لهم بالحرب- وإنا والله أصحاب الحرب، ولئن قاتلنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا.

ثم جاءت امرأة من الأنصار إلى سوق بني قينقاع فجلست عند صائغ في حلي لها، فجاء أحد اليهود من ورائها فحل درعها بشوكة ولا تشعر، فلما قامت بدت عورتها فضحكوا عليها، فرآه رجل من المسلمين فقتله، فأجتمع عليه بنو قينقاع فقتلوه ونبذوا العهد إلى النبي ﷺ. عند ذلك تبرأ من حلفهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه (أحد رؤساء الخزرج) وتمسك بالحلف عبد الله بن أبي (رئيس المنافقين) وقال: إني رجل أخشى أن تصيبني دائرة -أي نازلة- وأنزل الله في ابن أبي قوله تعالى: (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين)[1]، وأمر الله تعالى النبي ﷺ بقتال اليهود ونبذ المعاهدة بقوله تعالى: (وإما تخافن من قوم خيانة فأنبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين)[2]. ولما رأى رسول الله ﷺ خيانتهم وغدرهم قال: أنا أخاف بني قينقاع، لأنهم أعداء مجاورون مطلعون على عورات المسلمين، فسار إليهم ﷺ يوم السبت في نصف شوال، بعد بدر في بضع وعشرين يوماً، وهم سبعمائة مقاتل، منهم ثلاثمائة دارع، ولم يكن لهم حصون ولا معاقل، إنما كانوا تجاراً وصاغة، وكانوا أشجع اليهود، وهم أول من غدر من اليهود، فحاصرهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ. فأمر بهم فربطوا فجاء عبد الله ابن أبي فأستشفع بهم، فأطلقهم ﷺ على أن يجلوا عن المدينة ولهم النساء والذرية، وللمسلمين السلاح والمال، فذهبوا إلى أذرعات، ولم يحل عليهم الحول حتى هلكوا هناك، وخمس ﷺ ما أصاب منهم وقسم الباقي على أصحابه، وأعطى سهم ذوي القربى لبني المطلب وبني هاشم.

أما في قريش, فلما رجع المشركون إلى مكة من بدر مخذولين، وكان أبو سفيان متجهاً في العير ولم يحضر بدراً التي قتل فيها ابنه وذووه، فنذر ألا يمس الدهن حتى يثأر من محمد وأصحابه، فخرج في مائتي راكب حتى جاؤوا يهود بني النضير -في طرف المدينة- ليلاً، فأتى سيدهم حيي بن أخطب فلم يرض مقابلته، فأتى سلام بن مشكم فأذن له وأجتمع به، وأخبره بمراده ثم خرج سحراً فوجد رجلاً من الأنصار ذاهباً إلى نخله هو معبد بن عمرو ومعه أجيره، فقتلهما أبو سفيان وحرق بيتين بالعريض، وحرق نخلاً لهم وهرب، فخرج رسول الله ﷺ في مائتين من المهاجرين والأنصار، واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر فتبع أبا سفيان بمن معه.

---

(1) سورة المائدة آية 52.

(2) سورة الأنفال آية 58.

ولما رأى أبو سفيان المسلمين يطلبونهم، جعل يلقى جرب السويق هو وأصحابه وهي عامة أزوادهم يتخففون منها لسرعة هربهم خوفاً من اللحوق بهم، فجعل المسلمون يأخذونها، فسميت لذلك غزوة السويق ونجا أبو سفيان.

وعاد رسول ﷺ إلى المدينة ولم يلق حرباً. وكان ذلك في اليوم العاشر من ذي الحجة، وصلى ﷺ بالمسلمين عيد الأضحى بالمصلى. وضحى ﷺ بشاة أو بشاتين، وضحى معه ذووا اليسار. قال جابر رضي الله عنه: ضحينا في بني سلمة سبع عشرة أضحية، وهو أول عيد ضحى فيه النبي ﷺ.

زواج فاطمة رضي الله عنها

وعلى رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة بنى علي كرم الله وجهه بفاطمة رضي الله عنهما وكان عمره إحدى وعشرون سنة، وعمرها خمس عشرة سنة، وكان منها أهل البيت: الحسن، والحسين، وزينب، وذريتهم، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

2. قتل كعب بن الأشرف كبير اليهود وأخبار السرايا والغزوات قبل أحد

كان كعب بن الأشرف من رؤساء اليهود، وكان شاعراً مجيداً، وكان ذا غنى وثروة ساد يهود الحجاز بكثرة ماله، فكان يعطي أحبار يهود ويصلحهم، وكان يضمر العداوة للمسلمين ويهجو رسول الله ﷺ في أشعاره، وكان من عداوته وحقده على المسلمين أنه لما انتصر المسلمون في بدر –وكان يرجو غير ذلك– كبر عليه انتصارهم وأحزنه، فخرج لقريش يبكي قتلاهم، ويحرض بأشعاره على قتال النبي ﷺ، وكان ينتقل من قوم إلى قوم وأخباره تصل إلى النبي ﷺ فقال: "اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت".

ثم رجع كعب إلى المدينة فأزداد بغيه وأذاه، وجعل يتغزل في نساء المسلمين ويذكرهن بسوء، فغضب رسول الله ﷺ وقال: من لي بابن الأشرف؟ فقال محمد بن مسلمة: أتحب أن أقتله؟ قال: نعم، وأمره بمشاورة سعد بن معاذ، فأجتمع محمد بن مسلمة بسعد بن معاذ ونفر من الأنصار وتشاوروا فيما بينهم ثم قالوا: يارسول الله نحن نقتله فأذن لنا فلنقل (أي نكذب للضرورة) قال: قولوا[1].

فأتاه أبو نائلة وهو في نادي قومه فتحدثا وتناشدا الأشعار حتى قام القوم وبقي وحده فقال له: كان قدوم هذا الرجل (يعني النبي ﷺ) علينا من البلاء، حاربتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة، وتقطعت السبل عنا حتى جهدنا، وقد سألنا اليوم صدقة، وإني قد أتيتك أستسلفك، قال: كنت حدثتك بهذا والله لتملنه، قال: إن معي رجال من أصحابي على مثل رأيي، وإنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر

(1) استأذنوه أن يقولوا قولاً مخالفاً للحقيقة وكان لا بد من التماس الحيلة (والحرب خدعة).

إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أتيناك لنبتاع منك طعاماً وتمراً ونرهنك ما يكون لك فيه ثقة، واكتم عن ما حدثتك من ذكر محمد. قال: لا أذكر منه حرفاً، لكن اصدقني ما الذي تريدون؟ قال: خذلانه والتنحي عنه، قال: سررتني، فماذا ترهنونني؟ قال: الحلقة (السلاح) فرضي. وقام أبو نائلة من عنده على ميعاد اتفقا عليه، فأتى أصحابه وأخبرهم بما كان، فأجمعوا أن يأتوه إذا أمسى لميعاده، وأخبروا رسول الله ﷺ، فمشى معهم ووجههم من البقيع وقال: امضوا على بركة الله وعونه، وذلك بعد أن صلوا العشاء، وكانت ليلة مقمرة مثل النهار. فأتوا ابن الأشرف فناداه أبو نائلة فوثب ونزل من حصنه إليهم فجعلوا يتحادثون ساعة ثم مشوا قبل شرج العجوز (اسم مكان) فأدخل أبو نائلة يده في رأس كعب وقال: ما أطيب عطرك هذا (كان حديث عهد بعرس) ثم مشى ساعة وعاد بمثلها وأخذ بقرون رأسه من الضفائر وصاح بأصحابه فضربوه بأسيافهم، وطعنه محمد بن مسلمة بمغول بطنه فصاح صيحة أسمعت جميع آطام اليهود فأشعلوا نيرانهم. وأحتز الجماعة رأسه وأتوا النبي ﷺ وهو قائم يصلي ليلته بالبقيع فلما بلغوه كبروا فكبر النبي ﷺ ثم قال: أفلحت الوجوه، فقالوا ووجهك يا رسول الله ورموا الرأس بين يديه، فحمد الله على قتله، وفي صبيحة تلك الليلة قال ﷺ: من ظفرتم به من رجال يهود فأقتلوه. فخافت اليهود ولم يطلع عظيم من عظمائهم ولم ينطقوا.

غزوة غطفان وغزوة بحران

بلغ رسول الله صل الله عليه وسلم أن بني ثعلبة ومحارب[1] من غطفان تجمعوا يريدون الغارة على المدينة، فأراد ﷺ أن يسبق إليهم ويفاجئهم. فخرج إليهم في أربعمائة وخمسين رجلاً في ربيع الأول من السنة الثالثة وخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه. ولما سمعوا بسير رسول الله ﷺ هربوا إلى رؤوس الجبال. وسار المسلمون حتى بلغوا ماءاً يسمى: (ذا أمر) فعسكروا به. وحدث أنه صل الله عليه وسلم نزع ثوبه يجففه من مطر أصابه، وجلس تحت شجرة والمسلمون متفرقون، فأبصره دعثور (رئيس القوم) فأقبل إليه بسيفه حتى وقف على رأسه وقال: من يمنعك مني يا محمد؟ فقال: الله! فأدركه الخوف والرعب وسقط السيف من يده، فتناوله النبي ﷺ وقال لدعثور: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد، فعفا عنه فأسلم الرجل، ورجع ﷺ ولم يلق كيداً.

(1) فخذان من غطفان.

بلغ النبي ﷺ أن جمعاً من بني سليم يريدون الغارة على المدينة، فخرج اليهم في ثلاثمائة من أصحابه، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وأخذ يسير حتى وصل بحران[1] ووجد القوم قد تفرقوا، فأقام أياماً ورجع ولم يلق كيداً وكانت في جمادى الأولى من السنة الثالثة، وقد غاب عشر ليال.

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

لما رأت قريش المسلمين يعترضون عيرهم وتجارتهم، وكان من أمر بدر ما كان! أرادوا تغيير طريقهم الذين يسلكون فسلكوا طريق العراق بتجارة عظيمة، فيهم أبو سفيان وصفوان بن أمية، وعدد من تجار قريش، واستأجروا دليلاً لهم اسمه: فرات بن حيان من بني بكر, فبلغ النبي ﷺ خبرها، فأرسل زيد بن حارثة رضي الله عنه في مائة راكب يترقبونهم، فسارت السرية حتى لقيت العير على ماء اسمه القردة، فأصابوا العير وأفلت الرجال سوى الدليل فرات بن حيان، فقد أسروه وأسلم وقدموا بالعير على النبي ﷺ فخمسها وقسم الباقي بين أهل السرية.

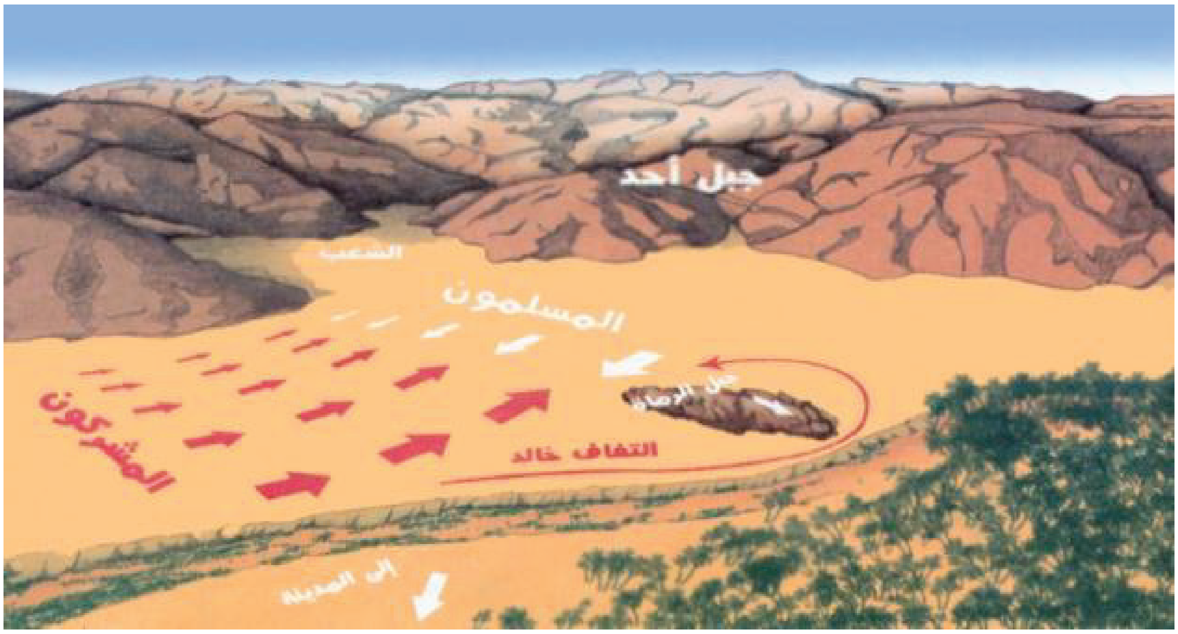
زواج أم كلثوم بنت النبي ﷺ

وفي ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة تزوج عثمان بن عفان بأم كلثوم بنت النبي ﷺ، ودخل بها في جمادى الآخرة، وكانت توفيت عنده أختها رقية رضي الله عنهم جميعا.

(1) بحران: ماء جهة نجد.

3. غزوة أحد

يوم السبت 15 شوال السنة الثالثة (925 ميلادية) وأحد: جبل مشهور بالمدينة في شماليها الغربي بينه وبين المدينة ثلاثة أميال، سمى بذلك لتوحده وانفراده عن غيره من الجبال التي هناك[1] (انظر الصور و الخريطة).



مخطط تلاقي جيشين المسلمين والمشركين في غزوة أحد



صور جبل أحد وقربه للمسجد النبوي ومخطط الغزوة

(1) وهو الموضع الذي دفن فيه هارون عليه السلام.

لما رأت قريش ما أصابها ببدر، وأغلقت في وجوههم طرق التجارة التي هي حياتهم، بالنسبة إلى أرض الحجاز التي هي أرض جرداء قاحلة لذلك أبدلهم من استيراد المواد الضرورية والغذائية من الخارج، وخاصة من بلاد الشام.

وكانت العير التي نجت من بدر لم تزل موقوفة بدار الندوة، ولم تكن الأموال سلمت لأصحابها بعد. وقالوا: إن محمداً قد وترنا، وقتل خيارنا، وقطع علينا طريق تجارتنا، فإنا رضينا أن نترك أموالنا فيها لحرب محمد وأصحابه، وكان ربحها نحو خمسين ألف دينار وبعثوا بعضهم إلى العرب يستنفرونها، فألبوا العرب وجمعوها فخرجوا من مكة بثلاثة آلاف مقاتل من قريش ومعهم حلفاؤهم من الأحابيش وبني المصطلق[1] وخرج معهم بعض نساء أشرافهم يبكين قتل بدر ويحرضن الرجال فكان مجموع هذا الجيش: من ثلاثة آلاف مقاتل فيهم سبعمائة دارع ومعهم مئتا فرس وثلاث آلاف بعير ومعهم أبو عامر "الفاسق" الأوسي الذي كره وجود النبي ﷺ بالمدينة فخرج منها ومعه خمسون رجلاً على شاكلته فكان يحرض قريشاً ويعدها أن قومه الأوس يؤازرونه وكان من رؤساء الأوس قبل الإسلام ولما جاء الإسلام لم يخفيه وجاهر رسول الله ﷺ بالعداوة فسماه الفاسق وكان يقال له الراهب واسمه عمر بن صيفي وكنيته أبو عامر الراهب وكتب العباس بن عبد المطلب إلى النبي ﷺ يخبره الخبر مع رجل من غفار فقدم عليه وهو بقباء فقرأه عليه أبي بن كعب واستكتم أبياً أمر الكتاب ولكن لم يلبث أن شاع الخبر وقد أرجفت اليهود والمنافقون.

النبي ﷺ يستكشف تحركات قريش ورؤيا رسول الله ﷺ

وبعث الرسول ﷺ أنس ومؤنساً ابني فضالة رضي الله عنهما ليلة الأربعاء عينين فشاهدا قريشاً بالعقيق[2] وعادا إلى النبي ﷺ فأخبراه ونزل المشركون ظاهر المدينة يوم الأربعاء فرعت إبلهم الأخضر واليابس. وبعث رسول الله ﷺ الحباب بن المنذر فنظر إليهم وعاد وقد حزر عددهم وما معهم فقال الرسول ﷺ: لا تذكر من شأنهم حرفاً وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل اللهم بك أجول وبك أصول وباتت وجوه الأوس والخزرج ليلة الجمعة عليهم السلاح بالمسجد بباب النبي ﷺ خوفاً من بيات المشركين.

ورأى النبي ﷺ رؤيا فلما أصبح يوم الجمعة واجتمع الناس خطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني رأيت في منامي رؤيا رأيت كأني في درع حصينة ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انقسم من عند ظبته ورأيت بقراً تذبح ورأيت كأني مردف كبشاً فقال الناس: يا رسول الله فما أولتها؟ أما

(1) جميع جيش المشركين: ثلاثة آلاف من قريش وحلفائهم.
(2) العقيق وادي على ثلاثة أميال بالمدينة.

الدرع الحصينة فالمدينة فأمكثوا فيها، وأما انقصام سيفي من عند ظبته فمصيبة في نفسي، وأما البقر المذبح فقتلى في أصحابي، وأما أني مردف كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله[1].

اختلاف المسلمين في الخروج

وقال صل الله عليه وسلم: امكثوا في المدينة واجعلوا النساء والذراري في الآكام –تلال صغيره، أو موضع يكون أكثر ارتفاعًا ممّا حوله- فإن دُخِل علينا قاتلناهم بالأزقة فنحن أعلم بها ورُمُوا من فوق الصياصي والآطام –الأبراج والمنازل والبيوت تشكل مع غيرها ما يطلق عليه العمران، وأكثر ما اشتهرت به (يثرب)- وكانوا يومئذ قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهي كالحصن.

فوافقه عبد الله بن أبي والأكابر من الصحابة: مهاجرهم وأنصارهم. وخالفه فتيان أحداث لم يشهدوا بدراً، وأحبوا لقاء العدو, فقالوا: اخرج بنا إلى عدونا يا رسول الله وقال حمزة وسعد ابن عبادة، والنعمان بن مالك في طائفة من الأنصار رضي الله عنهم: إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جبناً عن لقائهم، فيكون هذا جرأة منهم علينا، ونحن كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به، فساقه إلينا في ساحتنا. ورسول الله ﷺ لما رآى من إلحاحهم كاره معارضتهم.

فلما أبوا إلا الخروج, صلى رسول الله ﷺ الجمعة بالناس وقد وعظهم وأمرهم بالجد والجهاد؛ وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا. ففرح بعضهم بالخروج إلى عدوهم، وكره آخرون ذلك المخرج، ثم صلى العصر بالناس وقد حشدوا، وحضر أهل العوالي[2]. ودخل ﷺ بيته ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهم فعمماه وألبساه، وقد صف الناس له ما بين حجرته إلى منبره.

وجاء سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا للناس: قلتم لرسول الله صل الله عليه وسلم ما قلتم وأستكرهتموه على الخروج، والأمر ينزل عليه من السماء، فردوا الأمر إليه فما أمركم فأفعلوه، وما رأيتم له فيه هوى أو رأي فأطيعوه. فبينما هم على ذلك إذ خرج رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته[3] ولبس الدرع فأظهرها، وحزم وسطها بمنطقة من أدم، وأعتم وتقلد السيف. فقال الذين يلحون في الخروج: يا رسول الله، ما كان لنا أن نخالفك، فأصنع ما بدا لك، فقال: قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه؛ أنظروا ما أمرتكم به فأتبعوه، أمضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم.

---

(1) رواه الطبراني واحمد والبذار بمعناه وفيه تقديم وتأخير في بعض ألفاظه.

(2) العوالى ويقال لها العالية: محلة من المدينة تبعد عنها ثلاثة أميال.

(3) اللأمة: أداة الحرب ولباسه.

4. استعدادات الغزوة وعقد الألوية وإنهزام المنافقين ورجوعهم

ودعا صل الله عليه وسلم بثلاثة أرماح فعقد عليها ثلاثة ألوية، فدفع لواء الأوس إلى أسيد بن خضير، ولواء الخزرج إلى حباب بن المنذر بن الجموح، ولواء المهاجرين إلى مصعب بن عمير رضي الله عنهم، ثم ركب فرسه وتقلد القوس والمسلمون عليهم السلاح فيهم مائة دارع؛ وخرج السعدان أمامه يعدوان: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة. والناس عن يمينه وشماله، حتى انتهى إلى الثنية فنظر إلى كتيبة خشناء لها زجل فقال: ما هذه؟ فقالوا: هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي من يهود، فقال: إنا لا نستعين بكافر على مشرك وأمر بردهم –لأنه لا يأمن جانبهم– ثم مضى وعسكر بالشيخان[1].

وكانت غزوة أحد على الأرجح في شوال من السنة الثالثة للهجرة (على رأس واحد وثلاثين شهراً من الهجرة). واستعرض الرسول عليه الصلاة والسلام المسملين، فكانوا ألف مقاتل فيهم مائة دارع وفرسان أحدهما لرسول الله ﷺ، وعرض عليه غلمان: عبد الله بن عمر وزيد بن ثابت، والنعمان بن بشير وغيرهم فردهم؛ ثم أجاز رافع بن خديج لأنه كان رام. فقال سمرة بن جندب: أجاز رسول الله رافعاً وردني وأنا أصرعه، فسأل رسول الله ﷺ فقال: تصارعا، فصرع سمرة رافعاً فأجازه، ونزل عبد الله بن أبي ناحية بمن معه رضي الله عنهم جميعا.

فلما فرغ العرض وغابت الشمس أذن بلال بالمغرب فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه، ثم أذن بالعشاء فصلى بهم، واستعمل على الحرس محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً يطوفون بالعسكر، وكان ذكوان بن عبد قيس يحرس رسول الله ﷺ لم يفارقه. ونام ﷺ حتى إذا كان السحر قال: أين الأدلاء، من رجل يدلنا على الطريق يخرجنا على القوم من كثب؟ فقام أبو خثيمة الحارثي فقال: أنا يا رسول الله؛ فقام فسلك به في حرة بني حارثة. وزحف المشركون على تعبئة وقد ترأس فيهم أبو سفيان، ووافى ﷺ أحداً وقد حانت الصلاة وهو يرى المشركين، فأذن بلال وأقام وصلى ﷺ بأصحابه الصبح صفوفاً.

وانخزل –أرتد وضعف– عبد الله بن أبي في ثلاثمائة من أصحابه ورجع وهو يقول: أيعصيني ويطيع الولدان حتى عاد الى المدينة، فبقى رسول الله ﷺ في سبعمائة. وصف رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل على إحدى المجنبتين الزبير بن العوام، وعلى الأخرى المنذر بن عمرو، وجعل جبل أحد خلف ظهره واستقبل المدينة.

(1) الشيخان: جبل له رأسان.

ما أمر به الرماة

جعل الرماة خمسين رجلاً، عليهم عبد الله بن جبير وأمرهم أن يقفوا خلف الجيش على ظهر الجبل وقال لهم: لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تبرحوا. عن عبد الله بن جبير (رئيس الرماة) رضي الله عنه، أنه قال للرماة لما أرادوا النزول عن الجبل: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صل الله عليه وسلم؟ ألم يقل: أحموا لنا ظهورنا، فإنا نخاف أن نؤتى من ورائنا، وألزموا أماكنكم لا تبرحوا منه، وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا، ولا تدفعوا عنا، وأرشقوا خيلهم بالنبل، فإن الخيل لا تقدم على النبل "اللهم إني أشهدك عليهم" وأقبل المشركون على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل، ولهم مجنبتان مائتا فارس، وعلى الخيل صفوان بن أمية، ومعهم مائة رام، عليهم عبد الله بن أبي ربيعة، ولوائهم يحمله طلحة بن أبي طلحة. ومشى ﷺ على رجليه يسوي الصفوف ويقومها, إن رأى صدراً خارجاً قال: تأخر. فلما استوت دفع اللواء إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه، فتقدم بين يدي النبي ﷺ.

5. خطبته عليه الصلاة والسلام يوم أحد

ثم قام فخطب الناس ﷺ فقال: "أوصيكم بما أوصاني [به] الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه؛ ثم إنكم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطن نفسه على الصبر واليقين، والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم له الله رشده؛ فإن الله مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه. فإستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي آمركم به فإني حريص على رشدكم. وإن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف [وهو] مما لا يحبه الله ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر. أيها الناس: [إنه قذف في قلبي] أن من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله، غفر الله له ذنبه، ومن صل عليّ صل الله عليه وملائكته عشراً، ومن أحسن الى مسلم أو كافر وقع أجره على الله في عاجل دنياه، أو آجل آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا صبياً أو امرأة أو مريضاً أو عبداً مملوكاً، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه والله غني حميد. ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه. وإنه قد نفث في روعي الروح الأمين: أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شيء ولو أبطأ عنها. فأتقوا الله ربكم وأجملوا في طلب الرزق، ولا يحملنّكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية ربكم، فإنه لا يقدر على ما عنده إلا بطاعته.

وقد بين لكم الحلال والحرام، غير أن بينهما شبهاً من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلا من عصم الله، فمن تركها (أي الشبهات) حفظ عرضه ودينه، ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه! وليس ملك إلا وله حمى، ألا وإن حمى الله محارمه. والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد، إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده. والسلام عليكم"[1].

6. نشوب القتال وهزيمة المشركين أول الغزوة

وكان أول من أنشب الحرب أبو عامر الفاسق، خرج بمن معه فنادى: يا الأوس، أنا أبو عامر. فقالوا له: لا مرحباً بك، ولا أنعم الله بك عيناً يا فاسق! فقال: لقد أصاب قومي شر بعدي، فتراموا بالحجارة ساعة حتى ولى، وجعل نساء المشركين يضربن بالدفوف ويذكرنهم قتلى بدر، ويحرضنهم، وكان الرسول ﷺ اذا سمع تحريض النساء يقول: اللهم بك أجول، وبك أصول، وبك أقاتل حسبي الله ونعم الوكيل.

ونادى أبوسفيان عند اصطفاف القوم: يا معشر الأوس والخزرج، خلوا بيننا وبين بني عمنا وننصرف عنكم؛ فشتموه أقبح شتم ولعنوه. وخرج رجل من المشركين على بعير له فدعا للمبارزة فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثاً، فقام إليه الزبير رضي الله عنه ماشياً حتى إذا صار أمامه وثب إليه فوق البعير حتى ألقاه إلى الأرض فوقع عليه الزبير فذبحه؛ فأثنى عليه النبي ﷺ وقال: لكل نبي حواري وحواريَّ الزبير.

وقال ﷺ: لو لم يبرز له الزبير لبرزت له.

حملة لواء المشركين وقتلهم

ثم خرج من بين المشركين طلحة بن أبي طلحة، وكان بيده لواء المشركين فطلب المبارزة مراراً حتى خرج إليه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، فأختلفا ضربتين فقتله علي، فأخذ راية المشركين أخوه عثمان بن أبي طلحة، فحمل عليه حمزة رضي الله عنه فضاربه حتى قتله فأخذ اللواء أخوهما أبو سعيد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقتله، فأخذه مسافع بن طلحة بن أبي طلحة، فرماه عاصم بن ثابت فقتله، ثم حمله أخو مسافع وهو الحارث بن طلحة فرماه عاصم أيضاً فقتله، فحمله أخوهما كلاب بن طلحة فقتله الزبير رضي الله عنه، فحمله أخوهم جلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله –أحد العشرة المبشرين بالجنة– وهؤلاء الأربعة أولاد طلحة بن أبي طلحة كلهم قتلوا كما قتل أبوهم وعماهم، ثم أخذ اللواء أرطأة بن شرحبيل بن هاشم وهو ابن عم مصعب بن عمير رضي الله عنه، فقتله علي رضي الله عنه، ثم أخذه أبو زيد بن عمرو فقتله قزمان، فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم

(1) هذه الخطبة رواها ابن أبي الحديد عن الواقدي [وما بين القوسين] زيادة لابن ابي الحديد.

فقتله قزمان أيضاً ثم حمله صؤاب غلامهم وكان عبداً حبشياً فقتله علي رضي الله عنه. ثم لم يزل اللواء طريحاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية[1] فرفعته لقريش فلاذوا به. وكانوا لما قتل أصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة، فجاش المسلمون ضرباً حتى أزالوهم عن أمكنتهم. وكان شعار المسلمين أمت أمت وشعار الكفار: ياللعزى. وكلما رأى المشركون القتل في حملة اللواء، يحملون على المسلمين بخيلهم فينضحهم الرماة بالنبل فيرجعون منهزمين، وقد حملت خيلهم على المسلمين ثلاثاً ويردهم الرماة بالنبل.

مقتل أبي بن خلف

وأقبل يومئذ أبي بن خلف يركب فرسه يريد النبي ﷺ فلما دنا منه اعترض له ناس من المسلمين ليقتلوه، فقال ﷺ: استأخروا عنه! فتناول الحربة من الحارث بن الصمة فطعنه بها بين سابغة البيضة والدرع في عنقه وهو على فرسه فجعل يخور كما يخور الثور؛ وقال له أصحابه: أبا عامر والله ما بك بأس ولو كان هذا الذي بك بعين أحدنا ما ضره! فيقول: لا واللات والعزى، لو كان هذا الذي بي بأهل هذا الجاز لماتوا أجمعون! أليس قال: لأقتلنك؟ فأحتملوه وشغلهم ذلك عن طلب النبي ﷺ ولحق رسول الله صل الله عليه وسلم بجماعة من أصحابه بالشعب، ومات أبي بن خلف ببطن رابغ.

7. اختلاف الرماة وتركهم مواقعهم وتحول المعركة وبدأ خسارة المسلمين

ثم حمل المسلمون على المشركين فأنهكوهم قتلاً، وأيد الله المسلمين بنصرهم فصاروا يحسون الكفار حساً كما قال تعالى: (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم بإذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم ... والله ذو فضل على المؤمنين)[2] حتى كشفوهم وأنهزموا، فولوا على وجوههم،لا يلوون على شيء، ونساؤهم يدعون بالويل والثبور، وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم، وجعلوا ينتهبون المعسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم. وقد شاهد الرماة ما حل بالمشركين من الهزيمة والتجريد والسلب، قال بعضهم لبعض: قد غلب أصحابكم، وهما ينتهبون العدو فما تنتظرون؟ فقال لهم رئيسهم عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال رسول الله ﷺ؟ ألم يقل احموا لنا ظهورنا، فإنا نخاف أن نؤتى من ورائنا، وألزموا أماكنكم لا تبرحوا منه...الخ. الحديث كما تقدم! فقالوا: لم يرد رسول الله هذا، وإنما نحن انتصرنا الآن.

---

(1) من النساء القلائل اللاتي شاركن في يوم أحد وأتت معها هند بنت عتبة بن عبد شمس القرشية وعمرة هي التي حملت لواء المشركين يوم أحد بعد سقوطه فكان بسببها تماسك جيش المشركين وصموده.

(2) سورة آل عمران آية 152.

ثم ترك الرماة مواقعهم وذهبوا إلى معسكر المشركين ينتهبون، ولم يبق مع أميرهم عبدالله إلا دون العشرة، ونظر خالد بن الوليد إلى خلو الجبل من الرماة الذين كانوا فيه، وقلة أهله، فكر عليهم بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على الرماة الذين ثبتوا، فرماهم عبد الله ابن جبير رضي الله عنه حتى قتل, فجردوه ومثلوا به أقبح المثل، وجرح عامة من كان معه ومنهم من قتل.

انهزام المسلمين ونداء إبليس لعنه الله

ثم حملوا على المسلمين من ظهورهم وهم مشغولون بالغنائم، وتنادى المشركون بشعارهم: ياللعزى!! يالهبل!! ثم وضعوا في المسلمين السيوف وهم آمنون على غرة، وكثير منهم يحمل شيئاً قد أخذه من الغنائم، فقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وتفرق المسلمون في كل وجه، وتركوا ما أنتهبوا، وخلوا من أسروا، وأنتقضت صفوف المسلمين.

ونادى إبليس عند الجبل وقد تصور صورة جعال بن سراقة: إن محمداً قد قتل، ثلاث صرخات! وأختلط المسلمون، وصاروا يقتلون، ويضرب بعضهم بعضاً ما يشعرون من الدهش؛ وجرح أسيد بن حضير جرحين ضربه أحدهما أبو بردة بن دينار وما يدري، وضرب أبو زعنة أبا بردة ضربتين وما يشعر، وألتقت أسياف المسلمين على اليمان حسيل بن جابر وهم لا يعرفونه، وابنه حذيفة يقول: أبي، أبي، حتى قتل، فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. فزادته عند رسول الله ﷺ خيراً، وأمر رسول الله ﷺ بديته أن تخرج، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين.

واختلط العسكران فلم يتميزوا لشدة ما أصابهم من الدهش، لكنه عليه الصلاة والسلام لم يفارق مكانه الذي وصل إليه وقت أنهزام المشركين ولم تزل قدمه شبراً واحداً عن موقفه، وصاروا لا يعرفون المسلم من الكافر، وترك المسلمون شعارهم أمت أمت، وتفرقوا في كل وجه.

8. مقتل حمزة ومصعب رضي الله عنهم

وقاتل الحمزة رضي الله عنه ذلك اليوم قتالاً شديداً، وكان يقاتل بسيفين بين يدي رسول الله ﷺ حتى قتل كثيراً منهم. وخرج سباع بن عبد العزى الخزاعي فقال: هل من مبارز؟ فبرز حمزة رضي الله عنه فضربه ضربة قتله بها –وكان ذلك آخر قتيل قتله– ثم أكب عليه حمزة ليأخذ درعه، وفيما هو يعالج الدرع اذ انكشف عن بطنه، وكان يترصده وحشي فزرقه في الحربة على بطنه فوقعت تحت السرة فمات شهيداً رضي الله عنه.

يقول وحشي غلام جبير بن مطعم: إني لأنظر إلى حمزة –في أحد– وهو يهد الناس بسيفه، وقد عثر فأنكشف الدرع عن بطنه، فهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها إليه فوقعت في بطنه تحت السرة وفوق العانة، فأقبل نحوي ثم وقع فأمهلته حتى مات فجئته فأخذت حربتي ثم تنحيت إلى المعسكر ولم يكن لي حاجة غيره, لأن حمزة رضي الله عنه قتل طعيمة بن عدي يوم بدر، فقالت ابنة طعيمة لوحشي: إن قتلت محمداً أو حمزة أو علياً في أبي فأنت عتيق.

وكان مصعب بن عمير رضي الله عنه يقاتل يوم أحد دون رسول الله ﷺ قتالاً شديداً وهو حامل اللواء حتى قتل، وكان الذي قتله عبد الله بن قمئة (لعنه الله) وهو يظنه رسول الله ﷺ فصاح ابن قمئة: قتلت محمداً. ولما قتل مصعب أعطى رسول الله ﷺ الراية علياً رضي الله عنه، وتفرق المسلمون ثلاث فرق! فرقة أستمروا في الهزيمة إلى قرب المدينة فما رجعوا حتى انقضى القتال –وهم قليل– ونزل فيهم قوله تعالى: (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم)(1).

وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي عليه الصلاة والسلام قد قتل، وهم أكثر الصحابة! وفرقة ثبتت مع النبي ﷺ وهم بضعة عشر رجلاً وامرأة واحدة هي: نسيبة بنت كعب الانصارية رضي الله عنهم جميعا. ويقال: إنه ثبت مع النبي ﷺ ثلاثون رجلاً رضي الله عنهم جميعا، كلهم يقول: وجهي دون وجهك، ونفسي دون نفسك، وعليك السلام غير مودع.

9. ثبات الرسول ﷺ حين الهزيمة وتضحيات جيش الرسول ﷺ

وجعل رسول الله ﷺ لما انهزم الناس وهم لا يلوون عليه يقول: إلي يا فلان، إلي يا فلان، أنا رسول الله! فما عرج واحد عليه من الدهش والنبل يأتيه من كل ناحية وهو في وسطها والله يصرفها عنه، وأنزل الله في ذلك، قوله تعالى: (اذ تصعدون ولا تلون على احد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون)(2).

خبر أنس أبن النضر رضي الله عنه

ولما انهزم المسلمون ورجعوا لا يلوون على شيء، قال أنس بن النضر –وهو عم أنس بن مالك رضي الله عنهم–: ما لكم يا قوم! إن كان محمد قتل، فإن رب محمد لم يقتل، فقاتلوا: على ما قاتل عليه، ثم

(1) سورة آل عمران آية 155.
(2) سورة آل عمران آية 153.

رأى جماعة من المهاجرين والأنصار فقال: إن كان محمد قتل فما تصنعون في الحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه؛ ثم أستقبل العدو فقاتل حتى قتل رضي الله عنه. وفي البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلته مع المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما فعل هؤلاء (يعني أصحابه) وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعني المشركين) ثم تقدم فأستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد، الجنة ورب النضر؛ إني أشم ريحها دون أحد! قال سعد: فما أستطيع أن أصف ما صنع! رضي الله عنهم.

قال أنس: لما وجدناه بين القتلى، وجدنا به بضعاً وثمانين ما بين ضربة بالسيف، أو طعنة بالرمح ورمية بالسهم، ووجدناه قد مثل به المشركون، فما عرفه إلا اخته ببنانه[1].

10. بطولات جيش الرسول ﷺ

وكان عباس بن عبادة بن نضلة الخزرجي، وخارجة بن زيد، وأوس بن أرقم يرفعون أصواتهم، فيقول عباس: يا معشر المسلمين، الله ونبيكم، هذا الذي أصابكم بمعصية نبيكم، فيوعدكم النصر ما صبرتم. ثم نزع مغفره وخلع درعه وخالطوا القوم جميعاً، وعباس يقول: ما عذر لنا عند ربنا إن أصيب رسول الله ﷺ ومنا عين تطرف! فيقول خارجة: لا عذر لنا عند ربنا ولا حجة. فقتل سفيان السلمي عباساً، وأخذت الرماح خارجة فجرح بضعة عشر جرحاً، وأجهز عليه صفوان بن أمية، وقتل أوس بن أرقم رضي الله عنه. وثبت النبي ﷺ ولم يحصل منه فرار ولا انصراف عن موقفه الذي كان فيه بإجماع المسلمين. قال سعد: ما زال رسول الله ﷺ يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا، ويرمي بالحجر وكان أقرب الناس إلى القوم –العدو–.

وعن علي رضي الله عنه قال: كنا إذا اشتد البأس وحمي الوطيس اتقينا برسول الله ﷺ. روى أبو يعلى بسند حسن عن علي رضي الله عنه قال: لما انجلى الناس يوم أحد، نظرت في القتلى فلم أر رسول الله ﷺ فقلت: والله ما كان ليفر، وما أراه في القتلى، ولكن أرى أن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه إليه؛ فمالي خير من أن أقاتل حتى أقتل! فكسرت غمد سيفي ثم حملت على القوم فأفرجوا لي فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم يقاتلهم. وروى الحاكم في المستدرك على شرط مسلم، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لما جال الناس عن رسول الله ﷺ تلك الجولة يوم أحد، قلت: أذود عن

(1) اصبعه به جرح قديم عرفته اخته منه.

نفسي، فإما أن ألحق حتى ألقى رسول الله ﷺ؛ فبينما أنا كذلك إذا برجل مخمر وجهه وما أدري من هو، فأقبل المشركون حتى قلت: قد ركبوه، فملأ يده من الحصى فرمى به في وجوههم، فتنكبوا على أعقابهم القهقرى حتى أتوا الجبل، ففعلوا ذلك مراراً ولا أدري من هو؛ وكان بيني وبينه المقداد، فبينما أنا أريد أن أسأل المقداد عنه إذ قال المقداد: يا سعد، هذا رسول الله ﷺ يدعوك، فقلت: وأين هو؟ فأشار إليه، فقمت وكأنه لم يصبني شيء من الأذى! وأجلسني صل الله عليه وسلم أمامه، فجعلت أرمي وأقول: اللهم سهمك، فأرم به عدوك ورسول الله ﷺ يقول: "اللهم استجب لسعد، اللهم سدد رميته وأجب دعوته" فكان سعد مجاب الدعوة، حتى إذا فرغ النبل من كنانتي نثر لي ما في كنانته، وانكشف الناس عن النبي ﷺ. وكان النبي ﷺ يناول سعداً النبل ويقول: ارم فداك أبي وأمي[1].

وباشر صل الله عليه وسلم بنفسه القتال، ورمى بالنبل حتى فنيت نبله، وتكسرت سية قوسه، وأنقطع وتره وبقيت منه قطعة مقدار شبر في سية القوس؛ فأخذ القوس عكاشة بن محصن ليوتر له فقال: يا رسول الله لا يبلغ الوتر، فقال مده يبلغ، قال عكاشة: فوالذي بعثه بالحق لمددته حتى بلغ وطويت منه ليتين أو ثلاثاً على سية القوس! ثم أخذ ﷺ أبو طلحة يستره مترساً عنه.

خبر أبي طلحة

وممن ثبت مع النبي ﷺ أبو طلحة –زيد بن سهل الأنصاري– فقد استمر بين يدي رسول الله صل الله عليه وسلم وكان رجلاً رامياً شديد الرمي، فنثر له النبي ﷺ كنانته بين يديه وصار أبوطلحة يرمي بالنبل ويقول: نفسي لنفسك فداء، ووجهي لوجهك وقاء، وكان الرجل يمر بالجعبة فيها نبل فيقول النبي ﷺ: انثرها لأبي طلحة، وصار النبي ﷺ يشرف على القوم ليرى مواضع النبل فيقول له أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك؛ وتطاول أبوطلحة بصدره يقي رسول الله ﷺ.

وكان أبو طلحة رضي الله عنه رفيع الصوت جهيره، عن انس بن مالك قال رسول الله ﷺ: "لصوت أبي طلحة في الجيش خير من الف رجل"[2] وكان صل الله عليه وسلم ليأخذ العود من الأرض فيقول: أرم أبا طلحة فيرمي بها سهماً جيداً.

---

(1) عن علي رضي الله عنه قال: ماسمعت رسول الله ﷺ قال فداك أبي وأمي إلا لسعد بن أبي وقاص (صحيح مسلم).

(2) صحيح الجامع.

خبر أبو دجانة وفدائه والسيف

ومن الذين ثبتوا: أبو دجانة البطل الأنصاري رضي الله عنه فإنه كان يترس عن النبي ﷺ بظهره والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك، يقي الرسول ﷺ بنفسه وجسمه، ورأى النبي ﷺ على تلك الحال عبد الله بن حميد بن زهير –من فرسان المشركين– فأقبل يركض فرسه مقنعاً بالحديد وهو يقول أنا ابن زهير! دلوني على محمد، فوالله لأقتلنه أو لأموتن دونه، فقال له أبو دجانة: هلم إلى من يقي نفس محمد بنفسه، وضرب رقبة فرسه ثم علاه بالسيف فقتله، ورسول الله ﷺ ينظر إليه ويقول: اللهم ارض عن أبي خرشة (أبو دجانة)[1] كما أنا عنه راض.

وكان ﷺ يومئذٍ –في أول المعركة– قال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ قالوا: وما حقه يا رسول الله؟ قال: يضرب به العدو، وفي رواية حتى ينكسر أو ينحني. فقال عمر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، فأعرض عنه، ثم عرضه بذلك الشرط، فقام الزبير رضي الله عنه فقال: أنا يا رسول الله؛ فأعرض عنه، حتى وجدا في أنفسهما، ثم عرضه الثالثة فقال أبودجانة: أنا يا رسول الله آخذه بحقه فدفعه إليه؛ فلما أخذه لبس مشهرة –عصابة حمراء– فأعلم بها، وكان قومه يعلمون أنه إذا لبس تلك المشهرة لم يبق في نفسه غاية، فخرج يمشي بين الصفين يختال في مشيته والسيف في يده، وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ حين رآه: "إن هذه لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن"[2].

مقتل عثمان المخزومي وعبيد العامري وطلحة بن عبيد

وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس أبلق يريد رسول الله صل الله عليه وسلم وعليه لأمة كاملة[3] وهو يصيح: لا نجوت إن نجى! فتعثر فرس عثمان المخزومي في حفرة فوقع وخرج الفرس وحده، فأخذ المسلمون الفرس ولحق الحارث بن الصمة إلى عثمان المخزومي فقتله وأخذ درعه ومغفره وسيفه؛ فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي أحانه.

ويرى مصرعه عبيد بن حاجز العامري، فأقبل يعدو فضرب الحارث بن الصمة جرحه على عاتقه فأحتمله أصحابه. ووثب أبو دجانة إلى عبيد فناوشه ساعة ثم ذبحه بالسيف ذبحاً ولحق برسول الله ﷺ.

وقاتل يومئذ طلحة بن عبيد الله عن رسول الله ﷺ قتالاً شديداً وقت الهزيمة، وأحدق به المشركون من كل ناحية وصار طلحة يذب بالسيف من بين يديه ومن ورائه وعن يمينه وعن شماله: يدور حوله يترس

(1) لقبه: أبو دجانة، وأبو خرشة.

(2) الروض الانف.

(3) لأمة كاملة: أي لباس المقاتل وسلاحه.

بنفسه دونه وإن السيوف لتغشاه والنبل من كل ناحية حتى انكشفوا, فجعل عليه الصلاة والسلام يقول لطلحة قد أوجب. وكان طلحة أعظم الناس غناءاً عن رسول الله صل الله عليه وسلم يومئذٍ.

ورمى مالك بن زهير الجشمي بسهم يريد رسول الله ﷺ فأتقى طلحة بيده عن وجهه الشريف ﷺ فأصاب خنصره فشل خنصره –الاصبع الخامس الاصغر–. وقال ﷺ: من أحب أن ينظر إلى رجل في الدنيا وهو من أهل الجنة فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه! طلحة ممن قضى نحبه[1].

وأقبل شيبة بن مالك من بني عامر بن لؤي يصيح دلوني على محمد فضرب طلحة عرقوب فرسه فألقته على الأرض ثم طعنه فقتله. وأصيب يومئذ طلحة في رأسه ضربه رجل من المشركين ضربة فنزف الدم حتى غشي عليه فنضح أبو بكر رضي الله عنه الماء في وجهه حتى أفاق فقال: ما فعل رسول الله؟ قال: خيراً هو أرسلني إليك، قال: الحمد لله كل مصيبة بعده جلل[2].

ومن الذين ثبتوا مع النبي ﷺ

وكان علي رضي الله عنه يذب عن رسول الله صل الله عليه وسلم من ناحية وسعد بن أبي وقاص يقاتل طائفة وانفرد علي بفرقة فيها عكرمة بن أبي جهل فدخل وسطهم بالسيف فضرب به حتى أفضى إلى آخرهم ثم كر فيهم راجعاً حتى أنتهى من حيث جاء، وكان الحباب بن المنذر بن الجموح يحوش المشركين كما تحاش الغنم، وأشتملوا عليه حتى قيل: قد قتل، ثم برز والسيف في يده وأفترقوا عنه. وكلما حمل على فرقة منهم فإنهم ليهربون منه وكان يومئذ معلماً بعصابة خضراء في مغفره.

وكان شماس بن عثمان بن الشريد المخزومي لا يرمي رسول الله ﷺ ببصره يميناً ولا شمالاً إلا رآه في ذلك الوجه يذب بسيفه حتى غشي[3] رسول الله ﷺ فترس بنفسه دونه حتى قتل رضي الله عنه فقال صل الله عليه وسلم: ما وجدت لشماس شبهاً إلا الجُنَّة[4].

خبر الأصيرم ومخيريق خير يهود

الاصيرم هو عمرو بن ثابت الأنصاري كان شاكاً في الإسلام حتى كان يوم أحد وجدوه في الجرحى بآخر رمق، فقالوا: ما جاء بك؟ قال: الإسلام آمنت بالله ورسوله ثم أخذت سيفي فقاتلت حتى رزقني الله الشهادة ومات! فقال رسول الله صل الله عليه وسلم: إنه لمن أهل الجنة.

---

(1) أي قضى نذره قبل أنه كان نذر: أن يصدق الله في أعدائه في الحر؛ فوفى بذلك.

(2) جلل: أي هينة، صغيرة.

(3) غشي: أي أحيط به.

(4) رواية ابن الاثير و الجنة: أي الترس.

وكان مخيريق رضي الله عنه من أحبار يهود فلما كان يوم أحد –وكان يوم السبت– فقال: يا معشر يهود والله إنكم تعلمون أن محمداً لنبي، وأن نصره عليكم لحق، ثم أخذ سلاحه وحضر أحداً مع النبي ﷺ فقتل وقال حين خرج: إن أصبت فأموالي لمحمد يضعها حيث أراد الله! فقال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام: "مخيريق خير يهود"[1].

حنظلة غسيل الملائكة

هو حنظلة بن أبي عامر الراهب خرج مع رسول الله ﷺ يوم أحد فلما انكشف المشركون –في أول المعركة– ضرب فرس أبي سفيان فوقع على الأرض وصاح وحنظلة يريد قتله فأدركه شداد بن الأسود فحمل على حنظلة بالرمح فقتله ونجا أبو سفيان. فقال رسول الله ﷺ: إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن[2] في صحاف الفضة. قال أبو أسيد الساعدي: فذهبنا إليه فإذا رأسه يقطر ماءاً. فلما أخبر النبي ﷺ بذلك أرسل إلى أمرأته فسألها، فأخبرته أنه خرج وهو جنب، فإنه لما سمع النداء بالخروج إلى العدو عجل عن الغسل إجابة للداعي وكانت ليلة عرسه، وزوجته جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول وهي من المؤمنات الصادقات رضي الله عنهم جميعا.

خبر عين قتادة

وأصيبت عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته، فجاء النبي ﷺ فأخذها وردها بيده الشريفة فعادت كما كانت ولم تضرب عليه بعدها وكان يقول أشن: هي أقوى عيني، وكانت أحسنهما.

11. جراحات رسول الله ﷺ وإشاعة وفاته

ورمى عتبة بن أبي وقاص رسول الله ﷺ بأربعة أحجار، فكسر رباعيته أشظى باطنها اليمنى السفلى، وشج في وجنته حتى غاب حلق المغفر في وجنته وأصيبت ركبتاه خدشتا، وكانت حفر حفرها أبو عامر الفاسق، الخنادق يكيد بها المسلمين وكان رسول الله ﷺ واقفاً على بعضها ولا يشعر، فوقع فيها على جنبه فجحشت ركبتاه، وكان عليه درعان ﷺ فأنتهض وطلحة يحمله من ورائه وعلي آخذ بيده حتى أستوى قائماً وسال الدم من شجته التي في جبهته حتى أخضل لحيته الشريفة؛ وكان سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه يغسل الدم عن وجهه الشريف، وهو ﷺ يقول: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم،

---

(1) الموسوعة الحديثة.

(2) ذكر د. رمضان عبد المعز من علماء الأزهر، إن ماء المزن الذي ذكره الله في كتابه العزيز هو الماء الذي أنزله تعالى من السماء على الأرض، مشيراً إلى أنه أجمع أهل العلم على أن المقصود من المزن هو السحاب، منوهاً أن العلماء قالوا إن أصل كلمة مزن هو الميزان لأن هذا الماء ينزل بقدر معلوم.

وهو يدعوهم إلى الله عز وجل. وقال: اشتد غضب الله على قوم دمَّوا رسول الله، أشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله[1]، اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله, وقال: اللهم لا يحولن الحول على أحد منهم! فما حال الحول على أحد ممن رماه أو جرحه ﷺ فأنزل الله تعالى: (ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون)[2].

ولما صاح إبليس: إن محمداً قد قتل! وتفرق الناس فمنهم من ورد المدينة فكان أول من وردها بهذا الخبر أبو عبادة سعد بن عثمان الأنصاري ثم ورد بعده رجال. فجعل النساء يقلن: عن رسول الله ﷺ تفرون؟ وجعل ابن أم مكتوم الأعمى يقول: عن رسول الله ﷺ تفرون؟ وحثت أم أيمن في وجوه بعضهم التراب، وتقول: هاك المغزل إغزل به وهلم سيفك.

ومر مالك بن الدخشم على خارجة بن زيد وهو قاعد -وفي حشوته ثلاثة عشر جرحاً- كلها قد خلصت إلى مقتل فقال: أما علمت أن محمداً قد قتل؟ فقال خارجة: فإن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت لقد بلّغ محمد, فقاتل عن دينك. ومر على سعد بن الربيع -أحد النقباء- وبه اثنا عشر جرحاً كلها قد خلص إلى مقتل، فقال: أما علمت أن محمداً قد قتل؟ فقال سعد: أشهد أن محمداً قد بلغ رسالة ربه، فقاتل عن دينك فإن الله حي لا يموت.

لما تفرق المسلمون عن النبي ﷺ وثبت معه النفر من أصحابه يذبون عنه ﷺ فقتل مصعب بن عمير وكثرت الجراح بأبي دجانة وجرح طلحة جرحاً بليغاً، وأصيب رسول الله ﷺ فقال -وقد ألتف حوله المشركون- : هل من رجل يبيع لنا نفسه؟ فوثب إليه فتية من الأنصار خمسة، منهم زياد بن السكن فقاتلوا حتى قتلوا وكان آخرهم زياداً فقاتل حتى أثبت بالجراح ثم جاء إليه جماعة من المسلمين فقاتلوا عنه حتى أجهضوا عنه العدو، فقال له ﷺ: -وكان بآخر رمق- أدن مني فدنا منه، فوسده ﷺ قدمه حتى مات عليها.

12. بشرى المسلمين بسلامة رسول الله ﷺ

وكان لما نادى إبليس: قتل محمد وتفرق المسلمون في كل وجه حتى صعدوا في الجبل فكان أول من بشرهم برسول الله ﷺ سالماً كعب بن مالك فجعل يصيح ورسول الله ﷺ يشير إليه بأصبع على فيه: أن أسكت! ودعا بلأمة كعب فلبسها ونزع لأمته فلبسها كعب وقاتل حتى جرح سبعة عشر جرحاً.

---

(1) البداية والنهاية – الظء الرابع – لابن كثير.

(2) سورة آل عمران آية 128.

وجعل أبو سفيان بن حرب يقول: يا معشر قريش أيكم قتل محمداً؟ فقال ابن قميئة: أنا قتلته، قال: إذاً نسودك كما تفعل الأعاجم بأبطالها! وجعل يطوف بأبي عامر الفاسق في المعركة ليرى محمداً يتصفح القتلى فقال: ما لنا لا نرى مصرع محمد، كذب ابن قميئة! ولقي خالد بن الوليد فقال: هل تبين عندك قتل محمد؟ قال: رأيته في نفر من أصحابه مصعدين في الجبل. قال أبوسفيان: هذا حق، كذب ابن قميئة زعم أنه قتله.

ولما أصاب رسول الله ﷺ ما أصابه، أقبل أبو بكر رضي الله عنه يسعى، فوافاه طلحة بن عبيد الله وأسرع أبو عبيدة بن الجراح فأخذ بثنيته حلقة المغفر فنزعها وسقط على ظهره وسقطت ثنيته ثم عالج الحلقة الأخرى فنزعها وسقطت ثنيته الأخرى فكان أبو عبيدة أهتم[1] ولما نزعتا جعل الدم يسيل من وجنته صل الله عليه وسلم فجعل مالك بن سنان - هو والد أبي سعيد الخدري -يملج الدم بفيه ثم ازدرده[2] فقال رسول الله ﷺ: "من مس دمه دمي لم تصبه النار"[3].

طلوع رسول الله ﷺ على أصحابه في الشعب

وطلع رسول الله صل الله عليه وسلم على أصحابه في الشعب بين سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما يتكفأ في الدرع وقد ظاهر بين درعين وكان يتوكأ على طلحة بن عبيدة ومعه النفر الذين ثبتوا معه في المعركة فلما رأوهم -ولوا في الشعب- ظناً أنهم من المشركين حتى جعل أبو دجانة يليح إليهم بعصابته الحمراء فعرفوه ورجعوا.

وكان النفر الذين طلع بهم رسول الله ﷺ من الذين ثبتوا معه وبقوا أحياء، وهم أربعة عشر رجلاً سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار فسر المسلمون به ﷺ حتى كأنهم لم تصبهم في أنفسهم مصيبة.

(1) يقال للسنين من مقدمة الأسنان: ثنيتان، ولمن نزعت ثنيته يقال له: أهتم أو أثرم.

(2) يملج الدم: يمصه بفيه. ازدرده: ابتلعه.

(3) رواه البزار. وفي رواية الطبراني أنه قال: من أحب أن ينظر إلى من خالط دمي دمه فلينظر إلى مالك بن سنان.

الجزء السابع
الفتن ما بعد الهزيمة بغزوة أحد

1. أبو سفيان ومقالته وانصراف المشركين بعد غزوة أحد

ولما تحاجزوا أراد أبو سفيان الإنصراف فأقبل على فرس حتى أشرف على المسلمين في عرض الجبل فنادى بأعلى صوته: أعل هبل، ثم صاح: أين ابن أبي كبشة -يعني النبي ﷺ- أين ابن أبي قحافة، أين ابن الخطاب؟ ألا إن الأيام دول وإن الحرب سجال وحنظلة بحنظلة، فقال عمر رضي الله عنه: أجيبه يا رسول الله؟ فقال: بلى فأجبه! ثم كرر القول أبو سفيان: اعل هبل، فقال عمر: الله أعلى وأجل. قال أبو سفيان: إنها قد أنعمت فعال عنها، ثم قال: أين ابن أبي كبشة، أين ابن أبي قحافة، أين ابن الخطاب؟ فقال عمر رضي الله عنه: هذا رسول الله، وهذا أبو بكر، وهذا عمر، فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، ألا إن الأيام دول، وإن الحرب سجال، فقال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار! قال أبو سفيان: إنكم لتقولون ذلك، لقد خبنا إذاً وخسرنا، لنا العزى ولا عزى لكم، فقال عمر: الله مولانا ولا مولى لكم! قال أبوسفيان: إنها قد أنعمت فعال عنها، قم إلي يا ابن الخطاب أكلمك، فقام عمر، فقال أبوسفيان: أنشدك بدينك هل قتلنا محمداً؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت عندي أصدق من ابن قميئة، ثم قال أبوسفيان ورفع صوته: إنكم واجدون في قتلاكم عنتاً ومثلاً[1]، ألا إن ذلك لم يكن عن رأي سراتنا –ثم أدركته حمية الجاهلية– فقال: أما إذا كان ذاك فلم نكرهه، ثم نادى: ألا إن موعدكم بدراً على رأس الحول فقال ﷺ: نعم، فقال عمر: نعم.

فرجع أبوسفيان إلى أصحابه وأخذوا في الرحيل؛ فأشفق رسول الله ﷺ والمسلمون من أن يغير المشركون على المدينة فبعث علي أبن أبي طالب لينظر إن ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فإنما يريدون المدينة فإن ركبوا الإبل وجنبوا الخيل إنما يريدون مكة، ثم قال ﷺ: والذي نفسي بيده لئن ساروا إليها – المدينة– لأسيرن إليهم ثم لأناجزنهم فذهب علي كرم الله وجهه يسعى إلى العقيق فإذا هم قد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل بعد ما تشاوروا الإغارة على المدينة، فأشار عليهم صفوان بن أمية ألا يفعلوا فإنهم لا يدرون ما يغشاهم! فعاد فأخبر النبي ﷺ.

2. قدوم فاطمة الزهراء رضي الله عنها وحزن رسول الله ﷺ

خرجت فاطمة الزهراء رضي الله عنها في نساء من المدينة فلما رأت رسول الله صل الله عليه وسلم أعتنقته رضي الله عنها وهي تبكي وجعلت تمسح الدم عن وجهه وتغسله وعلي رضي الله عنه يسكب الماء فيتزايد الدم، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقته بالنار حتى صار رماداً، فأخذت ذلك

(1) أي تم التمثيل وتشويه قتلى المسلمين من خلال قطع الانف والأذان وبقر العيون.

الرماد وكمدته به حتى لصق الجرح فأستمسك الدم! وعطش النبي ﷺ عطشاً شديداً، فأراد أن يشرب من الماء الذي جاء به علي كرم الله وجهه فلم يستطع، ووجد فيه ريحاً كرهها فقال: هذا ماء آجن فمضمض فاه للدم الذي فيه. فخرج محمد بن مسلمة رضي الله عنه يطلب له ماءاً حتى إذا ذهب لموضع بعيد فأتى بماء عذب، فشرب رسول الله ﷺ ودعا له بخير.

وكان بعدما قتل وحشي الحمزة رضي الله عنه ذهب وحشي إلى هند بنت عتبة -زوجة أبي سفيان- فقال لها: ماذا لي إن قتلت قاتل أبيك؟ يوم بدر؟ قالت: سلبي وحُلِيِّي، وقامت معه حتى أراها مصرع حمزة رضي الله عنه فبقرت بطنه وأخرجت كبده وقطعت أنفه وأذنيه وجعلت منها قلادة ومعضضين حتى قدمت بذلك مكة.

وجعلت نساء المشركين يمثلن بقتلى المسلمين يقطعن أنوفهم وآذانهم ولما هدأت الحرب جعل رسول الله ﷺ يقول: ما فعل عمي؟ ويكرر ذلك فخرج الحارث بن الصمة فأبطأ فخرج علي رضي الله عنه فوجد حمزة مقتولاً فأخبر النبي ﷺ فخرج يمشي حتى وقف عليه فقال: ما وقفت موقفاً أغيظ الي من هذا, ورأى به مثلاً شديداً فأحزنه ذلك المثل ثم قال: لئن ظفرت بقريش لأمثلن بثلاثين منهم! فأنزل الله في قوله تعالى: (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)[1] فعفا ﷺ ولم يمثل بأحد. ثم أقبلت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها لتنظر إلى أخيها حمزة رضي الله عنه فقال الرسول ﷺ: يا زبير أغن عني أمك -هذا وحمزة يحفر له- فقال: يا أمه! إن في الناس تكشفاً؛ فقالت: ما أنا بفاعلة -براجعة- حتى أرى رسول الله ﷺ فلما رأته قالت: يا رسول الله أين ابن أمي حمزة؟ قال: هو في الناس، قالت :لا أرجع حتى أنظر إليه، فجعل الزبير يجلسها حتى دفن حمزة رضي الله عنه. وقال رسول الله صل الله عليه وسلم: لولا أن تجد صفية بنت عبد المطلب لتركناه للعافية[2] حتى يحشر يوم القيامة من بطن السباع وحواصل الطير. وبكى صل الله عليه وسلم على الحمزة بكاءاً شديداً وقال: لن أصاب بمثلك أبداً ثم قال: أبشروا أتاني جبريل وأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله[3].

(1) سورة النحل آية 126.

(2) طلاب الرزق من الدواب والطير.

(3) البداية والنهاية لابن كثير.

3. حوادث وعبر من أحد: خبر عبد الله بن جحش

وقام أبو قتادة الأنصاري يريد أن يتكلم على قريش وينال لما رأى من غم رسول الله ﷺ على حمزة وما مثل به والنبي ﷺ يشير إليه أن اجلس فقال ﷺ: "أحتسبك عند الله، ثم قال: يا أبا قتادة! "إن قريشاً أهل أمانة من بغاهم العواثر كبه الله لمنخريه"[1]، وعسى إن طالت بك مدة أن تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم، لولا أن تبطر قريشاً بمالها لأخبرتها بما لها عند الله وذلك إن آمنوا وأسلموا. فقال أبوقتادة: والله يا رسول الله ما غضبت إلا لله ورسوله حين نالوا من حمزة ما نالوا؛ فقال ﷺ: صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم".[2]

وقال عبد الله بن جحش رضي الله عنه يوم أحد: يا رسول الله إن هؤلاء القوم قد نزلوا حيث ترى وقد سألت الله فقلت: اللهم إني أقسم عليك أن نلقى العدو فيقتلونني ويقبرونني ويمثلون بي فألقاك مقتولاً قد صنع هذا بي، فتقول: فيم صنع بك هذا؟ فأقول: فيك يارب! وأنا أسألك أخرى: أن تلي تركتي من بعدي فقال ﷺ نعم فخرج حتى قتل ومثل به ودفن هو وحمزة رضي الله عنهما في قبر واحد وولي تركته رسول الله ﷺ فأشترى لابنه مالاً بخيبر.

خبر عمرو بن الجموح وزوجته هند

وكان عمرو بن الجموح رضي الله عنه رجل أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة أشداء يشهدون مع رسول الله صل الله عليه وسلم المشاهد، فلما كان يوم أحد أرادوا منعه من الخروج وقالوا: أنت رجل أعرج وليس عليك من حرج إذا تخلفت فقال: إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، ثم أخذ سلاحه واستقبل القبلة وقال: اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني لأهلي خزيان، فقتل شهيداً.

ولما انتهت المعركة في أحد خرجت هند بنت عمرو بن حرام -زوجة عمرو بن الجموح- خرجت تستروح الخبر، وتسأل عن رسول الله ﷺ فوجدت زوجها عمرو بن الجوح شهيداً وابنها خلاد وأخاها عبدالله -والد جابر- شهيدين فحملتهم هند الثلاثة رضي الله عنهم على بعير لها تريد بهم المدينة فلقيتها عائشة رضي الله عنها وقد خرجت في نسوة تستروح الخبر فقالت لها: عندك الخبر فما وراءك؟ قالت: أما رسول الله ﷺ فصالح وكل مصيبة بعده جلل واتخذ الله من المؤمنين شهداء.

---

(1) رواه مسلم والبخاري.

(2) مغازي الواقدي 1/291 وقد حرصنا على عدم الاعتماد الكلي علي كتاب المغازي لما ضعفه بعض الرواة والتأكد من المصادر من خلال كتب السيرة المختلفة والله ورسوله ﷺ أعلم.

قالت عائشة: من هؤلاء -على البعير- قالت: أخي وابني خلاد وزوجي عمرو بن الجموح؛ قالت: وأين تذهبين بهم؟ قالت: إلى المدينة أقبرهم فيها؛ ثم قالت: حل -تزجر بعيرها- فبرك فقالت عائشة لما عليه (من الثقل) قالت: ما ذاك به، لربما حمل ما يحمل البعيران ولكني أراه لغير ذلك وزجرته فقام فوجهته راجعة إلى أحد فأسرع، فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بذلك فقال: إن الجمل مأمور، هل قال شيئاً؟ -يريد زوجها- قالت: إن عمراً لما وجه إلى أحد قال: اللهم لا تردني إلى أهلي خزيان وارزقني الشهادة! فقال رسول الله ﷺ: فلذلك الجمل لم يمض؛ إن منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح. يا هند! مازالت الملائكة مظلة على أخيك -عبد الله بن عمرو والد جابر- من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن، ثم مكث ﷺ حتى قبرهم؛ ثم قال: يا هند، قد ترافقوا في الجنة عمرو بن الجموح، وابنك خلاد، وأخوك عبد الله. قالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني معهم.

خبر حمنة بنت جحش

وأقبلت حمنة بنت جحش -هي أخت زينب زوج النبي ﷺ وامرأة مصعب بن عمير- فقال رسول الله ﷺ: يا حمنة! إحتسبي قالت: من يا رسول الله؟ قال: خالك حمزة؛ قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، غفر الله له ورحمه هنيئاً له بالشهادة؛ ثم قال: إحتسبي قالت: من يا رسول الله؟ قال: مصعب بن عمير، قالت: واحزناه! فقال ﷺ: إن للزوج من المرأة مكاناً ما هو لأحد؛ ثم قال لها: لم قلت هذا؟ قالت يا رسول الله ذكرت يتم بنيه فراعني فدعا لولده أن يحسن عليهم الخلف! فتزوجت طلحة فكان أوصل الناس لولدها وولدت له محمد بن طلحة.

4. شهداء أحد ودفنهم رضي الله عنهم جميعا

سعد بن الربيع

ثم بعد انصراف المشركين تفرغ المسلمون لقتلاهم يتفقدونهم فقال رسول الله ﷺ: من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع، أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ لأن النبي ﷺ رأى الأسنة أشرعت إليه فقال أبي بن كعب: أنا أنظر لك يا رسول الله فذهب أبي فوجده جريحاً وبه رمق فقال له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ فقال: قد طعنت اثنتي عشر طعنة قد أنفذت إلى مقاتلي فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام وقل له إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته؛ وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: لا عذر لهم عند الله تعالى أن يُخلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف. فقال رسول الله ﷺ: رحمه الله، رحمه الله، نصح لله ولرسوله حياً وميتاً.

ومر رسول الله ﷺ بأمرأة من بني دينار قد أصيب زوجها وأبوها وأخوها وابنها في أحد فلما نُعُوا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين؛ فقالت: أروينه حتى أنظر إليه! فلما رأته قالت: كل مصيبة بعده جلل.

عبد الله بن عمرو بن حرام

كان عبد الله بن حرام -والد جابر- رضي الله عنه أول قتيل في أحد. قال ابنه جابر: لقيني رسول الله ﷺ بعد أحد فقال: يا جابر مالي أراك منكراً -أي متغيراً- فقلت: يا رسول الله إن أبي قتل وخلف عيالاً وعليه دين قال: أفلا أبشرك ما لقي الله به أباك؟ قلت: بلى قال: إن الله كلمه كفاحاً وما كلم أحد قط إلا من وراء حجاب، فقال له: يا عبدي تمن علي أعطك! فقال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، فقال الرب عز وجل: قد سبق القول، إنهم لا يرجعون, قال: يا رب فأبلغ من ورائي[1] فأنزل الله: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون, فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[(2)].

وعن جابر رضي الله عنه قال: لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه، فجعل أصحاب النبي ﷺ ينهونني وهو لم ينه ثم قال: تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع[3].

رحمته ﷺ بأبناء الشهداء وخبر النعاس

عن بشير بن عفرة رضي الله عنه قال: أصيب أبي يوم أحد فمر بي النبي صل الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال: أما ترضى أن تكون عائشة أمك وأنا أكون أباك.

وألقى الله على من ثبت مع النبي ﷺ فناموا ثم هبوا كأنهم لم يصبهم أذى أو نكبة؛ قال أبو اليسر: لقد رأيتني يومئذ في أربعة عشر رجل من قومي إلى جنب رسول الله ﷺ وقد أصابنا النعاس أمنة، ما منهم رجل إلا يغط غطيطاً. روى البخاري عن أنس أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه وقد أصاب النعاس أهل الصدق واليقين!

(1) صحيح الترمذي.
(2) سورة آل عمران آية 169-170.
(3) اخرجه البخاري.

ولم يصب أهل الشك والنفاق! كما ذكر الله بقوله عز وجل: (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفه منكم ... والله عليم بذات الصدور)[1].

خبر نسيبة المازنية

ومن الذين ثبتوا مع النبي صل الله عليه وسلم يوم أحد: أم عمارة –نسيبة المازنية– بنت كعب من بني النجار، خرجت مع رسول الله ﷺ ومعها شن[2] لتسقي الجرحى، فلما انهزم المسلمون وجال المشركون حول النبي ﷺ ألقت القربة وأخذت السيف تقاتل بين يدي رسول الله ﷺ هي وأبناها عبد الله وحبيب وزوجها غزية بن عمرو، وكانت نسيبة تقاتل بالسيف وترمي بالقوس –وهي حاجزة ثوبها على وسطها– حتى جرحت جراحات كثيرة ولما أقبل ابن قميئة يريد النبي ﷺ فما ان أعترضت له فضربها على عاتقها ضربة صار لها فيما بعد غور أجوف، وضربته هي ضربات لم تؤثر فيه لأنه كان يلبس درعين. ولما أنتهى القتال قال رسول الله ﷺ: لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان! وقال: ما إلتفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني. وقال لأبنها عبدالله بن زيد: بارك الله عليكم من أهل بيت, مقام أمك خير من مقام فلان وفلان, ومقام أبيك خير من مقام فلان وفلان, ومقامك خير من مقام فلان وفلان رحمكم الله أهل بيت؛ قالت أم عمارة: ادع الله أن نرافقك في الجنة. قال: اللهم أجعلهم رفقائي في الجنة؛ قالت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا.

قال عبد الله بن زيد: جرحت يومئذ جرحاً في عضدي ضربني رجل من المشركين ومضى عني وجعل الدم لا يرقأ[3]؛ فقال صل الله عليه وسلم: اعصب جرحك فتقبل أمي إلي ومعها عصائب قد أعدتها للجراح فربطت جرحي والنبي صل الله عليه وسلم ينظر إلي ثم قالت: أنهض فضارب القوم فقال النبي صل الله عليه وسلم: ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟! وكانت رضي الله عنها لها مواقف: يوم الحديبية ويوم حنين سيأتي ذلك في حينه ومواضعه إن شاء الله تعالى.

وقتل من المشركين أربعة وعشرون وقتل من المسلمين يوم أحد: أربعة وسبعون شهيدا أكثرهم من الأنصار رضي الله عنهم جميعا. واختلفوا في الصلاة على الشهداء ودفنوا الاثنين والثلاثة في القبر الواحد؛ وقال ﷺ للمسلمين: احفروا وأوسعوا وأحسنوا وأدفنوا الاثنين والثلاثة في القبر وقدموا أكثرهم قرآناً.

---

(1) سورة آل عمران آية 154.

(2) قربة الماء يكون فيها الماء أبرد من غيرها.

(3) لا يقف نولا يسكن.

ولما واروا حمزة رضي الله عنه أمر رسول الله صل الله عليه وسلم ببردة تمد عليه وهو في القبر فجعلت البردة إذا غطوا وجهه بدت قدماه وإذا غطوا رجليه ينكشف وجهه؛ فقال ﷺ: غطوا وجهه وجعل الحرمل –نبات معروف– على رجليه فبكى المسلمون وقالوا: يا رسول الله عم رسول الله لا نجد له ثوباً؟ فقال:" تفتح البلاد والأمصار فيقول الرجال لاخوانهم؛ هلموا الى الريف والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون؛ لا يصبر أحد على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له يوم القيامة شهيداً أو شفيعا"[1]

ومر ﷺ على مصعب بن عمير وهو مقتول في بردة[2] فقال: لقد رأيتك بمكة وما بها أحد أرق حلة ولا أحسن لمة (ولا أطيب عطراً) منك؛ ثم أنت شعث الرأس في بردة ثم أمر به فقير. وكان كثير من الناس حملوا موتاهم إلى المدينة فدفنوهم بها. فنادى منادي رسول الله ﷺ ردوا القتلى إلى مضاجعهم – إلى أحد– فلم يرد الا شماس بن عثمان المخزومي وقد أدركه المنادي قبل دفنه.

5. ثناء الرسول ﷺ على الله تعالى ودخول المدينة وشماتة المنافقين واليهود

ولما فرغ رسول الله عليه الصلاة والسلام من دفن أصحابه ركب فرسه وخرج المسلمون حوله، أكثرهم جرحى ولا مثل لبني سلمة وبني عبد الأشهل ومعه أربع عشرة امرأة. فلما كانوا بأصل الحرة قال: أصطفوا فنثني على الله فأصطف الرجال صفين خلفهم النساء ثم دعا الله فقال:

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لاَ قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلاَ بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلاَ هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ، وَلاَ مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلاَ مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَفَضْلِكَ، وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لاَ يَحُولُ وَلاَ يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ، وَالأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، إِلَهَ الْحَقِّ امين.[3]

(1) أخرجه أحمد واسناده صحيح.
(2) البردة: شملة من صوف خشنة، من ملابس العرب. والحلة: لباس من حرير لينة ناعمة تلبس فوق اللباس.
(3) أخرجه البخاري.

وأقبل صل الله عليه وسلم حتى دخل المدينة، فمر على بني عبد الأشهل وهم يبكون على قتلاهم فقال: لكن حمزة لا بواكي له! فخرج النساء يستبشرون بسلامته! فقالت أم عامر الأشهلية: كل مصيبة بعدك جلل، وجاءت أم سعد بن معاذ –هي كبشة بنت رافع– تعدو نحو رسول الله ﷺ وهو على فرسه وسعد بن معاذ آخذ بعنان الفرس فقال سعد: يا رسول الله أمي! فقال: مرحباً بها. فدنت حتى تأملت رسول الله ﷺ وقالت: أما إذ رأيتك سالماً فقد أشوت[1] المصيبة. فعزاها ﷺ بعمر بن معاذ –ابنها– ثم قال: يا أم سعد أبشري وبشري أهليهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً. وقد شفعوا في أهليهم، قالت: رضينا برسول الله ومن يبكي عليهم بعد ذلك؟! ثم قالت: أدع يا رسول الله لمن خلفوا قال: اللهم أذهب حزن قلوبهم وأجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا؛ ثم قال: خل أبا عمرو الدابة. فخلى سعد الفرس فسار وتبعه الناس فقال: يا أباعمرو؛ إن الجراح في أهل دارك فاشية وليس منهم مجروح إلا يأتي في يوم القيامة جرحه كأغزر ما كان, اللون لون الدم, والريح ريح المسك فمن كان مجروحاً فليقر في داره وليداو جرحه ولا يبلغ معي بيتي عزمة مني فنادى فيهم سعد: عزمة من رسول الله ألا يتبع رسول الله جريح من بني عبد الأشهل فتخلف كل مجروح فباتوا يوقدون النيران ويداوون الجراح، وإن فيهم لثلاثين جريحاً؛ ومضى سعد مع رسول لله ﷺ حتى جاء بيته فما نزل عن فرسه إلا حملاً واتكأ على سعد بن عبادة وسعد بن معاذ رضي الله عنهم جميعا حتى دخل بيته فلما أذن بلال بصلاة المغرب خرج على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين رضي الله عنهم جميعا فصلى ﷺ ثم عاد إلى بيته. ومضى سعد بن معاذ إلى نساء بني الأشهل فساقهن حتى لم تبق أمرأة إلا جاء بها إلى بيت رسول الله ﷺ فبكين حمزة رضي الله عنه بين المغرب والعشاء والناس في المسجد يوقدون النيران ليكمدوا بها جراحاتهم. وأذن بلال رضي الله عنه حين غاب الشفق للعشاء فلم يخرج رسول الله ﷺ فجلس بلال عند بابه حتى ذهب ثلث الليل ثم ناداه: الصلاة يا رسول الله فهب صل الله عليه وسلم من نومه وخرج فإذا هو أخف في مشيته منه حين دخل وسمع البكاء فقال: ما هذا؟ فقيل: نساء الأنصار يبكين على حمزة فقال: رضي الله عنكن وعن أولادكن, وأمر النساء أن ترد إلى منازلهن فرجعن بعد ليل مع رجالهن، وصلى رسول الله ﷺ العشاء ثم رجع إلى بيته وقد صف له الرجال ما بين بيته إلى مصلاه يمشي وحده حتى دخل وباتت وجوه الأوس والخزرج يحرسونه فرقاً –شديدين الفزع والخوف– من قريش أن تكر.

(1) اشوت: هانت.

وجعل عبد الله بن أبي بن سلول والمنافقون يشمتون ويسرون بما أصاب المسلمين ويظهرون أقبح القول فيقول ابن أبي لابنه عبد الله –وهو جريح قد بات يكوي الجراحة بالنار– : ما كان خروجك معه إلى هذا الوجه برأي! عصاني محمد وأطاع الولدان! والله لكني أنظر إلى هذا المصير, فقال ابنه: الذي صنع الله لرسوله وللمؤمنين خير.

وأظهرت اليهود القول السيء فقالوا: ما محمد إلا طالب ملك, ما أصيب هكذا نبي قط, أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه وجعل المنافقون يخذلون عن رسول الله صل الله عليه وسلم ويأمرونهم بالتفرق عنه، ويقولون: لو كان الذي قتلوا عندنا ما قتلوا.

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك في أماكن فمشى إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في قتل من سمع منه من يهود والمنافقين فقال عليه الصلاة والسلام: يا عمر إن الله مظهر دينه ومعز نبيه ولليهود ذمة فلا أقتلهم قال: فهؤلاء المنافقون!! قال: أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: بلى يا رسول الله وإنما يفعلون ذلك تعوذاً من السيف فقد بدا لنا أمرهم وأبدى الله أضغانهم عند هذه النكبة! فقال: نهيت عن قتل من قال: لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم قال: يا ابن الخطاب إن قريشاً لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن.

وكان من عادة عبد الله بن أبي أنه إذا جلس رسول الله ﷺ على المنبر؛ قام فقال: يا أيها الناس هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم فأنصروه وعزروه وأسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس فأراد أن يفعل ذلك بعد أحد فلما قام أخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا له: اجلس يا عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت!! فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: كأني إنما قلت شراً. فقال له بعض الأنصار: ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي وأنزل الله تعالى في قصة أحد ستين آية وذلك في قوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فأستغفروا الله وأستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)[1].

عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أخبرني عن قصتكم يوم أحد قال: اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها.

(1) سورة النساء ايه 64.

6. خروج جيش الرسول ﷺ لغزوة حمراء الأسد وملاحقة قريش ومواقف الصحابة رضي الله عنهم

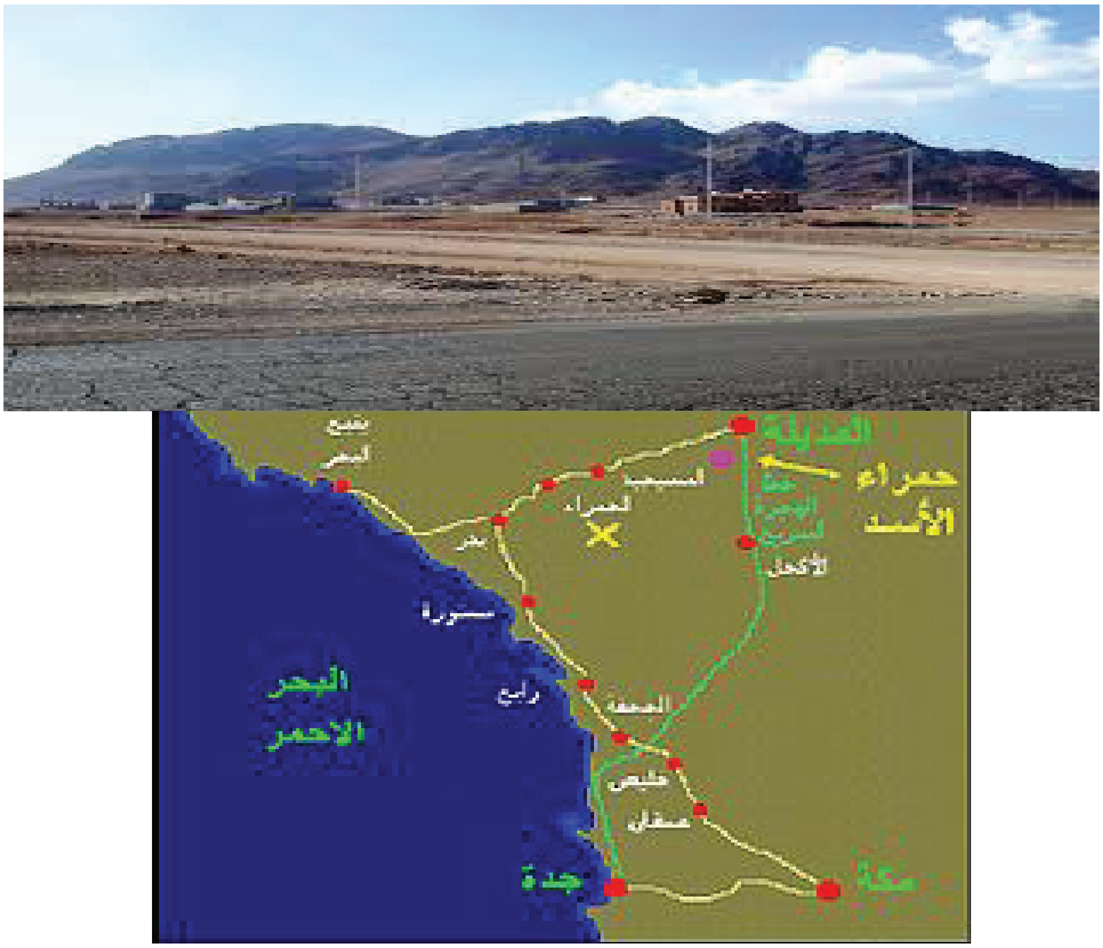
ولما بات النبي ﷺ تلك الليلة بات ووجوه الأنصار في المسجد خوفاً من رجوع المشركين وأقبل عبدالله بن عمرو المزني ينتظر خروج النبي ﷺ للصلاة ولما خرج أخبره المزني: أنه أقبل من أهله حتى إذا كان بملل[1] إذا قريش قد نزلوا، فسمع أبا سفيان وأصحابه يتشاورون ليرجعوا حتى يقضوا على من بقي، وصفوان يأبى ذلك عليهم. فدعا رسول الله صل الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضي الله عنهم وذكر لهما ذلك فقالا: أطلب العدو يا رسول الله لا يقتحمون على الذرية. فلما صلى ﷺ الصبح يوم الأحد صبيحة أحد ومعه وجوه الأوس والخزرج أمر بلالاً فنادى: إن رسول الله يأمركم بطلب عدوكم، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس فخرج سعد بن معاذ إلى داره يأمر قومه بالمسير وأكثرهم جريح فقال: إن رسول الله يأمركم أن تطلبوا عدوكم.

فقال أسيد بن حضير –وبه سبع جراحات يريد أن يداويها– سمعاً وطاعة لله ولرسوله؛ وأخذ سلاحه ولم يعرج على دواء ولحق برسول الله ﷺ. وجاء سعد بن عبادة قومه، وجاء أبو قتادة إلى طائفة فبادروا جميعاً وخرج من بني سلمة أربعون جريحاً، بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جريحاً وبخراش ابن الصمة عشر جراحات حتى وافوا رسول الله ﷺ فقال لما رآهم: اللهم ارحم بني سلمة، ودفع اللواء إلى أبي بكر، وأستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وأقام على حرسه عباد بن بشر رضي الله عنهم جميعا.

وكان عبد الله وأخوه رافع ابنا سهل الأنصاريين رجعا من أحد وبهما جراح كثيرة فخرجا يزحفان، فضعف رافع فحمله عبد الله على ظهره عقبة ومشى عقبة، فلما أتيا رسول الله صل الله عليه وسلم دعا لهما وقال: إن طالت بكم مدة كانت لكم مراكب من خيل وبغال وإبل وليس ذلك بخير لكم! ولم يخرج أحد لم يشهد أحداً إلا جابر بن عبد الله رضي الله عنه –وكان معذوراً– واستأذنه الخروج رجال لم يشهدوا أحداً فلم يأذن لهم.

ولما اجتمع الناس ركع رسول الله صل الله عليه وسلم ركعتين في المسجد ودعا بفرسه على باب المسجد –وعليه الدرع والمغفر– فركب وإذا بطلحة رضي الله عنه فقال: يا طلحة سلاحك، فأسرع ولبس سلاحه– وبه تسع جراحات– وأقبل فقال له ﷺ: أين ترى القوم الآن؟ قال: هم بالسيالة. قال: ذلك ظننت أما إنهم (يا طلحة) لن ينالوا منا مثل أمس حتى يفتح الله مكة علينا.

(1) موضع في طريق بمكة بين الحرمين.



جبال وموقعه غزوة حمراء الاسد

وبعث صل الله عليه وسلم ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم هم: سليط ونعمان ابنا سفيان، وآخر لم يسم، فقتلهم المشركون، ومضى ﷺ في أصحابهم حتى عسكروا في حمراء الأسد[1] (انظر الخريطة) وكان عامة زادهم التمر.

السخاء وإطعام الجيش

وحمّل سعد بن عبادة رضي الله عنه ثلاثين بعيراً من التمر حتى وافت الحمراء وساق جزراً لتنحر. وكان صل الله عليه وسلم يأمر في النهار بجمع الحطب فإذا أمسوا أمر أن توقد النيران؛ فيوقد كل رجل ناراً فلقد أوقدوا نيراناً كثيرة حتى رؤيت من مكان بعيد وذهب ذكر معسكر المسلمين ونيرانهم في كل وجه فكان ذلك من الأسباب التي أوهن الله بها عدوهم.

(1) حمراء الأسد: هي أقرب إلى المدينة من بدر، وبينهما ثلاثين ميلاً تقريباً.

خبر معبد الخزاعي

ولقي معبد بن أبي معبد الخزاعي[1] رسول الله صل الله عليه وسلم فقال: يا محمد لقد عز علينا ما أصابك في نفسك وفي أصحابك، ولوددنا أن الله أعلى كعبك، وأن المصيبة كانت في غيرك (فقال له ﷺ: خيراً) ثم مضى معبد فوجد أبا سفيان وقريشاً بالروحاء وهم مجمعون على الرجوع فقال أبو سفيان: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا. قال: ويحك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل ولما سمع أبو سفيان مقالته ارتحل ونادى بقومه فتبعوه مسرعين خائفين من الطلب لهم.

ومر أبو سفيان بنفر من عبد القيس يريدون المدينة فقال لهم: بلغوا محمداً وأصحابه أننا أجمعنا على الكرة عليهم؛ فلما بلغوا الرسول صل الله عليه وسلم قال: حسبنا الله ونعم الوكيل. وبعث معبد الخزاعي رجلاً فأخبر النبي ﷺ بانصراف أبي سفيان ومن معه خائفين. فأنصرف صل الله عليه وسلم إلى المدينة بعد ثلاث ونزل في الذين خرجوا إلى حمراء الأسد وهم جرحى قوله تعالى: (الذين قال لهم الناس ان الناس قد أجتمعوا لكم فأخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فأنقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وأتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم)[2].

7. ما نزل من القرآن في غزوة أحد

وأنزل الله تعالى في قصة أحد ستين آية من آل عمران وقيل: ثمانين آية. وذلك من قوله تعالى: (واذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم)[3] أي: إذ أصبحت تبوئ: أي تهيء وتعد, وهذه هي أول القصة. عن المسوّر بن مخرمة رضي الله عنه قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أخبرني عن قصتكم يوم أحد قال: اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها.

---

(1) كان يومئذ مشركاً فكانت خزاعة ناصحة للنبيρ ثم أسلم بعد. وحسن اسلامهرضي الله عنه.

(2) سورة آل عمران آية 173–174.

(3) سورة آل عمران آية 121 إلى الآية 180 وقيل إلى آخر السورة الآية 200.

وقال تعالى: (اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون)[1] هما بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس، وذلك لما رجع عبد الله بن أبي (كبير المنافقين) بمن معه والفشل هو الجبن وقد عصمهما الله من ذلك إذ قال: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين)[2] أي لا تضعفوا ولا تذلوا ولا تحزنوا على ظهورهم ونصرهم وأنتم الأعلون وستكون العاقبة لكم بالنصر والظفر. قال الرسول صل الله عليه وسلم لطلحة -وهو خارج إلى حمراء الأسد- : أما انهم يا طلحة لن ينالوا منا مثل أمس حتى يفتح الله مكة علينا.

قال تعالى في الآية: (إن يمسسكم قرح) أي جراحات (فقد مس القوم قرح مثله) يوم بدر (وتلك الايام نداولها بين الناس) أي مرة لهم ومرة عليهم وفي ذلك اختبار لهم (وليعلم الله الذين امنوا) وصدقوا في إيمانهم (ويتخذ منكم شهداء) كما حصل في يوم أحد، ثم قال (وليمحص الله الذين امنوا) أي ليطهرهم من ذنوبهم (ويمحق الكافرين) أي يستأصلهم بالهلاك. وقال تعالى بسورة ال عمران بالآية 153: (اذ تصعدون ولا تلون على أحد) أي تهربون منهزمين ولا تعرجون على أحد (والرسول يدعوكم في أخراكم) وكان الرسول ﷺ وسلم ينادي المنهزمين: إلي يا فلان إلي يا فلان فما عرج عليه أحد إلا من رحم الله من الهول والدهش. وقال تعالى بالآية 154: (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا) وهم المؤمنون الصادقون (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) وهم أهل الشك والنفاق وضعيفوا الإيمان.

وقال في نفس سورة ال عمران بالآية 155: (إن الذين تولوا منكم يوم ألتقى الجمعان) الذين فروا وانهزموا (إنما أستزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم) لأنهم فعلوا ما فعلوا عن حسن نية وخطأ في اجتهادهم (إن الله غفور حليم). وقال تعالى في الآية 156: (يا أيها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يعني المنافقين (وقالوا لإخوانهم) في النفاق (إذا ضربوا في الارض او كانوا غزى) أي سافروا في سرية أو غزوة (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) ثم قال: (والله يحيي ويميت) هو الذي يحيي ويميت عند انتهاء الأجل لا الحرب ولا الجهاد.

وقال بسورة ال عمران في الآية 157: (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم ...) هذا جواب من الله تعالى ورد على من يصد عن الجهاد في سبيل الله وقتال الأعداء. وقال تعالى بنفس السورة في الآية 158: (ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون) فيجازيكم على صبركم وجهادكم وعلى أعمالكم من خير وشر.

---

(1) سورة آل عمران آية 122.

(2) سورة آل عمران آية 139.

وقال في الآية 159: (فبما رحمة من الله لنت لهم) أي بفضل الله وتوفيقه كنت لينا لهم: أولاً وقت الخروج إلى أحد، وكان قصدك المكث قي المدينة وعدم الخروج، وقد ألحوا عليك حتى أخرجوك ثم مخالفة الرماة لأمرك ونزولهم عن الجبل ثم إنهزام المسلمين ودخولهم المدينة –وهذه كلها أسباب للفشل والهزيمة– ثم بعد كل ما تقدم كنت ليناً لهم، رفيقاً بهم ولم تعنفهم ومع ذلك (فأعف عنهم) أنت (وأستغفر لهم) ربك (وشاورهم في ألامر) ورغم أخطاء أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام في الرأي, أمره الله عز وجل بالإستشارة لأهميتها بالاسلام فإن ظهر لك فيه الحق والصواب فتبعه (فإذا عزمت) على أمرٍ من عندك فأمض به (فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين).

وقال عز وجل بسورة ال عمران في الآية 165: (أولما أصابتكم مصيبة) يوم أحد (قد أصبتم مثليها) يوم بدر بأن قتلتم منهم سبعين وأسرتم سبعين (قلتم أنى هذا) أي من أين أصابنا هذا الإنهزام والقتل ونحن نقاتل في سبيل الله وفينا رسوله (قل هو من عند أنفسكم) يعني بمخالفة الرماة. وقال في الآية 166: (وما أصابكم يوم التقى الجمعان) أي بعلمه أو بقضائه وقدره (وليعلم المؤمنين) الصادقين وليظهر إيمانهم وصدقهم. وقال تعالى بنفس السورة في الآية 167: (وليعلم الذين نافقوا ... والله أعلم بما يكتمون) معناها ظاهر وكانت في المنافقين وذلك لما انصرف عبد الله بن أبي بن سلول بأصحابه وكانوا ثلاثمائة فلحق بهم عبد الله بن عمرو والد جابر رضي الله عنه فقال لهم: اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم ... الخ. فقال له ابن سلول: ما أرى أن يكون قتال ولو علمنا أن يكون قتال لكنا معكم. وقال تعالى في الآية 168: (الذين قالوا لإخوانهم) أي لأجل إخوانهم الذين قتلوا يوم أحد قالوا: هذا القول (وقعدوا) بأنفسهم (لو أطاعونا) في عدم الخروج حيث كان من رأي ابن أبي عدم الخروج (قتلوا) فرد الله عليهم وتحداهم بقوله: (قل فأدرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم قادرين) أي قل لهم يا محمد: إن صدقتم فأدفعوا الموت عن أنفسكم.

وبنفس السورة قال تعالى في الآيات 169– 170–171: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ... وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) كان ذلك في فضل الشهادة وما أعد الله للشهداء من الكرامة وأصناف النعيم, والمعنى ظاهر. وقال في الآية 172 وما بعدها: (الذين أستجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم وأتقوا أجر عظيم) إنما نزل ذلك في حمراء الأسد وهي متممة وملحقة بغزوة أحد؛ وقد كان تفسيرها كما تقدم.

8. السرايا لحفظ أمن المدينة بعد هزيمة أحد: سرية أبي سلمة إلى قطن

وقدم المدينة الوليد بن زهير الطائي وأخبر أن طليحة وسلمة ابنا خويلد من بن بني أسد بن خزيمة يجمعان لحرب المسلمين، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك بعث أبا سلمة بن عبد الأسد على سرية من مائة وخمسين رجلاً وأرسل الطائي معه دليلاً فتوجهوا إلى قطن وهو: جبل بناحية فَيْد بنجد[1] وذلك في المحرم على رأس خمس وثلاثين شهراً من الهجرة وأمره صل الله عليه وسلم أن يجد السير ويغير عليهم قبل أن تلاقى عليه جموعهم؛ وأوصاه ومن معه بتقوى الله!

فخرج وعدل بهم عن الطريق المألوفة، وسار بهم ليلاً و نهاراً حتى انتهوا بعد أربع إلى قطن؛ فبلغ القوم قدومهم فهربوا وتفرقوا في كل وجه، فبعث أبو سلمة في طلب النعم والشاء فوجدوا سرحاً وثلاثة رعاء فأخذوهم ورجعوا ولم يلقوا أحداً فرجعوا إلى المدينة وأعطى أبو سلمة الدليل الطائي رضاه من المغنم، ثم أخرج صفياً عبداً لرسول الله ﷺ وأخرج الخمس ثم قسم ما بقي بين أصحابه.

سرية عبد الله بن أنيس لقتل سفيان الهذلي

ثم بعث الرسول صل الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس السلمي الأنصاري رضي الله عنه إلى عرنة قرب عرفة لقتل سفيان بن خالد الهذلي، لأنه بلغه صل الله عليه وسلم أنه جمع الجموع لحربه فأرسل له عبد الله وحده وقال له: أئته فأقتله فقال: صفه لي يا رسول الله حتى أعرفه قال: إذا رأيته هبته وفرقت منه ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان؛ قال عبد الله: يا رسول الله ما فرقت من شيء قط. فقال: آية ما بينك وبينه ذلك قال: واستأذنته أن أقول، قال: قل ما بدا لك وأنتسب لخزاعة!

قال عبد الله: فأخذت سيفي وخرجت فلما وصلت إليه بعرنة لقيته يمشي ووراءه الأحابيش فهبته وعرفته بنعت الرسول ﷺ فقلت: صدق الله وصدق رسوله وقد دخل وقت العصر حين أتيته فصليت وأنا أمشي وأومىء برأسي إيماءاً ثم دنوت منه فقال : ممن الرجل؟ قلت: من بني خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لأكون معك قال: أجل وإني لفي الجمع له. فمشيت معه وحدثته فأعجبه حديثي فقلت له:

---

(1) فيد: ماء لبني أسد ينبع من جبل قطن.

عجباً لما أحدث محمد من هذا الدين فارق دين الآباء وسفه أحلامهم. قال: إنه لم يلق أحد يشبهني؛ ثم مشيت معه وهو يتوكأ على عصىً يهد الأرض حتى انتهى إلى خبائه تفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه وهم يطيفون به ويحرسونه فقال: هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه فقال: اجلس فجلست معه حتى إذا نام الناس أغتررته وقتلته ثم أقبلت فصعدت جبلاً ودخلت غاراً وأقبل الطلب وأنا كامن في الغار فطافوا حولي وقد منعني الله منهم فلم يروني وأنصرفوا أجمعين فخرجت من الغار وأقبلت نحو المدينة فكنت أسير الليل وأكمن النهار حتى قدمت المدينة فوجدت رسول الله ﷺ بالمسجد فقال: أفلح الوجه، قلت: أفلح وجهك يا رسول الله (ووضعت الرأس بين يديه) -على رواية: إنه أخذ رأسه- وأخبرته خبري وكانت غيبته ثماني عشر ليلة.

9. سرية الرجيع: الكذب ثم الغدر والخيانة

ثم كان بعث الرجيع, هذا البعث الذي كان أوله كذب واحتيال وآخره غدر وخيانة, دبره قوم جبناء فذهب ضحيته ستة فتية من أشجع الفتيان بل ستة أبطال رضي الله عنهم من أبطال التاريخ الذي خلد ذكرهم مدى الزمان. ولقد خطوا لنا بدمائهم طريق الدفاع عن الحق والكرام، والثبات على المبدأ والدين. هذا هو الفداء الخالد والتضحية النادرة وإليك هذه القصة التي هي جزء يسير من قصص هذه السيرة وحادثة بسيطة من حوادثها.

وسبب ذلك أنه لما بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد رئيس هذيل فقتله[1] وبعد قتله ذهب رجال من هذيل الى: عضل والقارة -قبيلتان من بني الهون- فجعلوا لهم إبلاً على أن يكلموا الرسول ﷺ كي يخرج إليهم نفراً من أصحابه فقدم سبعة نفر مظهرين الاسلام فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاماً فأبعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرؤننا القرآن ويعلموننا الإسلام.

فبعث معهم صل الله عليه وسلم ستة من أصحابه وهم: عاصم بن ثابت ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخبيب بن عدي الأسدي وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق وخالد بن البكير رضي الله عنهم جميعا فخرجوا مع القوم حتى أتوا الرجيع -ماء لهذيل بين مكة وعسفان- فغدروا بهم وأستصرخوا عليهم هذيلاً وإذا بالرجال بأيديهم السيوف وقد أحاطوا بهم من كل جانب وهم نحو مئتي رجل فأرتاب عاصم ومن معه، وجردوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا: ما نريد قتالكم ولكم عهد الله وميثاقه لا نقتلكم -وإنما كانوا يريدون أن يبيعوهم لأهل مكة فيقتلونهم بمن قتل منهم ببدر- فنزل على عهدهم خبيب وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق وأستأسروا لهم. أما أبو سليمان عاصم بن ثابت ومرثد وخالد فقد أبوا أن يقبلوا جوارهم وقالوا: إنا لا ننزل على ذمة مشرك ثم تحولوا عنهم وأعلنوا قتالهم.

---

(1) راجع السرية التي قبل هذه.

10. مقتل عاصم وخبيب وزيد رضي الله عنهم

فرماهم عاصم –وكان رامياً– حتى فنيت نبله ثم طاعنهم حتى كسر رمحه، ثم كسر غمد سيفه وقاتل حتى قتل، وقاتل مرثد وخالد حتى قتلى رضي الله عنهم فأراد المشركون أن يأخذوا رأس عاصم فيبيعونه إلى سلافة بنت سعد في مكة لأنه قتل لها ابنين يوم أحد, فبعث الله الدبر –الزنابير– فحمته فلم يدن منه أحد إلا لدغته في وجهه ثم حتى كان الليل بعث الله عليه سيلاً فأحتمله وذهب به. وسبب ذلك قالوا: إنه كان قد نذر ألا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك.

أما الثلاثة الذين استسلموا فقد أوثقوهم وخرجوا بهم يريدون مكة فنزع عبد الله بن طارق يده من رباطه وأخذ سيفه فقتلوه رجماً بالحجارة وقبروه بمر الطهران –وقبره معروف يزار– وقدموا مكة بخبيب وزيد فأبتاع خبيباً حجير بن أبي إهاب واشترى زيداً صفوان بن أمية ليقتله بأبيه وكان شراؤهما في ذي القعدة فحبسوهما حتى خرجت الأشهر الحرم.

عن موهب مولى آل نوفل قال: قال لي خبيب وكان محبوساً عندي: يا موهب، أطلب إليك ثلاثاً: أن تسقني العذب وأن تجنبني ما ذبح على النصب وأن تعلمني إذا أرادوا قتلى! وقالت ماوية زوج موهب: كان حبيب رضي الله عنه يجهر بالقرآن فإذا سمعه النساء بكين ورفقن عليه. وقالت ماوية: والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب, والله رأيته يأكل قطفاً من عنب مثل رأس الرجل وإنه لموثق بالحديد وما بمكة حبة عنب.

فلما أنسلخ الأشهر الحرم أعلمته ماوية بقتله فما أكترث لذلك، طلب حديدة فأتته بموس مع ابنها يحتد بها فقال ممازحاً له: أما خشيت أمك حين بعثت معك بحديدة وأنتم تريدون قتلي؟ فقالت: يا خبيب إنما أمنتك، فقال: لا تخافي ما كنت لأغدر به. ثم أخرجوه في الحديد إلى التنعيم –خارج حدود الحرم– ومعه رفيقه زيد بن الدثينة وخرج معهما الصبيان والنساء والعبيد وجماعة من أهل مكة. فاستأذنهم خبيب في صلاة ركعتين فصلاهما من غير أن يطول فيهما ثم قال: والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعاً من القتل لأستكثرت من الصلاة! فكان خبيب رضي الله عنه أول من سن هاتين الركعتين عند القتل

للمسلمين ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا! ثم قال: اللهم أحصهم عدداً وأقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً.

ثم دعوا أبناء من قتل ببدر –فكانوا أربعين غلاماً– وأعطوا كل واحد منهم رمحاً وقالوا: أرجع عن الإسلام ونخلي سبيلك فقال: لا إله إلا الله! والله ما أحب أني رجعت عن الاسلام وأن لي ما في الأرض جميعاً. فجعلوا يقولون: يا خبيب أرجع، قال: لا أرجع أبداً قالوا: واللات والعزى لئن لم تفعل لنقتلنك قال: إن القتل في الله لقليل. ثم قال: اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو، اللهم ليس ها هنا أحد يبلغ رسولك عني السلام فبلغه أنت عني السلام ثم طعنوه برماحهم وطعنه أبو سروعة حتى أخرجها من ظهره فمكث ساعة يتشهد ويوحد حتى مات رضي الله عنه. وفي تلك الساعة نفسها كان رسول الله ﷺ جالساً مع أصحابه فأخذته غمية –كالنعسة أو الغشية– فقال: وعليه السلام ورحمة الله، ثم قال: هذا جبريل يقرئني من خبيب السلام.

وأما زيد رضي الله عنه: فبعث به صفوان بن أمية مع مولى له اسمه: نسطاس إلى التنعيم ليقتلوه وخرج معه رهط من قريش فيهم أبو سفيان فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي! فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً, ثم طعنه نسطاس فقتله رضي الله عنه.

11. خبر بئر معونة والغدر بالقرآء رضي الله عنهم والمزيد من الخيانات

في صفر سنة أربع كانت حادثة بئر معونة وهي اسم لماء بين أرض بني عامر وحرة بني سليم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرة بني سليم أقرب. لقد أظهرت حادثة بئر معونه وما حصل للمسلمين فيها حقيقة المشركين وشدة عداوتهم وغدرهم ومكث رسول الله ﷺ يدعو عليهم ثلاثين صباحاً.

وسببها: أن عامر بن مالك –أبا براء– قدم على النبي ﷺ فعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال: يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى قومي –أهل نجد– يدعونهم إلى الإسلام لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك، فإني أرى أمرك هذا حسناً وشريفاً! فقال ﷺ: إني أخاف عليهم أهل نجد، قال أبو براء: لاتخف عليهم، أنا لهم جار.

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الساعدي الانصاري في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين، وقيل: سبعين رجلاً؛ يقال لهم اهل القرآن، لأنقطاعهم على العبادة ومدارسة القرآن فيما بينهم،

وبعث معهم كتاباً إلى عامر بن الطفيل –رئيس بني عامر وابن أخي أبي براء– وأرسل معهم دليلاً: المطلب من بني سليم، حتى إذا كانوا ببئر معونة عسكروا بها وسرّحوا ظهرهم –مركوبهم– وبعثوا في سرحهم الحارث بن الصمة وعمرو بن أمية الضمري، وقدموا حرام بن ملحان الأنصاري بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل في رجال من بني عامر، فلم يقرؤا الكتاب ووثب عامر بن الطفيل على حرام فقتله. وأستصرخ بني عامر –وكان أبو براء بناحية نجد– فأبوا أن يخفروا[1] جوار أبي براء.

فأستصرخ قبائل من سليم: عصية ورعلاً فنفروا معه حتى أتوا القراء فقاتلوهم فقتلوهم رضي الله عنهم جميعا، وأقبل الحارث بن الصمة وعمرو بالسرح وإذا الخيل واقفة وإذا أصحابها قتلى، فقاتلهم الحارث حتى قتل بعدما قتل منهم عدة، وأسروا عمرو بن أمية ثم أعتقه عامر بن الطفيل عن أمه –زعم أن على أمه عتق فأعتقه عنها– وجزَّ ناصيته[2].

وكان ممن قتل يومئذ: عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه, وهو الذي كان يروح بالغنم عليهما بالغار، وكان رديف أبي بكر في الهجرة . طعنه جبار بن سُلمى الكلابي بالرمح فذهب بعامر في السماء حتى غاب عنه وهو يقول: فزت ورب الكعبة, فأسلم جبار لما رأى من أمر عامر.

12. دعاء النبي ﷺ على أهل الغدر

ولما بلغ رسول الله صل الله عليه وسلم خبر بئر معونة، وجاء معها خبر مصاب خبيب بن عدي وأصحابه؛ شق عليه أمرهم؛ فجعل يقول: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً، ودعا على قتلتهم بعد الاعتدال من الركعة الثانية من صلاة الصبح فلما قال سمع الله لمن حمده قال: اللهم اشدد وطأتك على مضر, اللهم عليك ببني لحيان وزغب ورعل وذكوان وعصبته فإنهم عصوا الله ورسوله. اللهم عليك ببني لحيان وعضل والقارة، اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين. غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله, ثم سجد يقال: إنه دعا عليهم أربعين يوماً حتى نزلت: (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون)[3]. ولم يجد رسول الله ﷺ على قتلى ما وجد على قتلى بئر معونة! وأنزل الله فيهم قرآناً نسخ بعد ما أنزل؛ وهو: (ألا بلغوا عنا قومنا بأنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا عنه)[1].

---

(1) خفر بالعهد أي نقض العهد.
(2) رواه الطبراني.
(3) سورة آل عمران آية 128.
(4) أخرجه البخاري.

الجزء الثامن
غزوة بنى النضير وما تلاها من أحداث

1. غزوة بني النضير

إن عمرو بن أمية الضمري الذي أعتقه عامر بن الطفيل خرج حتى إذا كان بالقرقرة[1] أقبل رجلان حتى نزلا معه في ظل هو فيه فسألهما ممن أنتما؟ فقالا: من بني عامر –الذين قتلوا أصحابه القراء– فأسرها عمرو في نفسه ثم أمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما. وكان معهما عقد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو وهو يرى أنه قد أصاب ثأراً بهما من بني عامر فيما أصابوا من أصحابه القراء.

فلما قدم عمرو على النبي ﷺ وقص عليه خبر أصحابه، وأخبره بأنه قتل العامريين وثأر لأصحابه من بني عامر؛ فقال له صل الله عليه وسلم: بئس ما صنعت قتلت رجلين قد كان لهما مني أمان وجوار! لأدينَّهما، وأخرج ديتهما دية حرين مسلمين فبعث بهما وبسلبهما إلى بني عامر.

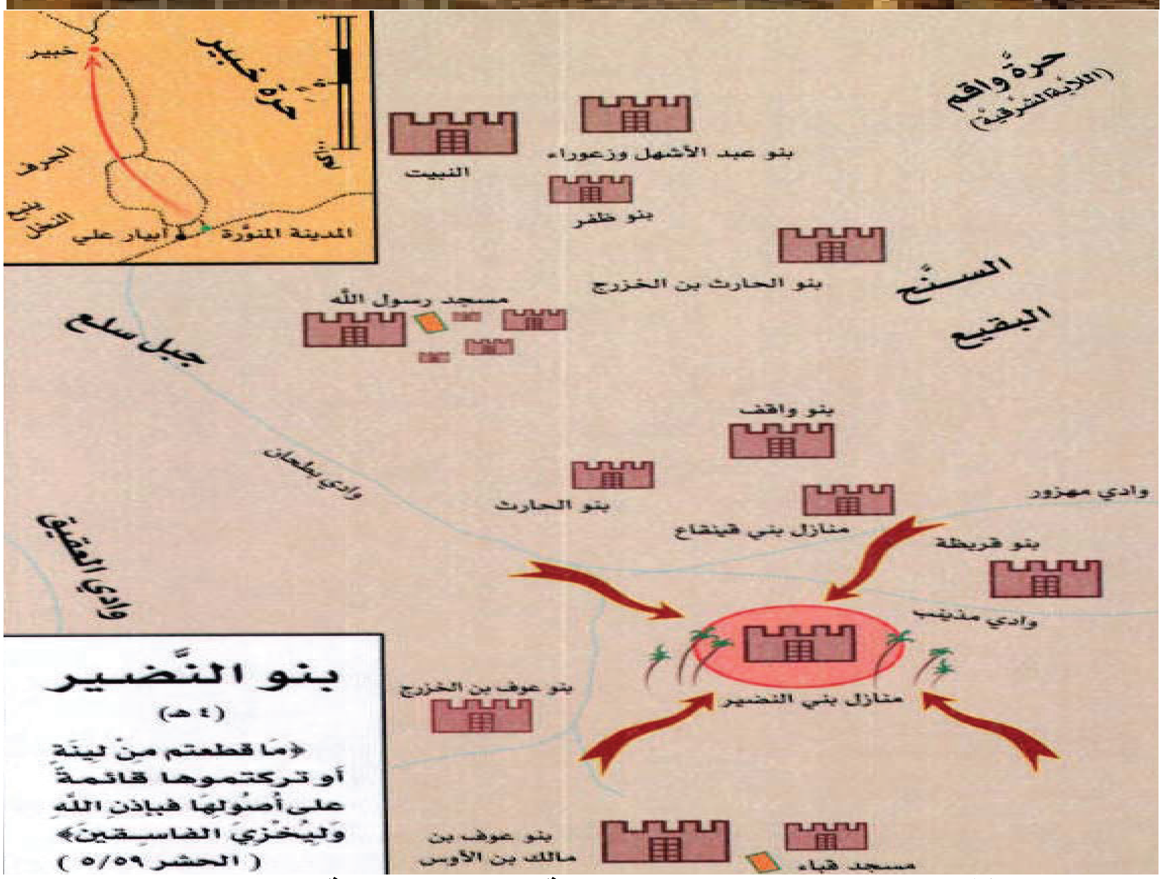
فكانت غزوة بني النضير في السنة الرابعة للهجرة في جنوب المدينة، وسببها: أنه لما قتل عمرو بن أمية العامريين؛ خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذين القتيلين من بني عامر لما بينه وين اليهود من موادعة ومعاهدة وذلك لما هاجر ﷺ إلى المدينة وأستقر بها وأدع اليهود وكتب بذلك كتاباً، أقرهم فيه على دينهم وأموالهم وشرط عليهم أن لا يعينوا أحداً وإن دهمه عدو بالمدينة ينصرونه. ومنها: إن وجبت دية على المسلمين يعينهم فيها اليهود وإن كانت على اليهود أعانهم المسلمون وهذا شيء معلوماً عرفاً وعادة. ولما جاءهم ﷺ وكلمهم في أمر الدية قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت وكان جالساً ﷺ في ظل جدار ومعه نفر من أصحابه دون العشرة.

ثم خلا اليهود بعضهم ببعض وأتفقوا على أن يطرحوا عليه صخرة من فوق البيت الذي هو تحته فيقتلوه، فأنتدب لذلك عمرو بن جحاش وهيأ الصخرة ليرسلها –يسقطها– على الرسول صل الله عليه وسلم فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم؛ فنهض صل الله عليه وسلم سريعاً كأنه يريد حاجة ومضى

(1) ماء بينه وبين المدينة ثمانية برد من جهة الشرق.

إلى المدينة فلما أبطأ لحق به أصحابه ثم بعث في طلب محمد بن مسلمة فقال له: اذهب إلى يهود بني النضير فقل لهم: إن رسول الله أرسلني إليكم: أن أخرجوا من بلده فإنكم قد نقضتم العهد بما هممتم به من الغدر وقد أجَّلتهم عشراً فمن رؤي بعد ذلك ضربت عنقه.





آثار حصون "بنى النضير" المتبقية الى الآن بالمدينة ومخطط الغزوة

فأخذوا يتجهزون للحرب، ثم بعث رئيسهم حيي بن أخطب مع أخيه جُدَيٍّ إلى الرسول ﷺ: إنا لا نخرج فليصنع ما بدا له! وقد غره عبد الله بن أبي بأن أرسل إليه مع بعض المنافقين أن يقيم بنو النضير ولا يخرجوا: فإن معي من قومي وغيرهم ألفين، يدخلون معكم ولا نسلمكم أبداً؛ إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم. لذلك تربصوا وأنتظروا نصرة المنافقين، فلما بلغ جدي رسالة أخيه إلى النبي ﷺ كبر وكبر معه أصحابه وقال: حاربت يهود؛ ونادى مناديه بالمسير إلى بني النضير. وسار رسول الله ﷺ في أصحابه فصلى العصر بفضاء بني النضير وقد قاموا على جدر حصونهم ومعهم النبل والحجارة ولم يأتهم أبن أبي، وأعتزلتهم يهود قريظة فلم تعنهم بسلاح ولا رجال وجعلوا يرمون يومهم بالنبل والحجارة حتى أمسوا. فلما صلى رسول الله ﷺ العشاء وقد أكتمل الجيش المسلم رجع إلى بيته في عشرة من أصحابه وعليه الدرع والمغفر –غطاء الرأس للمحارب– وهو على فرس وأختار علياً بن أبي طالب رضي الله عنه حامل اللواء على المعسكر، وبات المسلمون محاصريهم يكبرون حتى أصبحوا وأذن بلال رضي الله عنه بالمدينة فغدا ﷺ في أصحابه الذين كانوا معه فصلى بالناس في فضاء بني خطمة، وأستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وحملت مع رسول الله ﷺ قبة فضربها بلال ودخلها رسول الله ﷺ فرمي يهودي اسمه غزْوَك فبلغ بنبله القبة حيث لا يصلها النبل وظل محاصرهم ست ليال من ربيع الأول، وفقد علي رضي الله عنه في بعض الليالي فتفقده المسلمون فقال رضي الله عنه: إنه في بعض شأنكم، فعن قليل جاء برأس غزوك؛ وقد كمن له حتى خرج نفر من اليهود يطلب غرة من المسلمين وكان شجاعاً رامياً فشد عليه علي رضي الله عنه فقتله وفر اليهود.

فبعث معه النبي صل الله عليه وسلم أبا دجانة وسهل بن حنيف في عشرة فأدركوا اليهود الذين فروا عن علي فقتلوهم وأتوا برؤوسهم وكان سعد بن عبادة رضي الله عنه يحمل التمر إلى المسلمين.

وأمر رسول الله ﷺ بالنخل فقطعت وحرقت فشق على يهود قطع النخل وأسقط في أيديهم فلم ينصرهم كبير المنافقين ابن أبي كما وعدهم والمنافقون معه وخذلتهم قريظة فراحوا ضحية غدرهم وعنادهم فليس أمامهم إلا الرضوخ والاستسلام أو الموت. فبعث حيي بن أخطب إلى النبي ﷺ بأنه يخرج ومن معه فقال عليه الصلاة والسلام: لا أقبله اليوم ولكن ليخرجوا منها ولهم ما حملت الإبل إلا الحلقة –السلاح– فنزلت يهود على أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة. وأسلم منهم يامين بن عمير –ابن عم عمر بن جحاش– وأبو سعد بن وهب ونزلا فأحرزا أموالها وجعل يامين لرجل عشرة دنانير حتى قتل عمرو بن جحاش غيلة فسر رسول الله ﷺ بقتله.

2. جلاء يهود بني النضير

وتولى محمد بن مسلمة إخراجهم، وكانوا في حصارهم يخربون بيوتهم بأيديهم مما يليهم، والمسلمون يخربون ما يليهم. فجعلوا يحملون الخشب ويحملون النساء والذرية فكانوا على ستمائة بعير فنزل أكثرهم بخيبر وذهب طائفة منهم إلى الشام. وحزن المنافقون لخروجهم أشد الحزن. روي أنه لما غنم رسول الله صل الله عليه وسلم أموال بني النضير دعا ثابت بن قيس بن شماس –وكان صيتاً شديد الصوت رفيعه– فقال له: ادع لي قومك.

قال ثابت: الخزرج؟ قال: الأنصار كلها، فدعا له الأوس والخزرج. فقام ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الأنصار وإكرامهم المهاجرين وإيثارهم إياهم على أنفسهم, ثم قال: إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله علي من بني النضير, وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم، وإن شئتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم؟ فقال سعد بن عبادة رضي الله عنه: يا رسول الله بل تقسم بين إخواننا المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا!! وقالت الأنصار كلهم: رضينا بما قال سعد يا رسول الله وسلمنا؛ فقال ﷺ: اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. ثم قسم على المهاجرين ولم يعط أحداً من الأنصار غير أبي دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما. وأهدى سعد بن معاذ رضي الله عنه سيف ابن أبي الحقيق اليهودي وكان سيفاً له ذكر عندهم. ويقال: إن الله أنزل في هذا الإيثار الذي آثر به الأنصار إخوانهم المهاجرين أنزل قوله تعالى: (والذين تبوؤ الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)[1] فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: جزاكم الله عنا كل خير يا معشر الأنصار فوالله ما مثلنا مثلكم إلا كما قال الشاعر الطفيل الغنوي:

جَزَى الله عنّا جعفراً حين أزلفت ... بنا نَعلنا في الواطِئينَ فزلّتِ
همُ خلطونا بالنفوس وألجؤوا ... إلى حجرات أدفأت وأظلت
أبوا أنْ يَملّونا ولو أنّ أُمَّنا ... تُلاقِي الذي يَلقَون مِنَّا لَملّتِ
فذو المالِ موفورٌ وكلٌّ معصب ... إلى حجرات أدفأت وأظلت
و قالوا هلمَّ الدارَ حتى تبينوا ... وتنجَلي الغَمَاءُ عمَّا تجلَّتِ
و من بعدما كنا لسلمى وأهله ... قطيناً وملتنا البلادُ وملت
سنجزي بإحسانِ الأيادي التي مضت ... لها عِندنا كبَّرَت وأهَلّتِ

(1) سورة الحشر 9.

ونزل في حادثة بني النضير سورة الحشر بأسرها، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهم سورة الحشر: قال: سورة النضير. وبعض آيات من سورة الحشر بما يناسب قصة بني النضير:
(سبح لله ما في السماوات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فأعتبروا يا أولي الابصار)[1].

3. غزوة بدر الموعد وما تلاها من أحداث

ثم كانت غزوة بدر الموعد لهلال ذي القعدة من السنة الرابعة للهجرة وذلك لما أراد المشركون الإنصراف من غزوة أحد نادى أبوسفيان: موعد بيننا وبينكم بدر الصفرآء رأس الحول؛ فقال عمر رضي الله عنه بأمره صل الله عليه وسلم: نعم إن شاء الله، وكان موقع بدر مجمعاً للعرب يقام فيها سوق لهلال ذي القعدة من كل سنة، يمكثون فيه ثمانية أيام.

فلما دنا الموعد كره أبوسفيان الخروج ولكنه أظهر التهيؤ والاستعداد للغزو وكان يريد من ذلك تخويف المسلمين وتخذيلهم. وقدم مكة نعيم بن سعود الأشجعي -وكان مشركاً ثم أسلم يوم الخندق- فأعلمه أبوسفيان بأنه كاره للخروج إلى لقاء المسلمين وأعتل بجدب الأرض وجعل له عشرين فريضة توضع تحت يد سهيل بن عمرو على أن يخذل المسلمين عن المسير إلى الموعد وحمله على بعير.

فقدم نعيم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبي سفيان وجعل يطوف بالمسلمين ويخذلهم حتى قذف الرعب في قلوب المسلمين حتى تخوفوا من الخروج. فأستبشر المنافقون واليهود وقالوا: محمد لا يغلِب، إلى غير ذلك وأظهروا فرحهم.

فبلغ النبي صل الله عليه وسلم إرجاف الناس وتخوفهم حتى خشي أن لا يخرج المسلمون لهذه الغزوة! فجاءه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما -وقد سمعا ما سمعا- وقالا: يا رسول الله إن الله مظهر دينه ومعز نبيه وقد وعدنا القوم موعداً لا نحب أن نتخلف فيرون أن هذا جبن فسر إلى موعدهم فوالله إن في ذلك لخيرة. فسر رسول الله ﷺ ثم قال: والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد. فبصر الله المسلمين وأذهب عنهم الرعب وخرجوا. فخرج ﷺ في ألف وخمسمائة من أصحابه متهيئين للقتال

(1) سورة الحشر آية 1-2.

ومعهم تجارات إلى بدر. وأستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة وحمل لواءه علي بن ابي طالب رضي الله عنهم فوصلوا بدراً ليلة هلال ذي القعدة.

وخرج أبو سفيان من مكة في ألفين ثم رجعوا من مجنة -وكان خروجه على نية الرجوع- فقال: يا معشر قريش أرجعوا فإنه لا يصلحنا إلا عام خصيب غيداق ترعى فيه الشجر ونشرب اللبن وإن عامكم هذا عام جدب فإني راجع فأرجعوا فرجع الناس.

وأما المسلمون فمكثوا ثمانية أيام فباعوا سلعتهم وربحوا فيها ربحاً كثيراً ولم يشاركهم في سوقهم أحد (فأنقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وأتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم)[1].

عزة الاسلام: مخشى بن عمرو ووصول الخبر إلى مكة

وقام مجدي بن عمرو من بني صخرة ويقال: اسمه مخشي بن عمرو -وكان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد- والناس مجتمعون في سوق بدر والمسلمون أكثر ذلك الموسم- فقال: يا محمد ما أراكم إلا أهل الموسم وخرجتم للتجارة! فقال رسول الله صل الله عليه وسلم ما أخرجنا إلا موعد أبي سفيان، وقتال عدونا وإن شئت مع ذلك نبذنا إليك وإلى قومك العهد ثم جالدناكم قبل أن نبرح منزلنا هذا. فقال الضمري: بل نكف أيدينا عنكم ونتمسك بحلفك.

وانطلق معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى مكة وأخبر بكثرة المسلمين وأنهم أهل ذلك الموسم وأنهم ألفان وأخبرهم بما قال رسول الله صل الله عليه وسلم للضمري. ولما سمع بذلك صفوان بن أمية قال لأبي سفيان: قد والله نهيتك أن تعد القوم فقد أجترؤا علينا ورأوا أنا أخلفناهم وبدؤا يتهيئون لغزوة الخندق.

حوادث من السنة الرابعة

وفي هذا العام ولد الحسين وفيه تزوج رسول الله صل الله عليه وسلم أم سلمة رضي الله عنهم جميعا.

4. غزوة ذات الرقاع

ثم كانت غزوة ذات الرقاع في المحرم آخر السنة الرابعة بداية السنة الخامسة وقد أختلف في هذه التسمية فقيل: إنها اسم لشجرة وقيل: اسم لجبل، وقيل: غير ذلك. والأصح: ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي صل الله عليه وسلم في غزاة ونحن ستة نفر -أي من الأشعريين- بيننا بعير نتناوب عليه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت أظفاري -من المشي-

(1) سورة آل عمران آية 174.

وكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا. وقد ظهر في هذه الغزاة من المعجزات الشيء الكثير.

وسببها أن قادماً من نجد قدم المدينة وأخبر أن بني أنمار وبني سعد بن ثعلبة قد جمعوا لحرب المسلمين فخرج صل الله عليه وسلم في أربعمائة وقيل: في سبعمائة وبث السرايا في طريقه فلم يروا أحداً (أنظر الخريطة) ثم قدم محالهم وكان قد بلغهم خروج المسلمين إليهم فذهبوا إلى رؤوس الجبال وأطلوا على المسلمين فخاف الفريقان بعضهم بعضاً وصلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف خوفاً أن يغيروا عليه وهم في الصلاة فكانت أول ما صلاها في ذلك اليوم وكيفية هذه الصلاة مفصلة في كتب الفقه.



وبعث صل الله عليه وسلم جعال بن سراقة بشيراً إلى المدينة بسلامته وسلامة المسلمين وكان رسول الله صل الله عليه وسلم قد أصاب في محالهم نسوة منهن امرأة كان زوجها يحبها فلما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة حلف زوجها ليطلبن محمداً ولا يرجع إلا أن يهريق فيهم دماً أو يتخلص صاحبته. فبينا رسول الله ﷺ في مسيرة في ليلة باردة ذات ريح فنزل في شعب فقال: من يكلؤنا[1] الليلة؟

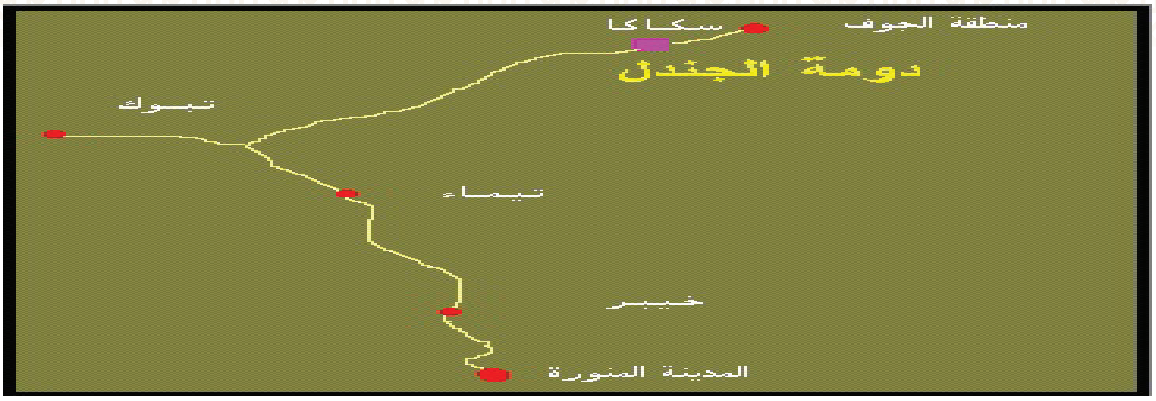
خبر عباد بن بشر وعمار بن ياسر

فقام عباد بن بشر وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فقالا: نحن يا رسول الله وجلسا على فم الشعب والريح لا تسكن فقال عباد بن بشر لعمار: أنا أكفيك أول الليل وتكفيني أنت آخره فنام عمار وقام عباد يصلي وأقبل الرجل صاحب المرأة يطلب غرة. فلما رأى سواده من قريب قال: يعلم الله إن هذا لربيئة القوم –حارسهم– ففوق له سهماً فوضعه فيه فأنتزعه عباد، ثم رماه بآخر فوضعه فيه فأنتزعه أيضاً ثم رماه الثالث فوضعه فيه، فلما غلبه الدم ركع وسجد وأتم صلاته ثم قال لصاحبه: قم يا أخي فقد أوتينا! فجلس عمار وقال لما رأى الدم: يا أخي ما منعك أن توقظني في أول سهم رميت به؟ قال: كنت في سورة أقرأها –سورة الكهف– فكرهت أن أقطعها حتى أفرغ منها، ولولا أني خشيت أن أضيع ثغراً أمرني به صل الله عليه وسلم ما أنصرفت ولو أتى على نفسي. فلما رآهما الرجل عرف أنه قد علما به فهرب. ثم رجع صل الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أن غاب عنها خمس عشرة ليلة.

5. غزوة دومة الجندل وحماية النقيع لخيل المسلمين

في ربيع الأول سنة خمس من الهجرة وهي مدينة من بلاد الشام (انظر المخطط) تبعد عن دمشق خمس ليالٍ وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة وسببها: بلغ النبي ﷺ أن جمعاً عظيماً من الأعراب يخربون بدومة الجندل ويعتدون على من مر بهم وأنهم يريدون الدنو من المدينة فخرج صل الله عليه وسلم في ألف من أصحابه وأستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وسار مغذاً للسير وعرج على طريقهم المألوفة ولم يزل يسير الليل ويكمن النهار حتى قرب منهم فلما بلغهم الخبر تفرقوا فأغار المسلمون على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب ثم نزل بساحتهم فلم يلق أحداً فرجع صل الله عليه وسلم غانماً ودخل المدينة في أواخر ربيع الآخر وكانت غيبته مقدار أربعين يوماً.

(1) يحرسنا.



مخطط غزوة دومة الجندل

مر النبي صل الله عليه وسلم بالنقيع –أرض منبتة قرب المدينة– فرأى سعة وكلأً وغُدُراً[1] ولكنها لا تصلح للزراعة لإستنقاعها بالمياه فأمر بلال بن الحارث المزني أن يحمي النقيع لخيل المسلمين ترعى به وقت السلم حتى إذا كان الحرب تكون جاهزة وقوية فقال: كم أحمي منهم يا رسول الله قال: أقم رجلاً صيتاً[(2)]. إذا طلع الفجر على هذا الجبل فحيث أنتهى صوته فأحمه لخيل المسلمين وإبلهم التي يغزون عليها. قال: يا رسول الله أفرأيت ما كان من سوائم[3] المسلمين؟ فقال: لا يدخلها قال: أرأيت المرأة والرجل الضعيف يكون له الماشية اليسيرة وهو يضعف عن طلب المرعى؟ قال: دعه يرعى.[(4)]

6. النهي عن طروق النساء ليلاً

كان رجع رسول الله ﷺ من بعض الغزوات متأخراً فلما أتى وادي العقيق أمر الجيش بالنزول وعرس بوادي العقيق ولكن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لم ينزل ورأى أنه وصل المدينة فأراد أن يبيت في داره فتقدم حتى دخل المدينة فأتى بيته ودخله فإذا بإمرأته نائمة وإلى جنبها إنسان طويل فظن أنه رجل فجرد سيفه يريد أن يضربها ثم فكر وأدكر –إستحضر بذهنه– فغمز امرأته برجله فأستيقظت وصاحت فقال: أنا عبدالله، فمن هذا؟ قالت: هي الماشطة –حيلة– سمعنا بقدومكم فدعوتها تمشطني فباتت عندي فندم على قدومه ليلاً فبات وأصبح ثم خرج يلقى رسول الله صل الله عليه وسلم ليعلمه بما حدث له. وإذا رسول الله ﷺ قادم بين أبي بكر الصديق وبشير بن سعد الخزرجي رضي الله عنهم فألتفت صل الله عليه وسلم إلى بشير فقال: يا أبا النعمان إن وجه عبدالله ليخبرك أنه كره طروق أهله ليلاً . فلما أنتهى

(1) ما ترعاه الماشية بأرض ممطورة وخصبة.
صيتاً: قوي الصوت، رفيعه.
(2) كل ابل أو ماشية ترسل للرعي ولا تعلف.
(3) صلى الله وسلم عليك يا من خاطبك ربك (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) سورة الأنبياء آية 107.

إلى رسول الله صل الله عليه وسلم قال: خبرك يا ابن رواحة؟ فأخبره، فقال ﷺ: لا تطرقوا النساء ليلاً. فكان ذلك أول ما نهى عنه رسول الله ﷺ.

7. غزوة بني المصطلق

في شعبان السنة الخامسة كانت غزوة بني المصطلق، وهم بنو جَذيمة بن كعب بن خزاعة، فجذيمة هو المصطلق، ويقال لها غزوة المريسيع، والمريسيع هو ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم. وسببها: أنه بلغ النبي صل الله عليه وسلم أن الحارث بن أبي النضر سيد بني المصطلق جمع لحرب رسول الله ﷺ جمعاً كبيراً، فتهيئوا ليسيروا إلى المدينة وكانوا ينزلون ناحية الفرع، فبعث النبي صل الله عليه وسلم بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه ليعلم علم ذلك، فأتاهم ولقي الحارث بن أبي ضرار فوجده قد جمع الجموع وقالوا له: من الرجل؟ فقال: منكم، قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل، فأسير في قومي ومن أطاعني فنكون يداً واحدة حتى نستأصله. فقال الحارث: فنحن على ذلك فعجل إلينا، فقال لهم بريدة: أركب الآن وآتيكم بجمع كثير من قومي، فسروا بذلك ورجع هو إلى النبي صل الله عليه وسلم فأخبره خبرهم، فندب النبي ﷺ الناس وخرج مسرعاً في جمع كثير، وخرج معه نفر من المنافقين طمعاً في الغنيمة ولقرب السفر عليهم (انظر الخريطة), وأستعمل على المدينة زيد بن حارثة وقيل أبا ذر رضي الله عنهما، وخرجت معه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما.



مخطط غزوة بني المصطلق

وبلغ الحارث ومن معه مسير النبي ﷺ فخافوا خوفاً شديداً، وتفرق عنهم كثير ممن كان معهم من العرب، وبلغ صل الله عليه وسلم المريسيع وضرب عليه قبته وهيأ أصحابه للقتال وصفهم ودفع راية المهاجرين لأبي بكر، وراية الأنصار لسعد بن عبادة رضي الله عنهم جميعا. وأمر عمر فنادى في القوم –في بني المصطلق– : قولوا لا إله إلا الله، تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم، فأبى المشركون أن يقولوها فترامول بالنبل ساعة ثم أمر النبي ﷺ أصحابه فحملوا عليهم حملة رجل واحد فما أفلت منهم أحد، قتلوا عشرة وأسروا باقيهم، وسبوا النساء والذرية، وساقوا النعم والشاة، وكانت الإبل ألفي بعير، وخمسة آلاف شاة، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد وهو هشام بن صبابة رضي الله عنه قتله المسلمون خطأً.

8. زواجه ﷺ بجويرية ورؤيتها وفضلها على أبيها وقومها

وكان من جملة السبي جويرية بنت الحارث –رئيس القوم– فأعتقها النبي ﷺ وتزوج بها وخرج الخبر إلى الناس أن النبي ﷺ تزوج بها، فقال الناس: أصهار رسول الله!! وأطلقوا ما بأيديهم. قالت عائشة رضي الله عنها: ما علمنا امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية، فلما رأى المشركون هذه الأخلاق الكريمة من رسول الله ﷺ ومن أصحابه، وهذه المعاملة الحسنة دخل أكثرهم في الإسلام.

وروي أن جويرية رضي الله عنها قالت: رأيت قبل قدوم النبي صل الله عليه وسلم بثلاث ليال، كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فكرهت أن أخبر بها أحداً من الناس حتى قدم النبي ﷺ، فلما سبينا رجوت الرؤيا، فلما أعتقني وتزوجني ما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تخبرني بفك الأسرى، فحمدت الله تعالى على ذلك.

وبعد رجوع النبي صل الله عليه وسلم إلى المدينة، قدم الحارث والد أم المؤمنين جويرية يريد فداء إبنته وفكاكها، فلما كان بالعقيق نظر إلى إبله التي قدم بها –لفداء إبنته– فرغب في بعيرين منها وأستحسنهما، فأعقبهما في شعب من شعاب العقيق وربطهما إلى شجرة، ثم أقبل على النبي ﷺ فقال: يا محمد أصبتم ابنتي وهذا فداؤها. فقال له رسول الله ﷺ: فأين البعيران اللذان أعقبتهما بالعقيق، في شعب كذا وكذا؟ فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. والله ما اطلع على ذلك أحد إلا الله. ثم أمره ﷺ أن يخبر ابنته بإسلامه، فقالت له: أحسنت وأجملت. فقال لها أبوها: يا بنية لا تفضحي قومك –بالرق– قالت: اخترت الله ورسوله فرضي أبوها بذلك.

9.مقالة رئيس المنافقين (لئن رجعنا إلى المدينة)

وفي هذه الاثناء: بينما كان المسلمون على ماء المريسيع اختصم أجير لعمر بن الخطاب أسمه جهجاه مع سنان الجهني حليف الخزرج، بينما هم يستقون من البئر فضرب جهجاه سناناً فأسال دمه، فنادى سنان: يا للخزرج، وثارت الرجال، فهرب جهجاه وهو ينادي: يا لقريش، فأقبل جمع من الجيش وأشهروا السلاح حتى كادوا أن يقتتلوا، فسمع رسول الله صل الله عليه وسلم فقال: ما هذا؟ فأخبروه فقال: دعوها فإنها منتنة –إنها دعوى جاهلية– وقام رجال من المهاجرين والأنصار بالصلح، وترك سنان حقه.

وكان عبد الله بن أبي جالساً ومعه بعض المنافقين فغضب فقال: والله ما رأيت كاليوم مذلة، أوقد فعلوها، لقد نافرونا وكاثرونا في بلدنا، وأنكروا مِنَّتنا، والله صرنا كما قال القائل: سمِّنْ كلبْك يأكلْك، وجوع كلبك يتبعك. والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من حضر من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم أرضكم، ونزلوا منازلكم، وآسيتموهم في أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم ليتحولوا عنكم إلى غيركم، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد.

فسمع مقالته زيد بن أرقم رضي الله عنه وهو فتى في سن البلوغ، فأخبر النبي صل الله عليه وسلم بمقالة ابن أبيّ، وعنده بعض أصحابه، فتغير وجهه ثم قال: يا غلام لعلك غضبت عليه؟ قال: لا والله،

لقد سمعت منه. قال: لعله أخطأ سمعك؟ قال: لا يا نبي الله. قال: لعله شبه عليك؟ قال: لا والله لقد سمعت منه يا رسول الله. وشاع في العسكر ما قال ابن أبيّ حتى كان حديث القوم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله مر عباد بن بشر فليأتك برأسه. فقال: كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه. وقال بعض الأنصار لابن أبيّ: انطلق إلى رسول الله ﷺ وأعتذر له حتى يستغفر لك، فلوى رأسه واستكبر. ولما فشت في الناس مقالة ابن أبي خشي النبي صل الله عليه وسلم من اتساع الأمر فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يؤذّن في الرحيل، وكان ذلك في شدة الحر وفي غير وقت رحيل.

وجاء إلى النبي صل الله عليه وسلم أسيد بن حضير رضي الله عنه فقال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. ثم قال: يا نبي الله لقد رحلت في ساعة منكرة ما كنت ترحل في مثلها. فقال صل الله عليه وسلم: ما بلغك ما قال صاحبك؟ زعم إنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُّ منها الأذلَّ. فقال أسيد: يا رسول الله أنت والله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز. ثم قال: أرفق به يا رسول الله فوالله لقد جاء بك الله وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، وإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً. ثم سار صل الله عليه وسلم بالناس سيراً حثيثاً –سريع– وما زالوا سائرين يومهم ذلك وليلتهم وصدر اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس وما كادت أجسامهم تلامس الأرض حتى راحوا نياماً من شدة التعب.

خبر عبد الله الابن رضي الله عنه مع أبيه كبير المنافقين

وكان لعبد الله بن أبيّ ابن يسمى الحباب، فسماه النبي صل الله عليه وسلم عبدالله وكان مؤمناً صادقاً، وكان باراً بأبيه فجاء إلى النبي ﷺ لما بلغته مقالة عمر رضي الله عنه من قتل أبيه فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت تريده فمرني، فوالله لأحملن إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا. وإني لأخشى يا رسول الله أن يقتله غيري فتسول إلى نفسي قتل قاتله فأدخل النار، وعفوك أفضل ومنتك أعظم. فقال ﷺ: ما أردت قتله ولا أمرت به ولنحسننّ صحبته ما كان بين أظهرنا. ولما انتهى رسول الله صل الله عليه وسلم إلى وادي العقيق تقدم عبدالله بن عبدالله بن أبيّ حتى أمسك بناقة أبيه وقال: والله لا تدخلها –المدينة– حتى تقول: رسول الله ﷺ الأعز، وأنت الأذل، أو لأضربن عنقك! فلما رأى منه الجد قال: العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. فقال رسول الله صل الله عليه وسلم لابنه: جزاك الله خيراً.

ما نزل من القرآن في ابن أبيّ والمنافقين

وقد أنزل الله في هذه القصة سورة المنافقين كلها، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾[1] وقال أيضاً: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ، يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[2]. ولما نزلت هذه السورة وفضح الله فيها ابن أبيّ والمنافقين وظهر أمرهم للناس، قال رسول الله ﷺ لزيد بن أرقم: يا ذا الأذن الواعية، وكان بعض الأنصار لام زيداً حيث بلّغ هذا الخبر وبعضه أنّبه على ذلك.

فقدان ناقة رسول الله ﷺ

وفي رجوعهم من هذه الغزوة فقدت ناقة رسول الله صل الله عليه وسلم –القصواء– من بين الإبل وهي سارحة، فذهب المسلمون يطلبونها في كل وجه، فقال زيد بن اللُّصَيت –من المنافقين– ألا يخبره الله بمكان ناقته؟ فأنكر القوم ذلك عليه وأسمعوه كل مكروه وهمّوا به، فهرب إلى الرسول ﷺ متعوذاً به وقد جاءه الوحي بما قال، فقال رسول الله صل الله عليه وسلم والمنافق يسمع: إن رجلاً من المنافقين شمت أن ضلّت ناقة رسول الله وقال: ألا يخبره الله بمكانها؟ فلعمري إن محمداً ليُخْبَر بأعظم من شأن الناقة، ولا يعلم الغيب إلا الله، وإن الله قد أخبرني بمكانها، وإنها في هذا الشعب مقابلكم، قد تعلق زمامها بشجرة فأعمدوا عمدها. فذهبوا فأتوا بها من حيث قال رسول الله صل الله عليه وسلم.

10.حديث الإفك

وفي هذه الغزوة كانت قصة الإفك! وما أدراك ما الإفك؟ هو: اتهام البريئة الطاهرة، الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، إتهامها بالفحش والعياذ بالله!! حقاً إنه لقول عظيم كما قال سبحانه: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[3] قول أخترعه المنافقون أعداء الدين وإليك الخبر:

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته، وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل حتى جاوزت الجيش[4] فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست

(1) المنافقون اية 5.
(2) المنافقون اية 7-8.
(3) النور: الآية 15.
(4) ذهبت لقضاء الحاجة وليس لهم إذ ذاك غير البرية لقضاء حاجتهم.

صدري، فإذا عقد لي قد إنقطع، فرجعت فألتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، وقالت: وأقبل الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي،[1] فرحّلوه على بعيري وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يغشهن اللحم إنما يأكلن قليلاً من الطعام. فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه. ووجدت عقدي بعد أن سار الجيش، فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب، فيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ.

فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش -يتبع الجيش ليحمل مفقوداته ويبلغ بما خلفه من مكيد- فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. فأستيقظت بإسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه غير إسترجاعه. ثم هوى من على ناقته حتى أناخها فوطئ على يدها فركبتها فأنطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش في نحر الظهيرة وهم نزول، وكان عبد الله بن أبي ينزل في جماعة من المنافقين مبتعدين من الناس، فمررنا به، فقال: من هذه؟ قالوا: عائشة وصفوان. قال: والله ما نجت منه ولا نجا منها، وصار يقول: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت! ثم أشاع ذلك في المدينة بعد دخولهم بها، لما يضمر من البغض والعداوة لرسول الله ﷺ. فهو الذي تولى كبره كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: فقدمنا المدينة واشتكيت -مرضت- حين قدمنا شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك ولا أعلمه، ولكن الذي رابني أني رأيت تغيراً من رسول الله صل الله عليه وسلم فكنت لا أعرف منه اللطف الذي كنت أعهده منه حين أشتكي، إنما يدخل فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف، فذاك يريبني ولم أشعر بالشر حتى نقهت.

خبر أم مسطح واستشارة رسول الله ﷺ أصحابه في الأمر

قالت عائشة رضي الله عنها: ولما نقهت خرجت معي أم مسطح قبل المناصع[3]، ولما فرغنا من شأننا ورجعنا نحو بيتنا، فعثرت أم مسطح في مرطها -ثوبها- فقالت: تعس مسطح[4] -تعني ابنها: فقلت

(1) الهودج: هو مثل المقعد أو السري من أعواد النخل ومشدود بالقش كانوا يضعونه على البعير وتجلس فيه النساء، وله غطاء يسترهن.

(2) النور: الآية11.

(3) المناصع: اسم لمكان خارج المدينة، كانوا يخرجون إليه لقضاء الحاجة، ذلك قبل اتخاذ الكنف، هكذا كانت العادة عند العرب وأهل البادية.

(4) مسطح: هو من الين تكلموا بالإفك وخاضوا فيه. وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه.

لها: بئسما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ قالت: يا هذه أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فأزددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: كيف تيكم؟ قلت له: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأريد أن أستيقن الخبر منهما، فأذن لها ﷺ، قالت: فأتيتهما فقلت لأمي: ماذا يتحدث الناس؟ فقالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها. فقلت لها: سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي.

ودعا رسول الله صل الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهم حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في أمرها. قالت: فأما أسامة بن زيد فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، وسل الجارية تصدقك. فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال لها: أي بريرة هل رأيت عليها من شيء يريبك؟ قالت بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه –أنتقده– غير أنها جارية حديثة السن تنام على عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله.

11.خطبة النبي ﷺ وبكاء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

قالت عائشة: فقام رسول الله صل الله عليه وسلم من يومه فأستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهلي؟ والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً –صفوان– ما علمت عليه إلا خيراً، وما يدخل على أهلي إلا معي. فقام أسيد بن حضير فقال: أنا يا رسول الله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت فقام سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال لأسيد بن حضير: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل. فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه إذا أمرنا رسول الله ﷺ بذلك. فإنك منافق تجادل عن المنافقين. قالت عائشة: فثار الحيان حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله صل الله عليه وسلم.

قالت عائشة رضي الله عنها: فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا يرقأ لي دمع، حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي، فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها وجلست تبكي، فبينا نحن على ذلك دخل

علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء. قالت: فتشهد صل الله عليه وسلم حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فإستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب, تاب الله عليه! قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة! فقلت لأبي: أجب عني رسول الله صل الله عليه وسلم فيما قال. فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ. فقالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت: إني والله لقد علمت أنكم قد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به فإن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقونني. فالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف عليه السلام حين قال: (صَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ)[1]. ثم تحولت فأضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله تعالى منزل في شأني وحياً يتلى!! ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها. وعند ذلك قال أبوبكر رضي الله عنه: ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل عليّ، والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية فيقال لنا في الإسلام؟

12.نزول الوحي ببراءة عائشة أم المؤمنين

قالت عائشة رضي الله عنها: فوالله ما قام رسول الله صل الله عليه وسلم من مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عليه الوحي، حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان في اليوم الشات. قالت فسري عنه صل الله عليه وسلم وهو يضحك. فقال: يا عائشة، أما الله فقد برأك، قال: فقالت لي أمي: قومي إليه –فاشكريه– فقلت: لا والله لا أحمد إلا الله عز وجل الذي برأني.

وأنزل الله تعالى في هذه القضية: عشر آيات وقيل ثمانية عشر آية من سورة النور، فقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً

(1) تعني يعقوب عليه السلام. وقالت عائشة رضي الله عنها فيما بعد: والله لقد نسيت اسم يعقوب عليه السلام – يعيني مما أصابها من هذه التهمة العظيمة – أما الاية من سورة يوسف اية 18.

وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ)[1] ثم قال عز وجل مخاطباً أبابكر رضي الله عنه حيث أقسم بأنه لا ينفق على مسطح بعدما قال عن عائشة ما قال فأنزل الله: (وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[2] فقال أبوبكر رضي الله عنه: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي!! فرجع إلى مسطح ما كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً وكفر عن يمينه.[3]

---

(1) النور:11-12.

(2) النور:22.

(3) وروى أنه زاد له النفقة.

الجزء التاسع
غزوة الخندق (الاحزاب)

1. غزوة الخندق (الأحزاب) وتخطيطه وحفره

في شوال من السنة الخامسة كانت غزوة (الأحزاب) المعروفة بالخندق، وسببها: أنه لم يقر لعظماء يهود بني النضير قرار بعد إجلائهم عن ديارهم واستيلاء المسلمين عليها، بل كانت في نفوسهم دائماً أن يأخذوا ثأرهم ويستردوا بلادهم فخرج رهط منهم وفيهم أبو عامر الفاسق (الراهب) إلى مكة يدعون قريشاً وأتباعهم إلى حرب رسول الله صل الله عليه وسلم وقالوا: إنا معكم حتى نستأصله وسوف نحالفكم على عداوته وقتاله، فوجدوا منهم قبولاً وترحيباً لما طلبوه. وأخرج أبو سفيان خمسين رجلاً ينتمون إلى بطون قريش كلها وتحالفوا وتعاقدوا على أن تكون كلمتهم واحدة على حرب الرسول عليه الصلاة والسلام ما بقي منهم رجل واحد. وتواعدوا لوقت حددوه. ثم خرجت يهود إلى قبيلة غطفان وحرضوا رجالها كذلك وأخبروهم بمبايعة قريش لهم على الحرب فوجدوا منهم ارتياحاً، فخرج منهم ألف بقيادة عيينة بن حصن.

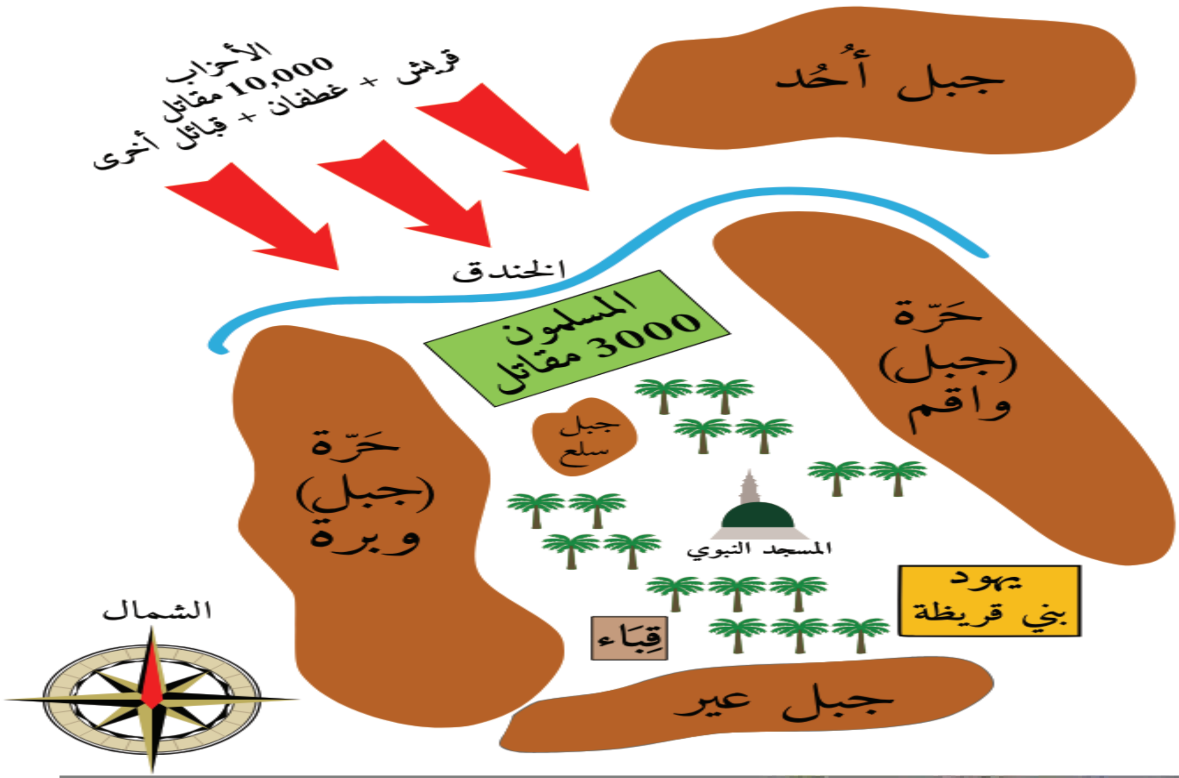
ثم خرجت قريش ومن تبعها من الأحابيش أربعة آلاف، وحمل لواءهم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس وألف وخمسمائة بعير، وخرج من حالفهم من بطون العرب ولاقتهم سليم بكر الظهران في سبعمائة، يقودهم سفيان بن عبد شمس، وخرجت بنو أسد يقودها طليحة بن خوليد الأسدي، وخرجت أشجع يقودهم مسعود بن رخيلة وكانوا جميعاً عشرة آلاف مقاتل مشرك يبغي إما الانتقام من المسلمين او طمعا بالغنائم.

ولما بلغ رسول الله صل الله عليه وسلم خبر الأحزاب وخروجهم، جمع الناس وشاورهم أيمكث بالمدينة أم يخرج للقاء هذا الجيش، فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بالخندق وهذا لم تكن العرب تعرفه من قبل، فأعجبهم ذلك, وأمر المسلمين بحفره.[1]

وركب الرسول ﷺ فرساً له ومعه بعض أصحابه من المهاجرين والأنصار فأرتاد شمال المدينة من الحرة الشرقية إلى الحرة الغربية، وجعل سلعاً خلف ظهره، وهذه هي الجهة التي كانت عورة تؤتى المدينة من قبلها. أما بقية حدودها فمشتبكة من البساتين والنخيل ليس للعدو سبيل من جهتها. فعين لهم ﷺ مكان الحفر وعسكر بهم إلى سفح سلع، فتبادر المسلمون في العمل، وقد استعاروا من بني قريظة آلة كثيرة: من مساحي، وكرازين، ومكاتل[2]. ووكل بكل جانب من الخندق جماعة يحفرونه (انظر مخطط

(1) نجاح أعظم مشروع هندسي ومقاولات بالتاريخ خلال مدة قياسية (6 أيام): مشروع حفر الخندق وكان عملاً جماعياً ضخماً محاط بالبركة، وهناك ضوابط جعلته ينجح، فقد أدار الرسول عليه الصلاة والسلام المشروع بكفاءة منقطعة النضير، وضع لنا قواعد ناجحة للأعمال الجماعية، حتى ولو كانوا مجموعة من المشركين إذا أخذوا بهذه القواعد فإنه سوف يتم النجاح، فما بالكم لو كانوا مؤمنين، والله سبحانه وتعالى يؤيدهم.

(2) المساحي: المجارف وكرازين آلة لغرف التراب، ومكاتل: زنابيل.







مخطط موقع الخندق (الخط الازرق) ومواصفات الحفر

روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق ونحن ننقل التراب على أكتافنا فقال صل الله عليه وسلم مرتجزاً[1] بقول ابن رواحة:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة

فأجابه المهاجرون والأنصار:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حيينا أبداً

وفي البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لما كان يوم الأحزاب وخندق صل الله عليه وسلم، رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى الغبار جلدة بطنه الشريفة، وكان يرتجز وهو ينقل التراب بقول ابن رواحة رضي الله عنه:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علـينا وثبت الأقدام إن لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

ورفع صوته بقوله أبينا، وكان يردد معه المسلمون أبينا أبينا.

2. سلمان منا أهل البيت واجتهاد رسول الله ﷺ في العمل

وكان سلمان رضي الله عنه قوياً خبيراً بحفر الخندق وكان يعمل عمل عشرة رجال، حتى تنافس المسلمون فيه، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار: هو منا ونحن آخرته. فقال صل الله عليه وسلم: سلمان منا أهل البيت[2].

وكان يجتهد رسول الله صل الله عليه وسلم في العمل، وكان يضرب مرة بالمعول، ومرة يغرف التراب بالمسحات، ومرة يحمل التراب، حتى بلغ منه التعب مبلغاً، وكان ذلك مع شدة الجوع لأنهم كانوا في سنة مجدبة، وقد فرغ معهم حفر الخندق في ستة أيام. وفي صحيح البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت لنا كدية –كالصخرة– لا يعمل فيها معول، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله هذه كدية عرضت في الخندق فقال: رشوها الماء، فقام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذق ذواقاً فأخذ النبي صل الله عليه وسلم المعول فسمى ثلاثاً ثم ضرب فعاد المضروب كثيباً أهيل (أي رملاً يسيل).

الغزوة ومواصفات الحفر)، وكانوا ينقلون التراب في المكاتل ورسول الله ﷺ ينقل معهم، ويعمل في الحفر أيضاً.

---

(1) منشداً.

(2) حسن الترمذي حديثه.

وكان رسول الله ﷺ يختلف إلى ثلمة[1] في الخندق يحرسها، فإذا أتاه البرد دخل قبته، فإذا دفئ خرج إلى تلك الثلمة يحرسها ويقول: ما أخشى على الناس إلا منها. وقد برد ليلة فدخل قبته وهو يقول: ليت رجلاً صالحاً يحرسني الليلة!! فجاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال له صل الله عليه وسلم: عليك بهذه الثلمة فأحرسها. وقام ﷺ ليله في قبته يصلي. فشعر بخيل تطيف بالخندق فخرج وقال: هذه خيل المشركين تطيف بالخندق. ثم نادى: يا عباد بن بشر. قال: لبيك. قال: معك أحد؟ قال: نعم، أنا في نفر حول قبتك، فبعثه يراقب خيل المشركين حول الخندق ثم قال: اللهم ادفع عنا شرهم، وأنصرنا عليهم، وأغلبهم لا يغلبهم غيرك.

عسكر المسلمين ومنزل الأحزاب

وعسكر ﷺ بجبل سفح سلع فجعل سلعاً خلف ظهره والخندق أمامه، ودفع لواء المهاجرين إلى زيد بن حارثة، ولواء الأنصار إلى سعد بن عبادة رضي الله عنهما، وضرب له قبة من أدم، واستخلف على المدينة عبدالله بن أم مكتوم رضي الله عنه، وبلغ جيش المسلمين ثلاثة آلاف رجل. وبعث ﷺ الحرس على المدينة يطوفون حولها! زيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل، وسلمة بن أسلم في مائتي رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير خوفاً على النساء والذرية رضي الله عنهم جميعا.

ونزلت قريش ومن معها بوادي العقيق، ونزلت غطفان بجانب أحد، وسرحوا جميعهم خيلهم وإبلهم حيثما نزلوا فكانت ترعى الأشجار، وكانت المدينة مجدبة إذ ذاك، ثم تقدمت قريش ومن معها حتى نزلت بمجتمع الأسيال. ولما رأى المشركون الخندق أعجبوا به ولم يكن معروفاً عند العرب من قبل.

وجعل المشركون يطوفون بالخندق يطلبون عورة أو ثلمة يقتحمونها، وكانوا يتناوبون بينهم: فيغدوا أبو سفيان في أصحابه يوماً، ويوماً خالد بن الوليد، ويوماً عكرمة بن أبي جهل، فيتفرقون مرة ويجتمعون مرة أخرى، ويناوشون المسلمين ويقدمون رماتهم فيرمون. ولا يزالون يجيلون بخيلهم فإذا اقتربوا من الخندق رماهم المسلمون بالنبل فيرجعوا.

وكان المسلمون يتناوبون الحراسة، وكان عباد بن بشر ألزم الناس لقبة رسول الله ﷺ يحرسها، وكان أسيد بن حضير يحرس في جماعة، وكانوا في حر شديد وجوع، وكان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كثيراً من يطلبان غرة ومضيقاً من الخندق يقتحمانه، فكانت للمسلمين معهم وقائع.

(1) فرجة وصدع (شق صغير).

3. غدر يهود بني قريظة وإنسحاب المنافقين

وكان بين المسلمين وبين يهود بني قريظة معاهدة متعاقدين عليها فيما بينهم، فخرج إليهم الخبيث حيي بن أخطب –الذي جمع الأحزاب لحرب المسلمين– حتى أتى كعب بن أسد (رئيس بني قريظة، وصاحب المعاهدة) فأغلق كعب باب حصنه في وجه حيي، فقال له: ويحك يا كعب افتح لي أكلمك. فقال كعب: اذهب عني إنك امرؤ مشئوم، وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، فإني لم أر منه إلا وفاءاً وصدقاً. فقال له: والله ما أغلقت بابك دوني إلا خوفاً على طعامك أن آكل معك ونسبه إلى البخل، ولم يزل به حتى فتح له فقال: ويحك يا كعب إن توافقني جئتك بعز الدهر، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع السيول، وجئتك بغطفان حتى أنزلتهم بجانب أحد، وقد عاهدوني جميعهم وعاقدوني على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه، فقال كعب: جئتني والله بذل الدهر، ويحك يا حيي دعني ما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءاً. ولم يزل به حتى نقض العهد الذي كان بينه وبين رسول الله صل الله عليه وسلم.

فلما انتهى إلى رسول الله صل الله عليه وسلم الخبر بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير الانصاري رضي الله عنهم جميعا ليعرفوا الخبر فقال: انطلقوا لتنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فألحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تُفِتُّوا في أعضاد الناس. فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغه عنهم، وقد كلموهم في شأن عهدهم مع رسول الله صل الله عليه وسلم فقالوا: من رسول الله؟ وقال بعضهم: لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد. فأنصرفوا عنهم راجعين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: عضل والقارة –يعنون غدرهم بأصحاب الرجيع– فكبر ﷺ وقال: أبشروا بنصر الله وعونه[1]. وانتهى الخبر إلى المسلمين فأشتد الخوف وعظم البلاء، ونجم النفاق وزلزل المؤمنون، لأن بني قريظة مجاورون لأهل المدينة ومطلعون على عورات المسلمين فغدرهم في مثل هذا الوقت الحرج له تأثير خطير وعظيم. فكان المسلمون كما وصفهم الله بقوله تعالى (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً)[2].

(1) اشتدي أزمة تنفرجي.

(2) الأحزاب:10 -11.

أما المنافقون فقاموا ببث سمومهم لتخذيل المسلمين وتكلموا بكلام قبيح، فقال مُعَتِّب بن قشير : يعدنا محمد أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته!! ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً. وبعث بنو حارثة إلى رسول الله صل الله عليه وسلم يقولون: إن بيوتنا عورة، ليس بيننا وبين غطفان أحد يردهم عنا، فأذن لنا فلنرجع إلى دورنا فنمنع ذرارينا ونساءنا. فأذن رسول الله ﷺ وفيهم نزل قوله تعالى: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً)[1]. ثم قال: (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِرَاراً)[2].

4. مقتل بطل الكفار عمرو بن عبد ودّ على يد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

ثم أجمع روساء المشركين أن يحملوا حملة واحدة، وجاؤوا يريدون مضيقاً يقحمون خيلهم، فرأوا مكاناً ضيقاً لم تقدم عليه خيولهم سوى خمسة منهم فقد عبرته خيلهم: عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله المخزومي، وضرار بن الخطاب، وهبيرة بن أبي لهب، وعمر بن عبد ود المعروف بالجزيرة العربية بصولاته وقوته وشجاعته، وقام الباقي وراء الخندق. فتقدم عمر بن عبد ود[3] وقال: من يبارز ؟ فقام علي رضي الله عنه وقال: أنا له يا رسول الله، فقال صل الله عليه وسلم: اجلس إنه عمرو بن عبد ود. ثم كرر النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها، أفلا تبرزون لي رجلاً؟ فقام علي رضي الله عنه فقال: أنا له يا رسول الله. فقال له: اجلس يا علي إنه عمرو. ثم نادى الثالثة فقال علي: أنا له يا رسول الله فقال: إنه عمرو. قال: وإن كان عمراً. فأذن له رسول الله صل الله عليه وسلم وأعطاه سيفه ذا الفقار وعممه وقال: اللهم أعنه عليه.

فأقبل علي رضي الله عنه راجلاً –على قدميه– وعمرو على فرسه، فلما رآه عمرو قال: من أنت؟ قال: علي بن أبي طالب. فقال: لا يا ابن أخي، فوالله ما أحب أن أقتلك. فقال علي رضي الله عنه: ولكني والله أحب أن أقتلك، ولكن كيف أقاتلك وأنت على فرسك فأنزل معي! فنزل عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي رضي الله عنه، فاستقبله علي بدرته[4] فضربه عمرو فيها فقدها وأصاب رأسه فشجه، فضربه علي رضي الله عنه على عاتقه فقتله وكبر المسلمون، فعرف النبي صل الله عليه

(1) الأحزاب:12.

(2) الأحزاب: من الاية 13.

(3) كان من أكبر الشجعان المعروفين بالجزيرة العربية وله قصص كثيرة.

(4) بادره مبادرة.

وسلم أنه قتله فقال: قتل علي عمراً. فلما قتل عمرو ولى أصحابه الأدبار. وسقط نوفل بن عبد الله عن فرسه في الخندق فرمي بالحجارة حتى قتل، وأسرع عمر بن الخطاب والزبير رضي الله عنهما في إثر القوم –وهم منهزمون– فناوشوهم ساعة، وسقطت درع هبيرة وألقي عكرمة رمحه وهربوا.

5. اشتداد الحصار على المسلمين وإسلام وتفريج نعيم بن مسعود رضي الله عنه

ثم وافى المشركون سحراً، وعبأ رسول الله صل الله عليه وسلم أصحابه فقاتلوا يومهم إلى هوي من الليل، وما يقدر رسول الله ﷺ ولا أحد من المسلمين أن يزولوا من موضعه، ولم يقدروا على صلاة ظهر ولا عصر ولا مغرب ولا عشاء! فجعل الصحابة يقولون: يا رسول الله ما صلينا. فيقول: ولا أنا والله ما صليت. حتى كشف الله الغمة، ورجع كل من الفريقين إلى مكانه، وبعث رسول الله صل الله عليه وسلم أسيد بن حضير في مأتين على شفير الخندق، فكرت خيل للمشركين يطلبون غرة فناوشهم ساعة فقتل وحشيٌ بن حرب برمحه الطفيل بن النعمان الأنصاري فقتله كما قتل حمزة رضي الله عنه بأحد.

وكان نعيم بن مسعود الأشجعي لما سارت الأحزاب خرج مع قومه بني أشجع وهو على دينهم، ففي ذلك اليوم قذف الله في قلبه الإسلام فخرج من قومه خفية حتى أتى النبي ﷺ بين المغرب والعشاء فوجده يصلي فجلس حتى فرغ من صلاته فقال: يا رسول الله إني أسلمت ولم يعلم قومي بإسلامي فمرني ما شئت. فقال رسول الله صل الله عليه وسلم: إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا فإن الحرب خدعة.

فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة –وكان نديماً[1] لهم– قال: فلما رأوني رحبوا بي وعرضوا علي الطعام والشراب، فقلت: إني لم آت لشيء من هذا وإنما جئتكم تخوفاً عليكم، لأشير عليكم برأيي. يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وإخلاصي لكم. قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم. فقال لهم: إكتموا عليّ. قال: نفعل، قال: لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع وبني النضير من إجلائهم، وأخذ أموالهم، وإن قريشاً وغطفان ليسو كأنتم، البلد بلدكم، وبها نساؤكم وأبناؤكم وأموالكم، لا تقدرون على أن ترحلوا لغيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليهم، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فإن رأوا نهزة[2] أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم سبعين رجلاً يكونون بأيديكم ثقة لكم، على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى يناجزوه. قالوا: لقد أشرت بالرأي والنصح وشكروه على ذلك. قال: ولكن إكتموا

(1) صاحب ورفيق.

(2) الفرصة وانتهازها..

علي. قالوا: نفعل. ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه من رؤساء قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي لمحمد، وإنه قد بلغني أمر رأيت أن أبلغكموه نصحاً لكم فأكتموا علي. قالوا: نفعل. قال: تعلمون أن يهود بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد من نقض عهده، وقد أرسلوا إليه وأنا عندهم إنا كنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أنا نأخذ لك من القبيلتين –قريش وغطفان– رجالاً من أشرافهم فنعطيك إياهم فتضرب أعناقهم وترد بني النضير إلى ديارنا، ثم نكون معك على من بقي من أعدائك حتى نستأصلهم! فأرسل إليهم نعم.

فإن أرسلت إليكم اليهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً وأحذروهم على أسراكم! ولكن إكتموا عني ولا تذكروا الأمر. قالوا: لا نذكره، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان إنكم أهلي وعشيرتي وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهمونني. قالوا: صدقت. ما أنت عندنا بمتهم. قال: فأكتموا علي، قالوا: نعم. ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم. فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، وقد هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه. فقالوا لهم: إن اليوم يوم سبت، وقد علمتم ما نال من تعدي في السبت، ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهينة سبعين رجلاً. فرجعوا إلى قومهم وقالوا: صدق والله نعيم. فأختلفت كلمتهم، وجاء حيي بن أخطب لبني قريظة فقالوا له: لا نقاتل معهم حتى يدفعوا إلينا سبعين رجلاً من قريش وغطفان رهناً عندنا! وخذل الله بينهم وأرسل عليهم الريح –ريح الصبا– في ليال شديدة البرد.

6. إستجابة دعاء رسول الله ﷺ على الأحزاب وهبوب الريح

ثم دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب سريع الحساب هازم الأحزاب اللهم أهزمهم. فدعا عليهم يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فأستجيب له يوم الأربعاء بين الظهر والعصر، فعرف البشر والسرور في وجهه، فلما كان ليلة السبت، بعث الله الريح على الأحزاب ويا عظمتها من ليلة فقد قام رسول الله ﷺ يصلي إلى أن ذهب ثلث الليل، وكان إذا اشتد عليه الأمر أكثر من الصلاة.

وبعث الله عز وجل عليهم الريح حتى ما كاد أحدهم يهتدي لموضع رحله، فأكفأت قدورهم، وطرحت آنيتهم، وقلعت بيوتهم، وقطعت أطنابهم، وصارت الريح تلقي الرجال على أمتعتهم، وأرسل الله عليهم

الملائكة زلزلتهم، كما قال تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا)[1] ودامت عليهم هذه الريح واشتدت عليهم في ليلة باردة مع أصوات مثل الصواعق مع شدة الظلام، حتى إذا أخرج أحدهم يده لم يكد يراها، ولم تجاوز عسكر المشركين.

7. تجسس حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وخبر رجوع الأحزاب

ثم قال ﷺ: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير بن العوام رضي الله عنه: أنا يا رسول الله. قال ذلك ثلاثاً والزبير رضي الله عنه يجبه أنا, فيعرض عنه. ثم قال ﷺ لكل نبي حواري وإن حواريَّ الزبير. ولما كرر قوله ﷺ ولم يجبه غير الزبير قال أبوبكر رضي الله عنه: يا رسول الله حذيفة بن اليمان[2].

قال حذيفة رضي الله عنه: فمر علي رسول الله صل الله عليه وسلم وما عليّ إلى مرط[3] لامرأتي ما يجاوز ركبتيّ فقال: من هذا؟ فقلت: حذيفة. فقال: قم. فقمت. فقال: إنه كان في القوم خبر فأتني به. فقلت: والذي بعثك بالحق ما قمت إلا حياء منك من شدة البرد. قال: لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إليّ. فقلت: والله ما بي أن أقتل، ولك أخشى أن أؤسر. فقال: إنك لن تؤسر، اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته! قال حذيفة: فمشيت كأني في حمّام، فلما ولّيت دعاني فقال لي: لا تُحْدِث شيئاً. قلت: نعم.

قال حذيفة: فجئت إليهم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقرّ لهم قدراً ولا ناراً، ولا بناءاً، فدخلت بينهم فسمعت أبا سفيان يقول: يا معشر قريش، ليعرف كل امرئ جليسه وأحذروا الجواسيس والعيون. فأخذت بيد جليس لي عن يميني وقلت: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان. وقبضت بيدي على من يساري وقلت: من أنت؟ قال: عمرو بن العاص، فعلت ذلك خشية أن يسبقوني فيفطن بي ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، والله إنكم لستم بدار مقام، وقد هلك الكراع[4] والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون فأرتحلوا فإني مرتحل. ووثب على جمله فقال له عكرمة بن أبي جهل: إنك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس؟ فأستحيا أبو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وجعل يقوده ويقول: إرتحلوا. فارتحل الناس وهو قائم.

---

(1) الأحزاب: من الآية9.

(2) وفي عدم ارسال الزبير حكمة من النبي ﷺ لأن الزبير شديد الغضب وفي هذا الموطن لا يقتضي الشدة بل يقتضي الحكمة والتروي كما فعل حذيفه.

(3) كساء من خز أو صوف.

(4) مادون الركبه الى الكعب.

وأقام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد في مائتي فارس في مؤخرة الجيش ليحموا ظهور المرتحلين خوفاً من المسلمين أن يلحقوا بهم. وسمعت غطفان برحيل قريش فأرتحلوا هم أيضاً راجعين إلى بلادهم.

قال حذيفة رضي الله عنه: ثم أتيت رسول الله صل الله عليه وسلم فوجدته قائماً يصلي فأخبرته الخبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه! ثم عاودني البرد وجعلت أقرقف[1]، فأومأ إلي رسول الله ﷺ بيده فدنوت منه فسدل عليّ من فضل شملته –قطعة قماش عريضة تلبس فوق الملابس مثل البشت- فنمت ولم أزل نائماً حتى الصبح، فقال لي رسول الله ﷺ: قم يا نومان[2].

كتاب أبي سفيان لرسول الله ﷺ وجواب الرسول ﷺ

وكتب أبو سفيان قبل أن يرتحل إلى رسول الله صل الله عليه وسلم قال فيه: بإسمك اللهم فإني حلفت باللات والعزى لقد سرت إليكم في جمعنا وإنا نريد أن لا نعود أبداً حتى نستأصلكم، فرأيتك قد كرهت لقاءنا، وجعلت مضايق وخنادق، فليت شعري من علمك هذا؟ فإن نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد.

فرد الرسول ﷺ وكتب إليه: من محمد رسول الله إلى أبي سفيان بن حرب، أما بعد: فقديماً غرك بالله الغرور، أما ما ذكرت –أنك سرت إلينا بجمعك، وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا– فذلك أمر يحول الله بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى، وأما قولك من علمك الذي صنعنا من الخندق؟ فإن الله ألهمني ذلك لما أراد أن من غيظك وغيظ أصحابك، وليأتين عليك يوم تدافعني بالراح، ولَيأتينّ عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وإسلاف ونافلة وهبل حتى أذكرك ذلك.

8. شهداء المسلمين ومعجزات يوم الخندق وما أنزل الله فيها من آيات

وقتل من المسلمين يومئذ ستة نفر، ثلاثة من بني عبد الأشهل هم: سعد بن معاذ، وأنس بن أوس بن الانصاري، وعبد الله بن سهل. وإثنان من بني سلمة هما: الطفيل بن النعمان، وثعلبة بن عنمة، وكعب بن زيد من بني النجار، وقتل من المشركين ثلاثة هم: منبه بن عثمان، ونوفل بن عبد الله وعمرو بن عبد ود، وقال صل الله عليه وسلم بعد انصراف المشركين: الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم، وفي رواية قال: لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا.

وقد حصل يوم الخندق من آيات النبوة ومن المعجزات الشيء الكثير, منها:

(1) اخذته الرجفه والرعدة من البرد.

(2) كثير النوم.

البركة من طعام جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وذلك لما كانوا يحفرون الخندق وقد رأي رسول الله صل الله عليه وسلم يحفر وعصب على بطنه الحجر من شدة الجوع، فذهب جابر إلى امرأته رضي الله عنهما فأخبرها ما رأى من جوع رسول الله ﷺ وسألها: هل عندك من شيء؟ فقالت: والله ما عندنا من شيء إلا هذه الشاة –وقيل هذه السخلة– ومُدّ من شعير، قال: فأطحني الشعير وذبحت الشاة وسلختها فقلت لامرأتي: أعجني الدقيق وأطبخي ثم أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله عندنا (سخلة) ومد من شعير هيئناهم لك، فقم أنت ونفر من أصحابك. فشبك النبي ﷺ أصابعه بين أصابع جابر ثم قال: يا أهل الخندق أجيبوا جابراً يدعوكم. فأقبلوا معه، فقال جابر في نفسه: والله إنها الفضيحة، وأتى زوجته فأخبرها. فقالت: أنت دعوتهم أو هو؟ فقال: بل هو دعاهم. قالت: إذاً هو أعلم. وأقبل رسول الله ﷺ ومعه أهل الخندق وهم سبعمائة على إحدى الروايات، وأمر أصحابه أن يأتوا عشرة عشرة، ثم قال لجابر: أغرفوا وغطوا البرمة، وأخرجوا الخبز من التنور ثم غطوه، ففعلوا فجعلوا يغرفون ويغطون البرمة ثم يفتحونها فما يرونها نقصت شيئاً، ويخرجون الخبز من التنور ويغطونه فما يرونه ينقص شيئاً، فأكلوا جميعهم حتى شبعوا، ثم أكل جابر وأهله.

وقد أنزل الله تعالى في أمر الخندق ثمانية عشر آية من سورة الأحزاب وجعل اسم السورة (الأحزاب) لعظيم شأن هذه الواقعة وأهميتها، يُذكِّر المؤمنين نعمته عليهم وفضله بقوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً، إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً)[1].

ثم ذكر المنافقين وبيّن نواياهم وفضح أمرهم وتثبيطهم للمؤمنين في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً، وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِرَاراً)[2] ولا زال في أمر المنافقين إلى آخر الآية (20) ثم قال عز وجل: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً، وَلَمَّا رَأى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا

(1) الأحزاب أية 9- 11.

(2) الأحزاب اية 12-13 .

هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً)[1] إلى أن قال في الآية (25): وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً، وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ(10) وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً، وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَأُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً)[2].

9. غزوة يهود بني قريظة وحصارها

بني قريظة قوم من يهود المدينة الذين كان النبي صل الله عليه وسلم عقد معهم معاهدة وموادعة، ولما جاء الأحزاب نقضوا العهد وغدروا وتحالفوا مع الأحزاب على حرب المسلمين كما ذكرنا آنفا، فخيانتهم في مثل هذا الموقف هي من أشد وأخبث الخيانة وأقبح الغدر لذلك أراد الله تعالى أن يطهر أرضه من قوم لم تعد تنفع معهم العهود ولا تربطهم المواثيق، ولا يؤمن جانبهم وقت الشدة.

ولما رجع صل الله عليه وسلم من الخندق ودخل المدينة مع أصحابه وأرادوا أن يضعوا السلاح، إذ أتاه جبريل عليه السلام وهو على بغلى شهباء، فقال: إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فدفع اللواء إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه واستعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه وركب صل الله عليه وسلم وسار والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل، ومر نفر من الأنصار وقد لبسوا السلاح ووقفوا ينتظرون النبي ﷺ، فقال: هل مر بكم أحد؟ قالوا: نعم، دحية الكلبي مر على بغلة بيضاء وأمرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله ﷺ يطلع عليكم الآن، فلبسنا سلاحنا وصففنا. فقال ﷺ: ذاك جبريل، بعث إلى بني قريظة ليزلزل حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم.

وذهب رسول الله ﷺ إليهم وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة وقذف الله الرعب في قلوبهم، وكان بينهم وبين المسلمين مراماة بالنبل والحجارة، ولما اشتد الحصار عليهم وضاق الخناق (أنظر المخطط وديار بني قريظة)، وعلموا أن لا نجاة لهم ولا ملجأ إلا الرضوخ والاستسلام فبدؤوا بالمفاوضة، وأرسلوا نباش بن قيس إلى رسول الله صل الله عليه وسلم: أن ينزلوا بما نزلت عليه بنو النضير، من أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة، ويخرجون بالنساء والذراري، فأبى ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه، فأرسلوا له ثانياً بأنهم لا حاجة لهم بشيء من الأموال فأبى عليهم إلا أن ينزلوا على حكمه. فعاد نباش إليهم بذلك.

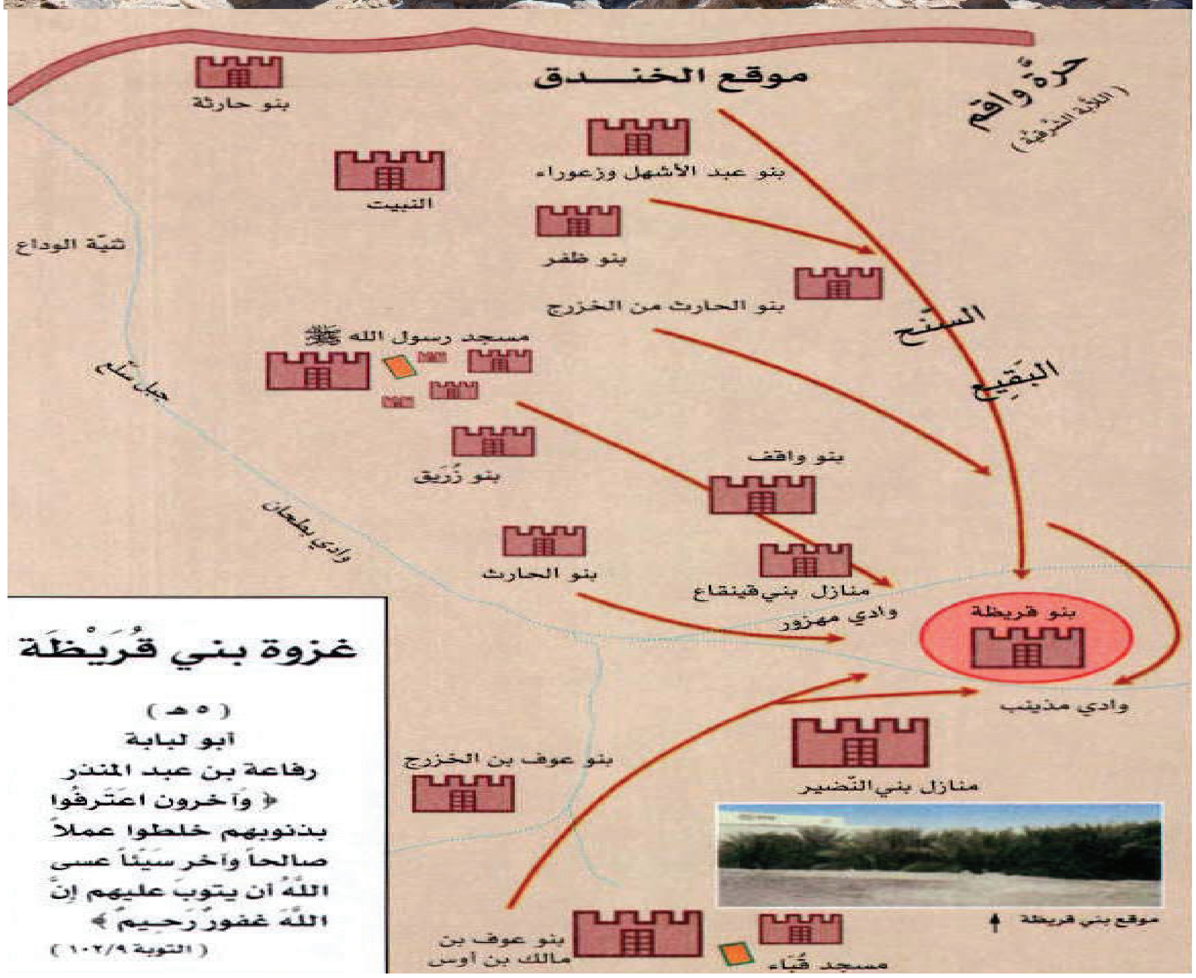
---

(1) الأحزاب:21-22.

(2) صياصيهم : حصونهم.

(3) الأحزاب 25-27.





مخطط غزوة بني قريضة وصورة ديارهم

10. خبر أبي لبابة وندمه رضي الله عنه

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث لنا أبا لبابة –رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري رضي الله عنه– لنستشيره في أمرنا –لأن ماله وعياله كانت في بني قريظة– وكانوا حلفاء الأوس وهو منهم، فأرسله ﷺ إليهم، فلما رآوه قاموا له، وأسرع إليه الصبيان والنساء يبكون في وجهه فرق لهم، وقالوا: ما ترى يا أبا لبابة؟ إن محمداً قد أبى إلا أن ننزل على حكمه. قال: فأنزلوا، وأومأ بيده إلى حلقه –يعني الذبح–. قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهم حتى عرفت أني خنت الله ورسوله وندمت. ثم نزلت من عندهم وإن عينيّ لتسيل بالدمع. ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يلق رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد النبوي فربط نفسه في سارية من سواري المسجد وهي التي كانت عند باب أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وأقسم أن لا يحل نفسه حتى يموت أو يتوب الله عليه. وكان أكثر تنفل (صلاة النافلة) النبي ﷺ عند هذه السارية، ولا تزال إلى الآن تعرف بسارية أبي لبابة –وأسطوانة التوبة– وكان الوقت شديد الحر. فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وكان قد استبطأه قال: أما لو جاءني لأستغفرت له، وأما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه. وقد أنزل الله فيه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)[1]. ثم لم يزل مربوطاً حتى تاب الله عليه، لقد مكث ست ليال وقيل بضعة عشر ليلة مربوطاً لا يأكل طعاماً ولا شراباً الا القليل، فيطلقونه للصلاة ثم يربطونه حتى أنزل الله توبته على النبي ﷺ في قوله تعالى: (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[2] وكان نزول توبته ورسول الله ﷺ في بيت أم سلمة رضي الله عنها, قالت أم سلمة: فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك فرحاً بالتوبة، فقلت: يا رسول الله مم تضحك, أضحك الله سنك؟ قال: تيب على أبي لبانة. قلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت. فقامت على باب حجرتها –وذلك قبل أن يضرب الحجاب– فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك. فثار الناس أليه وقالوا له: قد تيب عليك فحل نفسك. قال: لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني. فجاءه ﷺ وهو خارج لصلاة الصبح فحله. فقال: يا رسول الله إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب. وأن أنخلع من مالي. فقال له صل الله عليه وسلم: يجزيك الثلث أن تتصدق به.

(1) لأنفال:الأية 27-28.

(2) التوبة:102.

11. النزول على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه

في مطلع غزوة الخندق (الاحزاب) تناوش الكفار يوماً بالنبل ساعة وهي جميعاً في وجه واحده بإتجاه قبة رسول الله صل الله عليه وسلم، ورسول الله ﷺ قائم بسلاحه على فرسه فرمى حِبَّان بن العرِقَة الصحابي الجليل سعد بن معاذ بسهم فأصابه في أكحله[1] وقال: خذها وأنا ابن العرقة! فقال رسول الله ﷺ: عرَّق الله وجهه في النار. فلا زال سعد بن معاذ رضي الله عنه يعاني من جرحه.

ولما اشتد بهم البلاء بيهود بني قريظة فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ –سيد الأوس وهم حلفاء الأوس– وكان سعد رضي الله عنه يومئذ جريحاً يداوى في المسجد النبوي في خيمة رُفَيْدَة[2] رضي الله عنها، وقد كان صل الله عليه وسلم قال لقوم سعد حين جرح: اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قرب. ولما نزل اليهود على حكمه أرسل إليه ﷺ جماعة من الأوس ليأتوا به فأركبوه على حمار ثم أقبلوا به، فجعلوا يقولون له: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم فأحسن فيهم، فقد رأيت ما صنع ابن أبيّ في حلفائه، وهو ساكت، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين وهم حوله جلوس قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم. فقاموا إليه فقال رسول الله ﷺ: أحكم فيهم يا سعد. فقال: الله ورسوله أحق بالحكم. قال: قد أمرك الله أن تحكم فيهم. فقال سعد: وأشار للناحية التي ليس فيها رسول الله ﷺ: عليكم عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم بما حكمت؟ قالوا: نعم. قال: وعلى من ههنا مثل ذلك؟ وأشار إلى الناحية التي فيها رسول الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله إجلالاً له. قالوا: نعم. ثم قال لبني قريظة: أترضون بحكمي؟ قالوا: نعم. فأخذ عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ثم قال سعد رضي الله عنه: إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتسبى النساء والذرية، وتقسم الأموال. فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت بما حكم الله فيهم.

فأمر بالسبي للنساء والذرية فسيقوا إلى دار أسامة بن زيد ودار ابنة الحارث، وأمر بالسلاح والمتاع فحمل، وبالإبل والغنم فتركت هناك ترعى الشجر، ثم غدا رسول الله ﷺ إلى المدينة في يوم الخميس السابع من ذي الحجة من السنة الخامسة والأسرى معه، وأتى إلى السوق، فأمر بخدود فخدت، وجلس

---

(1) الأكحل:عرق باليد يقال له: عرق الحياة.

(2) هي امرأة من الأنصار من أسلم رضي الله عنها، كانت تسقي المجاهدين في الحرب وتداوي الجرحى من الصحابة (وقد يكون السبب بأن لم يكن له من يقوم عليه طبيا) وخيمتها في المسجد.

ومعه رؤوس الصحابة رضي الله عنهم، ودعا برجال بني قريظة فكانوا يخرجون أرسالاً تضرب أعناقهم، ولما جيء بعدو الله حيي بن أخطب قال له رسول الله ﷺ: ألم يمكن الله منك يا عدو الله؟ فقال: بلى والله ما لمت نفسي في عداوتك ولقد إلتمست العز في مظانه وأبى الله إلا أن يمكنك مني. ثم قال:

ولقد لقلقت كل مقلقل   ولكنه من يخذل الله يخذل

فأمر فضربت عنقه، وقال ﷺ يومئذ لمن يلي أمرهم من المسلمين: أحسنوا إسارهم وقيلوهم، واسقوهم، لا تجمعوا عليهم حر الشمس وحر السلاح –وكان يوماً صائفا– ففعلوا ما أمرهم به صل الله عليه وسلم فلما أبردوا أمر بمن بقي منهم فقتل، ثم ردوا عليهم التراب في الخنادق[1] وأمر ﷺ ببُنَانة امرأة الحكم – وهي من السبي– فقتلت لأنها ألقت من الحصن رحى على نفر من المسلمين كانوا يستظلون في فيئه، فخدشت رأس خلاد بن سويد فمات، ولم يقتل من النساء غيرها. وسألت أم المنذر سلمى بنت قيس رسول الله ﷺ في رفاعة بن رفاعة القرضي فقال: هو لك. فأسلم.

12. أخبار النساء والاخلاق النبوية

زواج رسول الله ﷺ بأم المؤمنين ريحانة

وأخذ رسول الله صل الله عليه وسلم ريحانة بنت زيد فأسلمت وتزوجها لتصبح أم المؤنبين.

من حضر القتال من النساء واخلاق الحرب النبوية

وحضر القتال بعض النساء المسلمات فلم يسهم لهن رسول الله ﷺ مع الرجال فأعطاهن من فيئه، وهن: صفية بنت عبد المطلب، ونسيبة بنت كعب المازنية، وأم سليط، وأم العلاء الأنصارية، والسميراء بنت قيس، وأم سعد بن معاذ –كبشة بنت رافع– رضوان الله عليهن جميعا. وأمر بالمتاع فبيع فيمن يزيد، وبيع السبي، وقسمت النخل أسهماً وجزئت الأموال على خمسة أجزاء، وكتب في سهم منها لله، ثم قسمت أربعة أسهم بين الناس.

وكان السبي ألفاً من النساء والصبيان، فجزأه خمسة أجزاء وأخذ خمسه، فكان يعتق منه ويهب منه، ويخدم منه من أراد، ونهى النبي صل الله عليه وسلم أن يفرق بين النساء والذرية، وقال: لا يفرق بين الأم وولدها حتى يبلغوا، فقيل: يا رسول الله وما بلوغهم؟ قال: تحيض الجارية ويحتلم الغلام. ونهى عن بيع الولد الصغير الذي ليس له أم من المشركين واليهود، إلا من المسلمين.

(1) اختلف اهل السير بعددهم الا ان المرجح عددهم بالعشرات دون المائه حيث ان جمعهم في دار واحده وشق الأخدود بالمدينة يدل على قلة عددهم والله اعلم.

13. انفجار جرح سعد بن معاذ رضي الله عنه ووفاته

وأقر الله عين سعد بن معاذ رضي الله عنه بهلاك وإنتهاء فتنة بني قريظة، فإنه سأل الله لما أصيب بالسهم يوم الخندق وقال اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة. فلما أهلكم الله قال سعد: اللهم إن كان قد بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فأفجرها –الجراحة– وأجعل موتي فيها، فأنفجرت تلك الجراحة من ليلته تلك. ولم يلبث أهل المسجد إلا والدم يسيل إليهم من خيمة رفيدة الأسلمية فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الدم الذي يأتينا من قبلكم؟ وإذا سعد يسيل جرحه دماً غزيراً فمات منها.

وبينما النبي ﷺ في بيته إذ جاءه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد من هذا الميت الذي فتحت أبواب السماء لصعود روحه، وأهتز العرش لقدومها؟ فقام ﷺ سريعاً يجر ثوبه إلى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد مات. ولما توفي رضي الله عنه حمل إلى منزله وغسله الحارث بن أوس بن معاذ، وأسيد بن حضير، وسلمة بن سلامة بن وقش بحضور رسول الله ﷺ، ولما وضع في نعشه بكت أمه وقالت:

ويل أم سعد سعداً ... صرامة وحداً

وسودداً ومجداً ... وفارساً معداً

سد به مسد ... يقدها ما قدا

فقال رسول الله ﷺ: كل البواكي يكذبن إلا أم سعد. وحمل ﷺ بجنازته حين رفع من داره إلى أن خرج، ومشى ﷺ أمام جنازته ثم صلى عليه، ولما صار في قبره ووضع في لحده تغير وجهه ﷺ وسبح ثلاثاً، فسبح المسلمون ثلاثاً، ثم كبر ثلاثاً وكبر أصحابه ثلاثاً حتى أرتج البقيع. فسئل عن ذلك فقال: تضايق على صاحبكم قبره، وضم ضمة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد، ثم فرج الله عنه.

ثم ردوا عليه تراب القبر حتى سوي ورش عليه الماء، ثم وقف الرسول ﷺ فدعا، ثم عزا أم سعد وأنصرف. وروي أنه قال ﷺ لأم سعد: ليرقأ دمعك ويذهب حزنك، فإن ابنك يضحك له الله، وروي أنه شهد جنازته سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض إلا يومهم ذاك. وأخرج ابن سعد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنت ممن حفر لسعد قبره، فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا.

الجزء العاشر
تأديب الأعداء بالسرايا وصلح الحديبية وبدأ عصر المعاهدات

1. أحداث السرايا: سرية القرطاء وأسر ثمامة عظيم بني حنفيه

أول من بدأ بأرسال السرايا والبعوث هو المصطفى صل الله عليه وسلم وكانت من أفضل الطرق وأسرعها في نشر الاسلام وتأديب من تسول له نفسه الاضرار بالامة الاسلامية خصوصا بالجزيرة العربية حيث الظلم والظلام والشرك يطغوا على المجتمع العربي وخصوصا بعدما شع نور المدينة المنورة وأصبح يشار لها بالبنان لتكون مركز الاقتصاد الحر والدستور العادل ومركز التطور في شتى مجالات الحياة الكريمة بعد أن كانت غارقة في ظلمة الجزيره العربية التي يغزو فيها القوي للضعيف وفيها جميع طرق اللامساواة. وتوضح الخريطة أدناه تحركات تلك السرايا والبعوث ونستكمل سردها في السنة السادسة للهجرة حسب أهميتها بالسرد.



مخطط تحركات السرايا من المدينة المنورة

وكانت سرية القرطاء سنة ست من الهجرة، وهم بطن من بني بكر، وكانوا ينزلون بناحية ضرية – قرية لبني كلاب– على طريق البصرة، إلى مكة وهي إلي مكة أقرب، وبها جبل يسمى البكرات، وبين ضرية والمدينة سبع ليال. بعث صل الله عليه وسلم محمد بن مسلمة رضي الله عنه في ثلاثين راكباً وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار، حتى دهمهم فقتل منهم عشرة وهرب باقيهم، فأستاق مائة وخمسين بعيراً وثلاثة آلاف شاة، وقفلوا راجعين إلى المدينة.

وفي طريقهم أسروا ثمامة بن أثال الحنفي –من عظماء بني حنيفة– وهم لا يعرفونه حتى أتوا به رسول الله ﷺ فقال: أتدرون من أخذتم؟ هذا ثمالة بن أثال الحنفي. فأمر به صل الله عليه وسلم فربطوه بسارية من سواري المسجد، ليرى محاسن هذا الدين، ويشاهد إئتلاف المسلمين وصلاتهم وعبادتهم ومحبتهم وودهم لنبيهم ﷺ ولبعضهم بعضاً. فخرج إليه ﷺ فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ قال: عندي خير يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم –أي بحق– وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال –أي الفداء– فسل تعط ما شئت، فتركه حتى إذا كان الغد ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال: قلت لك إن تنعم, تنعم على شاكر إلخ..!! فتركه حتى إذا كان الغد فقال: ما عندك يا ثمالة؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة فأطلقوه. فذهب إلى نخل قريب من المسجد فأغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. ثم قال: والله يا محمد ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، وقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي. والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره ﷺ وأمره أن يعتمر.[1]

ثمامة رضي الله عنه يؤدي العمرة في مكة

فما قدم مكة جعل يلبي وينفي الشريك عن الله فقال له قائل: صبوت يا ثمامة؟ قال: لا ولكن أسلمت لله رب العالمين مع محمد رسول الله ﷺ. ثم قال: والله لا يأتيكم من اليمامة حبة قمح حتى يأذن فيها النبي ﷺ، ثم خرج ثمامة إلى اليمامة فمنعها أن يحملوا إلى مكة شيئاً حتى جهدوا واشتد بهم الأمر، فشكوا إلى النبي ﷺ ما حل بهم من الجهد والجوع، فكتب ﷺ إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الطعام.

(1) صحيح البخاري.

2. غزوة بني لحيان وغزوة الغابة وخبر أبي ذر وأهله

_في ربيع الأول من السنة السادسة غزوة بنو لحيان فهم الذين قتلوا عاصم بن ثابت وإخوانه، ولم يزل صل الله عليه وسلم واجداً وحزيناً على عاصم وأصحابه، وعلى القراء رضي الله عنهم جميعا. فأمر أصحابه بالتجهيز، فسار في مائتي رجل، وأستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وسلك على غراب –جبل قرب المدينة على طريق الشام– وأظهر أنه يريد الشام ليأتيهم بغتة فيصيب منهم غرة (انظر الخريطة). ثم عدل ذات اليسار متوجهاً نحو الجحفة، ثم أسرع حتى انتهى إلى واد بينه وبين عسفان خمسة أميال، وهي منازل بني لحيان حيث كان مصاب أهل الرجيع: عاصم بن ثابت وأصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة، فسمعت به بنو لحيان فهبوا في رؤوس الجبال فلم يقدر على أحد منهم، فأقام يوماً أو يومين بديارهم يبعث السرايا فلا يجدون أحداً.



مخطط غزوة بني لحيان قرب عسفان

ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر رضي الله عنه في عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فأتوا كراع الغميم ثم عادوا، ثم انصرف ﷺ إلى المدينة وهو يقول: (آيبون تائبون لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنظر في الأهل والمال، اللهم بلغنا بلاغاً صالحاً يفضي بإلى خير مغفرتك ورضوانك). وكانت غيبته صل الله عليه وسلم أربع عشرة ليلة.

ما عن غزوة الغابة فيقال لها غزاة ذي قَرَد، أو (قُرُد) وهو ماء على نحو بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان، وكانت في جمادى الأولى وقيل في شعبان، سنة ست وسببها: أنه كان لرسول الله صل الله عليه وسلم عشرون لقحة –الناقة ذات اللبن– وكانت ترعى بالغابة، وكان يقوم على رعايتها أبو ذر وابنه وامرأته، فأغار عليها عيينة بن حصن ليلة الأربعاء في أربعين فارساً، فنهض في وجههم ابن أبي ذر فقتلوه واستاقوا اللقاح، وأسروا ليلى امرأة أبي ذر.

يقول أبو ذر: استأذنت النبي ﷺ في الخروج إلى لقاحه ورعيها فقال: إني أخاف عليك، ونحن لا نأمن عيينة بن حصن أن يغير عليك، فلما ألح عليه أبو ذر قال ﷺ: لكأني بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك وجئت تتوكأ على عصاك. قال أبو ذر رضي الله عنه بعد ذلك: عجباً لي! يقول لي النبي ﷺ ذلك وأنا ألح عليه فكان والله ما قال، فلما كان الليل أحدق بنا عيينة مع أصحابه فأشرف لهم إبني فقتلوه، وأسروا امرأتي، فلما جاء أبو ذر إلى النبي صل الله عليه وسلم وأخبره تبسم.

النداء بالفزع أستجابة سلمة بن الأكوع

ولما بلغ الخبر سلمة بن الأكوع صرخ على مكان مرتفع بأعلى صوته: واصباحاه ثلاثاً، وأخبر أن لقاح رسول الله ﷺ قد أغار عليها العدو، فطلع رسول الله صل الله عليه وسلم مقنعاً بالحديد، ونودي يا خيل الله اركبي، فكان أول من أقبل إليه المقداد بن الأسود عليه السلاح شاهراً سيفه.

فعقد له لواءاً على رمحه وقال: أمض حتى تلحقك الخيول، إنا على أثرك فخرج حتى أدرك أخريات العدو، وأدرك مسعدة بن حكمة الفزاري فتطاعنا برمحيهما، ثم فر مسعدة، فنصب مقداد اللواء ولحقه أبو قتادة –معلماً بعمامة صفراء على فرس له– فأستحث أبو قتادة فرسه حتى غاب، وقد أدرك مسعدة فقتله.

وخرج سلمة بن الأكوع على رجليه يعدو –وكان يسابق الخيل– حتى لحق العدو فجعل يرميهم بالنبل والخيل تكر عليه فلا يلحق، فإذا دخلت بعض المضايق علا فوق جبل وجعل يرميهم بالحجارة حتى ألقوا كثيراً مما بأيديهم من الرماح والأبراد تخفيفاً، فإذا كر عليهم هرب فلا يلحق، ثم يعلوا فوقهم الجبل ويرميهم بالنبل وهو يقول:

خذها وأنا ابن الأكوع   اليوم يوم الرضع

قدوم النبي ﷺ وإمداد سعد بن عبادة

ولحقهم رسول الله ﷺ عشاءاً بأصحابه، وكان المقداد أمير الفرسان فلم تزل الخيل تأتي، والرجال على أقدامهم، ومنهم من يركب البعير والحمار حتى أنتهوا إلى ذي قرد، فاستنقذوا عشر لقائح منها: جمل أبي جهل، وذهب القوم بعشر. وكان قد أدرك القوم محرز بن نضلة رضي الله عنه قبل قدوم المسلم فطاعنهم ساعة بالرمح حتى قتل شهيداً، وقتل من العدو أوبار بن عمرو.

وكان جيش المسلمين خمسمائة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وخلف سعد بن عبادة رضي الله عنهم في ثلاثمائة يحرسون المدينة خمس ليال حتى رجع صل الله عليه وسلم.

وأمد المسلمين سعد بن عبادة رضي الله عنه بأحمال تمر وبعشر جزائر، فكانوا ينحرون الجزر ويأكلون التمر، فقال صل الله عليه وسلم: يا قيس!! بعثك أبوك فارساً، وقَوي المجاهدين، وحرس المدينة من العدو!! اللهم ارحم سعداً وآل سعد. ثم قال: نعم المرء سعد بن عبادة. فقالت الأنصار: يا رسول الله هو بيتنا وسيدنا وابن سيدنا. وكانوا يطعمون في المحل، ويحملون الكل، ويقرون الضيف، ويعطون في النائبة، ويحملون عن العشيرة، فقال: "خيار الناس في الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا"[1]. ثم رجع الرسول صل الله عليه وسلم إلى المدينة وقد غاب عنها خمس ليال.

خبر امرأة أبي ذر وناقة الرسول عليه الصلاة والسلام

تقدم معنا أن عيينة بن حصن وجماعته أسروا امرأة أبي ذر، وكانت تترقب الهرب، وكانوا يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم، فلما انتهت الغزوة قامت بعد أن نام القوم فأنطلقت إلى ناقة النبي صل الله عليه وسلم القصواء فركبتها وأسرعت بها نحو المدينة، ولم تزل تُغِذّ السير حتى نجاها الله ودخلت على رسول الله صل الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إني نذرت إن نجاني الله عليها أن أنحرها وآكل من كبدها وسنامها، فتبسم ﷺ وقال: بئس ما جزيتها، أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها!! لا نذر في معصية الله ولا في ما لا تملكين إنما هي ناقة من إبلي، فأرجعي إلى أهلك على بركة الله.

---

(1) المغازي 2:541.

3. سرايا أصحاب الرسول ﷺ

سرية الغمر وسرية محمد بن مسلمة

كانت في ربيع الأول سنة ست. بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن رضي الله عنه في أربعين رجلاً إلى الغَمْر –ماء لبني أسد– على ليلتين من فيد، فخرج يغذ السير فنذر [1] به القوم فهربوا إلى أعلى بلادهم، فوجد ديارهم خالية، فبعث الطلائع فرأوا آثار النعم فتتبعوها فأصابوا مائتي بعير فأستاقوها وقدموا بها المدينة ولم يلق كيداً.

وفي ربيع الأول سنة ست أيضاً بعث صل الله عليه وسلم محمد بن مسلمة في عشرة رجال إلى ذي القصة –موضع يبعد عن المدينة أربعة وعشرون ميلاً– يريد بني ثعلبة وهم مائة رجل، فسار المسلمون حتى وردوا ليلاً وناموا، وقد علم بهم القوم وكمنوا لهم، فأحاط بهم مائة رجل من ثعلبة، فأنتبهوا وقاموا إلى السلاح، فتراموا ساعة وبالنبل وقتلوا رجلاً من العدو، ثم حملت الأعراب عليهم فقتلوهم وسقط محمد بن مسلمة جريحاً يضرب كعبه فلا يتحرك، فجردوهم من ثيابهم وسلاحهم وانطلقوا. فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة وأصحابه فرآهم صرعي رضي الله عنهم جميعا فإسترجع فتحرك له محمد بن مسلمة فحمله إلى المدينة جريحاً.

سرية أبي عبيدة بن الجراح وسرية زيد بن حارثة إلى بني سلمة

في ربيع الآخر سنة ست بعث صل الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى ذي قصة في أربعين رجلاً، وذلك أن أنمار وبني ثعلبة اتفقوا على أن يغيروا على سرح المدينة وهي ترعى بهيفا –على سبعة أميال من المدينة– فبعث لهم أبو عبيدة بمن معه بعد صلاة المغرب فمشوا ليلهم حتى وفدوا ذا القصة مع الصبح فأغاروا على القوم فأعجزوهم هرباً. وأخذوا رجلاً واستاقوا نعماً وأخذوا رثة من متاع وعادوا. فخمس رسول الله ﷺ الغنيمة وقسم باقيها، وأسلم الرجل.

وفي ربيع الآخر أيضاً سنة ست، بعث صل الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه في نفر من أصحابه إلى بني سلمة بالجموم على أربعة أميال من المدينة، فلما بلغوا ديارهم وجدوهم تفرقوا، وأصابوا منهم امرأة فأسروها فدلتهم على سرح القوم فوجدوا نعماً وشاة وأسروا منهم جماعة فكان فيهم زوج المرأة، ثم عادوا إلى المدينة. فوهب رسول الله ﷺ لهذه المرأة نفسها وزوجها –مكافأة لها على معروفها حيث دلتهم على سرح قومها–.

---

(1) نذر به القوم: أي علموا بقدومه.

سرية زيد بن الحارثة وإجارة أبي العاص واسلامه

وفي جمادى الأولى سنة ست بعث الرسول صل الله عليه وسلم زيد بن حارثة ومعه سبعون ومائة راكب إلى العيص –على أربعة أميال من المدينة– ليعترضوا عيراً لقريش قد أخذت طريق العراق، فظفر بها المسلمون، وكان بها مالاً كثيراً لصفوان بن أمية وأسروا جماعة منهم: أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبي ﷺ، وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وكان أبو العاص من رجال مكة البارزين، ورجع المسلمون إلى المدينة بالمال والأسرى.

ولما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح في المسجد، وحين كبر وكبر الناس معه، نادت السيدة زينب بنت النبي ﷺ: أيها الناسك إني أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سلم النبي ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال: أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم. قال: والذي نفسي بيده ما علمت بشيء من هذا حتى سمعت ما سمعتم! المسلمون يد واحدة يجير عليهم أدناهم، وقد أجرنا من أجارت. ثم دخل النبي ﷺ منزله وقال لها: أي بنية! أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له. وقال ﷺ لأصحابه: إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به. فقالوا: يا رسول الله بل نرده عليه، فجعلوا يأتون بما أخذوا حتى إن الرجل ليأتي بالدلو والرجل يأتي بالأداوة حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئاً.

ثم ذهب أبو العاص إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال ماله ثم قال: هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا. قال: هل أوفيت ذمتي؟ قالوا: نعم فجزاك الله خيراً، فقد كنت وافياً كريماً. قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. ثم قال: والله ما منعني من الإسلام عنده إلى تخوفاً إن تظنوا إني أردت أن آكل أموالكم، فلما ردها الله عليكم وفرغت منها أسلمت، ثم خرج فقدم المدينة مهاجراً، فرد له رسول الله ﷺ زوجه زينب بعقدها الأول.

سرية زيد بن حارثة إلى الطرف

وفي جمادى الآخرة من سنة ست بعث الرسول ﷺ زيد بن الحارثة في سرية من خمسة عشر رجلاً إلى الطرف وهو ماء على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة بناحية نجل يريد بني ثعلبة فلما رأوهم القوم هربوا وظنوهم طليعة لجيش رسول الله ﷺ، فأصابوا لهم عشرين بعيراً وقدموا بها المدينة بغير قتال[1].

(1) سرية زيد بن الحارثة إلى حسمى، وهي بعد الحديبية.

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

في شعبان سنة ست كانت سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى كلب بدومة الجندل، وهو حصن وقرى بينه وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة، وقد ذكر ابن اسحاق في أول هذه القصة حديثاً كان بالمناسبة وقد صادف في وقت التهيء لبعث هذه السرية، فقال ابن أسحاق: حدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر رضي الله عنهم قال: كنت عاشر عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ في المسجد –وذكر أسماءهم– إذا أقبل فتى من الأنصار فسلم ثم جلس. فقال: يا رسول الله أي المؤمنين أفضل؟ قال صل الله عليه وسلم: أحسنهم خلقاً. قال فأي المؤمنين أكيس قال: أكثرهم للموت ذكراً وأكثرهم له إستعداداً قبل أن ينزل به أولئك هم الأكياس. ثم سكت الفتى وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن: إنه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونه وجور السلطان، ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، وما نقضوا عهد الله عز وجل وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا ما كان في أيديهم، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجرؤوا فيما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم.

ثم أمر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن يتجهز لسرية أمره عليها فجاء وقد أعتم، فأدناه صل الله عليه وسلم فأقعده بين يديه وعممه بيديه، فأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحو ذلك ثم قال: هكذا فأعتم يا ابن عوف فإنه أحسن وأعرف.

وصيته ﷺ لعبد الرحمن بن عوف

ثم أوصاه صل الله عليه وسلم بعد أن دفع إليه اللواء فحمد الله عز وجل وصلى على نفسه صل الله عليه وسلم ثم قال: خذها يا ابن عوف, أغزوا جميعاً في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم. وبعثه إلى كلب بدومة الجندل، يدعوهم إلى الإسلام وقال: إن استجابوا لك –وأسلموا– فتزوج ابنة ملكهم.

فسار ومعه سبعمائة رجل حتى قدم دومة الجندل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي –وهو ملكهم ورئيسهم– فأسلم معه كثير من قومه، وكانوا نصارى، ثم ضرب على بقيتهم الجزية. وتزوج تماضر بنت الأصبغ، وقدم بها المدينة ففازت بشرف الصحبة[1].

سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد

وفي شعبان أيضاً سنة ست كانت سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بفدك، ومعه مائة رجل، وسببها أنه بلغه ﷺ أن بني سعد ساعون في جمع الناس ليمدوا يهود خيبر بالإغارة على المدينة. فسار علي رضي الله عنه ليلاً وكمن نهاراً حتى إذا انتهى إلى ماء بين خيبر وفدك يقال له: الهمج. وجد عيناً لبني سعد قد بعثوه لخيبر لتجعل لهم يهود من ثمرها كما جعلوا لغيرهم، حتى يقدموا عليهم فيعينوهم على الإغارة على المدينة، فدلهم على سرح القوم بعدما أمنوه، فأغار علي رضي الله عنه على سرح القوم، وإستاقها وقد فرت لعاعها، فأخبرت القوم وكانوا قد تجمعوا ورأسهم وبر بن عليم، فتفرقوا، وساق النعم وهي ألفا شاة وخمسمائة بعير، وقدم المدينة ولم يلق كيداً.

سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة

وكانت ام قرفه جهزت أربعين راكباً من ولدها وأحفادها وكانت عزيزة القوم وجهزتهم ليقاتلوا رسول الله صل الله عليه وسلم فأرسل المصطفى زيد بن حارثه رضي الله عنه فقتلهم وقتلها وأرسل بدرعها الى الرسول ﷺ فنصبه بالمدينة بين رمحين[2].

سرية عبدالله بن رواحة إلى أسير بن زارم

وفي شوال سنة ست كانت سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن زارم بخيبر وكان قد بعثه رسول الله ﷺ قبل ذلك في رمضان في ثلاثة نفر بنظر إلى خيبر وما تكلم به اليهود، فوعى ذلك وعاد بعد إقامة ثلاثة أيام، فأخبر النبي ﷺ بما ندبه إليه، وكان أسير قد تأمر على يهود بعد أبي رافع، فصار يدعوا إلى حرب رسول الله ﷺ، وبعث إلى غطفان فجمعها ليسير إلى المدينة، فقدم بخبره خارجة بن حثيل الأشجعي، فندب رسول الله ﷺ الناس فأنتدب له ثلاثون رجلاً، واستعمل عليهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فقدموا خيبر، وبعثوا إلى أسير فأمنهم حتى يأتوه فيما جاؤوا فيه، فأتوه وقالوا له: إن رسول الله بعثنا إليك لتخرج إليه، فيستعملك على خيبر، ويحسن إليك، فطمع في ذلك وخرج في ثلاثين من

(1) ثم ولدت له أبو سلمة سنة بضع وعشرين، وهو الحافظ الثقة إمام العلماء، وروي الحديث وهو من كبار التابعين. توفي سنة أربع وتسعين رحمه الله.

(2) رواه البخاري.

يهود. ثم ندم في أثناء الطريق، حتى عرف ذلك منه. وهم بعبد الله بن أنيس ففطن بن أنيس بغدره وبادره ليقتله، فشجه أسير ثم قتله، ومالوا على أصحابه فقتلوهم كلهم إلا رجلاً واحداً فر منهم ولم يصب أحد من المسلمين، وقدموا المدينة وإذا رسول الله ﷺ قد خرج يتحسس أخبارهم، فحدثوه الحديث فقال: نجاكم الله من القوم الظالمين، ونفث في شجة[1] عبد الله بن أنيس، فلم تفتح بعد ذلك ولم تؤذه.

سرية كرز بن جابر لملاحقة المفسدين الفجار الغادر

ثم كانت سرية كرز بن جابر الفهري رضي الله عنه –كان من رؤساء قريش واستشهد عام الفتح–، وسببها أن ناساً من عكل وعرينة سبعة أو ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ وأظهروا الإسلام، فاستوبؤوا المدينة واطحلوا –تغير لونهم بسبب المرض–، فأمر بهم رسول الله ﷺ إلى لقاحه –وكانت ترعى بدي الجدر ناحية قباء– فكانوا فيها يشربون من ألبانها (وأبوالها للتداوي) حتى صحت أجسامهم وسمنوا، فكفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي الإبل وأسمه يسار، وكان عبداً للنبي ﷺ ومثلوا به، فقطعوا يده ورجله، وغرسوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات، وانطلقوا بالسرح، فمرت به امرأة من الأنصار فوجدته على هذه الحالة ميتاً وممثلاً به، فرجعت إلى قومها فأخبرتهم، فخرجوا وجاؤوا به النبي ﷺ فبعث في إثرهم عشرين فارساً، وأستعمل عليهم كرز بن جابر رضي الله عنه، فخرج في طلبهم حتى أدركه الليل، فباتوا في الحرة ثم أصبحوا لا يدرون أين يتوجهون، فإذا بإمرأة تحمل كتف بعير فسألوها: أنا لك هذا؟ قالت: مررت على قوم قد نحروا بعيراً فأعطوني هذا، وهم بتلك المفازة فأوهم، وأحاطوا بهم فأسروهم جميعاً، وربطوهم، وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة، فأمر بهم يقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسملوا أعينهم وصلبوهم، فقال فيهم تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[2]. وفي سمل أعينهم خلاف للحديث الآتي: فلم تسمل بعد ذلك عين، ولا بعث ﷺ بعد ذلك بعثاً إلا نهى عن المثلة، وروى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه عن جده: لم يقطع رسول الله ﷺ لساناً قط، ولم يسمل عيناً قط، ولم يزد على قطع اليد والرجل.

(1) الجراح في الرأس او الوجه
(2) المائدة اية 33.

سرية عمرو بن أمية الضمري لأبي سفيان ورد الرسول ﷺ

وسببها أن أبا سفيان قال لنفر من قريش: ألا أحد يغدر محمداً فإنه يمشي في الأسواق؟ فقال رجل من الأعراب: قد وجدت أجمع الرجال قلباً، وأشدهم بطشاً، وأسرعهم جرياً، فإن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله، ومعي خنجر مثل خافية النسر فأسوره ثم أسبق القوم عدواً فإني هاد بالطريق. فقال: أنت صاحبنا! فأعطاه راحلة ونفقة وقال: أطو أمرك، فخرج ليلاً فسار على راحلته وصبّح الحرة صُبْح سادسة، ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى دل عليه، فعقل راحلته ثم أقبل على رسول الله ﷺ وهو في مسجد عبد الأشهل. فلما رآه ﷺ قال: إن هذا يريد غدراً والله حائل بينه وبين ما يريد، فذهب لينحني على رسول الله ﷺ فجذبه أسيد بن حضير رضي الله عنه من طرف إزاره فإذا بالخنجر، فأسقط في يده وخاف وصاح دمي دمي. فأخذ أسيد بن حضير بعنقه وخنقه خنقاً شديداً فقال ﷺ: اصدقني ما أنت؟ قال: وأنا آمن؟؟ قال: نعم. فأخبره بخبره فخلى عنه ﷺ فأسلم. وقال: يا محمد والله ما كنت أخاف الرجال فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي، وضعفت نفسي، ثم إنك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق، وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان، فجعل ﷺ يبتسم، فأقام الرجل أياماً ثم استأذن النبي ﷺ في الخروج فأذن له فخرج ولم يُسمع له بذكر.

إرسال عمرو بن أمية

ثم بعث صل الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري ومعه سلمة بن أسلم إلى أبي سفيان وقال: إن أصبتما منه غرة فأقتلاه، فدخلا مكة ليلاً فقال سلمة لعمرو: لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين، فقال عمرو: إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم، وإنهم إن رأوني عرفوني، فإني أعرف بمكة من الفرس الأبلق – مثل لمن كان معروفاً ومشتهراً – فقال: كلا إن شاء الله. قال عمرو: فأبى أن يطيعني. فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إليّ رجل من أهلها فعرفني. فقال: عمرو بن أمية؟ فوالله ما قدمها إلا لشر. فأخبر أبا سفيان وقريشاً بوجود عمرو بمكة فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً جريئاً في الجاهلية، فحشد له أهل مكة وصاروا يطلبونه فهرب عمرو وسلمة فلقي عمرو رجلاً من رؤوس المشركين فقتله وقتل آخر من بني الديل، سمعه يتغنى ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حياً　　　ولست أدين دين المسلمينا

وفي طريقه إلى المدينة لقي رسولين لقريش بعثتهما قريش يتجسسان الأخبار فقتل أحدهما وأسر الآخر حتى قدم به المدينة، فجعل عمرو يخبر النبي ﷺ خبره ورسول الله ﷺ يضحك ثم دعا له بخير.

4. صلح الحديبية

وكانت في سنة ست من الهجرة, بعد أن انتصر رسول الله صل الله عليه وسلم على الأحزاب في غزوة الخندق، وأقتص من يهود بني قريظة على مكرهم وغدرهم، وبدأ يعيش عيشة الهدوء والاستقرار، وشعر المسلمون بالعزة التي وعدهم الله بها بعد الذلة، والقوة بعد الضعف، والأمن بعد الخوف.



موقع صلح الحديبية وبيعة الرضوان

وبينما كان المسلمون في المسجد النبوي ذات يوم إذ أنبأهم النبي صل الله عليه وسلم بما رآه في نومه: من أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، وأخبرهم أنه يريد أداء العمرة معهم، ففرحوا وأستبشروا وأستعدوا للخروج منتظرين امر نبيهم صل الله عليه وسلم, وإذ قدم عليهم بسر بن سفيان الخزاعي مسلماً، فقال له: يا بسر لا تبرح حتى تخرج معنا، فإنا إن شاء الله معتمرين. فأقام وأبتاع بدناً للنبي ﷺ، فكان يبعث بها إلى ذي الجدر حتى حضر خروجه، فأمر بها فجلبت إلى المدينة وسلمها إلى ناحية بن جندب الأسلمي ليأتي بها ذا الحليفة. وخرج المسلمون وليس معهم سلاح إلا السيوف في القرب، وساق بعضهم الهدي.

وسئل صل الله عليه وسلم عن عدم حمل السلاح فقال: لست أحب أن أحمل السلاح، إنما خرجت معتمراً. وأستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وخرج من المدينة يوم الاثنين لهلال ذي القعدة بعد ان

اغتسل في بيته، وركب راحلته القصواء وخرج المسلمون. فصلى صل الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة، ثم دعا البدن وهي سبعون بدنة، منها جمل أبي جهل الذي غنمه يوم بدر، فجللها[1] وأشعر بعضها وقلدها[2] وبعث بسر بن سفيان عيناً له، وقدم عبّاد بن بشر طليعة في عشرين فارساً. ثم صلى ركعتين ﷺ وركب من باب المسجد بذي الحليفة.

وأحرم ﷺ من ذي الحليفة، وأحرم بإحرامه عامة الناس، فلما أنطلقت به راحلته نحو القبلة أعلن التلبية فقال: لبيك اللهم لبيك, لبيك لا شريك لك لبيك, إن الحمد والنعمة لك والملك, لا شريك لك. وخرج معه من المسلمين ما بين الألف وأربعمائة، والألف وستمائة، وأربع نسوة هم: أم سلمة أم المؤمنين، وأم عمارة نسيبة المازنية، وأم منيع – أسماء بنت عمرو الأنصارية، وأم عامر الأشهلية. ومر فيما بين مكة والمدينة بالأعراب بني بكر ومزينة، وجهينة فأستنفرهم فتشاغلوا بأبنائهم وأموالهم، وقالوا فيما بينهم: أيريد محمد أن يغزو بنا إلى قوم معدين في الكراع والسلاح؟ لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبداً.

وأهدى له أيماء بن رحضة الغفاري مائة شاة، وبعيرين يحملان لبناً، ففرق ذلك بين أصحابه وقال: بارك الله فيكم. ورأى بالأبواء كعب بن عجرة وقد آذاه القمل برأسه وهو محرم قال: هل تؤذيك هوامك يا كعب؟ قال: نعم يا رسول الله قال: فأحلق رأسك. وفي ذلك نزل قوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ)[3].

ولما نزل ﷺ الجحفة أمر بشجرة يُقَم[4] ما تحتها وخطب الناس فقال في خطبته: إني كائن لكم فرطاً[5] وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وسنة نبيه.

5. خروج قريش لمنع المسلمين أداء العمرة وخبر صلاة الخوف ومعجزة القصواء وفيضان الماء

وبلغ أهل مكة قدوم رسول الله ﷺ, فراغهم ذلك، وتشاوروا ثم قدّموا عكرمة بن أبي جهل وخالد بن الوليد على مائتي فارس إلى كراع الغميم، وأستنفروا من أطاعهم من الأحابيش، وخرجت معهم ثقيف ووضعوا العيون على الجبال، وخرجت قريش إلى بلدح وضربوا بها القباب، ومعهم النساء والصبيان،

(1) جلل البدنة: ألقى عليها برداً.

(2) أشرها: أعلمها بشق جلدها بمضع حتى يظهر الدم. قلدها: علق على عنقها شيئاً مثل أو غيره، وذلك لتعرف أنها هدى للبيت – وهي عادات معروفة عندهم.

(3) البقرة: من الآية 196.

(4) يقم: يكنس ويمهد. لتكون صالحة للجلوس بظلها.

(5) الفرط: المتقدك إلى الماء يسبق الوارد، فيهيء لهم الدلاء ويملأ الحياض.

فعسكروا هناك وقد أجمعوا على منع رسول الله ﷺ من دخول مكة على محاربته. ورجع بسر بن سفيان من مكة وقد علم خبر القوم، فلقي رسول الله صل الله عليه وسلم من وراء عسفان وأخبره الخبر.

واستشار رسول الله ﷺ الناس: هل يمضي لوجهه ويقاتل من صده عن البيت؟ أو يخالف الذين استنفروا إلى أهليهم فيصيبهم؟ فأشار أبوبكر رضي الله عنه: أن يمضوا على وجوههم، ويقاتلوا من صدهم. وقال أسيد بن حضير كما قال أبوبكر رضي الله عنهما. فقال رسول الله ﷺ: إنا لم نخرج لقتال أحد، إنما خرجنا عمّاراً.

ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى المسلمين، فصف خيله فيما بينهم وبين القبلة، فقدم رسول الله ﷺ عباد بن بشر في خلية، فقام بأزاء خالد وصف أصحابه، وحانت صلاة الظهر فأذن بلال وأقام، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه جماعة حتى تمت صلاتهم فقاموا، وعادوا على ما كانوا عليه من التعبئة. فقال خالد بن الوليد: وقد كانوا على غِرّة، لو كنا حملنا عليهم أصبنا منهم. ولكن تأتي الساعة صلاة هي أحب إليهم من أنفسهم وأبنائهم. فنزل جبريل عليه السلام بين الظهر والعصر صلاة الخوف بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾[1].

فلما حانت العصر أذن بلال وأقام، فقام رسول الله ﷺ مواجهاً القبلة والعدو أمامه، فصف الصحابة صفين، فكبر وكبروا جميعاً، ثم ركع فركع الصفان جميعاً، ورفعوا للاعتدال، ثم سجد فسجد الصف الذي يليه وقام الآخرون يحرسونه. فلما قضى السجود بالصف الأول قام وقام معه –الصف الأول– فسجد الصف الثاني سجدتين فقاموا جميعاً وسجد معه الصف الثاني وقام الصف الأول يحرسونه والعدو أمامهم فلما رفع من السجدتين ومن معه سجد الصف الأول السجدتين وأستووا جميعاً جالسين للتشهد، ثم سلم فسلموا جميعاً.

وسار صل الله عليه وسلم حتى دنا من الحديبية –وهي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة– فبركت راحلته القصواء، فقال المسلمون: حل حل يزجرونها لتمضي فأبت أن تقوم، فقالوا: خلأت

---

(1) النساء:102.

القصواء[1] فقال ﷺ: إنها ما خلأت، ولا هو لها بعادة، ولكن حبسها حابس الفيل. أما والله لا يسألوني اليوم خطة فيها تعظيم حرمة الله إلا أعطيتهم إياها. ثم زجرها فقامت، فولى راجعاً حتى نزل بالناس على ثمد[2] من ثماد الحديبية قليل الماء.

وأشتكى الناس قلة الماء، وانتزع سهماً من كنانته فأمر به فغرز في الحفرة، فجاشت لهم بالرواء حتى صدروا عنه والماء يفيض، وإنهم ليفترقون بآنيتهم جلوساً على شفير البئر.

6. بدأ مفاوضات الصلح مع المفاوض بديل بن ورقاء والمغيرة بن شعبة وعمه عروة بن مسعود

ولما اطمأن المسلمون بالحديبية، جاء بديل بن روقاء ومعه ركب من قومه خزاعة –وخزاعة تكن المودة والنصح لرسول الله صل الله عليه وسلم– فأسلموا ثم قال بديل: جئناك من عند قومك –قريش– قد أستنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم، ومعهم النساء والصبيان يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم ويهلكوا. فقال ﷺ: إنا لم نأت لقتال أحد، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه. وقريش قوم قد أضرت بيننا وبين الناس –والناس أكثر منهم– فإن ظهر أمري على الناس كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس أو يقاتلوا وقد جَمُّوا. والله لأجهدن على أمري هذا إلى أن تنفرد سالفتي أو ينفذ الله أمره.

فعاد بديل وركبه إلى قريش فأخبرهم بمقالة النبي صل الله عليه وسلم وبما عرض من الهدنة، فقال عروة بن مسعود الثقفي: إن بديلاً قد جاءكم بخطة رشد، لا يردها أحد إلا أخذ شراً منها. فأقبلوها منه، وأبعثوني حتى آتيكم بمصداقها، وأكون لكم عيناً. فبعثوه. فقال: يا محمد إني تركت قومك على أغرز ماء الحديبية قد أستنفروا لك، وهم يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم، وإنما أنت من قتالهم بين أحد أمرين: إما أن تجتاح قومك –فلم نسمع برجل اجتاح أصله قبلك– أو بين أن يخذلك من نرى معك، فإني لا أرى معك إلا أوباشاً[3] من الناس لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم.

وكان عروة يكلم النبي ﷺ ويأخذ بلحيته، وكانت تلك عادة العرب وكان المغيرة بن شعبة بن مسعود الثقفي وهو ابن أخي عروة –عمه– قائماً على رأس النبي ﷺ والسيف في يده وعليه المغفر[4] –لحراسة

---

(1) خلأت الناقة: إذا بركت وحزنت من غير علة.

(2) الثمد: حفرة من حفر الماء.

(3) أوباش: أي أخلاط من الناس.

(4) غطاء الرأس للمحارب.

النبي ﷺ– وكان المغيرة قد أسلم من قبل وهاجر إلى المدينة، فكان كلما أهوى عروة إلى لحية النبي ﷺ ضرب المغيرة يده بضبة السيف قائلاً له: أخر يدك عن لحية النبي ﷺ فإنه لا ينبغي لمشرك أن يمسه. فيقول عروة: ما أفظك وما أغلظك؟ فلما تكرر المنع من المغيرة رفع عروة رأسه وقال: من هذا يا محمد؟ فتبسم النبي ﷺ وقال: هذا المغيرة بن شعبة ابن أخيك، فلما عرفه قال: أي غدر!! والله ما غسلت يدي من غدرتك ولقد ورثتنا العداوة في ثقيف –ولذلك قصة قبل إسلامه[1]–.

فلما فرغ عروة من كلامه ورد عليه رسول الله ﷺ كما قال لبديل بن ورقاء، عاد إلى قريش فقال: يا قوم، قد وفدت على كسرى وهرقل والنجاشي، وإني والله ما رأيت ملكاً قط أطوع في قومه من محمد في أصحابه، والله ما يشدون إليه النظر، وما يرفعون عنده الصوت، وما يشير إلى أحدهم بأمر إلا ويسرع في إنفاذه، وما يتوضأ من وضوء إلا ازدحموا عليه أيهم يظفر منه بشيء. وقد رأيت قوماً إن أردتم السيف بذلوه لكم، ولا يبالون ما يصنع بهم، ولا يكرهون الموت إذا منعوا صاحبهم، والله لقد رأيت نسيات معه –تصغير نسوة– إن كن ليسلمنه أبداً على حال، فروا رأيكم! وقد عرض عليكم خطة، فمادوه يا قوم –أي هادنوه– إقبلوا ما عرض فإني لكم ناصح، مع أني أخاف ألا تنصروا عليه, رجل أتى هذا البيت معظماً له معه الهدى ينحره وينصرف! فقالوا: لا تكلم بهذا يا أبا يعفور، لو غيرك تكلم بهذا!! ولكن نرده في عامنا هذا ويرجع إلى قابل. فلما رأى عروة أنهم لم يسعوا نصحه وما رغبهم فيه من أمر الصلح، رجع هو ومن تبعه إلى الطائف.

بعثة مكرز بن حفص وبعثة الحليس وبعثة خراش إلى قريش

ثم جاء مكرز بن حفص، فكلمه بما كلم به أصحابه وعاد بذلك إلى قريش. فبعث الحليس بن علقمة الكناني سيد الأحباش ورئيسهم. فلما أشرف قال رسول الله ﷺ: هذا من قوم يعظمون الهدي فأبعثوها في وجهه فبعثوها. واستقبله الناس يلبون بالعمرة. فلما رأى الهدي يسيل في الوادي، عليه القلائد، قد أكل أوباره من طول الحبس من محله، ورأى القوم يلبون قاموا نصف شهر فشعثوا، رجع ولم يصل إلى النبي ﷺ إعظاماً لما رأى. فقال لقريش: إني قد رأيت ما لا يحله صده! رأيت الهدي في قلائده قد أكل أوباره معكوفاً –محبوساً– عن محله، والرجال قد شعثوا ولم يطوفوا بهذا البيت! أما والله ما على هذا حالفناكم ولا عاقدناكم، على أن تصدوا عن بيت الله من جاء له معظماً لحرمته مؤدياً لحقه، والهدي معكوفاً أن

---

(1) وكان من خبر المغيرة -وهذا هو الشاهد- أنه صحب ثلاثة عشر نفراً من قريش قبل أن يسلم، فشربوا الخمر جميعاً، فقام عليهم المغيرة فقتلهم وسلب أموالهم، وفر ورد المال عليه ولم يأخذه، حتى يترفع عن (أما الإسلام فأقبله منك، وأما المال فلست منه في شيء، إنه أخذ غدراً) إلى النبي ﷺ فأسلم، وقص عليه ذلك فقال له ﷺ الدنايا، وأنت تعلم أن الأنبياء أكمل الناس مروءة، فلا يفعلون شيئاً يشينهم عند العوام حتى لو كان مباحاً.

يبلغ محله. والذي نفسي بيده، لتخلن بينه وبين ما جاء به، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد!! فقالوا: أكفف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

وبعث رسول الله صل الله عليه وسلم إلى قريش خراش بن أمية الخزاعي ليبلغ أشرافهم أنه إنما جاء معتمراً لا مقاتلاً، فعقروا راحلته، وأرادوا قتله، فمنعه من هناك من قومه فرجع.

7. بعثة عثمان بن عفان رضي الله عنه والبيعة تحت الشجرة

فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه وكتب له كتاباً إلى أشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت إلا زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته، وأمره أن يأتي رجالاً مسلمين، مستضعفين بمكة ونساءاً مؤمنات مستضعفات بها، ويبشرهم بالفتح ويخبرهم بأن الله وشيك أن يظهر دينه بمكة. فخرج عثمان رضي الله عنه ودخل مكة معه عشرة من الصحابة بإذن النبي ﷺ ليزوروا أهليهم، فلقيه قبل أن يدخل مكة أبان بن سعيد بن العاص، وكان ابن عم عثمان فأجاره حتى يبلغ الرسالة وجعله بين يديه، فجاء إلى عظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به وهم يردون عليه ويقولون: إن محمداً لا يدخلها علينا أبداً. فلما فرغ من رسالته قالوا له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. وأحتبست قريش عثمان عندها ثلاثة أيام، وأشاع الناس أنهم قتلوه والعشرة الذين معه، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: لا نبرح حتى نناجز [1] القوم.

وجعل صل الله عليه وسلم من المسلمين حراساً يتناوبون، وبعثت قريش مكرز بن حفص على خمسين رجلاً ليصيبوا من المسلمين غرة، فظفر بهم محمد بن سلمة وجاء بهم الى رسول الله ﷺ إلا مكرز فقد هرب وحبسوا الأسرى. وبلغ قريش حبس أصحابهم، فجاء جمع منهم ورموا بالنبل والحجارة، فرماهم المسلمون وأسروا منهم اثني عشر فارساً، وقتل من المسلمين زنيم أصابه سهم فقتله.

وكانت بنو مازن بن النجار قد نزلت في ناحية من الحديبية جميعاً، فأم رسول الله ﷺ بمنازلهم وجليس رحالهم. وقد بلغه قتل عثمان رضي الله عنه فقال: إن الله أمرني بالبيعة وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنادى: إن روح القدس قد نزل على رسول الله ﷺ وأمر بالبيعة فأخرجوا على اسم الله فبايعوا. فأقبل الناس يبايعونه حتى تداركوا من الازدحام فما بقي لهم متاع إلا وطئوه، ثم لبسوا السلاح.

وقامت أم عمارة نسيبة المازنية رضي الله عنها إلى عمود كانت تستظل به فأخذته بيدها وشدت في وسطها سكيناً تستعد للقتال، وكان صل الله عليه وسلم يبايع الناس تحت شجرة خضراء، وكان يبايعهم

---

(1) نقاتل ونبارز.

على الموت فأنزل الله في ذلك قوله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً)[1].

8. بعثة سهيل بن عمرو والصلح وموقف أبنه من الصلح

وفي أثناء البيعة بعثت قريش سهيل بن عمرو في أمر الصلح والأسرى، وقد حضر البيعة وشاهدها بعينه، ورأى إقبال المسلمين على البيعة، ورغبتهم في الجهاد، وحثهم للموت دفاعاً عن دينهم ونبيهم.

ولما رآه ﷺ قادماً قال: سهل أمرهم! فقال سهيل: يا محمد إن هذا الذي كان من حبس أصحابك – عنى عثمان ومن معه– وما كان من قتال من قاتلك، لم يكن من رأى ذوي رأينا، بل كنا له كارهين حين بلغنا، وكان ذلك من سفهائنا. فأبعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت. فقال له: إني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي. قال: أنصفتنا، فبعث سهيل إلى قريش أن أبعثوا عثمان ومن معه فبعثوهم، وأرسل ﷺ أصحابهم الذين أسروا. ولما جاء عثمان رضي الله عنه بايع تحت الشجرة. وقد كان قبل ذلك حين بايع الناس، قال ﷺ: إن عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله، فأنا أبايع له. فضرب بيمينه شماله.

ورجع سهيل ومن معه فأخبروا قريشاً بما رأوا من سرعة المسلمين إلى البيعة، وتشميرهم للحرب، فأشتد رعبهم وخوفهم، فأشار أهل الرأي منهم بالصلح على أن يرجع رسول الله ﷺ في عامة هذا ويعود من قابل. فلما أجمعوا على ذلك أعاد سهيلاً ومعه حويطب بن عبدالعزى، ومكرز بن حفص ليقرروا الصلح. فلما رآه صل الله عليه وسلم قال: أراد القوم الصلح.

وكلم سهيل رسول الله صل الله عليه وسلم في أمر الصلح وتفاضوا به وأتفقوا على ما يأتي: على ترك القتال، وأن تضع الحرب بينهم عشر سنين، وأن يأمن بعضهم بعضاً، وأن يرجع عنهم هذا العام ويأتي من العام القابل، ويخلون له مكة ثلاثة أيام، وأن لا يدخلوا إلا بسلاح المسافر: السيوف وقرابها. وأنه لا يأتيك منا رجل ولو كان على دينك إلا رددته إلينا، وإن أتانا رجل منك لم نرده إليك.

---

(1) الفتح:18.

وكان أبو جندل بن سهيل بن عمرو قد أسلم وحبسه أبوه بمكة يعذبه ليرجع عن الإسلام، ولما بلغه أن رسول الله ﷺ وأصحابه في الحديبية، هرب من حبسه يرسف في القيد[1] فخرج من مكة وأجتنب الطريق وركب الجبال حتى هبط الحديبية، وأبو سهيل يفاوض النبي ﷺ بالصلح، ففرح بن المسلمون ورحبوا به، فرفع سهيل رأسه فإذا بإبنه أبي جندل، فقام إليه فضرب وجهه بغصن شوك وأخذ بتلبيبه. فصاح أبو جندل بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ فزاد المسلمين ذلك سوءاً إلى ما بهم، وجعلوا يبكون لكلام أبي جندل. فقال حويطب لمكرز بن حفص: ما رأيت قوماً قط أشد حباً من أصحاب محمد لمحمد, وبعضهم لبعض.

وقال سهيل بن عمرو لرسول الله ﷺ: هذا –ابني– أول ما قاضيتك عليه. رده. فقال صل الله عليه وسلم: إنا لم نقض الكتاب بعد. فقال سهيل: والله لا أكاتبك بشيء حتى ترده إلي. فرده إليه وطلب منه أن يتركه. فأبى سهيل وضرب وجهه بغصن من شوك. فقال له ﷺ: هبه لي أو أجره من العذاب. فقال: والله لا أفعل. فقال مكرز وحويطب: يا محمد نحن نجيره لك. فأدخلاه فسطاطاً فأجاراه، فكف عنه أبوه. ثم رفع رسول الله ﷺ صوته فقال: يا أبا جندل أصبر وأحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا. إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم.[2]

9. كتاب الصلح ومقالة المسلمين وعمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ

وأحضرت الدواة والصحيفة بعد أن تم الاتفاق على شروط الصلح، وأمر رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه فقال: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: لا أعرف الرحمن. أكتب ما نكتب: بسمك اللهم. فضاق المسلمون من ذلك وقالوا: هو الرحمن والله لا نكتب إلا الرحمن. قال سهيل: إذاً لا أقاضيه على شيء. فقال رسول الله ﷺ: اكتب بإسمك اللهم.

هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك وأتبعتك. أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبدالله فضج المسلمون ضجة هي أشد من الأولى حتى أرتفعت الأصوات، وقام رجال يقولون: لا نكتب إلا محمد رسول الله ﷺ، وأخذ أسيد بن حضير وسعد بن عبادة

(1) مشى بطيء بسبب جر قيوده.

(2) البداية والنهاية-ابن كثير-ص193.

رضي الله عنهما بيد الكاتب فأمسكاها وقالا: لا تكتب إلا محمد رسول الله، وإلا فالسيف بيننا. فجعل رسول الله ﷺ يخفضهم ويومئ إليهم بيده: أسكتوا. وجعل حويطب ومكرز يتعجبان مما يصنعون. فقال رسول الله ﷺ: أنا محمد بن عبد الله فأكتب. فكتب.

ونص كتاب الصلح بالتالي: بإسمك اللهم، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أن لا إسلال ولا إغلال[1]، وأن بيننا عيبة مكفوفة[2]، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، وأنه من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليه رده محمد إليهم، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لن يردوه، وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه، ويدخل علينا من قابل في أصحابه فيقيم ثلاثاً، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر: السيوف في القرب.

دخول خزاعة في عهد رسول الله ﷺ

ولما كتب كتاب الصلح –وكان على نسختين– فوثب مَن هناك من خزاعة فقالوا: نحن ندخل في عهد محمد وعقده ونحن على من وراءنا من قومنا. ووثب بنو بكر فقالوا: نحن ندخل في عهد قريش وعقدها ونحن على من وراءنا من قومنا.

فلما أتفقوا على هذه الشروط ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ألسنا بالمسلمين؟ قال صل الله عليه وسلم: بلى. فقال: فعلام نعطى الدنيّة في ديننا؟ فقال رسول الله ﷺ: أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني. فذهب عمر إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقال: يا أبا بكر ألسنا بالمسلمين؟ فقال: بلى. قال: فلم نعط الدنية في ديننا؟ فقال: إلزم غرزه، فإني أشهد أنه رسول الله وأن الحق ما أمر به ولن يخالف أمر الله ولن يضيعه الله. وكره المسلمون الصلح، لأنهم خرجوا ولا يشكون في دخول مكة، لرؤيا رسول الله ﷺ أنه حلق رأسه، وأنه دخل البيت، وعرف مع المعرفين. فلما رأوا الصلح عظم عليهم حتى كادوا يهلكون فجعل الله عاقبتها خيراً.

وعاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى رسول الله صل الله عليه وسلم بعدما رأى إيذاء أبي جندل فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: بلى. قال: ألسنا على الحق؟ قال: بلى. قال: أليس عدونا على الباطل؟ قال: بلى. قال: فلم نعطى الدنية في ديننا؟ فقال: يا عمر إني رسول الله ولن أعصيه ولن

(1) لا سرقة ولا خيانة.

(2) مشرجة مشدوده.

يضيعني. فانطلق إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال له مثل ذلك، فأجابه بنحو ما أجاب به رسول الله ﷺ ثم قال: دع عنك ما ترى يا عمر. ثم وثب عمر رضي الله عنه إلى أبي جندل يمشي جنبه، وسهيل يدفعه وعمر يقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم مشركون، وإن الرجل يقتل أباه في الله. والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله وجعل يحرضه ليقتل أباه. فقال له أبو جندل: مالك لا تقتله أنت؟ قال عمر: نهاني رسول الله عن قتله وقتل غيره. قال أبو جندل: ما أنت أحق بطاعة رسول الله مني.

وقال عمر ورجال معه: يا رسول الله ألم تكن تحدثنا أنك تدخل المسجد الحرام وتأخذ مفتاح الكعبة وتعرف مع المعرفين؟ وهذا هدينا لم يصل إلى البيت ولا نحن. فقال: قلت لكم في سفركم هذا؟ قال عمر: لا. فقال صل الله عليه وسلم: أما إنكم ستدخلونه، وآخذ مفتاح الكعبة، وأحلق رأسي ورؤوسكم ببطن مكة، وأعرف مع المعرفين. ثم أقبل على عمر رضي الله عنه وقال: أنسيتم يوم أحد، إذا تصعدون ولا تلوون على أحد. وأنا أدعوكم في أخراكم؟ أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر؟ أنسيم يوم كذا؟ أنسيم يوم كذا؟ والمسلمون يقولن: صدق الله ورسوله، يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه، ولأنت أعلم بالله وبأمره منا. (ولقد كان كل ذلك فيما بعد) وذكرهم الرسول ﷺ بجمع ما وعدهم به قال تعالى: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[1].

10. النحر والحلق لشعره الشريف ﷺ

فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب وانطلق سهيل ومن معه قال ﷺ: قوموا فأنحروا وأحلقوا وحلوا. فلم يجبه أحد إلى ذلك. فرددها ثلاث مرات، فلم يفعلوا. فدخل على أم سلمة رضي الله عنها وهو شديد الغضب فأضطجع، فقالت: مالك يا رسول الله؟ مراراً وهو لا يجيبها. ثم قال: عجباً يا أم سلمة! إني قلت للناس أنحروا وأحلقوا وحلوا مراراً، فلم يجبني أحد من الناس إلى ذلك. وهم يسمعون كلامي وينظرون وجهي. فقالت: يا رسول الله إنطلق إلى هديك فأنحره، فإنهم سيقتدون بك. فأخذ الحربة وخرج إلى هديه، وأهوى بالحربة إلى البدنة رافعاً صوته: بسم الله والله أكبر. ونحر فتواثب المسلمون إلى الهدي وأزدحموا عليه ينحرونه. وأشرك صل الله عليه وسلم بين أصحابه في الهدي، فنحر البدنة عن سبعة، وكان الهدي سبعين بدنة، وقيل مائة بدنة. وبعث رسول الله ﷺ من الهدي بعشرين بدنة لتنحر عند المروة مع رجل

(1) النجم اية 3.

من أسلم, فنحرها عند المروة ووزع لحمها. وجاءه صل الله عليه وسلم المعترون[1] من الأعراب يسألون من لحوم البدن، لأعطاهم من لحموها وجلودها، وأكل المسلمون من هديهم وأطعموا المساكين.

ولما فرغ صل الله عليه وسلم من نحر البدن دخل قبة له فيها الحلق فحلق رأسه، ثم أخرج رأسه من قبته وهو يقول: رحم الله المحلقين. قيل يا رسول الله : والمقصرين؟ فقال: رحم الله المحلقين ثلاثاً، ثم قال: والمقصرين[2]. ورمى بشعره على شجرة كانت بجنبه، فجعل الناس يأخذونه فيتحاصون فيه، وأخذت أم عمارة طاقات من شعره، فكانت تغسلها للمريض وتسقيه من مائها حتى يبرأ. وحلق ناس وقصر آخرون. ولما حلقوا بالحديبية بعث الله تعالى ريحاً عاصفاً فأحتملت أشعارهم فألقتها بالحرم.

11. جوع المسلمين وآيات النبوة والبركة ونزول سورة الفتح

وأقام الرسول ﷺ بالحديبية بضعة عشر يوماً، وقيل عشرين يوماً ثم انصرف فلما نزل بعسفان أرمل (أنفذه) المسلمون من الزاد، وشكوا أنه قد بلغوا من الجوع. فأستأذنوا بأن ينحروا من إبلهم التي يركبونها فأذن لهم ﷺ في ذلك. فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله إن يك في الناس بقية ظهر يكن أمثل – أفضل-. ولكن أدعهم بأزوادهم ثم ادع الله لهم فيها. فأمر ﷺ بالأنطاع **(بساط من الجلد)** فبسطت، ثم نادى مناديه: من كان عنده بقية زاد فلينثره على الأنطاع. فكان منهم من يأتي بالتمرة الواحدة، ومن يأتي بالكف من الدقيق والكف من السويق، وذلك كله قليل، فلما ألقوا ما عندهم، ثم مشى ﷺ إليها فدعا فيها بالبركة ثم قال: قربوا أوعيتكم فجاؤوا بأوعيتهم، فكان الرجل يأخذ ما شاء من الزاد حتى إن أحدهم ليأخذ ما لا يجد له محملاً, ثم أرتحلوا.

وبينما رسول الله ﷺ يسير وعمر إلى جنبه، إذ جاءه الوحي فسأله عمر فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله الثالثة فلم يجبه –لانشغاله بالوحي– فقال عمر لنفسه: ثكلتك أمك يا عمر، بدرت رسول الله ﷺ ثلاثاً، كل ذلك لا يجيبك! وحرك بعيره حتى تقدم الناس وخشي أن يكون نزل فيه قرآن، فأخذه ما أخذه: لمراجعته بالحديبية وكراهيته القضية للصلح. وبينا هو يسير مهموماً متقدماً على الناس إذا منادي رسول الله ﷺ ينادي: يا عمر بن الخطاب. فوقع في نفسه ما الله به أعلم. ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فسلم. فرد عليه السلام وهو مسرور ثم قال: أنزلت علي سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس.

(1) المساكين والفقراء.

(2) رواه البخاري.

فإذا هو يقرأ (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)[1] فأنزل الله في ذلك سورة الفتح، فركض الناس وهم يقولون: أنزل على رسول الله ﷺ، حتى توافدوا فرحون عنده وهو يقرؤها. فكان نزول الفتح في قضية الحديبية.

12. خبر أبي بصير وتنفيذ بنود الصلح

ولما قدم رسول الله صل الله عليه وسلم المدينة في ذي الحجة جاء أبو بصير –عتبة بن أسيد– مسلماً، وقد هرب من قومه بمكة، وسار على قدميه سبعاً حتى وصل المدينة، فكتب الأخنس بن شريق وأزهر بن عبدعوف إلى رسول الله ﷺ كتاباً مع خنيس بن جابر من بني عامر، وأستأجراه، وحملاه على بعير وبعثوا معه مولى يقال له كوثر، وفي كتابهما ذكر الصلح وأن يرد عليهم أبا بصير. فقدما بعد أبا بصير بثلاثة أيام، فقرأ الكتاب على رسول الله ﷺ أبي بن كعب: قد عرفت ما شارطناك عليه، وأشهدنا بيننا وبينك، من رد من قدم عليك من أصحابنا، فإبعث إلينا بصاحبنا أبا بصير.

فلما قرأ الكتاب أمر ﷺ أبا بصير أن يرجع إليهم، فقال: يا رسول الله أتردني إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ فقال: يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر. وإن الله جاعل لك ولمن معك فرجاً ومخرجاً. فقال: يا رسول الله تردني إلى المشركين؟ قال: إنطلق يا أبا بصير، فإن الله سيجعل لك مخرجاً. ودفعه إلى العامري وصاحبه. فخرج معهما، فأنتهيا إلى ذي الحليفة وقت صلاة الظهر، فصلى أبو بصير في مسجدها، وأخرج زاداً له من تمر يحمله، فقدمه إلى العامري وصاحبه ليأكلا معه، فأكلوا جميعاً. وقد علق العامري سيفه في الجدار وتحادثوا. فقال أبو بصير: يا أخا بني عامر ما اسمك؟ قال: خنيس. قال: ابن من؟ قال: ابن جابر. قال: يا أبا جابر أصارم سيفك هذا؟ قال: نعم. قال: ناولنيه أنظر إليه إن شئت. فناوله. فأخذ أبو بصير بقائم السيف –والعامري ممسك بالجفن– فعلاه به حتى قتله. وخرج كوثر هارباً نحو المدينة وأبو بصير في أثره فأعجزه، حتى سبقه إلى رسول الله ﷺ ورسول الله جالس في أصحابه بعد العصر، إذ طلع كوثر يعدو فقال الرسول ﷺ: هذا الرجل قد رأى ذعراً. وأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: ويحك.. مالك؟ قال: قتل صاحبكم صاحبي وأفلت منه ولم أكد.

وأقبل أبو بصير فأناخ بعير العامري بباب المسجد، ودخل متوشحاً سيفه فقال: يا رسول الله وفت ذمتك وأدى الله عنك. وقد أسلمتني بيد العدو وقد إمتنعت بديني من أن أفتن وأن يعبث بي، أو أكذب

(1) الفتح اية 1.

بالحق. فقال ﷺ: ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد[1] لو كان معه رجال. ثم قال لكوثر: ترجع به إلى صاحبك؟ فقال: يا محمد مالي به قوة ولا يدان. فقال ﷺ لأبي بصير: إذهب حيث شئت.

فخرج أبو بصير حتى أتى العيص، فنزل منه ناحية على ساحل البحر على طريق عير قريش إلى الشام. وبلغ المسلمين –المستضعفين– الذين حبسوا بمكة خبره، فجعلوا يتسللون إليه الرجل والرجلان حتى أجتمع عنده قريب من سبعين مسلماً، ولحق به أبو جندل بن سهل بن عمرو، فكانوا بالعيص وضيقوا على قريش، فلا يظفرون برجل منهم إلا قتلوه، ولا تمر عير إلا اقتطعوها. ومر ركب يريدون الشام، معهم ثمانون بعيراً، فأخذوه وأصاب كل رجل منهم قيمة ثلاثين ديناراً، وكانوا قد أمروا عليه أبا بصير، فكان يصلي بهم ويقرئهم، وهم له سامعون مطيعون. فغاظ قريشاً صنيع أبا بصير وشق عليهم، وكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم إلا أدخل إليه أبا بصير ومن معه، فلا حاجة لنا بهم. فكتب ﷺ إلى أبي بصير أن يقدم بأصحابه معه إلى المدينة. فجاءه الكتاب وهو يموت، فجعل يقرأه ومات وهو في يده، فدفنوه وأقبل أصحابه إلى المدينة وهم سبعون نفراً رضي الله عنهم.

13. هجرة أم كلثوم وحكم الصلح لا يشمل رد النساء

وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قد أسلمت بمكة، فكانت تخرج إلى بادية أهلها –ولها أقارب هناك– فتقيم أياماً هناك ثم ترجع. حتى أجمعت على الهجرة، فخرجت كأنها تريد البادية على عادتها، فوجدت رجلاً من خزاعة، فأعلمته بإسلامها فأركبها بعيره حتى أقدمها المدينة. فدخلت على أم سلمة رضي الله عنها. وأعلمتها أنها جاءت مهاجرة، وتخوفت أن يردها، فأنزل الله فيها آية الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

وقدم أخواها من غد قدومها –الوليد وعمارة– فقالا: يا محمد وفِ لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه. ورد علينا أختنا. فقال: قد نقض ذلك. فأنصرفا إلى مكة فأخبرا قريشاً فلم يبعثوا أحداً ورضوا بأن تحبس النساء ولا يشملهم الصلح.

(1) رواه البخاري.

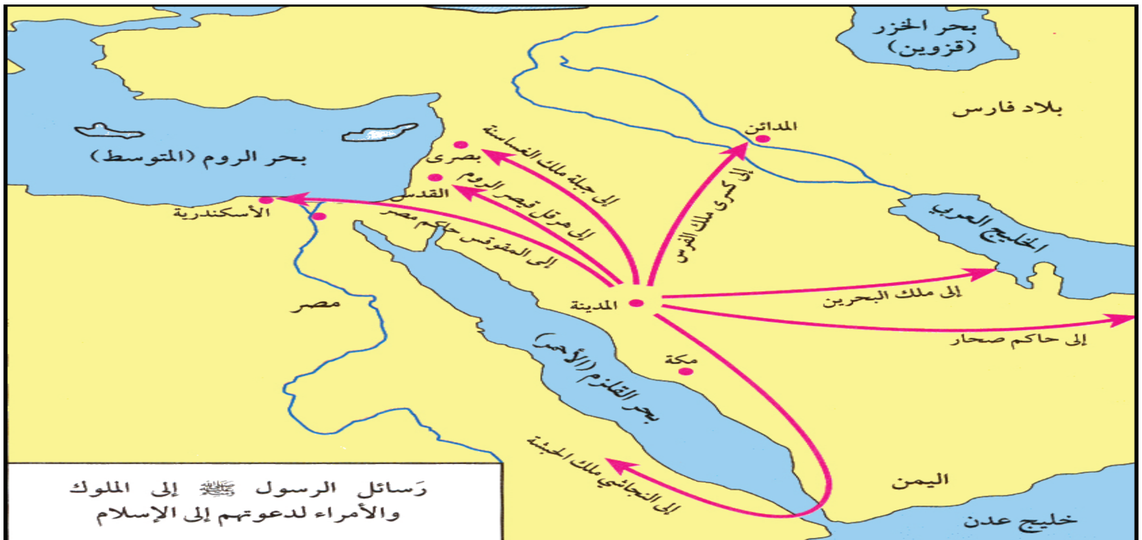
(2) الممتحنة اية 10.

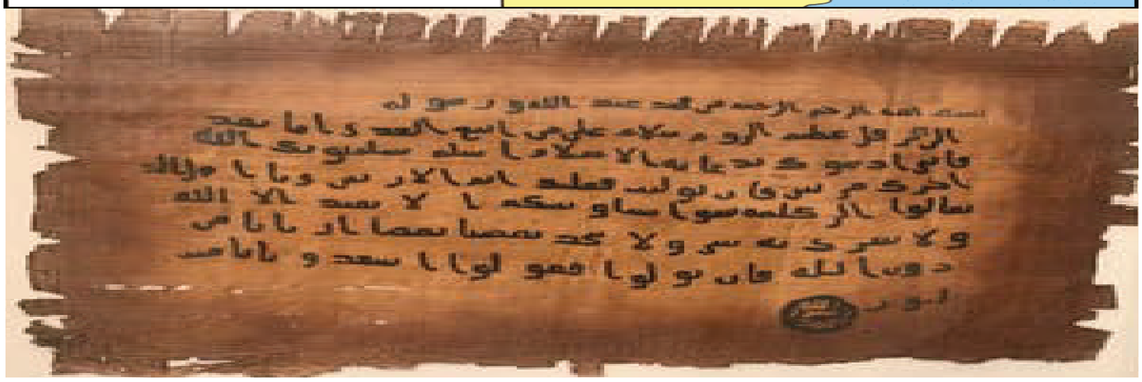
الجزء الحادي عشر
سفراء الرسول
وفترة السلام والانتشار
وغزوة خيبر

1. مكاتبة الملوك والاقاليم:

كتاب قيصر وإعترافه بالنبوة للرسول ﷺ أمام أبي سفيان

وفي السنة السادسة للهجرة بعد أن تمت الهدنة بين النبي ﷺ وبين قريش في صلح الحديبية، وقد أمن جانب قريش، وتفرغ ﷺ لنشر دعوته، وتبليغ رسالته، وكتب عليه الصلاة والسلام إلى الملوك والحكام يدعوهم إلى الإسلام.





وكتب إلى قيصر ملك الروم، أرسله مع دحية الكلبي (أنظر صورة الكتاب) وقد كتب فيه ما يلى:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام! أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين –الفلاحين– ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ

بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[1].

ولما وصل هذا الكتاب إلى قيصر قال: انظروا لنا أحداً من قومه نسأله عنه، وكان أبو سفيان بن حرب مع رجال من قريش في الشام في تجارة لهم، فجاءت رسل قيصر تبحث عن أي من العرب بالسوق فوجدوا أبو سفيان مع اخرين ودعوهم لمقابلة الملك فأجابوا[2] ولما قدموا عليه قال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: أنا. فقال قيصر: أدن مني ثم جعل أصحابه وراء ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه إنما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي وقد جعلتكم خلفه كيلاً تخجلوا من الرد عليه إذا كذب، ثم سأله كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب. قال: هل تكلم بهذا القول أحد منكم قبله؟ قال: لا قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قال: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاءهم؟ قال: بل ضعفاءهم. قال: فهل يزيدون أم ينقصون؟ قال: بل يزيدون. قال: هل يرتد أحد منهم سخطة لدينة؟ قال: لا. قال: هل قاتلتموه؟ وكيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: قاتلناه والحرب بيننا وبينه سجال، مرة لنا ومرة علينا. قال: هل يغدر إذا عاهد؟ قال: لا ونحن منه في ذمة ولا ندري ما هو فاعل[3] قال: فبم يأمركم؟ قال: يقول أعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، ونهى عما كان يعبد الآباء ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة.

فقال الملك: إني سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال هذا القول أحد منكم قبله؟ فزعمت أن لا، فلو كان أحد قال هذا قبله لقلت الرجل يأتم بقول قيل قبله. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا, فقلت ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك فقلت لا، فلو كان من آبائه ملك لقلت الرجل يطلب ملك أبيه، وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاءهم فقلت ضعفاءهم، وكذا أتباع الرسل. وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فقلت: بل يزيدون. وكذا الإيمان حتى يتم. وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه؟ فقلت لا. وكذا الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل قاتلتموه

---

(1) آل عمران اية 64.

(2) قيل إن هرقل كان في القدس لما وصله الكتاب، وكان اجتماعه بأبي سفيان في القدس أيضاً.

(3) قال أبو سفيان لما سئل فيما بعد: ما استطعت أن أكذب أمام الناس غير أني دسست له هذا الجملة.

فقلت نعم، وإن الحرب بينكم وبينه سجال. وكذلك الرسل تُكذَّب في بداية أمرها ثم تكون لهم العاقبة. وسألتك بماذا يأمر؟ فقلت يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة فهذه هي الخصال التي بعث الله بها المرسلين. وسألتك هل يغدر فقلت لا وكذلك الرسل لا تغدر.

ثم قال هرقل قيصر الروم: لذلك علمت أنه نبي وأنه مبعوث، وأظن أن رسالته ليست للعرب فقط، وإن كان ما كلمتني به حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، ولو أعلم أني أخلص إليه لفعلت. قال أبو سفيان: فأرتفعت أصوات الذين عنده وكثر لغطهم فلا أدري ما قالوا، وأمر بنا فأخرجنا. فلما خرج أبو سفيان مع أصحابه قال: لقد بلغ أمر بن أبي كبشة[1] أن يخافه ملك بني الأصفر.

ولما رجع هرقل قيصر الروم إلى حمص أذن لعظماء الروم في دسكرة له، ثم أمر بأبوابها فأغلقت ثم قال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فأسرعوا إلى الأبواب هرباً فوجدوها مغلقة، فلما رأى نفرتهم قال لهم: إنما قلت ذلك لأختبر شدتكم في دينكم، فغلبه حب ملكه على الإسلام بعد أن اعترف به، ثم وصل دحية الكلبي وكساه ورده رداً جميلاً.

2. كتب أمير بصرى والحارث والمقوقس والنجاشي وكسرى وردودهم

وأرسل صل الله عليه وسلم الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى بصرى فلما بلغ مؤتة –قرية في الأردن شرقي البحر الميت– تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال له: أين تريد؟ قال: الشام. قال: لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم. فأمر بضرب عنقه فضربت عنقه. ولم يقتل لرسول الله ﷺ من الرسل العشر غيره رضي الله عنهم جميعا, وقد وجد ﷺ لذلك وجداً[2] شديداً.

ووجه صل الله عليه وسلم شجاع بن وهب إلى أمير دمشق من قبل هرقل –الحارث بن أبي شمر– وكان يقيم بغوطتها وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق. وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك. فلما قرأ الكتاب رمى به وقال: من ينزع مني ملكي؟ واستعد ليرسل جيشاً لحرب المسلمين وقال لشجاع: أخبر صاحبك بما ترى.

ثم أرسل إلى قيصر يستأذنه في ذلك، وصادف أن كان عنده دحية، فكتب قيصر إليه يثنيه عن هذا العزم. فلما وصل كتاب قيصر إلي الحارث صرف شجاع بن وهب بالحسنى ووصله بنفقة وكسوة.

(1) يعني النبي ﷺ وهذا لقب زوج حليمة مرضعة النبي ﷺ فكان المشركون يعيرونه به ويقولون: ابن أبي كبشة.

(2) حزن الرسول ﷺ عليه حزن شديد.

ووجه الرسول ﷺ حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى المقوقس رئيس القبط أمير مصر من جهة قيصر، وكتب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإنما عليك إثم القبط. (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[1] فأوصله حاطب له باسكندرية، فلما قرأه قال: ما يمنعه إن كان نبياً أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده –يعني قريشاً– فقال حاطب: ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله؟ قال: بلى. قال: فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه؟ قال: أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم. ثم قال: إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدت أنه لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب، ووجدت معه آية النبوة: إخراج الغائب المستور والإخبار بالنجوى وسأنظر في هذا الأمر.

وكتب المقوقس رد الجواب يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك. أما بعد: فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً قد بقي وكنت أظنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وأهديت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وبثياب، وأهديت إليك بغلة بيضاء تركبها والسلام (سماها دلدل). وفي امتاع الاسماع للمقريزي: أن المقوقس أهدى النبي ﷺ أربع جواري، منهن مارية التي تسرى بها ﷺ، وولدت له إبراهيم عليه السلام. والمقوقس لم يسلم.

ووجه الرسول ﷺ عمرة بن أمية الضمري بكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة وفيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام. أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا اله إلا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل. وقد بلغت ونصحت، فأقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى".

(1) آل عمران:64.

ولما وصله الكتاب احترمه غاية الاحترام وقال لعمرو: إني أعلم والله أن عيسى بشرّ به ولكن أعواني بالحبشة قليل، فأنظرني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب. وقد عرض عمرو على من بقي من مهاجري الحبشة الرجوع إلى رسول الله صل الله عليه وسلم بالمدينة.

وقد آمن النجاشي وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم، وبعث إليه رسول الله ﷺ أن يزوجه بأم حبيبة بنت أبي سفيان لتصبح أم المؤمنين وكانت مهاجرة بالحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر زوجها، فزوجه إياها، وقام بصداقها أربعمائة دينار من عنده، وكان تزويجها للرسول صل الله عليه وسلم بتوكيل منه.

ووجه صل الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي بكتاب إلى كسرى ملك الفرس وفيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم فإن أبيت فإن عليك إثم المجوس".

فلما وصله الكتاب مزقه استكباراً، فلما بلغه صل الله عليه وسلم ذلك قال: مزّق الله ملكه كل ممزق. وقد أستجاب الله دعوته، فكانت مملكته أقرب الممالك سقوطاً! ثم بدأ كسرى بالعدوان، فأرسل لعامله باليمن أن يوجه إلى النبي ﷺ من يأتي به إليه، فعاجله الله بقيام ابنه سيرويه عليه وقتلِه له ثم أرسل لعامله باليمن ينهاه عما أمره به أبوه.

3. كتاب ملك البحرين وكتاب ملكي عُمان وردودهم وكتاب هوذة والتهيؤ للغزو

ووجه الرسول ﷺ العلاء بن الحضرمي بكتاب إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين يدعوه فيه إلى الإسلام، وفيه[1]: بسم الله الرحمن الرحيم فإني أحمد إليك الله الذي لا اله إلا هو. أما بعد: فإن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول, من أحبّ ذلك من المجوس فإنه آمن ومن أبى فإن عليه الجزية[2]. فلما وصله الكتاب أسلم، وكتب إلى رسول الله صل الله عليه وسلم في ردّ الجواب:

أما بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحبّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إليّ في ذلك أمرك.

(1) أجلت نقل كتاب المنذر، وملكي عمان: للتدقيق والتحقق. ثم بعد التدقيق تبين أن مكاتبة ملك البحرين وعمان كانت في السنة الثامنة والله أعلم.

(2) رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه. هداية ج4 ص221.

فكتب إليه صل الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى. سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا اله إلا هو وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. أما بعد: فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً وإني شفعتك في قومك فأترك للمسلمين ما أسلموا عليه. وعفوت عن أهل الذنوب فأقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نغيرك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية.

ووجه صل الله عليه وسلم الله الصحابي عمرو بن العاص (في السنة الثامنة) بكتاب إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، ملكي عمان، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما فإن ملككما زائل وخيل تحلّ بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما.

فلما دخل عمرو سأله عبد بن الجلندي قبل دخوله على أخيه جيفر بن الجلندي عما يأمر به الرسول وينهى، فقال: يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب، فقال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، ولكن أخي أضنّ بملكه من أن يدعه ويصير تابعاً.

فقال عمرو بن العاص: إن أسلم أخوك, ملكه رسول الله على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم، فقال عبد: إن هذا الخلق حسن، وما الصدقة؟ فأخبره بما فرض الله من الصدقات في الأموال، فلما ذكر المواشي قال: يا عمرو! يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه؟ قال: نعم، فقال عبد: والله ما أرى قومي على بعد دارهم وكثرة عددهم يرضون بهذا. ثم إن عبداً أوصل عمراً لأخيه جيفر فتكلم معه عمرو بما ألان قلبه حتى أسلم هو وأخوه ومكناه من الصدقات[1].

(1) تنبيه: لقد نقل بعض المؤرخون في بعض كتب السيرة بأن رسول الله ﷺ أرسل عمرو بن العاص بكتاب الى ملكي عمان كما قدمنا في السنة السادسة أي في نفس السنة التي كاتب بها باقي الملوك، ونلفت نظر القارئ الكريم الى هذا الخطأ حيث أن عمرو بن العاص كان إسلامه في السنة الثامنة، لذلك يجب أن تكون مكاتبة ملكي عمان في السنة الثامنة أي بعد اسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه والله ورسوله ﷺ أعلم.

ووجه الرسول ﷺ سليط بن عمرو العامري بكتاب إلى هوذة بن علي ملك اليمامة وفيه: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى وأعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك".

فلما جاءه الكتاب كتب في رده: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فأجعل لي بعض الأمر أتبعك. ولما بلغ ذلك رسول الله صل الله عليه وسلم قال: بادَ وبادَ ما في يديه. فلم يلبث أن مات منصرف رسول الله ﷺ من فتح مكة.

4. غزوة يهود خيبر

كانت غزوة خيبر في أواخر المحرم من السنة السابعة، وخيبر بلدة كبيرة ذات نخل وحصون، وهي تبعد عن المدينة نحو مائة ميل من الشمال الغربي أي مشي ثلاثة أيام (انظر الخريطة) وكان أهلها اليهود الذين يكيدون ويتآمرون مجتهدين محرضين قريش والأعراب ضد الحبيب رسول الله ﷺ.



فتح خيبر فى محرم سنة ٧ هـ

التهيؤ للغزو ذو الرأي الصائب

وأمر صل الله عليه وسلم أصحابه بالتهيؤ للغزو، وأستنفر من حوله يغزون معه. وجاءه المخلفون عنه يوم الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة، فقال: لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد، وأما الغنيمة فلا، وبعث منادياً فنادى: لا يخرجنّ معنا إلا راغب في الجهاد. وأستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري، وقيل: أبا ذر رضي الله عنهم.

وكان يهود خيبر لا يظنون أن رسول الله ﷺ يغزوهم، لمنعتهم، وحصونهم وسلاحهم وعددهم، وكانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ثم يقولون: محمد يغزونا؟ هيهات هيهات! فعمّى الله عليهم مخرج النبي ﷺ, حتى نزل بساحتهم ليلاً. وكان يهود خيبر أدخلوا أموالهم وعيالهم في حصون الكتيبة، وجمعوا المقاتلة في حصون النطاة (أنظر صورة آثار بعض الحصون).



اثار احد حصون خيبر

ولما أشرف صل الله عليه وسلم على خيبر قال لأصحابه: قفوا. ثم قال قولوا: اللهم ربّ السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين السبع وما أقلت، وربّ الشياطين وما أضلت، وربّ الرياح وما ذرت،

فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشرّ أهلها وشرّ ما فيها! ثم قال: ادخلوا على بركة الله. وعرس بمنزله.

وكانت اليهود متحسسين بغزو رسول الله ﷺ لهم، وكانوا يقومون كل ليلة قبل الفجر، فيلبسون السلاح ويصفون الكتائب، فلما نزل بساحتهم تلك الليلة، ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس، فأصبحوا وأفئدتهم تخفق. وفتحوا حصونهم، وغدوا إلى أعمالهم، ومعهم الحساحي والكرازين، والمكاتل[1]. فلما نظروا المسلمين قالوا: محمد والخميس[2] !! وولوا هاربين إلى حصونهم، ورسول الله ﷺ يقول: الله أكبر، خربت خيبر! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. وقد تفاءل ﷺ من وجود المساحي والمكاتل بأيديهم وهي آلة الهدم والخراب. وخرج معه ﷺ من أزواجه أم سلمة رضي الله عنها، وكان جيش المسلمين من ألف وأربعمائة راجل ومئتا فارس.

وجاء إلى رسول الله ﷺ الحُباب بن المنذر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله! إنك نزلت منزلك هذا، فإن كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم، وان كان هو الرأي تكلمنا. فقال رسول صل الله عليه وسلم: (بل) هو الرأي، فقال: يا رسول الله! إن أهل النطاة لي بهم معرفة ليس قوم أبعد مدى منهم ولا أعدل رمية، وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لإنحطاط نبلهم، ولا نأمن بياتهم، يدخلون في حُمُر النخل[3] تحول يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ أشرت بالرأي، إذا أمسينا إن شاء الله تحولنا.

ودعا الرسول ﷺ محمد بن مسلمة فقال: أنظر لنا منزلاً بعيداً، فطاف بن مسلمة رضي الله عنه ثم رجع وقال: يا رسول الله وجدت لك منزلاً فقال: على بركة الله، وتحول لما أمسى إلى الصخرة وتحول الناس إليها، واتخذوا ذلك الموضع معسكراً، وكان ذلك الموضع حائلاً بين خيبر وغطفان لئلا يمدوهم. وأمر رسول الله ﷺ بقطع نخيل النطاة فوقع المسلمون في قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ولما رأى صل الله عليه وسلم تصميم اليهود على الحرب نهى عن القطع.

(1) المساحي والكرازين والمكاتل: هي آلة العمل في البساتين، من فؤوس ومجارف وزنابيل وغيرها.
(2) الخميس : الجيش.
(3) حمر النخل: يقال للنخل الملتف والمتلاصق ، يقال له حمر النخل.

5. استشهاد بن مسلمة وإعطاء اللواء لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم

وقاتل صل الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال، وألحّ على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل أشد القتال والمسلمون يقاتلونهم ولم يصنعوا شيئا وقد كرّ اليهود على الأنصار حتى كشفوهم فأغتمّ رسول الله صل الله عليه وسلم لذلك.

قال الواقدي: وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع ظله وكان يوماً شديد الحرّ فألقى عليه مرحب اليهودي رحى فهشمت البيضة وسقطت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأتى به رسول الله ﷺ فردّ الجلدة كما كانت وعصبها بثوب، ثم كانت سبب موته رضي الله عنه.

ثم تحول صل الله عليه وسلم بأصحابه إلى الرجيع خشية عليهم من البيات، فكان مقامه بالرجيع سبع ليال، يغدو كل يوم للقتال، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقاتل أهل النطاة يومه فإذا أمسى عاد إلى الرجيع، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين. وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الجيش كل ليلة. فلما كانت الليلة السادسة أستعمل عمر للحراسة، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم.

وأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه، فقال: أذهبا بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه وذهبوا به إلى باب النبي ﷺ فكان يصلي فلما سلّم من صلاته أدخل عليه، فقال له ﷺ: ما وراءك؟ قال: تؤمني يا أبا القاسم؟ قال نعم! قال: خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة، قال: فأين يذهبون؟ قال: إلى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال، وأخبره أن في هذا الحصن –يعني حصن الصعب– في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال صل الله عليه وسلم: إن شاء الله، قال اليهودي: إن شاء الله، أوقفتك عليه فإنه لا يعرفه غيري، وأخرى، قيل: وما هي؟ قال: ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة، ثم قال: يا أبا القاسم احتقن دمي، قال: أنت آمن! قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: هي لك، ثم دعاه إلى الإسلام فقال: انظرني.

وكان الرسول ﷺ تأخذه الشقيقة[1] في بعض تلك الأيام فيبعث أناساً من أصحابه فلم يكن فتح، ثم قال ﷺ الله لمحمد بن مسلمة: لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله, لا يولي الدبر, يفتح الله عز وجل على يديه. وعند ذلك تمنى كل من الصحابة هذه المنزلة ورجا أن يعطاها.

فلما كان الغد سأل صل الله عليه وسلم عن علي بن أبي طالب، فقيل له: إنه أرمد فأرسل من يأتيه به، ولما جاء قال: يا رسول الله لا أبصر سهلاً ولا جبلاً فتفل ﷺ في عينيه فشفاهما الله كأن لم يكن بهما شيء وما رمد بعدها. ثم دفع إليه اللواء وقال له: امش ولا تلتفت، فسار شيئاً ثم وقف ولم يلتفت فنادى: يا رسول الله علام أقاتلهم؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله، ودعا له ومن معه بالنصر.

6. بدء الزحف ومقتل مرحب وفتح حصن الصعب وغنائمه

وكان أول من خرج إليه الحارث أبو زينب –أخو مرحب– فأنكشف المسلمون وثبت علي كرم الله وجهه فأضطربا ضربات فقتله علي رضي الله عنه، وانهزم اليهود إلى حصنهم.

ثم خرج مرحب فحمل على علي رضي الله عنه وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحبُ　　شاكي السلاح بطل مجرّب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز له علي رضي الله عنه وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة　　كليث غابات كريه المنظرة

أكيلكم بالسيف كيل السندرة

ثم حمل مرحب على علي وضربه فأتقاه بالترس فطرح ترسه من يده، فتناول علي رضي الله عنه باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل يقاتل مرحب حتى قتله. وبعد أن قتل مرحب برز أسير، فخرج له محمد بن مسلمة رضي الله عنه فقتله. ثم برز ياسر وكان من أشدائهم، فقال:

قد علمت خيبر أني ياسر　　شاكي السلاح بطل مغاور

إذا الليوث أقبلت تبادر　　وأحجمت من صولتي المخاطر

إن حماي فيه موت حاضر

---

(1) احد أنواع الصداع.

فقتله الزبير رضي الله عنه وهو يقول:

قد علمت خيبر أني زبارْ قرم لقوم غير نكس فرّار

وابن حماة المجد وابن الأخيار ياسر لا يغررك جمع الكفار

فجمعهم مثل السراب الجار

وبرز عامر فقتله علي رضي الله عنه، ولما قتل مرحب وياسر قال صل الله عليه وسلم: أبشروا، قد ترحبت خيبر وتيسرت، وبعث جعيل بن سراقة يبشر محمود بن مسلمة, وكان جريجاً يقتل مرحب فسرّ بذلك، ومات في اليوم الذي قتل فيه مرحب، بعد ثلاث من سقوط الرحى عليه.

وكان المسلمون قد نفذ زادهم في هذه المدة وجهدهم الجوع، فبعثوا إلى رسول الله صل الله عليه وسلم: إنا نشكو الجوع والضعف فأدع الله لنا! فقال: اللهم افتح عليهم أعظم حصن فيه، أكثره طعاماً وأكثره ودكاً. فأقبلت غنم ليهود، وهم في حصار حصن الصعب فقال رسول الله ﷺ: من رجل يطعمنا من هذه الغنم؟ فقال أبو اليسر كعب بن عمرو: أنا يا رسول الله، وخرج يعدو مثل الظبي، فقال صل الله عليه وسلم: اللهم متعنا به! فأدرك الغنم وقد دخل أولها الحصن، فأخذ شاتين من آخرها واحتضنهما ثم أقبل عدواً. فأمر بهما رسول الله ﷺ فذبحتا وقسمتا ببركة الرسول صل الله عليه وسلم فما بقي أحد من أهل العسكر إلا أكل منها.

وأقام المسلمون على حصن الصعب يومين، وفي اليوم الثالث بكّر رسول الله ﷺ وكرّ عليهم فقاتلهم أشدّ قتال فتراموا بالنبل وقد ترس المسلمون على رسول الله ﷺ. ثم حملت اليهود حملة منكرة، فأنكشف المسلمون حتى أنتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو واقف قد نزل عن فرسه، وثبت الحباب بن المنذر برايته وهو يرميهم بالنبل. فندب رسول الله ﷺ الناس وحضهم على الجهاد فأقبلوا حتى زحف بهم الحباب، واشتد الأمر، فأنهزمت يهود وأغلقوا الحصن عليهم، ورموا من أعلى جدره بالحجارة رمياً شديداً، فتباعد عنهم المسلمون، ثم خرجت يهود من الحصن وكروا على المسلمين وقاتلوا أشد قتال، فقتل من المسلمين ثلاثة، ثم أقتحم المسلمون الحصن يقتلون ويأسرون وفتح الله عليهم فدخلوا الحصن.

ولما دخل المسلمون الحصن وجدوا فيه من الشعير والتمر والسمن والعسل والزيت والودك كثيراً. فنادى منادي رسول الله ﷺ: كلوا وأعلفوا ولا تحملوا. فأخذوا من ذلك الحصن طعامهم وعلفوا دوابهم، ولم يمنع أحد من الطعام من شيء ولم يخمس. ووجدوا بزاً -ثيابا- فيه عشرين عكماً -ربطه للثياب- محزومة من متاع اليمن، ووجدوا غنماً وبقراً وحمراً وآلة الحرب، ومنجنيقاً ودبابات وخمسمائة قطيفة.

7. فتح حصن الزبير والصلح على حصنين وما كتمه ابن أبي الحقيق

وتحولت اليهود إلى قلعة الزبير -وهي حصن منيع- فزحف رسول الله صل الله عليه وسلم إليهم وحاصرهم مدة ثلاثة أيام حتى فتحه، وكان آخر حصون النطاة، ثم أمر رسول الله ﷺ بالأنفال والعسكر أن يحول من الرجيع إلى مكانه الأول بالشق، وبه عدة حصون فنازلها حتى فتحها.

وفتحت جميع الحصون عنوة إلا حصن الوطيح وحصن السلالم فقد مكث المسلمون على حصارهما أربعة عشر يوماً فلم يخرج أحد منهم، فهمّ عليه الصلاة والسلام أن يحمل عليهم وأن ينصب عليهم المنجنيق، فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله ﷺ الصلح على حصن دمائهم ويخرجون من خيبر بذراريهم، وأن لا يصحب أحداً منهم إلا ثوب واحد، فصالحهم على ذلك وعلى أن ذمة الله تعالى ورسوله بريئة منهم إن كتموه شيئاً، فتركوا مالهم من أرض ومال وسلاح، ولم يصحب أحدهم إلا ثوباً واحداً. ووجدوا في هذين الحصنين: مائة درع وأربعمائة سيف، وألف رمح فطلبتها يهود فأمر ﷺ بدفعها إليهم.

وسأل رسول الله صل الله عليه وسلم كنانة بن أبي الحقيق وأخاه الربيع عن مال حيي الذي جاء به من بني النضير؟ قالا: أذهبته الحروب والنفقات، فقال: العهد قريب والمال أكثر. فكتما الكنز وجحداه، فقال ﷺ: برئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتموني شيئاً؟ قالوا: نعم! وأكدوا الأيمان، ثم قال ﷺ: وكل ما أخذت من أموالكم وأصبت من دمائكم فهو حل لي ولا ذمة لكم؟ قالوا: نعم. وأشهد على كنانة عدة من المسلمين ومن يهود. فدلهم سعية بن سلام بن أبي الحقيق على خربة، فبعث ﷺ الزبير في نفر مع سعيه فحفروا فإذا كنز في مسك[1] جمل، فيه حلي، فأتي به رسول الله ﷺ، ووجد في المسك: أسورة الذهب وخلاخل الذهب، وأقوطة ذهب، ونظم من جوهر وزمرد، وخواتم ذهب وغير ذلك. ثم أمر ﷺ بكنانة بن أبي الحقيق وأخيه الربيع فقتلا بما نكثاه من العهود، وما كتماه من الأموال، وكان قتلهما حقا وعدلاً.

8. رؤيا صفية أم المؤمنين رضي الله عنها وخبر الراعي الشهيد والمجاهد المنتحر

ووجد في أحد حصون الشق نساء وذراري، منهنّ صفية بنت حيي بن أخطب -سيد اليهود الذي ذكر انفا- وابنة عمها، فسباهما صل الله عليه وسلم وبعث بهما مع بلال إلى رحله، ثم أعتق صفية وتزوجها وجعل عتقها صداقها، وأعطى ابنة عمها إلى دحية الكلبي. وأخرج ابن أبي عاصم عن أبي

(1) مسك الجمل: أي جلده.

برزة رضي الله عنه قال: لما نزل ﷺ خيبر كانت صفية عروساً فرأت في المنام: أن الشمس نزلت حتى وقعت في صدرها، فقصت ذلك على زوجها فقال: ما تمنين[1] إلا هذا الملك الذي نزل بنا.

وانصرف صل الله عليه وسلم من خيبر بعد انتهاء الغزوة يريد وادي القرى! فلما كان بالصهباء أعرس بصفية بنت حيي مساءً لتكون ام المؤمنين وأولم عليها بالحيس والسويق والتمر وبات أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه قريباً من قبته، آخذاً بقائم السيف حتى أصبح وهو يحرسه.

وقتل في هذه الغزوة من اليهود ثلاثة وتسعون، واستشهد من المسلمين خمسة عشر رجلاً، وكان من جملة قتلى المسلمين الأسود الراعي، كان أجيراً عند اليهود يرعى لهم الغنم، وكان عبداً حبشياً يسمى أسلم، أو يسار، فجاء إلى النبي ﷺ في حصار خيبر وقال: يا رسول الله أعرض عليّ الإسلام، فعرضه عليه فأسلم ثم قال: يا رسول الله إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم فكيف أصنع بها؟ وهي أمانة للناس، قال: اضرب في وجهها فإنها سترجع إلى ربها. فقام الراعي فأخذ حفنة من حصى فرمى به وجهها وقال: ارجعي إلى صاحبك فوالله لا أصحبك، فخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن.

ثم تقدم ذلك الأسود فقاتل مع المسلمين حتى قتل، ولم يسجد لله سجدة، فأتى به إلى رسول الله صل الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه فأعرض عنه، فقالوا: يا رسول الله لم أعرضت عنه؟ قال: إن معه الآن زوجتيه من حور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان: ترب الله من ترب وجهك وقتل من قتلك، وزاد في رواية: لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير، قد كان الإسلام من نفسه حقاً.

وفي هذه الغزوة أيضا: ما روى عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أنه صل الله عليه وسلم التقى هو والمشركون[2] فأقتتلوا، فمال إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحابه رجل لا يدع شاذة ولا فاذّة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقيل: ما أجزى أحد منا اليوم كما أجزى فلان، فقال صل الله عليه وسلم: أما أنه من أهل النار، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، فخرج معه كلما وقفَ وقف معه، وإذا أسرع أسرعَ معه، فجرح الرجل جرحاً شديداً فأستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابة – رأس السيف– بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله! قال وما ذاك؟ قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً أنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت:

(1) تمنين: أي تطلبين، أو ترغبين.
(2) ملاحظة يبدوا أن هذا الحادث قد كان في هذه الغزوة، وكان القتال في خيبر مع اليهود وليس مع المشركين كما أخبر راوي الحديث، حيث قال: أنه صلى الله عليه
(3) وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا.. الخ الحديث المذكور والله اعلم.

أنا لكم به! فخرجت في طلبه ثم جرح جرحاً شديداً فأستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه. فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة، تدركه الشقاوة والسعادة عند خروج نفسه فيختم له بها، وإنما الأعمال بالخواتيم[1].

9. الشاة المسمومة وقدوم مهاجري الحبشة وتوزيع الغنائم وشكوى اليهود وإنصافهم

ثم إن زينب ابنة الحارث اليهودية أخت مرحب[2]، ذبحت شاة لها وطبختها وسممتها فلما صلى رسول الله ﷺ المغرب وانصرف إلى منزله، وجد زينب اليهودية عند رحله فقدمت له الشاة هدية. فأمر بها فوضعت بين يديه، وتقدم هو وأصحابه ليأكلوا، فتناول الذراع، وتناول بشر بن البراء رضي الله عنه عظماً، وانتهى رسول الله صل الله عليه وسلم ثم ازدرد[3] وقال: كفوا أيديكم، فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة! فقال بشر بن البراء: والله يا رسول الله، وجدت ذلك من أكلتي التي أكلت، فما منعني أن ألفظها إلا كراهية أنغص عليك طعامك. فلم يرمِ بشر من مكانه حتى تغيّر ثم مات.

ودعا رسول الله ﷺ -زينب ابنة الحارث اليهودية أخت مرحب- وقال: هل سممت الشاة؟ فقالت: من أخبرك؟ قال: أخبرتني هذه الذراع، قالت نعم! قال: وما حملك على ذلك؟ قالت: قتلت أبي وعمي وزوجي وأخي مرحب، ونلت من قومي ما نلت، فقلت: إن كان نبياً فستخبره الشاة، وان كان ملكاً استرحنا منه. فأمر بها فقتلت ببشر. وكان نفر ثلاثة قد وضعوا أيديهم في الطعام ولم يأكلوا واحتجم صل الله عليه وسلم من هذه اللقمة التي أكلها. وقال ﷺ في مرض موته: ما زالت أكلة خيبر يصيبني منها عِداد[4]، حتى كان هذا أوان أن تقطع أبهري.

وقدم مهاجروا الحبشة من عند النجاشي بعد أن فتحت خيبر، فيهم جعفر بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري في جماعة من الأشعريين، يزيدون جميعهم على السبعين. وكان كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام، فأسلم النجاشي كما تقدم معنا، وكتب إليه ﷺ أيضاً أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت فيمن هاجر إلى الحبشة فزوجه إياها، وكتب إليه أيضاً أن يبعث بمن بقي

(1) رواه البخارى.
(2) أخت مرحب من أقوي الرجال عند اليهود بالحصن وقد قتله سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما ذكرنا انفا.
(3) ابتلعها.
(4) العداد: اهتياج وجع اللديغ أو المسموم.

عنده من أصحابه ويحملهم، فحملهم في البحر مع عمرو بن أمية، فأرسوا بالساحل ثم ساروا حتى قدموا المدينة، فوجدوا رسول الله ﷺ بخيبر فأتوه، فقال ﷺ: ما أدري بأيهما أنا أسر؟ قدوم جعفر، أو فتح خيبر!! ثم ضمه وقبله بين عينيه. وقدم الدوسيون، فيهم أبو هريرة والطفيل بن عمرو وأصحابهم.

وكلم رسول الله صل الله عليه وسلم أصحابه أن يشركوا القادمين من الحبشة والأشعريين والدوسيين في الغنيمة، فقالوا: نعم يا رسول الله. فقسم لهم وأشركهم.

وكانت مغانم خيبر لأهل الحديبية من شهدها أو غاب عنها، قال الله تعالى: (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ(1) وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ(2) وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا)[3].

وقد تخلف عن هذه الغزوة رجال –لعذر– ومات رجلان، وأسهم صل الله عليه وسلم لمن تخلف منهم ومن مات، وأسهم لرسل كان أرسلهم إلى أهل فدك، وأسهم للذين استشهدوا في هذه الغزوة.

وشهد خيبر عشرون امرأة، منهنّ: أم المؤمنين أم سلمة، وصفية بنت عبد المطلب –عمته ﷺ– وأم أيمن (هي حاضنة الرسول ﷺ وأم أسامه بن زيد)، وسلمى امرأة أبي رافع –مولاته ﷺ– وأم عمارة نسيبة المازنية، وأم منيع، وكعيبة بنت سعد الأسلمية، وأم مطاع الأسلمية وأم سليم بنت ملحان، وأم الضحاك بنت مسعود الحارثية، وهند بنت عمرو بن حرام عمة جابر ابن عبد الله، وأم العلاء الأنصارية، وأم سليط، وأمية بنت قيس الغفارية رضي الله عنهنّ جميعا فلم يسهم شرعا بهذه الغزوة لرسول الله ﷺ أي عطاء للنساء بل أعطاهنّ ذو الخلق العظيم جابر الخواطر صل الله عليه وسلم من ماله الخاص.

ونادى منادي رسول الله صل الله عليه وسلم: أدوا الخياط والمخيط –الخيط والإبرة– فإن الغلول عار وشنار، ونار يوم القيامة. وعصب رجل من المسلمين فروة رأسه بعصابة ليستظل بها من الشمس –هي من الغنائم قبل أن تقسم– فقال له صل الله عليه وسلم: عصابة من نار عصبت بها رأسك، فطرحها، وسأل رجل النبي ﷺ عقالاً فقال: حتى تقسم الغنائم، ثم أعطيك عقالاً، وتوفي رجل من أشجع فلم يصلّ عليه، وقال: إن صاحبكم غلّ في سبيل الله، فوجد في متاعه حرز لا يساوي درهمين.

وكان من غنائم المسلمين بخيبر: البساتين والنخل، فأتفق ﷺ مع اليهود على أن يعملوا في هذه البساتين من سقيا وغيرها ولهم نصف الحاصل من الثمر والزرع والبقل وغير ذلك مما تنتجه الأرض.

---

(1) أي غنيمة خيبر.
(2) أي في عيالكم لما خرجتم وكانت قد همت بذلك اليهود فقذف الله في قلوبهم الرعب.
(3) سورة الفتح.

وكان بعض المسلمين يقعون في حرث اليهود وبقلهم بعد المساقاة، فشكت يهود ذلك إلى النبي صل الله عليه وسلم، فأمر عبد الرحمن بن عوف فنادى: الصلاة جامعة، فأجتمع المسلمون، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن يهود شكوا إلى أنكم وقعتم في حظائرهم[1] وقد أمناهم على دمائهم، وعلى أموالهم التي في أيديهم في أراضيهم، وعاملناهم[2] وإنه لا تحلّ أموال المعاهدين إلا بحقها. فصار المسلمون لا يأخذون من بقولهم شيئاً إلا بثمن.

وكان رسول الله ﷺ أقبل إلى خيبر، ثم بعث محيصة بن مسعود الخزرجي رضي الله عنه إلى يهود فدك، يدعوهم إلى الإسلام, فبعثوا معه بنفر منهم, حتى صالحهم رسول الله ﷺ على أن يخلوا بينه وبين الأموال، وإن لهم نصف الأرض. وصارت فدك خالصة لرسول الله ﷺ أبداً، أخذها بغير ايجاف خيل ولا ركاب.

10. خبر الحجاج ابن علاء السلمي وذهابه لمكة

وقدم على النبي ﷺ بخيبر حجاج بن علاء السلمي فأسلم، وكان مكثراً من المال فقال: يا رسول الله! إن مالي عند امرأتي بمكة ومتفرق في تجار مكة فأذن لي أن آتي مكة لآخذ مالي قبل أن يعلموا بإسلامي فلا أقدر على أخذ شيء منه. فأذن له، فقال: يا رسول الله، لا بدّ أن أقول –أي خلاف الحقيقة– لأحتال على التوصل لأخذ مالي، قال: قل، قال: فخرجت حتى انتهيت إلى الحرم فإذا رجال من قريش يتنسمون الأخبار. وقد بلغهم خروج المسلمين إلى خيبر. أهل القوة والمنعة، بعدما وقع بينهم من المراهنة على مائة بعير، في أن رسول الله ﷺ يغلب أهل خيبر أولاً، فقال حويطب بن عبد العزى وجماعة: بأنه يغلبهم، وقال عباس بن مرداس وجماعة: بأنهم يغلبونه، فلما جاءهم حجاج قالوا: هذا حجاج قد أتى، والله عنده الخبر، ولم يكونوا علموا بإسلامه ثم قالوا: يا حجاج، بلغنا أن محمداً قد سار إلى خيبر، فأخبرنا ما عندك! فقال: عندي من الخبر ما يسركم قال: فأجتمعوا عليّ يقولون: يا حجاج أيه؟ فقلت: لم يلق محمد وأصحابه قوماً يحسنون القتال غير خيبر، فهزم هزيمة لم يسمع بمثلها قط، وأنهم أسروا محمداً وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة فنقتله بين أظهرهم، فصاحوا وقالوا لأهل مكة: قد جاءكم الخبر! هذا محمد، إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم. قال حجاج: وقلت لهم: أعينوني على غرمائي أريد أن أقدم فأصيب من مغانم محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار

(1) أي في بساتينهم وأموالهم.

(2) عاملناهم: أي بالمساقات والعمل في البستان.

إلى ما هناك! فجمعوا لي مالي على أحسن ما يكون ثم فشا هذا الخبر بمكة وأظهر المشركون الفرح والسرور، وحزن من كان بمكة من المسلمين.

وسمع بذلك العباس رضي الله عنه فجعل لا يستطيع أن يقوم، ثم أرسل إلى حجاج غلاماً وقال: قل له يقول لك العباس: الله أعلا وأجلّ من أن يكون الذي جئت به حقاً، فقال له حجاج: اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له: ليحلّ لي بعض بيوته حتى آتيه بالخبر على ما يسره وأكتم عني، فأقبل الغلام فقال: أبشر يا أبا الفضل! فوثب العباس فرحاً كأن لم يكن مسّه شيء وأخبره بذلك، فأعتق العباس ذلك الغلام وقال: لله عليّ عتق عشر رقاب، فلما كان الظهر جاءه حجاج فناشده الله أن يكتم عنه ثلاثة أيام وقال: إني أخشى الطلب، إذا مضت الثلاث فأظهر أمرك! فوافقه العباس على ذلك فقال حجاج: إني أسلمت، وإن لي عند امرأتي مالا وديناً على الناس، ولو علموا بإسلامي لم يدفعوه إليّ، وإني تركت رسول الله صل الله عليه وسلم قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام رسوله فيها، وتركته عروساً بإبنة مَلِكِهِم حيي بن أخطب، وأخبره الخبر بتمامه، فلما أمسى حجاج خرج من مكة وطالت على العباس رضي الله عنه تلك الليالي الثلاث، فلما مضت الثلاث عمد العباس إلى حلة فلبسها وتخلق بخلوق وأخذ بيده قضيباً ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش فقالوا: لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل، هذا والله التجلد لحرّ المصيبة، قال: كلا والله لم يصبني إلا خير بحمد الله، أخبرني حجاج أن خيبر فتحها الله على يد رسوله وجرى فيها سهام الله ورسوله صل الله عليه وسلم، واصطفى رسول الله صفية بنت ملكهم حيي بن أخطب لنفسه وإنه تركه عروساً بها، وإنما قال لكم ذلك ليخلص ماله فإنه قد أسلم. فردّ الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين، فقال المشركون: إنفلت منا عدو الله حجاج، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن، ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك.

11. غزوة وادي القرى ومصالحة يهود تيماء

هو موضع بقرب المدينة كان به جماعة من اليهود. روى ابن اسحق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما انصرفنا من خيبر مع رسول الله ﷺ وأتينا وادي القرى نزلناها أصيلاً مع غروب الشمس وحاصرهم ﷺ أربعة أيام وهيأ أصحابه للقتال وصفهم، ودفع لواءه لسعد بن عبادة وراية إلى الحباب ابن المنذر وراية إلى سهل بن حنيف وراية إلى عباد بن بشر رضي الله عنهم جميعا، ثم دعا اليهود إلى الإسلام وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم وحسابهم على الله، فأبوا وبرز رجل منهم فقتله الزبير رضي الله عنه، ثم برز آخر فقتله الزبير أيضا، ثم آخر فقتله علي رضي الله عنه ثم آخر فقتله

أبو دجانة ، ثم آخر فقتله أبو دجانة أيضاً رضي الله عنه حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً. وبات عليهم ثم غدا لقتالهم، فأعطوا بأيديهم واستسلموا، فأخذها عنوة وغنم ما فيها فقسمه، وعامل يهود على النخل. وقتل من المسلمين مدعم[1] وهو يحطّ رحل النبي صل الله عليه وسلم، أصابه سهم فمات شهيداً.

ولما بلغ يهود تيماء ما فعله المسلمون بيهود خيبر ووادي القرى طلبوا من رسول الله صل الله عليه وسلم الصلح فصولحوا على الجزية، ومكثوا في بلادهم آمنين.

12. الاحداث ما بعد الغزوة واستكمال السرايا

وانصرف صل الله عليه وسلم من وادي القرد وقد أقام بها أربعة أيام يريد المدينة، فلما قرب منها نزل وعرّس، ولما أراد أن ينام قال: ألا رجل صالح حافظ لعينيه يحفظ لنا صلاة الصبح؟ فقال بلال: أنا يا رسول الله، فنام ﷺ ومن معه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس، فأذّن بلال ثم ركعوا ركعتي الفجر، ثم صلى ﷺ بهم حتى إن أحدهم ليسلتُ العرق عن جبينه من حر الشمس، فلما سلّم قال: كانت أنفسنا بيد الله فلو شاء قبضها، وكان أولى بها! فلما ردها إلينا صلينا ثم أقبل على بلال فقال: مه –أي ماذا– يا بلال؟ فقال: بأبي وأمي قبض نفسي الذي قبض نفسك! فتبسم ﷺ.[2]

وسار صل الله عليه وسلم حتى شاهد جبل أحدً، ولما نظر إلى أحد قال: هذا جبل يحبنا ونحبه[3]! اللهم إني حرمت بين لابتي المدينة[4]. ونهى أن يطرق الرجل أهله بعد صلاة العشاء.

ولما قدم المدينة ﷺ اتخذ المنبر وله درجتان ومكان الجلوس –وكان يخطب قبل ذلك على الجذع– فلما خطب على المنبر حنّ الجذع الذي كان يستند إليه إذا خطب، فضمه ﷺ حتى سكن.[5]

سرية عمر بن الخطاب إلى تربة

وفي شعبان من السنة السابعة بعث رسول الله صل الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على سرية إلى هوازن بتربة، وهي بناحية العبلاء، على أربع ليال من مكة طريق صنعاء ونجران، فخرج

(1) ركعتي الفجر: أي سنة الصبح .
(2) رواه محمد بن شهاب عن سعيد بن المسيب .
(3) جبل احد (رواه مسلم).
(4) حرمة المدينة والحرتان الشرقية والغربية حدود الحرم (صحيح البخاري).
(5) حيث متواتر (رواه البخاري).

ومعه دليل من بني هلال، فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار، حتى أتوا محالّهم وقد فروا. فلم يلقوا أحداً ثم عادوا إلى المدينة بسلام.

سرية أبي بكر إلى بني كلاب وسرية بشير بن سعد إلى بني مرة

ثم كانت سرية أبي بكر رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد بناحية ضرية، في شعبان أيضاً من سنة سبع. فبيت ناساً من هوازن فقتل منهم وسبى ثم عادوا سالمين.

وفي شعبان أيضاً بعث صل الله عليه وسلم بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً إلى بني مرّة. فسار حتى وصل إلى محالهم وجد رعاء القوم، فأستاق نعماً وشاءاً وقفل نحو المدينة، فأتاهم الصريخ وهبّ القوم في إثره، فأدركوه ليلاً ورموهم بالنبل حتى فنيت نبل المسلمين فأصيبوا، وولى منهم من ولى، وقاتل بشير حتى أصيب بجراحات كثيرة فوقع بين القتلى حتى ظنّ أنه مات، ثم تحامل حتى انتهى إلى فدك، فأقام عند يهودي حتى اندملت جراحه وعاد إلى المدينة وكان قد سبقه الخبر.

سرية غالب الليثي وخطأ أسامة بن زيد

ثم بعث صل الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي إلى مصاب القوم ومعه مئتا رجل في رمضان سنة سبع، ومعه أسامة بن زيد، فسار حتى دنا من بني مرة فبعث الطلائع وعليها علبة بن زيد الحارثي فأعلموه خبرهم ثم وافاهم، وحضّ من معه على الجهاد، وأوصاهم بالصبر والتقوى، وحمل بهم على القوم، فقتلوا من قابلهم من الرجال وأستاقوا الماشية وسبوا النساء.

ومرّ أسامة بن زيد[1] رضي الله عنهما في إثر رجل منهم يقال له: نهيك بن مرداس حتى دنا منه، فقال: لا اله إلا الله، فقتله أسامة، ثم ندم، وأقبل إلى جماعته فقال له غالب بن عبد الله: بئس والله ما فعلت! أتقتل رجلاً يقول لا اله إلا الله؟! وساق النعم والشاء والسبي، وقدموا المدينة فأخبر رسول الله ﷺ بخبر أسامة فقال: قتلته يا أسامة وقد قال: لا اله إلا الله؟ فقال: إنما قالها تعوذاً من القتل! قال: أفلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب؟ فقال أسامة: لا أقتل أحداً يقول لا اله إلا الله أبداً.

سرية بشير بن سعد

ثم كانت سرية بشير بن سعد الأنصاري رضي الله عنه إلى يمن وجبار سنة سبع، وذلك أن خيل بن نويرة الأشجعي أخبر رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان بالجناب، قدموا عدواً عيينة بن حصن وأن

(1) ولد في العام الرابع من البعثة، وتربى في بيت النبي ﷺ، حيث كان يعيش ووالده زيد بن حارثة، حِب رسول الله وابنه بالتبني قبل الإسلام، ووالدته أم أيمن، مربية النبي ﷺ فهو حب رسول الله ﷺ ومولاه، وابن مولاه لذلك لقبه الصحابة بـ (الحِب ابن الحِب) كان شديد السواد، خفيف الروح، شجاعا. رباه النبي ﷺ واستعمله على جيش لغزو الشام كما سنشرح في نهاية الكتاب.

يزحفوا إلى أطراف المدينة. فأرسل بشير بن سعد وعقد له لواءاً وأرسل معه ثلاثمائة رجل. وكان حسيك دليلهم، حتى أتوا إلى يمن وجبار وهي نحو الجناب، والجناب يعارض سلاح وخيبر ووادي القرى، فنزلوا بسلاح. ثم دنوا من القوم فأصابوا نعما وشاةً كثيراً، وتفرق الرعاء فأنذروا أصحابهم، فهربوا على وجوههم، فلم يلق بشيراً أحداً، وعاد بالنعم فوج عيناً لعيينة فقتله، ثم لقي جمع عيينة فأوقع بهم بغتة وهم لا يشعرون، فناوشهم فأنهزموا، وأسر منهم رجلين فأسلما بالمدينة وتركا لحالهما.

13. عمرة القضاء وأذان بلال

ثم كانت عمرة القضية وتسمى عمرة القضاء, وذلك لما أهلّ ذو القعدة في سنة سبع –أي بعد مرور سنة كاملة على الحديبية– أمر رسول الله صل الله عليه وسلم أصحابه أن يتهيئوا لقضاء عمرتهم، وأن لا يتخلف أحد من شهد الحديبية، فما تخلف أحد من أهلها هو حيّ، وخرج سوى أهل الحديبية رجال عماراً وكان المسلمون في عمرة القضاء ألفين. وقال جماعة من العرب: والله يا رسول الله مالنا زاد، وما من أحد يطعمنا، فأمر المسلمين أن ينفقوا في سبيل الله وأن يتصدقوا وألا يكفوا أيديهم فيهلكوا. فقالوا: يا رسول الله بم نتصدق وأحدنا لا يجد شيئاً؟ فقال: بما كان، ولو بشق تمرة، فأنزل الله تعالى: (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين)[1].

وساق ﷺ الهديَ –ستين بدنة– وجعل عليها ناجية بن جندب الأسلمي ليسير أمامه يطلب المرعى في الشجر، وقلد صل الله عليه وسلم هديه بيده. وحمل ﷺ السلاح فيها البيض والدروع، وكانت خيل المسلمين مائة فرس، وجعل عليها محمد بن مسلمة، وقد استخلف على المدينة أبا ذر الغفاري رضي الله عنه. وأحرم من باب المسجد، وسار يلبي والمسلمون يلبون معه! وسلك طريق الفرع، فلما انتهى محمد بن مسلمة بالخيل إلى مرّ الظهران وجد بها نفراً من قريش، فسألوه عن رسول الله ﷺ فقال: يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله، ورأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد، فأسرعوا إلى مكة، وأخبروا قريشاً ففزعوا وقالوا: والله ما أحدثنا حدثا ففيم يغزونا محمد؟ ولما نزل الرسول ﷺ مرّ الظهران قدم السلاح إلى بطن يأجج[2] وترك معه مائتين من أصحابه، عليهم أوس بن خولي.

وخرج مكرز بن حفص في نفر من أهل مكة حتى لقوا رسول الله ﷺ ببطن يأجج، فقالوا: يا محمد! والله ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر، تدخل بالسلاح الحرم وقد شرطت ألا تدخل إلا بسلاح المسافر،

(1) البقرة 195.
(2) بطن يأجج : هو مكان على ثمانية أميال من مكة.

السيوف في القرب؟! فقال: إني لا أدخل عليهم السلاح. فعاد مكرز وخرجت قريش من مكة إلى رءوس الجبال، قالوا: لا تنظروا إلى محمد ولا إلى أصحابه لأنهم لا يطيقون ذلك– وحبس الهدي بذي طوى، ودخل ﷺ مكة من الثنية التي تطلع على الحجون، وقد ركب القصواء، وأصحابه حوله متوشحوا السيوف يلبون، وعبدالله بن رواحة آخذ بزمام راحلته يمشي بين يديه وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقبله ويذهل الخليل عن خليله
قد أنزل الرحمن في تنزيله بأنّ خير القتل في سبيله
يا ربّ إني مؤمن بقيله إني رأيت الحقّ في قبوله

فقال له عمر رضي الله عنه: يا ابن رواحة أبين يدي رسول الله ﷺ، وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال له ﷺ: خلّ عنه يا عمر! فلهي فيهم أسرع من نضح النبل. ثم قال ﷺ لابن رواحة رضي الله عنه: قال: لا إله إلا الله وحده نصر عبده وأعزّ جنده وهزم الأحزاب وحده، فقالها ثم قالها الناس، ولم يزل ﷺ يلبي حتى استلم الركن بمحجنة مضطبعاً بثوبه، فطاف سبعاً وهرول ثلاثة أشواط.

روي في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه –في عمرة القضاء– فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب، فأمر ﷺ أصحابه أن يرملوا –هرولة بالمشي– الأشواط الثلاثة ليرى المشركون قوتهم. فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى وهنتهم؟! لهؤلاء أجلد من كذا وكذا! إنهم لينفرون نفر الظبي، وكان المشركون على جبل قينقاع فأمر ﷺ أصحابه أن يمشوا بين الركنين حيث لا يروهم. (ثم يهرولوا بعد ذلك).

ولما قضى ﷺ طوافه، خرج إلى الصفا فسعى على راحلته والمسلمون يسترونه من أهل مكة أن يرميه أحد منهم بسهم أو يصيبه بشيء، ووقف عند فراغه قريباً من المروة وجيء بالهدي فقال: هذا المنحر، وكل فجاج مكة منحر. ونحر ﷺ عند المروة بعد أن حلّق وحلقه معمر بن عبد الله العدوي.

ثم أذن بلال بالظهر فوق الكعبة فأغتاظ المشركون، وغطى سهيل بن عمرو ورجال معه وجوههم حين سمعوا الأذان. فلما قضى ﷺ نسكه، أمر مائتين من أصحابه أن يذهبوا إلى بطن يأجج يقيمون على السلاح ويأتي الآخرون ليقضوا نسكهم ففعلوا.

طلب قريش خروج رسول الله ﷺ من مكة

فأقام الرسول ﷺ بمكة ثلاثاً كما اشترطوا في الهدنة، فلما كان الظهر من اليوم الرابع أتى سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى رسول الله ﷺ فقالا: ننشدك الله والعهد الذي بيننا وبينك إلا خرجت من أرضنا، فهذه الثلاث قد مضت. فردّ عليهما سعد بن عبادة رضي الله عنه فأسكته النبي صل الله عليه وسلم ثم دعا أبا رافع فأمره أن يؤذن بالرحيل وقال: لا يمينّ بها أحد من المسلمين.

ولم ينزل رسول الله ﷺ بمكة بيتاً، وإنما ضربت له قبة من أدم بالأبطح، وكان هناك منزله حتى سار منها. وخطب صل الله عليه وسلم ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها ودخل بها لما أحلّ بسرف[1].

14. إسلام أفلاذ كبد مكة: خالد وعمرو وعثمان بن طلحة

قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: لما أراد الله عز وجل بي ما أراد من الخير، قذف في قلبي الإسلام وحضر لي رشدي وقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد، فليس موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أني على غير شيء وأن محمداً يظهر. فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد دخوله، فكان أخي الوليد بن الوليد أسلم من قبل ودخل معه فطلبني فلم يجدني، فكتب إليّ كتابا فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإني لم أرَ أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك!! والإسلام لا يجهله أحد مثلك، قد سألني رسول الله صل الله عليه وسلم عنك فقال: أين خالد؟ فقلت: يأتي الله به فقال: ما مثله يجهل الإسلام، ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيراً له، ولقدمناه على غيره، فأستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة.

فلما جاءني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام، وسرّتني مقالة رسول الله صل الله عليه وسلم. ورأيت في المنام: كأني ببلاد ضيقة جدبة، فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة. فلما أجمعت على الخروج إلى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت: يا أبا وهب، أما ترى محمداً ظهر على العرب والعجم؟ فلو قدمنا عليه وأتبعناه فإن شرفه شرف لنا، فقال: لو لم يكن يبقى غيري ما اتبعته أبداً. فقلت: هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر، فلقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان! فقال: مثل الذي قال صفوان، قلت: فأكتم ذكر ما قلت لك قال: لا أذكره، ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبي، قلت: هذا لي صديق فأردت أن أذكر له ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان وإخوته الأربع فإنهم قتلوا كلهم يوم أحد فكرهت أن أذكر له، ثم قلت له: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر. لو صبّ فيه ذنوب من ماء

(1) مكان قريب من مكة.

لخرج ثم قلت له: ما قلت لصفوان وعكرمة فأسرع الإجابة، وواعدني إن سبقني أقام بمحل كذا، وإن سبقته إليه انتظرته. فلم يطلع الفجر حتى إلتقينا فغدونا حتى إنتهينا إلى الهدة فوجدنا عمرو بن العاص بها فقال: مرحبا بالقوم، فقلنا: وبك قال: أين مسيركم؟ قلنا الدخول في الإسلام! قال: وذلك الذي أقدمني فساروا حتى وصلوا المدينة وأناخوا ركابهم بظهر الحرة، فأخبر بهم رسول الله ﷺ فسرّ بهم وقال لأصحابه: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها. قال خالد: فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ فلقيت أخي الوليد فقال: أسرع فإن رسول الله ﷺ قد سرّ بقدومكم وهو ينتظركم فأسرعنا المشي فأطلعت عليه فما زال رسول الله صل الله عليه وسلم يبتسم حتى وقفت بين يديه فسلمت عليه بالنبوة فردّ عليّ السلام بوجه طلق فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك لرسول الله! قال: الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير. قلت: يا رسول الله ادع الله لي أن يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك فقال: الإسلام يجبّ ما كان قبله، وتقدم عثمان وعمرو بن العاص فأسلما[1].

15. خبر عمارة بنت حمزة وسرية الأخرم وسرية غالب رضي الله عنهم

وكلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه رسول الله ﷺ في عمارة بنت حمزة رضي الله عنها –وكانت مع أمها بمكة– فقال: علام نترك بنت عمنا يتيمة بين ظهراني المشركين! فخرج بها، حتى إذا دنوا من المدينة، أراد زيد بن حارثة أن يأخذها –وكان وصى حمزة وأخاه أخوة المهاجرين– وقال: أنا أحق بها، ابنة أخي! فقال جعفر بن أبي طالب: أنا أحق بها لمكان خالتها عندي، والخالة والدة! فقال عليّ رضي الله عنه: كيف! وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين أنا أحق بها منكم! فقال رسول الله ﷺ: أحكم بينكم، أما أنت يا زيد فمولى الله ورسوله، وأما أنت يا علي، فأخي وصاحبي، وأما أنت يا جعفر فتشبه خلقي وخُلُقي، وأنت أولى بها يا جعفر تحتك خالتها ولا تنكح المرأة على خالتها وعمتها. فقام جعفر فحجل[2] حول النبي ﷺ فقال: ما هذا يا جعفر؟ قال: يا رسول الله، كان النجاشي إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله.

ثم كانت سرية الأخرم بن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم في ذي الحجة سنة سبع، في خمسين رجلاً، فعلم بخروجه عين لبني سليم فأتى قومه وأخبرهم وحذرهم، فجمعوا له جمعا كثيراً. فأتاهم وهم

(1) رواه احمد والحاكم وحسنه الالباني.

(2) حجل: أي فتل على قدم واحدة أو قدمين.

معدون له، فدعاهم إلى الإسلام فقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا إليه. فتراموا بالنبل ساعة ثم أحاطوا بالمسلمين من كل ناحية، وقاتل المسلمون قتالاً شديداً حتى قتل عامة أصحاب ابن أبي العوجاء، وأثخنوه بالجراح فوقع بين القتلى حتى ظنوه قتيلاً، ثم تحامل إلى المدينة فقدمها لاحقا.

وفي صفر من السنة الثامنة كانت سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الكديد ليغير على بني الملوح من بني ليث. فخرج في بضعة عشر رجلاً حتى إذا كان بقديد لقي الحارث بن مالك (المعروف بابن البرصاء) فأخذه وشده وثاقاً فقال: إني جئت أريد الإسلام وما خرجت إلا لرسول الله، فقالوا له: إن تكن مسلماً فلن يضرك رباط يوم وليلة، وإن تك غير ذلك، كنا قد استوثقنا منك ثم خلف عليه رجلاً من أصحابه, وقد أسلم وحسن أسلامه.

روى ابن اسحق وغيره عن جندب بن مكيث الجهني وقد كان في هذه السرية قال: ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس، فقمنا في ناحية الوادي وبعثني أصحابي رئية لهم، فخرجت حتى أتيت تلاً مشرفاً على الحاضر فأستندت فيه فعلون على رأسه فنظرت إلى الحاضر، فوالله إني لمنبطح على التل إذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته: إني لأرى على التل سواداً ما رأيته في أول يومي، فانظري إلى أوعيتك هل تفقدين شيئاً؟ لا تكون الكلاب جرت بعضها، فنظرت وقالت: والله لا أفقد شيئاً قال: فناوليني قوسي وسهمين فناولته! فأرسل سهماً فما أخطأ بين عينيّ فنزعته وثبت مكاني، فأرسل الآخر فوضعه في منكبي فنزعته ووضعته وثبت مكاني، فقال لامرأته: لو كان رئية لقوم قد خالطه سهماي، فإذا أصبحت فابتغيهما فخذيهما.

ثم دخل وأمهلناهم حتى إذا اطمأنوا وناموا وكان وجه السحر شنينا عليهم الغارة فقتلنا منهم وسقنا النعم وخرج صريخ القوم!! فجاءنا قوم لا قبل لنا بهم فمضينا بالنعم، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه واحتملناهما معنا، وأدركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم إلا وادي قديد(1)، فأرسل الله الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر!! فجاء بشيء ليس لأحد به قوة، ولا يقدر أحد أن يجاوزه، فوقفوا ينظرون إلينا وإنا لنسوق نعمهم لا يستطيع رجل منهم أن يمرّ إلينا ونحن نحدوها سراعاً حتى فتناهم فقدمنا على رسول الله عليه الصلاة والسلام.

(1) وادي قديد: أرى أن هذا الوادي هو وادي (كديد) وليس بوادي (قديد) لأن قديد في هذا المكان. وكان الخطأ من التشابه وتقارب الألفاظ: ما بين (كديد) و (قديد).

16. إستكمال السرايا

سرية غالب بن عبد الله الليثي

لما رجع غالب بن عبدالله الليثي رضي الله عنه من سرية الكديد مؤيداً منصوراً، بعثه صل الله عليه وسلم إلى موضع مصاب بفدك في صفر سنة ثمان وبعث معه مائتي رجل، فأغاروا عليهم مع الصبح.

روى ابن سعد عن حويصة رضي الله عنه قال: بعثني ﷺ في سرية مع غالب (الليثي) إلى بني مرة فأغرنا عليهم مع الصبح، وقد أخذ علينا أميرنا أن لا نفترق وآخى بيننا وقال: لا تعصوني فإنه ﷺ قال: من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، وإنكم متى ما تعصون نبيكم. فآخى بيني وبين أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فأصبنا القوم.

روى أنه لما دنا غالب من القوم حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وأن تطيعوني ولا تخالفوا لي أمر فإنه لا رأي لمن لا يطاع، ثم ألّف بين كل اثنين وقال لهم: لا يفارق أحد منكم زميله، وإذا كبَرت فكبروا. فلما أحاط بالقوم كبَر غالب فكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعارهم أمت أمت، وقتلوا منهم قتلى وأصابوا منهم نعماً وشاةً وذرية فساقوها، وكانت سهامهم عشرة أبعرة لكل رجل أو ما يعادلها من الغنم لكل بعير عشرة[1].

سرية كعب بن عمير

ثم كانت سرية كعب بن عمير الغفاري رضي الله عنه إلى ذات أطلاع من أرض الشام وراء وادي القرى في ربيع الأول سنة ثمان في خمسة عشر رجلاً، فساروا حتى إنتهوا إلى ذات أطلاع فوجدوا جمعاً كثيراً وكان يكمن النهار ويسير الليل حتى دنا من القوم، فرآه عين لهم فأخبر قومه بقلة المسلمين، فجاءوا على الخيل فدعاهم المسلمون إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فقاتلهم المسلمون أشد قتال حتى قتلوا، ونجا منهم رجل جريح في القتلى، قيل: هو الأمير، فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى النبي ﷺ فأخبره الخبر فشق عليه ذلك وهمّ بالبعث إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر فتركهم.

---

(1) عن هامش السيرة الحلبية للدحلان.

سرية شجاع بن وهب

ثم بعث صل الله عليه وسلم شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بناحية ركبة على ثلاث مراحل من مكة بطريق البصرة ومعه أربعة وعشرين رجلاً، في ربيع الأول أيضا. فخرج حتى أغار على القوم وهم غارّون، فأصابوا نعماً وشاءاً وقدموا المدينة، وكان سهامهم خمسة عشر بعيراً لكل رجل، أو ما يعادلها من الغنم وغابوا خمسة عشر يوماً، وقدموا بسبايا، فقدم وفدهم مسلمين فردوا إليهم السبايا إلا جارية واحدة فقد اختارت شجاع بن وهب قائد السرية فأقامت عنده حتى قتل باليمامة رضي الله عنه.

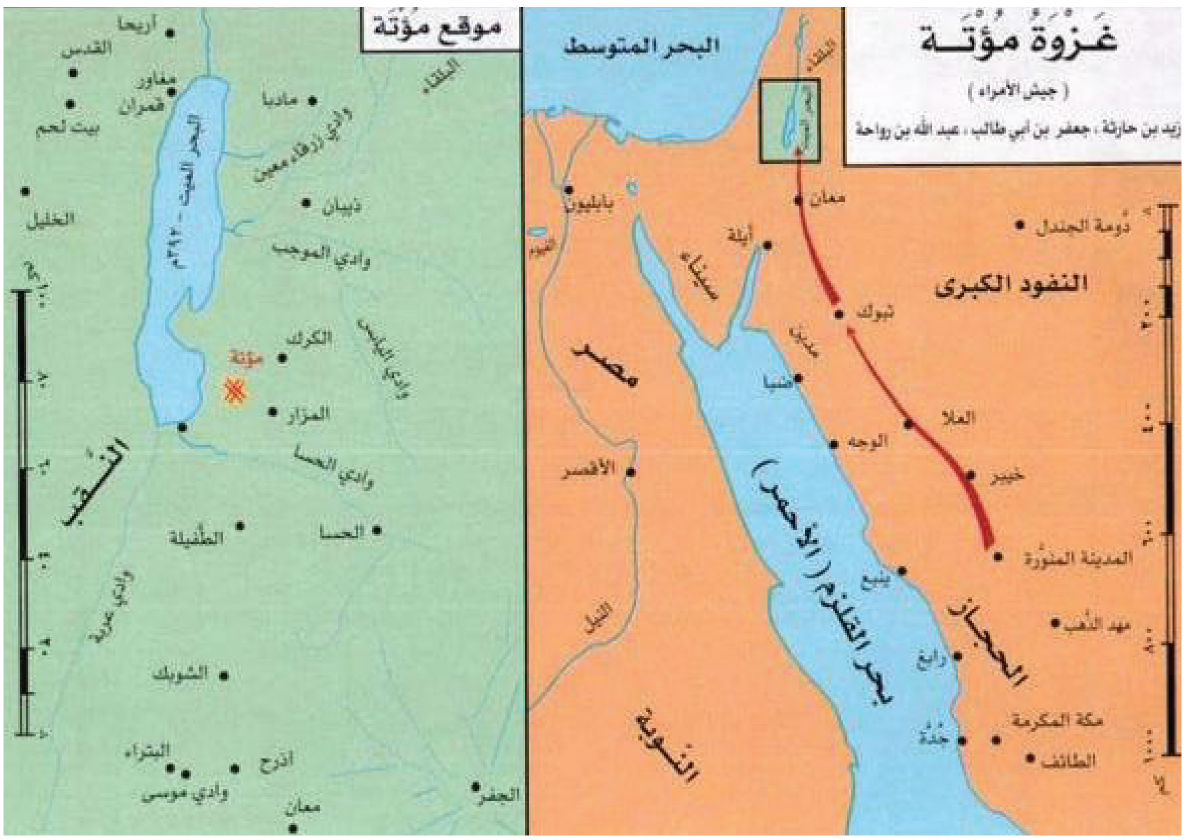
سرية قطبة بن عامر إلى خثعم

ثم بعث صل الله عليه وسلم قطبة بن عامر في عشرين رجلاً إلى حي من خثعم بناحية تبالة. فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها، فوجد رجلاً فسأله فلم يجبه عن القوم، وجعل يصيح بالحاضر، فضرب عنقه ثم انتظر حتى ضم الليل فشن عليهم الغارة فقاتله القوم قتالاً شديداً حتى أتى قطبة عليهم وهرب الباقون، فساق النعم والشاء والنساء حتى قدم المدينة مع أصحابه سالمين.

الجزء الثاني عشر
غزوة مؤتة وفتح مكة

1. غزوة مؤتة

ثم كانت غزوة مؤتة من عمل البلقاء بالشام (انظر المخطط)، وهي شرقي البحر الميت وجنوبي عمان في (محافظة الكرك, الاردن)، وذلك في جمادى الأولى من السنة الثامنة وسببها كما ذكرنا آنفا أن الحارث بن عمير الأزدي لما أرسله صل الله عليه وسلم بكتاب إلى صاحب بصرى وفي طريقه نزل بمؤتة شرحبيل بن عمرو الغساني[1] فقال له: أين تريد؟ قال: الشام، قال: لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم، فشدّ وثاقه ثم أمر به فضرب عنقه! فشق ذلك على رسول الله ﷺ فندب الناس للجهاد فأسرعوا وعسكروا بالجرف فلما صلى ﷺ الظهر جلس في أصحابه وقال: زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قتل زيد بن حارثة, فالأمير جعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر, فالأمير عبد الله بن رواحة (الشاعر بن الخزرج الانصاري)، فإن أصيب عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون رجلاً فيجعلوه عليهم. وعقد لواءاً أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة. فودع الناس الجيش والأمراء، وكان الجيش من ثلاثة آلاف رجل.



---

(1) بسببه لما قتل رسول رسول الله ﷺ نشبت الغزوة, ويعتبر قتل الرسل جريمة لا تغتفر آن ذاك وحتى اليوم في الاعراف السياسية.

2. وصايا الرسول ﷺ للقادة وأستشارة المقاتلين

وشيعهم رسول الله صل الله عليه وسلم إلى ثنية الوداع، ثم وقف وهم حوله وقال: أوصيكم بتقوى الله، وبمن معكم من المسلمين خيراً, اغزوا بسم الله في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيت عدوك من المشركين فأدعهم إلى إحدى ثلاث، فأيهنّ ما أجابوك إليها فأقبل وأكفف عنهم: أدعهم إلى الدخول في الإسلام، فإن أجابوا فأقبل منهم وأكفف عنهم، ثم أدعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن فعلوا فأخبرهم أن لهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، وإن دخلوا في الإسلام وأختاروا دارهم، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله، ولا يكون لهم في الفيء ولا في الغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن أبوا فأدعهم إلى إعطاء الجزية، فإن فعلوا فأقبل منهم وأكفف عنهم، فإن أبوا: فاستعن بالله وقاتلهم.

ثم قال: وستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين الناس، فلا تتعرضوا لهم. لا تقتلنّ امرأة ولا صغيراً ضرعاً، ولا كبيراً فانياً، ولا تحرقن نخلاً، ولا تقلعن شجراً، ولا تهدموا بيتاً.

وقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: يا رسول الله! مرني بشيء أحفظه عنك. قال: إنك قادم غداً بلداً, السجود فيه قليل فأكثر السجود. قال زدني يا رسول الله. قال: اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب. فقام ومشى قليلاً ثم رجع فقال: يا رسول الله، إن الله وتر يحبّ الوتر. فقال: يا ابن رواحة، ما عجزت فلا تعجزنّ إن أسأت عشراً أن تحسن واحدة. فقال: لا أسألك عن شيء بعدها.

وسار المسلمون، وقد أمرهم رسول الله صل الله عليه وسلم أن ينتبهوا إلى مقتل الحارث بن عمير، وسمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم. وقام فيهم شرحبيل بن عمرو الغساني . الذي قتل الحارث بن عمير. وقدم الطلائع أمامه وبعث أخاه سدوس بن عمرو في خمسين رجلاً عيناً له، فإلتقوا مع المسلمين بوادي القرى فقاتلوهم وقتلوا سدوس، ونزلوا معان فبلغهم أن هرقل قد نزل مآب من البلقاء، في مائة ألف من الروم، ومعه من بهراء ووائل وبكر ولخم وجذام مائة ألف أيضاً عليهم رجل يقال له مالك.

فأقام المسلمون ليلتين في معان ثم قالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمر فنمضي له فقام عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وقال: يا قوم، والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد، ولا بكثرة سلاح وعدة، ما كنا نقاتل إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فإنما هي إحدى الحسنيين إما الظهور، وإما الشهادة. فقال الناس: صدق والله ابن رواحة، ومضوا للقتال! فلقوا هذه الجموع المتكاثرة.

3. بدأ القتال وإستشهاد الامراء وخالد بن الوليد يحمل اللواء : الحرب خدعة

وقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم، فأخذ اللواء زيد بن حارثة[1] رضي الله عنه فقاتل وقاتل المسلمون معه وهم على صفوفهم، وعلى ميمنتهم قطبة بن قتادة السدوسي، وعلى الميسرة عباية بن مالك، فقتل زيد طعناً بالرماح. ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فنزل عن فرسه فعرقبها وقال:

يا حبذا الجنة واقترابها　　　طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها　　　كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إذا ليقتها ضرابها

ولم يزل يقاتله حتى قطعت يمينه، فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره فضمها إلى صدره حتى قتل رضي الله عنه. قيل إنه وجد في صدره اثنان وسبعون ضربة بسيف أو طعنة برمح.

ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة رضي الله عنه، فتقدم ثم تردد قليلاً فقال يخاطب نفسه:

أقسمت يا نفس لتنزلنه　　　طائعة وإلا لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا لرنه　　　مالي أراك تكرهين الجنة
قد طالما كنتِ مطمئنة　　　هل أنت إلا نطفة في شنّة

وقال أيضاً:

يا نفس إلا تقتلي تموتي　　　هذا حمام الموت قد صليتي
وما تمنيت فقد أعطيتي　　　إن تفعلي فعلهما هديتي

ثم نزل عن فرسه وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل رضي الله عنه وسقط اللواء، وانهزم المسلمون، فصاح بهم عقبة بن عامر: يا قوم، يقتل المرء مقبلاً خير من أن يقتل مدبراً فتراجعوا، ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم رضي الله عنه وصاح: يا للأنصار!! فأتاه الناس من كل وجه وهم قليل، وهو يقول: إليّ أيها الناس، فلما نظر إلى خالد بن الوليد قال: خذ اللواء يا أبا سليمان! فقال: لا آخذه، أنت أحق به, أنت رجل لك سنّ وقد شهدت بدراً. قال ثابت: خذه أيها الرجل، فوالله ما أخذته إلا لك.

---

(1) **زيد بن حارثة الكلبي** المتوفى سنة 8هـ الموافق 629م،هو صحابي وقائد عسكري مسلم، كان مولى ﷺ وقد تبناه قبل بعثته، وهو أول الموالي إسلامًا، ومن السابقين الأولين للإسلام، والوحيد من بين أصحاب النبي ﷺ الذي ذُكر اسمه في القرآن .شهد زيد العديد من غزوات النبي، كما بعثه قائدًا على عدد من السرايا. استشهد زيد في غزوة مؤتة وهو قائد جيش المسلمين أمام جيش من البيزنطيين والغساسنة يفوق المسلمين عددًا.

ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد[1] رضي الله عنه، وجعل المشركون يحملون عليه فثبت، وقاتل معه قتالاً شديداً، ثم دهمه كثير من المشركين وأحاطوا به، فحمل عليهم بالمسلمين حتى انكشفوا عنه راجعين. ولما دهمهم الليل انزوى كل فريق لمكانه، فلما أصبحوا غدا خالد إلى جيشه يرتبه، فجعل مقدمته ساقته، وساقته مقدمته، وميمنته ميسرة، وميسرته ميمنة.

فأنكر المشركون ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم، فقالوا: قد جاءهم مدد! -فرعبوا- وجعل خالد يتراجع بالمسلمين على تعبئة، فظن المشركون إنما يقصد خالد من ذلك أن يجرهم إلى الصحراء حيث لا يمكنهم التخلص، وفلوا منهزمين وكفى الله المؤمنين القتال.

انكشاف المعركة لرسول الله ﷺ ودخوله على أبناء جعفر رضي الله عنه

وكشفت لرسول الله ﷺ هذه المعركة وهو جالس على المنبر، فهو ينظر إلى معتركهم فقال وعيناه تذرفان: باب خير، باب خير، باب خير، أخبركم عن جيشكم هذا الغازي! إنهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيداً فأستغفروا له، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، فشدّ على القوم حتى قتل شهيداً فأستغفروا له، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وأثبت قدميه حتى قتل شهيداً فأستغفروا له، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد، نعم عبدالله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين من غير إمرة حتى فتح الله عليهم.

وذهب ﷺ إلى بيت جعفر بن أبي طالب[2] فدخل على أسماء بنت عميس امرأة جعفر فقال: يا أسماء أين بنو جعفر؟ فجاءت بهم إليه، فضمهم إليه وشمهم، ثم ذرفت عيناه فبكى، فقالت: أي رسول الله، لعله بلغك عن جعفر شيء؟ فقال: نعم، قتل اليوم! فقامت تصيح وأجتمع إليها النساء، فجعل رسول الله

---

(1) فارس الإسلام، وليث المشاهد، أبو سليمان القرشي المخزومي المكي، وابن أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث. لقّبه ﷺ بسَيْفِ اللهِ المَسْلولِ. اشتهر بعبقرية تخطيطه العسكري وبراعته في قيادة الجيوش ولم يهزم في أكثر من مائة معركة أمام قوات متفوقة عدديًا الروم والفرس وحلفائهم، بالإضافة إلى العديد من القبائل العربية الأخرى. اشتهر خالد بن الوليد بإنتصاراته الحاسمة في معارك اليمامة وغيرها من المعارك وعرف بتكتيكاته التي استخدمها مثل في معركة اليرموك.

(2) جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي المشهور بـجعفر الطيار، وذي الجناحين، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو ابنُ عم الرسول ﷺ وشبيهه خَلقا وخُلقاً، وهو من السابقين الأولين والمهاجرين الصادقين وسادة الغزاة المجاهدين والأبطال المبزرين والشهداء المقربين المبجلين، وقد أبلى أحسن البلاء في غزوة مؤتة، فبعد استشهاد أميره زيد بن حارثة أخذ الراية بيمينه، فلما أصيبت أخذها بشماله، فلما أصيبت أخذها بعضديه، فلم يزل ممسكاً لها مقبلاً غير مدبر حتى استشهد رضي الله تعالى عنه. وذكر أهل السير أنه وُجد فيما أقبل من جسده بضع وتسعون ما بين طعنة ورمية، وقد اقتحم عن فرس له شقراء في ذلك اليوم، فعقرها ثم قاتل حتى قتل.

ﷺ يقول: يا أسماء! لا تقولي هجراً[1] ولا تضربي صدراً[2]. وخرج ﷺ حتى دخل على ابنته فاطمة رضي الله عنها وهو يقول: وا عماه، وقال: على مثل جعفر فلتبك الباكية! ثم قال: أصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم. فصنعوا لهم طعاماً وهو: شعير طحنته خادمة سلمى، ثم نسفته، ثم أنضجته وأدمته بزيت، وجعلت عليه فلفلاً.

علي بن أمية يأتي بخبر الغزوة وقدوم الجيش للمدينة

وقدم علي بن أمية رسولاً بخبر الجيش، ولما دخل قال له النبي صل الله عليه وسلم إن شئت فأخبرني وان شئت أخبرتك؟ قال: فأخبرني يا رسول الله لأزداد يقيناً, فأخبره رسول الله ﷺ الخبر كله ووصف له ما كان فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً وإن أمرهم لكما ذكرت.

ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون، ولقيهم بعض الصبيان يقولون لهم يا فرّار، فقال ﷺ: بل هم الكرار، وظن بعضهم أن انحياز خالد بالجيش وإنسحابه هزيمة، فأعلمهم رسول الله ﷺ أن ذلك من مكائد الحرب، وأثنى على خالد بن الوليد رضي الله عنه في مهارته. واستشهد من المسلمين في هذه الغزوة اثنا عشر رجلاً وقيل ثمانية ولازال رسولنا الرؤوف الرحيم[3] ﷺ حزين عليهم ينتظر الفرصة للظهور عليهم كما سنبينه لاحقا.

4. أستكمال السرايا: سرية ذات السلاسل

ثم كانت سرية ذات السلاسل في جمادى الآخرة سنة ثمان للهجرة. وهو ماء وادي القرى بينه وبين المدينة عشرة أيام. وسببها: أن جمعاً من بلي وقضاعة تجمعوا ليدنوا من أطراف المدينة، فعقد رسول الله صل الله عليه وسلم لعمرو بن العاص[4] لواءاً وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، فسار يكمن النهار ويسير الليل حتى دنا منهم، فنزل على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل، وكان شتاءاً، فجمع أصحابه الحطب ليصطلوا فمنعهم –خوفاً أن يطلع عليهم العدو– فشق ذلك عليهم. ثم بلغهم أن

---

(1) الهجر: التخليط في الكلام أو الإفحاش.

(2) في الحديث الذي أخرجه أبو داود وصححه الالباني أن النبي ﷺ أمهل ال جعفر ثلاثا أن يأتيهم ثم أتاهم فقال لا تبكوا على أخي بعد اليوم ثم قال أدعوا لي بني أخي فجيء بنا كأنا أفرخ فقال أدعوا لي الحلاق فحلق رؤوسنا. وأبناء جعفر هم عبدالله وعوف ومحمد رضي الله عنهم جميعا.

(3) قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة اية 28.

(4) هو عمرو بن العاص ابن وائل الإمام أبو عبد الله، ويقال: أبو محمد السهمي. داهية قريش ورجل الاعمال والعالم ومن يضرب به المثل في الفطنة، والدهاء، والحزم كان من رجال قريش رأيا، ودهاء، وحزما، وكفاءة، وبصرا بالحروب، ومن أشراف ملوك العرب، ومن أعيان المهاجرين. وبعد الاسلام اصبح القائد العسكري الفذ، وأحد القادة الأربعة في الفتح الإسلامي للشام، وقائد الفتح الإسلامي لمصر، وأول والٍ مسلم على مصر بعد فتحها.

للعدو جمعاً كثيراً، فبعث إلى رسول الله ﷺ يخبره عن جمع العدو ويستمده، فبعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ومعه مائتين من كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وغيرهم، وأمرهم أن يكونوا جميعاً ولا يختلفوا. ولما وصلهم المدد كان جيش عمرو بن العاص من خمسمائة رجل كلهم من شجعان الصحابة رضي الله عنهم، فسار بهم عمرو حتى وطئ بلاد بلّي ودوّخها، وكلما انتهى إلى موضع تفرق من كان به من جمعهم، حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلي وعذرة وبلقين (انظر خريطة موضع القبائل). ولقي في آخر ذلك جمعاً فقاتلهم ساعة وهزمهم. وأقام أياماً يبث السرايا، فيؤتى بالشاء والنعم فيذبحون ويأكلون، ولم تكن غنائم تقسم. ثم رجع عمرو بن العاص رضي الله عنه بجيشه إلى المدينة سالمين.



مخطط موقع القبائل

وفي رجب من السنة الثامنة بعث صل الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح[1] رضي الله عنه في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً إلى حي من جهينة مما يلي ساحل البحر على خمس ليال من المدينة. فأصابهم جوع شديد، وكان زادهم جراب من تمر لم يجدوا غيره، فلما فني ما معهم أكلوا الخبط وهو ورق الشجر، وكانوا ليقتسمون التمرة الواحدة.

وسئل جابر رضي الله عنه كيف كانوا يصنعون فقال: كنا نمص التمرة كما يمص الصبي الثدي ثم نشرب عليها الماء فيكفينا يومنا إلى الليل، وقال جابر أيضاً: كنا نضرب بعصينا الخبط ونبلّه بالماء فنأكله. وهنا في مثل هذا الموقف من الضيق والشدة تظهر معادن الرجال، وكان في الجيش قيس بن عبادة رضي الله عنهما فقال: من يشتري مني تمراً بالمدينة بجزر[2] نجزر هنا؟ فقال له رجل من جهينة: من أنت؟ فأنتسب له، فعرفه الجهني فقال: عرفت نسبك، أنا أبيعك. فأبتاع خمس جزائر بقدر من التمر متفق عليه، وأشهد له نفراً من الصحابة. فأخذ قيس الجزر ونحر لهم ثلاثة أيام كل يوم جزوراً، فلما كان اليوم الرابع نهاه أمير الجيش وقال: عزمت عليك أن لا تنحر! أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك؟ فقال قيس: يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت –يعني أباه سعد بن عبادة– يقضي ديون الناس ويحمل الكلّ ويطعم في المجاعة، ولا يقضي عني تمر القوم مجاهدين في سبيل الله؟ فكاد أبو عبيدة يلين، ولكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل يقول: اعزم عليه أن لا ينحر، فعزم عليه فبقيت جزوران.

ولما رجع الجيش إلى المدينة وكان قد بلغهم خبر الجوع والشدة التي لقيها المسلمون، فقال سعد بن عبادة رضي الله عنه: إن يكن قيس –يعني ابنه– كما أعرف فسينحر لهم، فلما لقيه قال: ما صنعت في المجاعة؟ قال: نحرت، قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال نحرت، قال: أصبت ثم ماذا؟ قال: نحرت قال:

---

(1) أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري القرشي صحابي وقائد مسلم، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام، لقَّبَهُ النّبيُّ ﷺ بأمين الأمة حيث قال: إن لكل أمّة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة: أبو عبيدة بن الجراح. أسلم أبو عبيدة في مرحلة مبكرة من الدعوة الإسلامية، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة، وشهد مع النبي ﷺ غزوة بدر والمشاهد كلها، وكان من الذين ثبتوا في ميدان المعركة عندما بُوغت المسلمون بهجوم المشركين يوم أُحُد .وفي عهد أبي بكر الصديق، كان أبو عبيدة أحد القادة الأربعة الذين عيَّنهم أبو بكر لفتح بلاد الشام، ثم أمر أبو بكر خالداً بنَ الوليد أن يسير من العراق إلى الشام لقيادة الجيوش الإسلامية فيها، فلما ولي عمر بن الخطاب الخلافةَ عَزَلَ خالداً بنَ الوليد، واستعمل أبا عبيدة، فقال خالد: وَلِيَ عليكم أمينُ هذه الأمة وقد نجح أبو عبيدة في فتح دمشق وغيرِها من مُدُنِ الشامِ وقُراها. وفي عام 18هـ توفي أبو عبيدة بسبب طاعون عمواس في غور الأردن ودُفن فيه.

(2) الجزر: جمع جزور، وهي الناقة.

أصبت، ثم ماذا؟ قال: نهيت، قال: ومن نهاك؟ قال: أبو عبيدة أميري، قال: ولم؟ قال: زعم أنه لا مال لي وإنما المال لأبيك! فقال سعد: لك أربع حوائط[1] أدناها تجنى منه خمسين وسقاً[2].

وقدم الجهني صاحب الجزر على قيس فأوفاه أوسقه، وحمله وكساه! فبلغ النبي صل الله عليه وسلم فعل قيس بن سعد بن عبادة[3] فقال: "إن الجود من سمت أهل ذلك البيت"[4].

ثم أخرج الله لهم حوتاً من البحر –دابة كبيرة تسمى العنبر– عن جابر رضي الله عنه قال: فألقى لنا البحر حوتاً ميتاً لم نرَ مثله فأكلنا منه نصف شهر حتى صحت أجسامنا، فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فنصبه وجيء ببعير فجاز تحته براكبه فما مست رأسه، وكان يجلس في مآق عينه جماعة من الناس. فلما قدمنا المدينة اخبرنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا؟ فكان معنا منه شيء فأرسلنا إلى رسول الله صل الله عليه وسلم فأكل. وكانت إقامتهم في هذه السرية أكثر من نصف شهر ورجعوا ولم يلقوا كيداً.

سرية أبي قتادة إلى خضرة وسرية أبي قتادة

وفي شعبان من السنة الثامنة بعث ﷺ أبا قتادة في خمسة عشر رجلاً إلى غطفان نحو نجد، فساروا ليلاً وكمنوا نهاراً حتى أتوا ناحيتهم، فهجموا على حاضر منهم عظيم، وجردوا سيوفهم وكبروا، فقتلوا رجالاً، واستاقوا النعم، وحملوا السبي حتى قدموا بغنائم كثيرة وسبي وقد غابوا خمس عشرة ليلة. ثم كانت سرية أبي قتادة إلى بطن إضم . وهي فيما بين ذي خشب وذي المروة على ثلاثة برد من المدينة، وذلك حين همّ رسول الله ﷺ بغزوة الفتح بعد غدر ونقض قريش لمعاهدة صلح الحديبية، ليوهم الناس أنه عليه الصلاة والسلام يريد تلك الناحية ولأن تذهب بذلك الأخبار. وبعد خروج هذه السرية من المدينة خرج رسول الله ﷺ لغزوة الفتح، ثم لحقت هذه السرية برسول الله ﷺ فأدركوه بالسقيا[5] ولم يلقوا جمعاً.

(1) حوائط : جمع حائط، وهو البستان.

(2) الوسق الواحد هو مكيال من أصل الكلمة: قيل له الوسق لأنه حمل بعير.

(3) كان لأسرة قيس بن عبادة، على عادة أثرياء وكرام العرب يومئذ، مناد يقف فوق مرتفع لهم وينادي الضيفان إلى طعامهم نهارا أو يوقد النار لتهدي الغريب الساري ليلا وكان الناس يومئذ يقولون:«من أحبّ الشحم، واللحم، فليأت أطم دليم بن حارثة»... ودليم بن حارثة، هو الجد الثاني لقيس ففي هذا البيت العريق أرضع قيس الجود والسماح وقيل عن أبوه سعد: «كان الرجل من الأنصار ينطلق إلى داره، بالواحد من المهاجرين، أو بالاثنين، أو بالثلاثة. وكان سعد بن عبادة ينطلق بالثمانين.

(4) صحيح البخاري.

(5) السقيا مكان بطريق مكة.

5. غزوة الفتح الأعظم (فتح مكة)

تقدم معنا في صلح الحديبية، أنه تمّ الاتفاق بين رسول الله صل الله عليه وسلم وقريش على شروط المعاهدة والهدنة التي تمّ الصلح عليها، وكان من أهم وأبرز شروطها: الهدنة وترك الحرب عشر سنين، وقد التحق قسم من العرب وهم خزاعة بحلف رسول الله ﷺ، ودخل بنو بكر في حلف قريش فكان كل حلف ومن التحق بهم حكمهم سراءاً في هذه المعاهدة.

اسباب الغزوة: قريش تنقض معاهدة الحديبية

وفي أواخر رجب من السنة الثامنة ولم يمض على الهدنة سوى اثنين وعشرين شهراً، هجا رسول الله صل الله عليه وسلم رجل من بني بكر أسمه أنس ابن زنيم فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشرّ بين الطرفين فسعى وفد من بني بكر إلى قريش وطلبوا منهم أن يمدوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك، وخرج معهم نفر من رؤساء قريش ومعه أرقاؤهم، فبيتوا مع بني بكر خزاعة ليلاً وهم آمنون، فقتلوا منهم ثلاثة وعشرين رجلاً. وذلك على ماء يقال له الوتير قريب من مكة.

ثم ندمت قريش، وعرفوا أن هذا الذي صنعوا نقض للصلح والمعاهدة التي بينهم وبين رسول الله صل الله عليه وسلم. وجاء الحارث بن هشام وجماعة إلى صفوان بن أمية ومن كان معه في قتل الآمنين من خزاعة، فلاموهم وحذروهم مغبة عملهم، وقالوا لأبي سفيان بن حرب: هذا أمر لا بدّ له أن يصلح ويتلافى. فأتفقوا على مسيرته إلى رسول الله ﷺ ليجدد العهد، ويزيد في مدة الهدنة، فخرج أبو سفيان لذلك. وقدم عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباًً إلى المدينة حتى دخل المسجد ورسول الله صل الله عليه وسلم جالس في أصحابه، فقام عمرو يستصرخ رسول الله ويستنصره وهو يقول:

يا ربّ إني ناشد محمداً	حلف أبينا وأبيه الأتلدا [1]
إن قريشاً أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدا	وجعلوا لي في كداء رصدا
فأنصر هداك الله نصراً أبداً	وأدع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا	إن سيم خسفاًً وجهه تربدا
هم بيتونا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعاً وسجداً
وزعموا أن لست أدعو أحداً	وهم أذلّ وأقلّ عددا

(1) كانت خزاعة حلفاء بني هاشم في الجاهلية، وتحالفوا مع عبدالمطلب أيضاً.

فقام صل الله عليه وسلم وهو يجر رداءه ويقول: لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصر به نفسي. وقد دمعت عيناه حين سمع شعر عمرو بن سالم، وقال خزاعة مني وأنا منهم. ثم قال لعمرو وأصحابه: أرجعوا وتفرقوا في الأودية، فرجعوا وتفرقوا كيلا تشعر بهم قريش.

6. قدوم أبو سفيان للوساطة بعد نقض قريش للمعاهدة

وقدم أبو سفيان إلى المدينة فقال: يا محمد! إني كنت غائباً في صلح الحديبية، فأشدد العهد وزدنا في المدة. فقال رسول الله صل الله عليه وسلم: ولذلك قدمت يا أبا سفيان؟ قال: نعم، قال: هل كان قبلكم حدث؟ قال: معاذ الله، قال: فنحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية، لا نغير ولا نبدل.

ثم قام أبو سفيان فدخل على ابنته رملة أم المؤمنين رضي الله عنها[1] فلما أتى ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه وقالت: أنت امرؤ نجس مشرك؟! فقال: يا بنية، لقد أصابك بعدي شر ! قالت: هداني الله للإسلام، وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها، كيف يخفى عليك فضل الإسلام وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر ! قال: يا عجباه وهذا منك أيضاً، أأترك ما كان يعبد آبائي، وأتبع دين محمد؟ ثم خرج فلقي أبا بكر رضي الله عنه فكلمه وطلب منه أن يكلم محمداً صل الله عليه وسلم أو تجير أنت بين الناس! فقال: جواري في جوار رسول الله ﷺ. ثم لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكلمه بمثل ما كلم به أبا بكر، فقال عمر: والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتها عليكم! فقال أبو سفيان: جزيت من ذي رحم شراً. ثم دخل على عثمان رضي الله عنه فقال: إنه ليس في القوم أحد أقرب رحماً منك، فزدني في الهدنة وجدد العهد، فإن صاحبك لن يرده عليك أبداً! قال: جواري من جوار رسول الله!

فدخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أبا الحسن! أجر بين الناس أو تكلم محمداً يزيد في المدة، فقال: ويحك يا أبا سفيان! إن رسول الله ﷺ قد عزم أن لا يفعل، وليس أحد يستطيع أن يكلمه في شيء يكرهه. قال: فما الرأي؟ يسرني لأمري، فإنه قد ضاق عليّ، فمرني بأمر ترى أنه نافعي. قال: والله لا أجد لك شيئا أمثل من أن تقوم فتجير بين الناس، فإنك سيد كنانة. قال: ترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا أظن ذلك والله، ولكني لا أجد له غيره. فقام أبو سفيان حتى دخل المسجد صاح بين ظهري الناس: ألا إني قد أجرت بين الناس، ولا أظن محمد يخفرني! ثم دخل على النبي صل الله عليه وسلم فقال: يا محمد! ما أظن أن تردّ جواري، فقال: أنت تقول ذلك يا أبا سفيان. ثم جاء لسعد بن

(1) توفى زوجها بالحبشة مرتدا متنصرا وعقد عليها النبي ﷺ فرعه منه وعزاً لها وكان الذي زوجها النجاشي حاكم الحبشة وجهازها كله من عند النجاشي ومهرها أربعة الاف درهم.

عبادة رضي الله عنه فكلمه بمثل ما كلم به كبار الصحابة، فقال: يا أبا سفيان جواري في جوار رسول الله ﷺ، وما يجير أحد على رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وكانت قد طالت غيبته بالمدينة وبسبب أنتشار الاسلام العظيم فأتهمته قريش أنه قد أسلم. دخل مكة ليلاً فلما أصبح حلق رأسه عند إساف ونائلة وذبح لهما ومسح بالدم رؤوسهما وقال: لا أفارق عبادتكما حتى أموت ما مات عليه أبي. وقالت له قريش: ما وراءك يا أبا سفيان! هل جئتنا بكتاب من محمد أو زيادة في مدة أماناً من أن يغزونا؟ فقال: والله لقد أبى عليّ، ولقد كلمت أصحابه عليه فما قدرت على شيء منهم، إلا أنهم يرموني بكلمة واحدة إلا أن علياً قد قال لما ضاقت بي الأمور: أنت سيد كنانة[1] فأجر بين الناس، فناديت بالجوار، ثم دخلت على محمد فقلت: إني قد أجرت بين الناس وما أظن أن تردّ جواري فقال: أنت تقول ذلك يا أبا سفيان لم يزدني على ذلك. قالوا: ما زاد علي أن تلعب بك تلعباً! قال: والله ما وجدت غير ذلك.

ولما ولى أبو سفيان راجعاً قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها جهزينا وأخفي أمرك. وقال ﷺ: اللهم خذ عن قريش الأخبار والعيون حتى نأتيهم بغتة (وهم لا يشعرون). ودخل أبو بكر على عائشة رضي الله عنهم وهي تجهز رسول الله ﷺ، تعمل قمحاً سويقاً ودقيقاً، فقال: يا عائشة! أهم رسول الله بغزو؟ قالت: ما أدري. قال: إن كان هم بسفر فآذنينا نتهيأ له. قالت: ما أدري، لعله يريد بني سليم، لعله يريد ثقيفاً، لعله يريد هوازن، فأستعجمت عليه ولم توضح له حتى دخل رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله! أردت سفراً؟ قال: نعم، قال: أفأتجهز؟ قال: نعم! قال: فأين تريد يا رسول الله؟ قال: قريشاً وأخف ذلك يا أبا بكر، وأمر الرسول ﷺ الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذي يريد، وقال أبو بكر: يا رسول الله، أوليس بيننا وبينهم مدة؟ قال: إنهم غدروا ونقضوا العهد، فأنا غازيهم وأطو –أكتم– ما ذكرت لك. فظان يظن أنه يريد الشام، وآخر يظن ثقيفاً، وبعضهم يظن هوازن. فلما عزم صل الله عليه وسلم على السفر، أرسل إلى أهل البادية، وإلى من حوله من المسلمين يقول: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة. وبعث رسلاً في كل ناحية حتى قدموا. فقدمت أسلم، وغفار، ومزينة، وجهينة، قدموا المدينة، ولحقت بنو سليم بقديد. وعسكر ببئر أبي عنبة، وعقد الألوية والرايات.

(1) كنانة هو الجد الثالث عشر في عمود النسب الشريف للنبي محمد ﷺ.

وكان المهاجرون سبعمائة، ومعهم ثلاثمائة فرس، وكانت الأنصار أربعة آلاف، ومعهم خمسمائة فرس، وكانت مزينة ألفاً ومعها مائة فرس، وكانت أسلم أربعمائة، فيها ثلاثون فرساً، وكانت جهينة ثمانمائة، فيها خمسون فرساً، وكانت بنو كعب بن عمرو خمسمائة.

وخرج الرسول ﷺ يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان بعد العصر وخرج المسلمون وقادوا الخيول، وأمتطوا الإبل، وكانوا عشرة آلاف رجل، وقدم ﷺ أمامه الزبير بن العوام رضي الله عنه في مائتين، ولما خرج من المدينة نادى مناديه: من أحبّ أن يصوم فليصم، ومن أحبّ أن يفطر فليفطر. وصام هو ﷺ حتى إذا كان بالعرج صبّ على رأسه ووجهه الماء من العطش. فلما كان بالكديد -بين الظهر والعصر- أخذ إناءاً من ماء في يده حتى رآه المسلمون، ثم أفطر ﷺ، وبلغه أن قوماً صاموا فقال: أولئك العصاة.

7. رسالة حاطب إلى قريش يحذرهم وخبره عند الرسول ﷺ

وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم خبر رسول الله صل الله عليه وسلم وكان كتابه إلى ثلاثة نفر: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل فيقول فيه: "إن رسول الله قد أذّن في الناس بالغزو، ولا أراه يريد غيركم، وقد أحببت أن يكون لي عندكم يدٌ بكتابي إليكم".

وأعطى الكتاب إلى امرأة من مزينة من أهل العرج يقال لها كنود، وقيل: سارة مولاة عمرو بن صيفي، وجعل لها مالاً على تبلغه قريشاً، وقال: إخفيه ما استطعت، ولا تمري على الطريق فإن عليه حرساً فجعلته في رأسها وضفرت عليه شعرها، وسلكت على غير نقبٍ[1] حتى لقيت الطريق بعد أن أمنت وبعدت عن الحرس.

وأتى رسول الله صل الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علياً والزبير رضي الله عنهما فقال: أدركا امرأة من مزينة، قد كتب معها حاطب كتاباً يحذر فيه قريشاً. فخرجا، فأدركاها فأستنزلاها، وإلتمساه في رحلها فلم يجدا شيئاً، فقالا لها يحلفها بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، ولتخرجنّ الكتاب أو لنكشفنّ الثياب. فلما رأت منهما الجد قالت: أعرضا عني، فأعرضا عنها، فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب، فجاءا به رسول الله ﷺ فدعا حاطباً فقال: ما حملك على هذا؟ فقال: والله كنت امرءاً ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة، وإن لي بين أظهرهم أهل وولد، فصانعتهم. فقال عمر: قاتلك الله، ترى رسول الله يأخذنا بالألقاب، وأنت تكتب إلى قريش تحذرهم! دعني يا رسول الله

(1) النقب: الطريق الذي يسلكه الناس, وكان صلى الله عليه وسلم جعل على الأنقاب حرساً, وكان عمر رضي الله عنه يطوف على الحرس ويقول: لا يمر بكم أحد تنكرونه إلا رددتموه.

أضرب عنقه فإنه قد نافق، فقال ﷺ: وما يدريك يا عمر؟ لعل الله اطلع يوم بدر على أهل بدر فقال: أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وإذا تستغرب عزيزي القارىء من رحمة الرسول ﷺ بأصحابه فأقرأ ما أنزل الله عز وجل في حاطب من رحمة ومودة ونصح فقال: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ**)[1].

8. تجمع جيوش المسلمين والعباس مع أبي سفيان وصاحبيه ودخولهم على رسول الله ﷺ

فلما نزل صل الله عليه وسلم قديداً إلتحقت به بنو سليم، وكانوا تسعمائة على الخيول جميعاً، مع كل رجل رمحه وسلاحه، فجعلهم في المقدمة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه. واجتمع المسلمون بمر الظهران، ولم يبلغ قريشا حرف واحد من سيرهم. فأمر الرسول ﷺ المسلمين أن يوقدوا النيران، فأوقد كل رجل ناراً حتى كانت عشرة آلاف نار، وأمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل ليالي فتح مكة.

وبعثت قريش أبا سفيان يتجسس الأخبار، وإن لقي محمداً يأخذ لهم منه جواراً، فإن رأى رقة أو ضعفاً وقلة في جيشه آذنه بالحرب، لأنهم كانوا في خوف، ولا يشكون في غزو المسلمين لهم بين عشية وضحاها. فخرج أبو سفيان ومعه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، فرأوا الأبنية والعسكر والنيران بمر الظهران، وسمعوا صهيل الخيل، ورغاء الإبل، فأفزعهم ذلك فزعاً شديداً وقالوا: هؤلاء بنو كعب جاشتها الحرب! فقال بديل: هؤلاء أكثر من بني كعب! قالوا فتنجعت[2] هوازن على أرضنا تطلب المراعي والكلأ! ولكن لا والله، هذا أعظم من ذلك، هذا مثل حاج الناس. وكان على الحرس تلك الليلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكان العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ قد أسلم من قبل سراً كما ذكرنا سابقا، ولكنه بقي في مكة بين قريش، وكان يخبر النبي صل الله عليه وسلم عن قريش إن أحدثت أمراً، أو أرادت شراً. ولما علم بقدوم النبي ﷺ لفتح مكة خرج حتى أستقبله بالسقيا، أو بذي الحليفة فأعلن أسلامه للملأ، وبعث متاعه إلى المدينة، ومضى مع رسول الله ﷺ فأقام معه، وكان ينزل معه في كل منزل حتى دخل مكة.

(1) أول سورة الممتحنة.
(2) تنجعت: من النجع، أي طلب المرعى والكلأ.

وقد ركب العباس رضي الله عنه بغلة النبي ﷺ –دلدل[1]– على أن يصيب رسولاً إلى قريش فيخبرهم: أن رسول الله ﷺ داخل عليهم في عشرة آلاف مقاتل، فسمع أبي سفيان يتكلم مع صاحبيه، فقال: أبا حنظلة؟ فقال: يا لبيك، أبا الفضل؟ قال: نعم، قال: فما وراءك؟ قال: هذا رسول الله في عشرة آلاف من المسلمين، فأسلم ثكلتك أمك وعشيرتك! وأقبل على حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فقال: أسلما فإني لكما جار حتى تنتهوا إلى رسول الله، فإني أخشى أن تقطعوا دون النبي! قالوا: فنحن معك.

وأتى بهم العباس ودخل على رسول الله صل الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، قد أجرتهم، وهم يدخلون عليك! فقال: أدخلهم. فدخلوا عليه، فمكثوا عنده عامة الليل، ودعاهم إلى الإسلام فأسلم حكيم وبديل، وقال أبو سفيان: أشهد أن لا اله إلا الله. فقال رسول الله: وأني رسول الله. قال: والله يا محمد، إن في النفس من هذا شيئاً بعد, فأرجئها. ثم قال الرسول ﷺ للعباس: قد أجرناهم، اذهب بهم إلى منزلك. فذهب بهم، فلما أذن الصبح أذن العسكر كلهم، ففزع أبو سفيان من أذانهم فقال: ما يصنعون؟ قال: قاموا إلى الصلاة. قال: كم يصلون في اليوم والليلة؟ قال خمس صلوات. قال: كثير والله. فلما رآهم يبتدرون وضوء النبي ﷺ قال: ما رأيت يا أبا الفضل ملكاً كهذا، لا ملك كسرى ولا ملك بني الأصفر! فقال العباس: (هذا رسول الله) ويحك آمن! قال: أدخلني عليه. فأدخله فقال: يا محمد، إستنصرت إلهي وإستنصرت إلهك، فلا والله ما لقيتك من مرة إلا ظفرت علي، فلو كان إلهي حقاً لغلبتك! فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

إسلام أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم الرسول ﷺ

وسار صل الله عليه وسلم حتى وصل الأبواء فقدم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب –ابن عم رسول الله ﷺ واخوه بالرضاعة– يريد الإسلام بعدما عادى رسول الله ﷺ عشرين سنة أشد العداء، فلما طلع ﷺ في موكبه، وقف تلقاء وجهه، فأعرض عنه، فتحرك إلى ناحيته فأعرض عنه مراراً، وأعرض عنه الناس وتجمعوا له، فجلس على باب منزل رسول الله ﷺ يلازمه حتى فتح مكة، وهو لا يكلمه، ولا أحد من المسلمين. فلما كان يوم هوازن، ثبت فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ، وأخذ العباس رضي الله عنه بلجام بغله دلدل، وأخذ أبو سفيان بن الحارث بالجانب الآخر فقال: من هذا؟ فقال العباس: يا رسول

(1) رسول الله ﷺ كان يركب دلدل في الأسفار وهي التي أهداها له المقوقس الشهيا، كما ذكرنا آنفا وعاشت بعده حتى كبرت، ورأيت أسنانها، وكان يجش لها الشعير، وماتت بينبع.

الله! أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث، فأرضَ عنه، أي رسول الله! قال: قد فعلت، غفر الله له كل عداوة عادانيها. فقبل أبو سفيان رضي الله عنه رجله في الركاب فألتفت إليه ﷺ وقال: أخير لعمري[1].

بعد أسلام أبي سفيان بن حرب سيد قريش مع صاحبيه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قال العباس: يا رسول الله، إنك قد عرفت أبا سفيان وحبه الشرف والفخر فأجعل له شيئاً. قال: نعم، من دخل الحرم فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن! وأمر أن لا يجهز على جريح، ولا يتبع مدبر. وقال النبي صل الله عليه وسلم للعباس: احبس أبا سفيان بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها. فعدل به العباس في مضيق الوادي، وأمر رسول الله ﷺ منادياً فنادى: لتصبح كل قبيلة قد أرتحلت ووقفت مع صاحبها عند رايته، وتظهر ما معها من العدة.

9. تعبئة المسلمين وعزتهم في العرض العسكري للكتائب الاسلامية

فأصبح الناس على ظهر[2] وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه، فجعل أبا عبيدة بن الجراح على المقدمة، وخالد بن الوليد على الميمنة، والزبير بن العوام على الميسرة، وهو ﷺ في القلب، وقدم بين يديه الكتائب.

فزحفت القبائل مع قادتها، والكتائب على راياتها وليس أمامهم طريق إلا المضيق بفم الوادي، فقدم خالد بن الوليد في بني سليم وهم ألف فارس، فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال العباس: خالد بن الوليد. فلما حاذى خالد العباس وأبا سفيان، كبر بمن معه ثلاثاً ومضوا. ثم مرّ على إثره الزبير بن العوام، في خمسمائة، فلما حاذاهما كبّر ثلاثاً وكبر أصحابه، فقال أبو سفيان: من هذا؟ قال العباس: الزبير بن العوام! قال: ابن أختك قال: نعم. ومرت غفار في ثلاثمائة يحمل رايتهم أبو ذر الغفاري، فلما حاذوهما كبر ثلاثاً، فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال: بنو غفار. فقال: مالي ولبني غفار، ثم مضت أسلم في أربعمائة، فلما حاذوهما كبروا فقال: من هؤلاء؟ قال: أسلم. قال: مالي ولأسلم، ما كان بيننا وبينها ترة قط. قال العباس هم قوم مسلمون دخلوا في الإسلام. ثم مرت بنو كعب بن عمرو في خمسمائة يحمل لواءهم بسر بن أبي سفيان قال: من هؤلاء؟ قال: كعب بن عمرو، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً. ثم مرت مزينة في ألف فلما حاذوه كبروا، فقال: من هؤلاء؟ قال: مزينة. ثم مرت جهينة في ثمانمائة، ثم مرت

(1) مما يدل على المكانة العالية والقرابة بينهم من بعد عتاب.
(2) على ظهر: أي مستعد، ومتأهب للسفر. ـ مأخوذة: من ظهر الإبل والخيل إذا ركبوا.

بنو بكر في مائتين، فلما حاذوهما كبروا ثلاثاً، فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال: بنو بكر [1]. قال: أهل شؤم، هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم، أما والله ما شوورت فيه ولا علمته –يعني نقض العهد– ولقد كنت له كارهاً حيث بلغني، قال العباس: قد خار الله لك[2] في غزو محمد لكم، ودخلتم في الإسلام كافة. ثم مرت بنو ليث في مائتين وخمسين، ثم مرت أشجع في ثلاثمائة، ومعهم لواءان.

كتيبة رسول الله ﷺ

فلما طلعت كتيبة رسول الله صل الله عليه وسلم الخضراء، طلع سواد وغبرة من سنابك الخيل، ومرّ الناس حتى مرّ رسول الله ﷺ على ناقة القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير وهو يحدثهما ومعه المهاجرون والأنصار، فيها الرايات والألوية، مدججين بالسلاح والحديد لا يرى منهم إلا الحدق، ولعمر بن الخطاب فيها زجل[3] وعليه الحديد وهو نزعها! فقال أبو سفيان لقد أمِر أمرُ عدي بعد قلة وذلة! فقال العباس: إن الله يرفع ما يشاء وإن عمر ممن رفعه الإسلام.

وكان في الكتيبة ألف دارع وسعد بن عبادة يحمل راية رسول الله ﷺ أمام الكتيبة، فنادى: يا أبا سفيان! اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً!! فنادى أبو سفيان عندما حاذاه الرسول ﷺ يا رسول الله أمرتَ بقتل قومك؟ زعم سعد ومن معه كذا: وذكر ما قال سعد. وإني أنشدك الله في قومك! فأنت أبرّ الناس وأرحم الناس، وأوصل الناس! فقال عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان رضي الله عنهما: يا رسول الله ما نأمن من سعد أن تكون منه في قريش صولة. فقال ﷺ: يا أبا سفيان، اليوم يوم الرحمة, اليوم أعز الله فيه قريشاً! وأرسل إلى سعد فعزله وجعل اللواء إلى ابنه قيس بن سعد. وقال أبو سفيان ما رأيت مثل هذه الكتيبة قط، ولا خبرنيه مخبر ! ما لأحد بها طاقة أو يدان، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. فقال له العباس: يا أبا سفيان! ليس بملك ولكنه نبوة فأنج ويحك فأدرك قومك.

---

(1) بنو بكر: هم الذين التحقوا بحلف قريش يوم الحديبية ، وهم الذين غدروا في خزاعة فكانوا سبباً في نقض الهدنة، والذين حضر منهم يوم الفتح هم من الذين دخلوا في الإسلام.

(2) جعل لك فيه الخير.

(3) الزجل: جلبة الصوت وارتفاعه.

دخول أبي سفيان والعباس إلى مكة

فخرج أبو سفيان فتقدم الناس كلهم حتى دخل مكة من كداء وهو يقول: من أغلق بابه فهو آمن! حتى انتهى إلى زوجته هند فأخذت برأسه فقالت: ما وراءك؟ قال: هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد، وقد جعل لي من دخل داري فهو آمن! قالت: قبحك الله رسول قوم! وجعل يصرخ بمكة: يا معشر قريش، ويحكم! إنه قد جاء مالا قبل لكم به، هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد فأسلموا تسلموا! قالوا: قبحك الله وافد قوم! فيقول: رأيت ما لم تروا، رأيت الرجال والكراع والسلاح، فما لأحد بهذا طاقة. وذكر عمرو بن شبة: أن العباس رضي الله عنه ركب بغلة رسول الله ﷺ من مرّ الظهران ليدعو أهل مكة، فقدمها وقال: يا أهل مكة أسلموا تسلموا قد استنبطتم بأسهب بازل[1] وأعلمهم بمسير الزبير من أعلى مكة، وخالد بن الوليد من أسفلها لقتالهم. ثم قال: من ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

وانتهى المسلمون إلى ذي طوى، فوقفوا ينظرون إلى رسول الله ﷺ حتى تلاحق الناس. وقد كان صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو دعوا إلى القتال، وأجتمع إليهم جماعة عليهم السلاح، يحلفون بالله لا يدخلها محمد عنوة أبداً.

خبر حماس بن قيس

وكان حماس بن قيس من بني بكر يعد سلاحاً ويبري نبلاً –لأنه متحمس من غزو المسلمين– فقالت له امرأته –وكانت أسلمت سراً– : لم تبري هذا النبل؟ قال: بلغني أن محمداً يغزو مكة، فإن كان ذلك لأخدمنك خادماً ممن نستأسره! فقالت له: والله لكأني بك وقد رجعت تطلب مخبئاً أخبئك فيه لما ترى خيل محمد. وفي اليوم الثاني أقبل ذلك الرجل إلى امرأته فقال لها: ويحك هل من مخبأة؟ قالت: فأين الخادم؟ فقال لها: دعي عنك هذا، وأنشد:

إنك لو شهدت يوم الخندمة[2] ... إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمة

واستقبلتنا بالسيوف المسلمة ... يقطعن كلّ ساعد وجمجمة

ضرباً فلا يسمع إلا غمغمة ... لهم نهيت خلفنا وهمهمة

لا تنطقي في اللوم أدنى كلمة

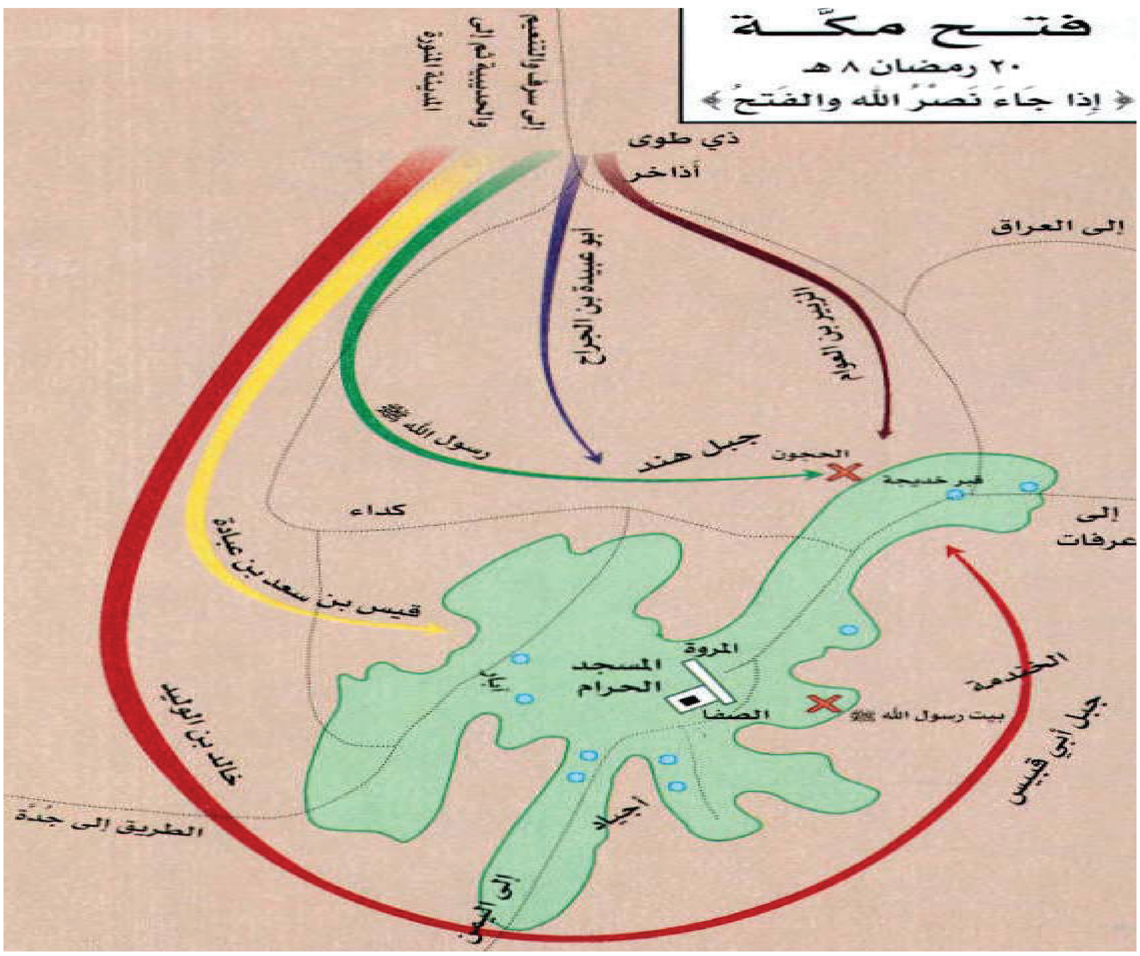
---

(1) أي رميتم بجيش لا طاقة لكم به.

(2) الخندمة: اسم لجبل بأسفل مكة، من الجهة التي دخل منها خالد بن الوليد رضي الله عنه.

10. دخول مكة في أنجح الاستعراضات والمداهمات العسكرية بالعالم

عندما وصل الرسول ﷺ الى بئر طوى والجميع صائم في شهر رمضان فقسم الجيش الى أربع فرق لتدخل مكة من الاتجاهات الاربع (أنظر خريطة فتح مكة) فكانت الفرقة الاولى بقيادة الزبير بن العوام لتدخل مكة من أعلاها والفرقة الثانية بقيادة خالد بن الوليد لتدخل مكة من أسفلها والفرقة الثالثة بقيادة أبي عبيدة بن الجراح لتدخل مكة من الشرق والفرقة الرابعة بقيادة قيس بن سعد بن عبادة, فدخلوا جميعا بنفس الوقت حتى لا يكون هناك مقاومة أو قتال في فتح مكة. فكلهم دخلوا ولم يلقوا جمعاً –مقاومة– إلا خالد فإنه وجد جمعاً من قريش وأحابيشها، وفيهم صفوان وعكرمة وسهيل بن عمرو، فمنعوه الدخول وشهروا السلاح، ورموا بالنبل وقالوا لا تدخلها عنوة أبداً. فصاح خالد في أصحابه وقاتلهم، فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً وانهزموا أقبح هزيمة، وقتل من المسلمين ثلاثة. وكان حماس بن قيس من المنهزمين حتى دخل على امرأته وطلب المخبأ.



وأقبل رسول الله صل الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء على ناقته القصواء، معتجراً بشقة بردٍ سوداء، وعليه عمامة سوداء، ورايته سوداء، ولواؤه أسود، حتى وقف ﷺ بذي طوىً وتوسط الناس، وإن عثنونه –ذقنه– ليمس واسطة الرحل أو يقرب منه تواضعاً لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله، وكثرة المسلمين! ثم قال: العيش عيش الآخرة. لقد كانت خطة دخول مكة خطة محكمة هدفها القضاء على المقاومة بدون أي قتال من خلال تخويفها وقد كانت حقا أبهر وأنجح الاستعراضات وأفضل المداهمات العسكرية في العالم بالتاريخ وقد فوجأت قريش بأبنائها يقودون الجيش والفتح العظيم وأستقرت نفوسهم بأن العزة بالاسلام مع الله عز وجل والنبي عليه الصلاة والسلام.

فأمن رسول الله ﷺ الناس، واستثنى منهم جماعة في البداية فقال: إلا خزاعة من بني بكر. وأمر بقتل ستة رجال، وأربع نسوة، وهم: عكرمة بن أبي جهل، وهبار بن الأسود، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومقيس بن صبابة الليثي، والحويرث بن نقيذ، وهلال بن عبد الله بن عبد مناف –هو ابن خطل– ومن النساء: هند بنت عتبة –زوجة أبي سفيان– وسارة مولاة عمرو بن هشام(1) وقينتين لابن خطل: فرتنا وأرنبة (وقد عفى ﷺ عن أغلبهم كما سنبين لاحقا). ولما ظهر ﷺ على ثنية أذاخر، نظر إلى البارقة –بارقة السلاح– فقال: ما هذه البارقة؟ ألم أنه عن القتال؟ فقيل يا رسول الله خالد بن الوليد قوتل، ولو لم يقاتل ما قاتل! فقال: قضاء الله خير.

خبر ابن خطل

وأقبل ابن خطل من أعلى مكة في الحديد على فرس بيده قناة، وبنات سعيد بن العاص يحرضنه وقد نشرن شعورهنّ، فقال لهنّ: أما والله لا يدخلها محمد حتى ترين الدم كأفواه القرب، فلما انتهى إلى الخندمة ورأى خيل المسلمين وقتالهم، دخله رعب حتى ما يستمسك من الرعدة، فأنتهى إلى الكعبة فنزل وطرح سلاحه، ثم دخل بين أسنارها. فأخذ رجل من بني كعب سلاحه وفرسه ولحق النبي صل الله عليه وسلم بالجحود. ولما دخل النبي ﷺ مكة، وطاف بالكعبة قيل: هذا ابن خطل متعلقاً بأستار الكعبة، فقال: اقتلوه، فإن الكعبة لا تعيذ عاصياً، ولا تمنع من إقامة حدٍ واجب! فقتل.

دخول الزبير ومنزل رسول الله ﷺ بمكة

وأقبل الزبير رضي الله عنه بمن معه حتى انتهى إلى الحجون، فغرز به الراية. ولم يقتل المسلمين إلا رجلان أخطآ الطريق هما: كرز بن جابر الفهري، وخالد الأشعر الخزاعي.

---

(1) قيل هي سارة حاملة كتاب حاطب بن أبي بلتعة، أسلمت ثم ارتدت وهجت النبي صلى الله عليه وسلم.

ولما أشرف رسول الله ﷺ على أذاخر فنظر بيوت مكة، وقف فحمد الله وأثنى عليه، ونظر إلى موضع قبته فقال: هذا منزلنا يا جابر، حيث تقاسمت علينا قريش في كفرها.[1] ثم انتهى إلى قبتة التي ضربت له بالحجون! وذلك في يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان. فمضى الزبير برايته حتى ركزها عند قبة رسول الله ﷺ، وكتان معه أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما. فلم يزل ﷺ نازلاً في قبته بالحجون لم يدخل بيتاً، وكان يأتي المسجد من الحجون لكل صلاة.

11. العفو سمة الرسل: خبر أم هانئ وحماية المشركين والطواف بالبيت وسقوط الاصنام

وكانت أم هانئ بنت أبي طالب تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي! فدخل عليها حموان لها يستجيران بها، فأجارتهما، فدخل عليها أخوها علي رضي الله عنه يريد قتلهما وقال: تجيرين المشركين؟ فحالت دونهما وقالت: والله لتبدأن بي قبلهما فخرج ولم يكد.

فأغلقت أم هانئ عليهما البيت وذهبت إلى خباء رسول الله ﷺ فشكت إلى فاطمة رضي الله عنها علياً فلم تشكها –طاعة للرسول ﷺ وحباً لزوجها علي كرم الله وجهه– وقالت لها: لم تجيرين المشركين؟ وإذا برسول الله صل الله عليه وسلم مقبل فقال: مرحباً أم هانئ قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ[2]، ثم أمر فاطمة رضي الله عنها فسكبت له ماءً فأغتسل، وصلى ﷺ ثماني ركعات، وذلك ضحىً. ورجعت أم هانئ فأخبرتهما، وبشرتهما بأمان رسول الله ﷺ لهما، فأقاما عندها يومين ثم مضيا.

ولما أراد ﷺ أن يدخل مكة ويطوف بالبيت، إغتسل ﷺ وصلى ثماني ركعات وذلك ضحى كما ذكرنا آنفا، ثم لبس السلاح ومغفراً من حديد، وقد صفّ له الناس فركب القصواء ومرّ وأبو بكر رضي الله عنه يحادثه إلى جنبه، وعبد الله بن أم مكتوم بين يديه بين الصفا والمروة وهو يقول: (أي ابن أم مكتوم)

يا حبذا مكة من وادي   أرض بها أهلي وعوادي
أرض بها أمشي بلا هادي   أرض بها ترسخ أوتادي

حتى إنتهى صل الله عليه وسلم إلى الكعبة، فتقدم على راحلته فأستلم الركن بمحجنة وكبر، فكبر المسلمون لتكبيره حتى ارتجت مكة تكبيراً. فأشار إليهم أن أسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون. ثم طاف ومحمد بن مسلمة آخذ بزمامها.

(1) يعني بذلك: يوم كتبت قريش الصحيفة الظالمة، التي قاطعت بها بني هاشم وحصروهم في هذا الشعب . المكان الذي أشار إليه النبي ﷺ ووقف عنده.
(2) رواه البخاري.

وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً مثبتة بالرصاص، وهبل أعظمها، وهو وجاه باب الكعبة، وإساف ونائلة حيث ينحرون ويذبحون! فجعل رسول الله صل الله عليه وسلم كلما مرّ بصنم منها يشير في قضيب بيده ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)[1] فيقع الصنم لوجهه. فطاف سبعاً يستلم الركن بمحجنه في كل طواف.

فلما فرغ من طوافه ﷺ نزل عن راحلته وانتهى إلى المقام، فصلى ﷺ ركعتين ثم انصرف إلى زمزم فنزعوا له دلواً فشرب منه. ولم يسعَ بين الصفا والمروة لأنه لم يكن يومئذ معتمراً.

وأمر بهبل فكسر وهو واقف عليه، فقال الزبير بن العوام لأبي سفيان: يا أبا سفيان! قد كسر هبل! أما إنك كنت منه يوم أحد في غرور، حين تزعم أنه قد أنعم؟! فقال: دع هذا عنك يا ابن العوّام، فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان.

العفو عند المقدرة وإسلام قريش وخطبته صل الله عليه وسلم

ثم إن النبي ﷺ لجالس في المسجد والناس حوله والعيون شاخصة إليه، ينتظرون ما هو فاعل بمشركي قريش الذين آذوه، وأخرجوه وقاتلوه، ولكن في مثل هذا الموقف تظهر مكارم الأخلاق وإنه حقا على خلق عظيم. فقال ﷺ: يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً! أخ كريم وابن أخ كريم! قال اذهبوا فأنتم الطلقاء. ثم قال: مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته: "لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين"[2].

ثم اجتمعت قريش وفشا فيهم الإسلام، وتقدموا لمبايعته صل الله عليه وسلم فجلس على الصف، وجلس عمر بن الخطاب أسفل مجلسه يأخذ على الناس، فبايعوا على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما إستطاعوا. فقال: لا هجرة بعد الفتح[3].

غسل الكعبة ومفتاح الكعبة

وتجرد الرجال في الأزر، ثم أخذوا الدلو فغسلوا ظهر الكعبة وبطنها حتى جرى الوادي من الماء، فلم يدعوا فيها صورة ولا أثراً من آثار المشركين إلا محوه.

---

(1) من سورة الاسراء اية 81.

(2) من سورة يوسف اية 92.

(3) رواه الشيخان.

ثم أمر النبي صل الله عليه وسلم بفتح الكعبة فدعا بعثمان بن طلحة -وكان قد أسلم مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهم- وقال: أئتني بالمفتاح، فذهب عثمان إلى أمه سُلافة بنت سعيد -وكانت لم تسلم بعد- ثم أسلمت بعد ذلك، فلما جاءها ابنها عثمان ليأخذ منها المفتاح أبت أن تعطيه فقال: يا أمه! ادفعي لي المفتاح فإنه رسول الله ﷺ، فأبت وقالت: لا واللات والعزى لا أعطيه، فقال لها: لا لات ولا عزى قد جاء أمر غير ما كنا فيه، والله لتعطنّه! وإن لم تفعلي قتلت أنا وأخي، وأنت قتلتينا[1]، ووالله لتدفعنه أو ليأتي غيري فيأخذه منك.

قال الزهري: وأبطأ عثمان على رسول الله ﷺ وهو ينتظر، حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق ويقول: ما يحبسه؟ فبينما عثمان يكلم أمه إذ سمعت صوت أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الدار، وعمر رافع صوته وهو يقول: يا عثمان اخرج! فقالت: يا بني خذ المفتاح فإن تأخذه أنت أحب إليّ من أن يأخذه غيرك.

فأخذه عثمان حتى إذا أتى الرسول ﷺ استقبله ببشر، ففتح له عثمان الباب، فدخلها النبي ﷺ ودخل معه أسامة بن زيد وبلال بن رباح، وعثمان بن طلحة. فمكث فيها وصلى ﷺ ركعتين، ووقف خالد بن الوليد يذب الناس عنه حتى خرج صلى الله عليه وسلم والمفتاح في يده فوقف على باب البيت وأخذ بعضاضتيه، وأشرف على الناس وفي يده المفتاح، ثم جعله في كمه وقال وقد جلس الناس:

قال فيها: الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ألا إن كل ربا في الجاهلية أو دم أو مال، أو مأثرة فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت، وسقاية الحاج، ألا وفي قتيل العصا والسوط، الخطأ شبه العمد، الدية مغلظة مائة ناقة، منها أربعون في بطونها أولادها! إن الله قد أذهب نخوة الجاهلية وفخرها بآبائها، كلكم لآدم، وآدم من تراب، فأكرمكم عند الله اتقاكم. ألا إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرام الله، لم تحلّ لأحد كان قبلي ولا تحلّ لأحد كائن بعدي، ولم تحلّ لي إلا ساعة من النهار، ألا لا ينفر صيدها، ولا يعضد عضاهها[2] ولا تحل لقطتها إلا منشد[3]،

(1) أي تكوني أنت سبب قتلنا .
(2) العضاة : شجر له شوك. ويعضد: يقطع .
(3) اللقطة: ما يسقط في الأرض من مال أو متاع سهواً . ولا تحل هذه اللقطة أو الضالة إلا لمنشد، وتفصيل ذلك في كتب الفقه: باب اللقطة.

ولا يختلى خلاها[1] فقال العباس رضي الله عنه: إلا الإذخر[2] يا رسول الله فإنه لا بدّ منه للقبور وظهور البيوت! فسكت برهة ثم قال: إلا الاذخر فإنه حلال. ولا وصية لوارث، وإن الولد للفراش وللعاهر الحجر، ولا يحل لامرأة تعطى من مالها إلا بإذن زوجها[3]. والمسلم أخو المسلم، والمسلمون إخوة، والمسلمون يد واحدة على من سواهم، يتكافئون في دمائهم، يرد عليهم أقصاهم، ويعقد عليهم أدناهم، ومشدهم على مضعفهم. قويهم على ضعيفهم. ومسيرهم على قاعدهم[4]. ولا يقبل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين، ولا جلَبَ ولا جنَبَ[5] ولا تؤخذ صدقات المسلمين إلا في بيوتهم وبأفنيتهم ولا تنكح المرأة على عمتها وخالتها، والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر. ولا تسير امرأة مسيرة ثلاث إلا مع ذي محرم، ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح!! وأنهاكم عن صيام يومين: يوم الأضحى ويوم الفطر، وعن لبستين: لا يَحْتَبِ أحدكم في ثوب واحد يفضي بعورته إلى السماء، ولا يشتمل الصماء[6] ولا إخالكم إلا وقد عرفتموها.

ثم قال: يا معشر قريش! ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم (وقد قدرت). فقال: فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف: (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين). اذهبوا فأنتم الطلقاء. فسري عنهم وانطلقوا كأنهم نشروا من القبور، ودخلوا في دين الله أفواجاً.[7]

ردّ المفتاح

ثم نزل ومعه المفتاح فتنحى ناحية فقال: ادعوا إليّ عثمان ابن طلحة، فأقبل عثمان، فناوله صل الله عليه وسلم المفتاح وقال: خذوها يا بني طلحة تالدة خالدة، ولا ينزعها منكم إلا ظالم! يا عثمان! إن الله

(1) الخلا: الحشيش والنبات من بقول الربيع ما دام رطباً، واختلى: قطع أو نزع.
(2) الإذخر: نبات يشبه الحرمل، ينبت في أرض الحجاز.
(3) فربما تكون: (تعطى من مال زوجها إلا بإذنه) فلتراجع في كتب الحديث والفقه.
(4) المسيّر: للغزو.
(5) لا جلب ولا جنب: قيل في سباق الخيل. وقيل: في الصدقات وله تفصيل مطول في الإمتاع ص 387 .
(6) يشتمل الصماء: أي العمامة بلا عذبة.
(7) وقد اختلف في موضع هذه الكلمة: "يا معشر قريش ما تظنون... الخ"، والأرجح أنها في هذا المكان وبعد الخطبة والله أعلم.

استأمنكم على بيته، فكلوا بالمعروف. فلما ولى عثمان ناداه ﷺ فرجع إليه. فقال له: ألم يكن الذي قلت لك؟[1] قال: بلى! اشهد أنك رسول الله. وأقرّ ﷺ السقاية لعمه العباس.

البيعة على الإسلام

وأقبل الناس يبايعون على الإسلام. وكانت البيعة تختلف بإختلاف الأشخاص، وكان الرسول صل الله عليه وسلم يلقن كلاً على حسب إستعداده.

ومنها: اخرج الحسن بن سفيان والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم، والحاكم والبيهقي، وابن عساكر، عن بشير بن الخصاصية رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صل الله عليه وسلم لأبايعه فقلت: علام تبايعني يا رسول الله؟ فمدّ رسول الله صل الله عليه وسلم بيده فقال: تشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وتصلي الصلوات الخمس لوقتها، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، وتجاهد في سبيل الله! قلت: يا رسول الله! كلاً نطيق إلا اثنتين فلا أطيقهما: الزكاة، والله مالي إلا عشر زود[2] هن رسلُ وهي وحمولتهنّ[3]، وأما الجهاد، فإني رجل جبان، ويزعمون أنه من ولى فقد باء بغضب من الله، وأخاف إن حضر القتال أن أخشع بنفسي فأفرّ فأبوء بغضب من الله! فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها ثم قال: يا بشير! لا صدقة، ولا جهاد، فبم إذن تدخل الجنة؟ قلت: يا رسول الله ابسط يدك أبايعك. فبسط يده فبايعته عليهنّ كلهنّ.

وأخرج الشيخان عن مجاشع بن مسعود رضي الله عنه قال: أتيت النبي صل الله عليه وسلم أنا وأخي فقلت: بايعنا على الهجرة فقال: مضت الهجرة لأهلها، فقلت: علام تبايعنا؟ قال: على الإسلام والجهاد.

معاتبة خالد بن الوليد

وقال لخالد بن الوليد رضي الله عنه: لم قاتلت وقد نهيت عن القتال؟ فقال: هم يا رسول الله بدؤنا بالقتال ورشقونا بالنبل، ووضعوا فينا السلاح، وقد كففت ما استطعت، ودعوتهم إلى الإسلام وأن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فأبوا، حتى إذا لم أجد بداً قاتلتهم، فظفرنا الله عليهم وهربوا في كل وجه يا رسول الله! فقال: فكفّ عن الطلب، قال: قد فعلت يا رسول الله. قال: قضاء الله خير.

---

(1) كان رسول الله ﷺ قبل الهجرة أراد أن يدخل الكعبة فلم يعطه عثمان المفتاح، ومنعه الدخول، وذلك قبل أن يسلم عثمان، فقال له ﷺ لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت، فقال عثمان: لقد هلكت إذن قريش وذلك! فقال: بل عمرت وعزّت يومئذ.

(2) الزود من الإبل: ما بين السنتين إلى التسع.

(3) رسلُ أهلي وحمولتهنّ: أي هنّ لبن أهلي وغذاؤهم، وحمولتهم.

12. أذان بلال رضي الله عنه وإسلام سادة قريش وبيعة النساء

ثم حان وقت الظهر، فأمر رسول الله صل الله عليه وسلم بلالاً رضي الله عنه أن يؤذن فوق ظهر الكعبة وكانت قريش فوق رؤوس الجبال وقد فرّ وجوههم وتغيبوا خوفاً من القتل، فلما أذن بلال ورفع صوته وقال: أشهد أن محمداً رسول الله، قالت جويرية بنت أبي جهل: قد لعمري رفع لك ذكرك، أما الصلاة فسنصلي، والله لا نحب من قتل الأحبة أبداً، ولقد كان جاء أبي الذي جاء محمداً من النبوة فردها وكره خلاف قومه. وقال خالد بن الأسيد: الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع هذا اليوم! وقال الحارث بن هشام: وا ثكلاه، ليتني مت قبل هذا اليوم، قبل أن أسمع بلالاً ...، وقال الحكم بن أبي العاص: هذا والله الحدث العظيم، أن يصيح عبدُ بني جمح على بَنِيَّة أبي طلحة وقال سهيل بن عمرو: إن كان هذا سخطاً لله فسيغيره، وان كان لله رضاً فسيقره. وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أقول شيئاً، لو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصباء! فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم.

إسلام بن منبه وسهيل بن عمرو

ثم أتى الرسول ﷺ يعلى بأبيه بن منبه فقال: يا رسول الله! بايع أبي على الهجرة فقال: لا، بل أبايعه على الجهاد، فقد انقضت الهجرة. وكان سهيل بن عمرو أغلق عليه بابه، وبعث إلى ابنه عبد الله بن سهيل أن يأخذ له أماناً، فأمنه رسول الله ﷺ وقال: من لقي سهيل بن عمرو فلا يشدّ النظر إليه! فلعمري إن سهيلاً له عقل وشرف، وما مثل سهيل جهل الإسلام، ولقد رأى ما كان يوضع فيه إنه لم يكن له بنافع. فخرج عبد الله إلى أبيه فأخبره، فقال سهيل: كان والله براً صغيراً وكبيراً! فخرج وشهد حنيناً وأسلم بالجعرانة.

إسلام ابن الزبعري

وهرب هبيرة بن أبي وهب –زوج أم هانئ بنت أبي طالب– هو وعبد الله بن الزبعري القرشي السهمي إلى نجران، فبعث حسان بن ثابت بشعر إلى ابن الزبعري فجاء. ولما نظر رسول الله صل الله عليه وسلم إليه قال: هذا ابن الزبعري ومعه وجه فيه نور الإسلام، فأسلم. ومات هبيرة بنجران مشركاً.

إسلام حويطب

أخرج الحاكم[1] عن المنذر بن جهم قال: قال حويطب بن عبد العزى: لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح، وخفت خوفاً شديداً، فخرجت من بيتي وفرقت عيالي في مواضع يأمنون فيها، فإنتهيت إلى

(1) الحاكم في (جزء3 ص493).

حائط عوف فكنت فيه! فإذا أنا بأبي ذر الغفاري –رضي الله عنه– وكانت بيني وبينه خلة، فلما رأيته هربت منه. فقال: أبا محمد! فقلت لبيك. قال: مالك؟ قلت: الخوف! قال: لا خوف عليك، أنت آمن بأمان الله عز وجل. فرجعت إليه فسلمت عليه فقال: أذهب إلى منزلك. قلت: هل لي سبيل إلى منزلي؟ والله ما أراني أصل إلى بيتي حياً حتى ألقى فأقتل، أو يدخل عليّ منزلي فأقتل، وإن عيالي لفي مواضع شتى. قال: فأجمع عيالك في موضع وأنا أبلغ معك إلى منزلك. فبلغ معي وجعل ينادي عليّ: أن حويطباً آمن! فلا يهج. ثم انصرف أبو ذر إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: أوليس قد أمن الناس كلهم إلا من أمرت بقتلهم؟ قال: فأطمأننت ورددت عيالي إلى منازلهم، وعاد إليّ أبو ذر فقال لي: يا أبا محمد! حتى متى؟ وإلى متى؟ قد سُبقتَ في المواطن كلها وفاتك خير كثير، وبقي خير كثير، فأتى رسول الله ﷺ فأسلم تسلم! ورسول الله ﷺ أبرّ الناس، وأوصل الناس، وأحلم الناس، شرفه شرفك، وعزه عزك. قال قلت: فأنا أخرج معك فآتيه، فخرجت معه حتى أتيت رسول الله ﷺ بالبطحاء وعنده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فوقفت على رأسه وسألت أبا ذر: كيف يقال إذا سلم عليه؟ قال: قل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته! فقلتها فقال: وعليك السلام! حويطب؟ فقلت نعم: أشهد أن لا اله إلا الله وأنك رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي هداك. قال: وسرّ رسول الله ﷺ بإسلامي، واستقرضني مالاً فأقرضته أربعين ألف درهم، وشهدت معه حنيناً والطائف، فأعطاني من غنائم حنين مائة بعير.

إسلام صفوان بن أمية

أخرج الواقدي وابن عساكر عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: لما كان يوم الفتح أسلمت امرأة صفوان بن أمية –البغوم بنت المعدل من كنانة– وأما صفوان بن أمية فهرب حتى أتى الشعب، وجعل يقول لغلامه يسار: وليس معه غيره ويحك! أنظر من ترى؟ قال: هذا عمير بن وهب[1]، قال صفوان: ما أصنع بعمير؟ والله ما جاء إلا يريد قتلى، قد ظاهر محمداً عليّ فلحقه فقال: يا عمير! ما كفاك ما صنعت بي؟ حملتني على دينك وعيالك. ثم جئت تريد قتلى. قال: أبا وهب! جعلت فداك، جئتك من عند أبرّ الناس، وأوصل الناس، وإن رسول الله صل الله عليه وسلم قد آمنك[2]. فقال صفوان: لا، والله لا أرجع معك حتى تأتيني لعلامة أعرفها، فرجع عمير إلى النبي ﷺ يطلب علامة، فقال: خذ

(1) نظر وصية عمير في غزوة بدر، في فداء الأسرى، لما جاء ليقتل النبي ﷺ.

(2) وقد كان عمير قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، سيد قومي ـ صفوان ـ خرج هارباً ليقذف نفسه في البحر، وخاف أن لا تؤمنه ، فآمنه فداك أبي وأمي. فقال: قد آمنته، فخرج في إثره.

عمامتي! فرجع عمير بها إلى صفوان. وهو البرد الذي دخل فيه رسول الله ﷺ معتمراً –برد حبرة– فقال أبا وهب! قد دعاك رسول الله ﷺ إلى أن تدخل في الإسلام، فإن يسرك وإلا سيرك شهرين، فهو أوفى الناس، وأبرهم! وقد بعث إليك ببرده الذي دخل به معتمراً قال: فأخرجه، فعرفه فقال: نعم هو هو! فرجع عمير ومعه صفوان حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي بالناس العصر في المسجد فوقفا. فقال صفوان: كم يصلون في اليوم والليلة؟ قال: خمس صلوات قال: يصلي بهم محمد؟ قال: نعم. فلما سلم من صلاته صاح صفوان: يا محمد! إن عمر بن وهب جاءني ببردك وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيت أمراً وإلا سيرتني شهرين! قال: انزل أبا وهب. قال: لا والله، حتى تبين لي. قال: بل لك تسير أربعة أشهر. فنزل صفوان.

ولما خرج رسول الله صل الله عليه وسلم لحرب هوازن، خرج معه صفوان وهو كافر. وأرسل إليه ﷺ يستعيره سلاحه، فأعار سلاحه مائة درع بأداتها، وشهد مع المسلمين حنيناً والطائف، ثم رجع ﷺ غانماً إلى الجعرانة. كما سيأتي. فبينما رسول الله ﷺ يسير في الغنائم ينظر إليها –ومعه صفوان بن أمية– فجعل صفوان ينظر إلى شعب مليء نعماً وشاءاً ورعاءاً، فأدام النظر إليه، ورسول الله ﷺ يرمقه فقال: أبا وهب! يعجبك هذا الشعب؟ قال: نعم. قال: هو لك وما فيه. فقال صفوان عند ذلك: ما طابت نفس أحد بمثل هذا، إلا نفس نبي. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأسلم مكانه(1).

إسلام أبي قحافة وفضالة بن عمير بن الملوح

وذهب أبو بكر رضي الله عنه إلى والده عثمان –ويكنى بأبي قحافة– فجاء به يقوده وقد كف بصره، فلما رآه النبي ﷺ قال: هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه. فقال أبي بكر رضي الله عنه: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه. فأجلسه بين يدي رسول الله ﷺ فمسح صدره وقال: أسلم تسلم. فأسلم رضي الله عنه وهنأ رسول الله ﷺ أبا بكر بإسلام أبيه رضي الله عنهما.

وكان فضالة بن عمير بن الملوح، حدث نفسه بقتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت يوم الفتح! فلما دنا منه رسول الله ﷺ قال: أفضالة؟ قال: نعم، فضالة يا رسول الله، قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله! فضحك النبي ﷺ ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه. فكان فضالة رضي الله عنه يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً أحبّ إليّ منه! قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت: هلمّ إلى الحديث، فقلت: لا. ثم أنشد قائلاً:

---

(1) عن كنز العمال ج5 ص294/ حياة الصحابة. ج1 ص160 .

قالت هلمّ إلى الحديث فقلت لا   يأبى عليّ الله والإسلام
لو ما رأيت محمداً وقبيله بالفتح يوم تك   لرأيت دين الله أضحى بيّنا
والشرك يغشى وجهه الإظلام سر الأصنام

إسلام عكرمة بن أبي جهل

وطلبت أم حكيم –إمرأة عكرمة بن أبي جهل– أماناً لعكرمة وقد هرب إلى اليمن فأمنه فخرجت إليه امرأته حتى قدم، فلما دنا من مكة قال رسول الله صل الله عليه وسلم يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذى الحي ولا يبلغ إليه! فلما رآه وثب إليه فرحاً فوقف ومعه امرأته منتقبة فقال: يا محمد إن هذه أخبرتني أنك أمنتني فقال: صدقت فأنت آمن.[1]

قال عكرمة: فإلام تدعوا يا محمد؟ قال: أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله؛ وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتفعل وتفعل حتى عد خصال الإسلام. فقال عكرمة: والله ما دعوت إلا إلى الحق وأمر حسن جميل؛ قد كنت والله فينا قبل أن تدعوا إلى ما دعوت إليه وأنت أصدقنا حديثاً وأبرنا براً! ثم قال عكرمة: فإني أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فسر بذلك رسول الله صل الله عليه وسلم. ثم قال: يا رسول الله! علمني خير شيء أقول فقال تقول: أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فقال عكرمة: ثم ماذا؟ قال رسول الله ﷺ وتقول: أشهد والله وأشهد من حضر أني مسلم مجاهد فقال عكرمة ذلك.[2]

فقال النبي ﷺ لعكرمة: لا تسألني اليوم شيئاً أعطيه أحداً أعطيتكه، قال عكرمة: فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتكها، أو مسيراً وضعت فيه أو مقام لقيتك فيه أو كلام قلته في وجهك أو أنت غائب عنه. فقال رسول الله صل الله عليه وسلم: اللهم! اغفر له كل عداوة عادانيها وكل مسير سار فيه إلى موضع سار فيه لإطفاء نورك واغفر له ما نال من عرضي في وجهي أو أنا غائب عنه. فقال عكرمة: رضيت يا رسول الله! ثم قال عكرمة: أما والله يا رسول الله لا أدع نفقة كنت أنفقتها في صدٍ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله ولا قتالاً كنت أقاتل في صد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله ثم اجتهد في القتال حتى قتل شهيداً رضي الله عنه.

(1) ابن سعد ج5 صـ451= رواية ثانية في إسلام عكرمة: وهي في الورقة التالية.
(2) ملخص من حياة الصحابة جزء (1) ص 259-260 (تمامه حتى قبل يوم أجنادين في خلافة أبي بكر رضي الله عنه).

وكان عبد الله بن أبي سراح قد أسلم ثم ارتد ولحق بمكة وصار يتكلم بكلام قبيح في حق النبي صل الله عليه وسلم فأهدر ﷺ دمه يوم الفتح! فلجأ إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان أخاً له من الرضاع فقال: يا أخي استأمن لي من رسول الله قبل أن يضرب عنقي. فأمنه عثمان رضي الله عنه ثم ذهب به إلى رسول الله ﷺ وأسلم وحسن إسلامه[1] وكان له مواقف محمودة في الفتوحات الاسلامية.

أما وحشي فقد أمر الرسول ﷺ بقتل وحشي ففر إلى الطائف حتى قدم في وفدهم فأسلم فقال له صل الله عليه وسلم: غيب عني وجهك! فكان إذا رأى ﷺ توارى عنه. وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي بن حرب قاتل حمزة رضي الله عنه يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه يا محمد! كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً وأنا صنعت ذلك! فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله عز وجل: (إلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً)[2] فقال وحشي: يا محمد! هذا شرط شديد وإلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فلعلي لا أقدر على هذا فأنزل الله عز وجل (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا)[3]. فقال وحشي: يا محمد! هذا أرى بعد مشيئة فلا أدري هل يغفر لي أم لا فهل غير هذا؟ فأنزل الله عز وجل:(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[4] قال وحشي: هذا نعم فأسلم فقال الناس: يا رسول الله! إنا أصبنا ما أصاب وحشي قال: هي للمسلمين عامة.[5]

(1) وولاه مصر في عهد خلافته وكان أحد القادة العسكريين عنده. روا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ، اخْتَبَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَجَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ. فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى. فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: (أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ، فَيَقْتُلُهُ؟ فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، أَلَا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ) رواه أبو داود (4359) بإسناد صحيح والألباني في " السلسلة الصحيح.(301 /4)

(2) سورة الفرقان آية70.

(3) النساء ايه 48.

(4) الزمر اية 53.

(5) حياة الصحابة ج1 ص77.

إسلام شيبة ابن عثمان بن أبي طلحة

وكان شيبة بن عثمان بن أبي طلحة يحدث عن سبب إسلامه فيقول ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم بعض ما كان عليه أباؤنا من الضلالات. ولما كان عام الفتح وخرج ﷺ إلى حرب هوازن قلت: أسير مع قريش إلى هوازن بحنين فعسى إن إختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأقتله. فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها؛ قال: لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا أتبع محمداً ما اتبعته. فلما اختلط الناس يوم حنين ونزل ﷺ عن بغلته دلدل أصلت السيف ودنوت منه أريد الذي أريد منه ورفعت السيف حتى كدت أوقع به في الفعل! رفع إليّ شواظ من نار كالبرق كاد يهلكني، فوضعت يدي على بصري خوفاً عليه. قال: فألتفت إلي رسول الله ﷺ وتبسم وعرف الذي أريد فناداني: يا شيبة أدن مني فدنوت منه فمسح صدري ثم قال: اللهم أعذه من الشيطان. قال شيبة: فوالله لهو في الساعة صار أحب إلي من سمعي وبصري وأذهب الله ما كان فيّ. ثم قال: أدن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي والله أعلم أني أحب أن أقيه بنفسي وكل شيء ولو كان أبي حياً ولقيته تلك الساعة لأوقعت السيف به. فجعلت ألزمه فيمن لزمه وثبت معه لما فر الناس من حوله.

قتل سارة وأرنبة

وقتلت سارة مولاة عمرو بن هشام وهي التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعه وكانت لما قدمت مكة بعدما أخذ منها الكتاب قد إرتدت عن الاسلام وصارت تغني بهجاء رسول الله صل الله عليه وسلم فأهدر دمها فقتلت. وأهدر دم أرنبة وفرتنى –قينتا ابن خطل– فقتلت أرنبة وأسلمت فرتنى فنجت.

العفو واسلام غالبية أهل مكة

وهبط ثمانون من أهل مكة –من الذين حاربوا وصدوا المسلمين– على رسول الله صل الله عليه وسلم عند صلاة الفجر مسلمين فعفا عنهم ونزل فيهم: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا)[1].

13. إسلام وبيعة النساء وخبر وفاة حليمة وخبر السرايا

وكان صل الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وأسلمت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان، وأم حكيم امرأة عكرمة، والبغوم امرأة صفوان بن أمية، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وهند بنت

---

(1) الفتح اية 24.

منبه بن الحجاج في عشرة نسوة (من وجوه قريش) فأتين رسول الله ﷺ بالأبطح وعنده زوجتاه، وفاطمة رضي الله عنهن في نساء من نساء بني عبد المطلب فبايعنه ولم تلمس يده يد امرأة.

وقال ﷺ للنساء بايعنني على: أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينني في معروف! فقالت هند: –لما قال لا تسرقن– قالت: والله إني كنت أصيب من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة! وما كنت أدري أكان حلالاً أم لا؟ فقال أبو سفيان –وكان حاضراً– أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل عفا الله عنك, فضحك النبي ﷺ وعرفها فقال: وإنك لهند بنت عتبة؟ قالت: نعم فأعف عما سلف عفا الله عنك يا نبي الله! ولما قال: ولا تزنين قالت: أو تزني الحرة يا رسول الله؟ ولما قال: ولا تقتلن أولادكن قالت: ربيناهم صغاراً فقتلتهم كباراً –تعني يوم بدر– وفي رواية: وهل تركت لنا ولداً إلا قتلته يوم بدر؟ فضحك عمر رضي الله عنه وتبسم ﷺ. ولما قال: ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن قالت: والله إن إتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا برشد ومكارم الأخلاق! ولما قال: ولا تعصينني في معروف. قالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في معروف.

وأهدت هند بنت عتبة –زوجة أبي سفيان– بعد إسلامها هدية لرسول الله ﷺ وهو الأبطح مع مولاة لها جديين مرضوفين وقدٍّ[1] فأنتهت الجارية إلى خيمته فسلمت واستأذنت فأذن لها فدخلت ورسول الله ﷺ بين أم سلمة وميمونة ونساء بني عبد المطلب فقالت: إن مولاتي أرسلت إليك بهذه الهدية وهي معتذرة إليك وتقول: إن غنمنا اليوم قليلة الوالدة فقال: بارك الله لكم في غنمكم وأكثر والدتها!

فسرت هند لما أخبرتها مولاتها بذلك ورأوا من كثرة غنمهم ووالدتها ما لم يكن قبل ولا قريباً منه وكانت هند تقول: هذا بدعاء رسول الله صل الله عليه وسلم وبركته.

وأتته إحدى نساء بني سعد بن بكر –إما خالة أو عمة من الرضاع– بنِحْي[2] مملوءٍ سمناً وجراب أقط[3] –وهو بالأبطح– فعرفها ودعاها إلى الإسلام فأسلمت وأخبرته بوفاة حليمة (مرضعته) فذرفت عيناه وقالت: أخواك وأختاك محتاجون! فأمر لها بكسوة وجمل ومائتي درهم فقالت: نِعْمَ والله المكفول كنت صغيراً، ونِعْمَ المرء كنت كبيراً عظيم البركة.

(1) المرضوف: المشوي على الحجارة المحمية والق: سقاء صغير من جلد السخلة يكون فيه لبن.
(2) النحي: الزق من الجلد يكون فيه السمن خاصة.
(3) الأقط: يتخذ من ألباب الإبل كالجبن أو غيره.

الجزء الثالث عشر
أواخر الفتوحات النبوية : غزوة هوازن في حنين والطائف

1. ما قبل غزوة حنين: أستعدادات المسلمين والمشركين

ثم ولى على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص وكان عمره إحدى وعشرين سنة وجعل معه معاذ بن جبل يعلم الناس أمر دينهم! وكان راتب عتاب كل يوم درهماً فكان رضي الله عنه يقول: لا أشبع الله بطناً جاع على درهم كل يوم. ويقال: أنه خطب الناس فقال: أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول لله صل الله عليه وسلم كل يوم درهماً فلا حاجة لي إلى أحد. وبقي في عمله إلى آخر خلافة الصديق رضي الله عنه وكان عتاب رضي الله عنه من فضلاء الصحابة شديداً على المريب ليناً على المؤمن! وقال: والله لا أعلم متخلفاً يتخلف عن الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق.

وروي أنه لما ولاه ﷺ قال له: يا عتاب! أتدري على من استعملتك؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: استعملتك على أهل الله! فأستوص بهم خيراً, يقول ذلك ثلاث مرات! يكرر فأستوص بهم خيراً –ثلاث مرات– ثم قال ﷺ: بلغ عني أربعاً: لا يصلح شرطان في بيع ولا بيع وسلف ولا بيع ما لم يضمن.[1]

استعدادات المشركين: إخراج النساء والذراري

أما في هوازن فقد أمرهم سيدهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم ومواشيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم كي يثبتوا ولا يفروا عند الحرب فلما نزلوا بأوطاس قال دريد بن الصمة: ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر؟ قال: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم! قال: أين هو؟ فحضر بين يديه.

فقال دريد لمالك بن عوف: إنك تقاتل رجلاً كريماً قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود إما قتلاً وإما إخراجاً!! فقال له مالك: لا نخالفك في أمر تراه؛ فقال: يا مالك قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم له ما بعده من الأيام! مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير..؟ قال: سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال: ولم؟ قال: أردت أن أجعل مع كل رجل أهله وماله يقاتل عنهم. فزجره ثم قال له: رويعي[2] ضأن، والله ماله وللحرب؟ ثم أشار عليه برد الذرية والأموال وقال: هل يرد المنهزم شيء؟ هي إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك

(1) بالحديث الذي اخرجه البيهقي بإسناد جيد قال رسول الله ﷺ: إنِّي قد أمَّرتُكَ على أَهلِ اللَّهِ بتقوى اللَّهِ عزَّ وجلَّ , ولا يأْكُل أحدٌ منْهم من ربحِ ما لم يضمَنْ , وانْهَهم عن سلَفٍ وبيعٍ وعنِ الصَّفقتينِ في البيعِ الواحدِ , وأن يبيعَ أحدُهم ما ليسَ عندَهُ.

(2) رويعي: تصغير راعٍ.

ومالك فلم يقبل منه وقال له إني لأطمع أن ترى ما يسرك قال: إذاً رد النساء والأموال وأبق معك الرجال. فقال مالك: والله لا أطيعك, إنك كبرت وضعف رأيك فقال دريد: يا معشر هوازن! إن هذا فاضحكم في عورتكم وممكن منكم عدوكم ولاحق بحصن وتارككم فأنصرفوا عنه فأبوا فلما رأى دريد أنهم خالفوه قال:

ياليتني فيها جذع أَخُبُّ فيها وأضع[1]

أقود مطفاء الزمع كأنها شاة صَدَع[2]

ثم أمر مالك بالخيل فجعلت صفوفاً وجعل المشاة خلفهم ثم جعل النساء فوق الأبل وراء المقاتلة صفوفاً ثم جعل الإبل والبقر والغنم وراء ذلك ثم قال للناس: إذا رأيتموني شددت عليهم فشدو عليهم شدة رجل واحد.

2. خروج المسلمين للغزوة وإستعداداتهم المسلمين

ولما بلغ النبي صل الله عليه وسلم إجتماعهم وتحزبهم أجمع على الخروج إليهم وكان خروجه من مكة يوم السبت لست خلون من شوال وخرج معه اثنا عشر ألف رجل عشرة آلاف الذين قدم بهم من المدينة وألفان من أهل مكة –وهم الطلقاء– وخرج أهل مكة ركباناً ومشاة وكثير منهم خرجوا على غير دين يرجون الغنائم ولا يهمهم لمن يكون النصر ولكن لا يكرهون الدولة والنصر لرسول الله ﷺ.

واستعار رسول الله صل الله عليه وسلم من صفوان بن أمية مائة درع بأداتها وخرج صفوان وهو مشرك مع المسلمين وأستعار الرسول ﷺ من نوفل بن الحارث بن عبد المطلب –ابن عمه ﷺ– رماحه وكان عنده رماحاً كثيرة وقال: كأني أنظر إلى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين.

ترتيب جيش المسلمين

ولما قرب الرسول ﷺ من محل العدو رتب أصحابه وصفهم ووضع الأولوية والرايات مع المهاجرين والأنصار ثم رتب قبائل العرب التي كانت معه وفرق عليهم الأولوية والرايات، ولبس صل الله عليه وسلم درعين والبيضة والمغفر وركب بغلته البيضاء (دلدل)[3].

---

(1) الجذع: الصغير السن أخب وأضع: وهما ضربان من العدو (الركض).

(2) وطفاء الزمع: وصف للفرس الغزيرة الشغر. الصدع: الوعل الحديث السن ، يريد الفرس الشديد، الصلب القوي، كالوعل ، يتوغل بالجبال.

(3) بغلة االرسول ﷺ التي كان يركبها في غزواته أهداها له المقوقس شهبا، يقال لها: دُلدل كما ذكرنا انفا وقد عاشت هذه البغلة بعد وفاته، وكانوا يطعمونها البُرّ في فمها عندما هرمت وسقطت أسنانها. ويقال إنها عاشت إلى ما بعد الخلفاء الراشدين، وأنها ماتت في ينبع.

وأرسل النبي صل الله عليه وسلم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي رضي الله عنه وأمره أن يدخل هوازن ويسمع منهم ما أجمعوا عليه فدخل فيهم وتوغل بينهم حتى اطلع على كل شيء ثم أتى النبي صل الله عليه وسلم وأخبره بأنه إنتهى إلى خباء مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن فسمعه يقول لأصحابه: إن محمداً لم يقاتل قوماً أشداء قط وإنما كان يلقى قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم! فإذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم ثم صفوا ثم بادؤوهم بالحملة واكسروا أغماد سيوفكم واحملوا حملة رجل واحد واعلموا أن الغلبة بمن حمل أولاً.

تجسس هوازن

ثم أرسل مالك بن عوف ثلاثة نفر عيوناً وجواسيس يدخلون بين المسلمين فرجعوا إلى مالك وقد تفرقت أوصالهم من الفزع وقالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى وإن أطعتنا رجعت بقومك فإنا أهل الأرض إن نقاتل إلا أهل السماء فسبهم وحبسهم عنده خوفاً أن يشيع ذلك في جيشه فلم يصرفه ذلك ومضى على ما يريد.

إعجاب بعض المسلمين بكثرتهم والتقاء الجيشين

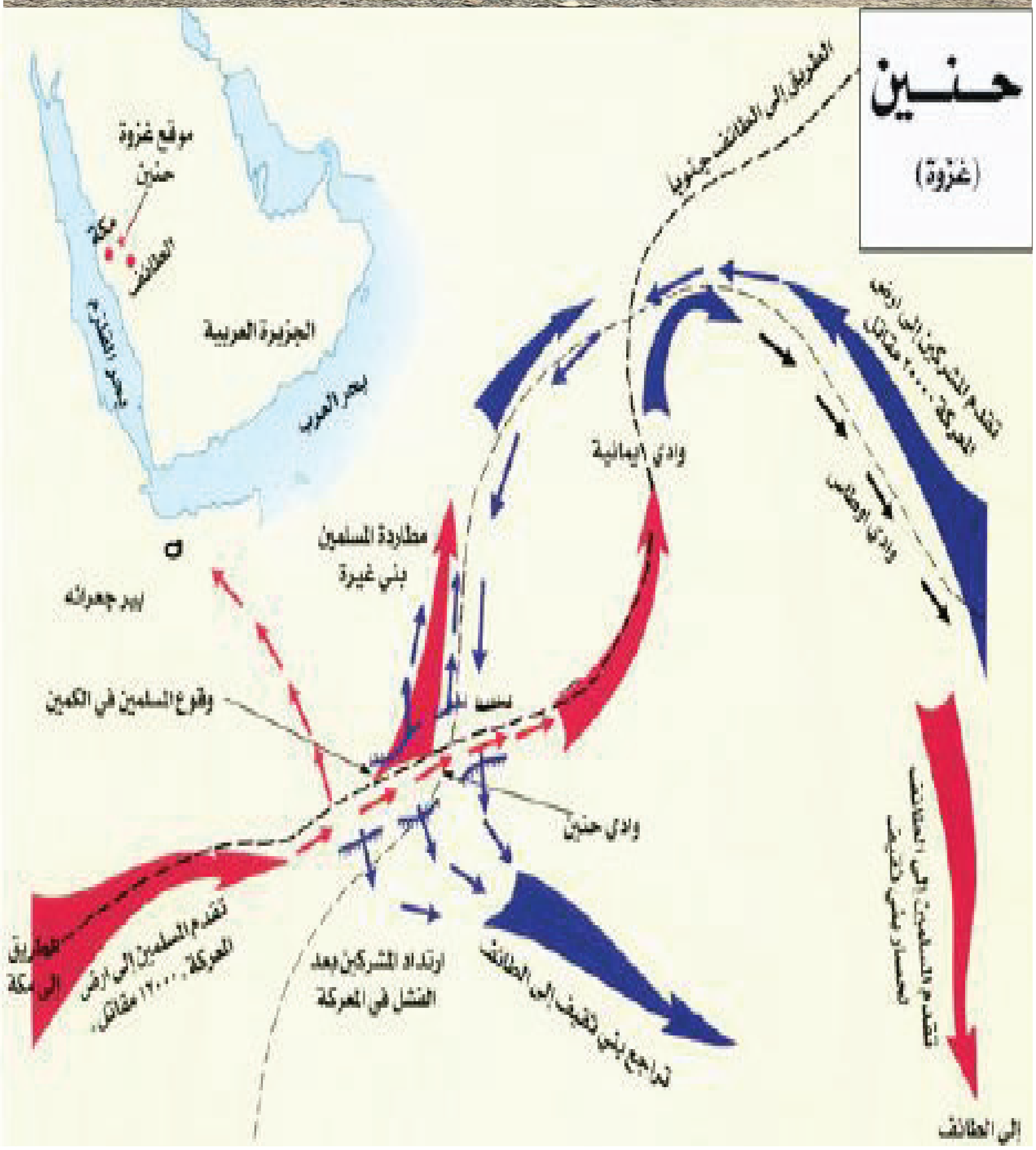
وبينما يسير جيش المسلمين على تعبئته وكثرته واستعداده فنظر رجل من بني بكر وقال: لن نهزم اليوم عن قلة! فشق ذلك على النبي ﷺ وأنزل الله تعالى في ذلك: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ)[1].

ولما كان صل الله عليه وسلم بحنين (انظر خريطة وموقع وادي حنين) انحدر بأصحابه في وادي حنين وهو على تعبئته وحض المسلمين على القتال وبشر بالفتح إن صدقوا وصبروا واستقبلتهم هوازن في غبش الصبح في كثرة لم يروا مثلها قط فحملوا عليهم حملة رجل واحد وكان رماة هوازن فأستقبلوهم بالنبل كأنه جراد منتشر ثم جاءهم الكمين من ورائهم وقد كمنوا لهم في شعاب الوادي ومضايقه وصاروا ينضحون الخيل بالنبل –والخيل لا تصبر على النبل– فأنكشف أول الخيل خيل بني سليم مولية فلووا وتبعهم أهل مكة ثم تبعتهم الناس منهزمين لا يلوون على شيء فألتفت صل الله عليه وسلم يميناً وشمالاً والناس منهزمون فأنحاز ذات اليمين وبقى معه نفر قليل لم يفروا وثبتوا، منهم: أبو بكر وعثمان وعلي والعباس وابنه الفضل –وأبو سفيان بن الحارث ابن عمه ﷺ– وأسامة بن زيد وربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب وأيمن بن أم أيمن وغيرهم قليل رضي الله عنهم جميعا.

---

(1) التوبة اية 25.





مخطط الغزوة ووادي حنين

3. عدد الذين ثبتوا مع الرسول ﷺ وشجاعته ومقالة ضعيفي الإيمان من أهل مكة

وقد اختلف في عدد الذين ثبتوا مع الرسول صل الله عليه وسلم يومئذ! فقيل: مائة، وقيل: ثمانون، وقيل غير ذلك. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولى الناس وبقيت معه في ثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار فثبتنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر! وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ورسول الله ﷺ على بغلته دلدل لم يمض قدماً وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه آخذاً بلجام بغلته دلدل يكفها أن تتقدم في نحر العدو وكان أبو سفيان بن الحارث –ابن عم واخ الرسول صل الله عليه وسلم بالرضاعه– آخذاً ركابه.

ولما كانت هزيمة المسلمين –في أول الحملة– تكلم القوم بما في نفوسهم من الضغن، وكانوا قريبي عهد في الإسلام فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر! فقال أو معتب بن سليم: أما والله لولا أني سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم ينهى عن قتلك لقتلتك! وقال كلدة بن حنبل –أخو صفوان لأمه– : ألا بطل سحر محمد اليوم! فقال له صفوان: أسكت فض الله فاك لأن يربني ربٌّ من قريش أحب إلي من أن يربني ربٌّ من هوازن![1] وقال سهل بن عمرو: والله لا يجتبرها محمد وأصحابه أبداً فقال له عكرمة بن أبي جهل: إن هذا ليس بقول! إنما الأمر بيد الله وليس إلى محمد من الأمر شيء إن أميل عليه اليوم فإن له العاقبة غداً فقال له سهيل: والله إن عهدك بخلافه لحديث! قال: يا أبا يزيد إنا كنا والله نوضع في غير شيء وعقولنا عقولنا، نعبد حجراً لا ينفع ولا يضر[2].

وساق رسول الله صل الله عليه وسلم بغلته دلدل ناحية هوازن وهو يقول:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

وأخذ كفاً من تراب أو حصى فرماه على وجوههم وقال: شاهت الوجوه فما بقي منهم إنسان إلا ملأ الله عينيه من تلك القبضة فعن مالك بن أوس قال: حدثني عدة من قومي شهدوا ذلك اليوم يقولون: لقد رمى رسول الله ﷺ تلك الرمية من الحصى فما منا أحد إلا شكى القذى في عينيه، ولقد كنا نجد في صدورنا كوقع الحصى في الطاس ما يهدأ الخفقان.

ثم قال النبي صل الله عليه وسلم للعباس: –وكان جهوري الصوت– ناد يا عم! يا للأنصار. فنادى فأسمع من في الوادي وصار الأنصار يقولون: لبيك لبيك، ويريد كل واحد منهم أن يلوي عنان بعيره

---

(1) يربني: أي يملكني أو يرأسني أو يتولاني.
(2) كنز العمال ج7 ص75.

فيمنعه من ذلك كثرة الأعراب المنهزمين فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه وينزل عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى اجتمع حول رسول الله ﷺ منهم جمع عظيم, قال تعالى: (ثُمَّ أَنَزلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ)[1].

فكّر المسلمون على عدوهم وحملوا عليهم حملة رجل واحد فهزموهم بإذن الله وتفرقوا في كل وجه لا يلوون على شيء من الأموال والنساء والذراري وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فأسروا كثيراً من الرجال وأخذوا النساء والذراري وغنموا جميع الأموال التي خرجوا بها وهرب الباقون وفي مقدمتهم رئيسهم مالك الذي هرب راجعا إلى الطائف.

4. خبر أم عمارة وصواحباتها والنهي عن الغلول وقتل الذرية والنساء والمماليك

وكانت نسيبة المازنية أم عمارة رضي الله عنها في يدها سيف صارم وأم سليم معها خنجر قد حزمته على وسطها وهي يومئذ حامل بعبد الله بن أبي طلحة وأم سليط وأم الحارث يقاتلن حين انهزم الناس رضي الله عنهن جميعا وأم عمارة تصيح بالأنصار : أية عادة هذه؟ مالكم وللفرار ! وشدت على رجل من هوازن فقتلته وأخذت سيفه وأم سليم امرأة طلحة تقول: يا رسول الله! ما رأيت هؤلاء الذين أسلموا وفروا عنك –تعني أهل مكة حيث هم الذين فروا أولاً– وخذلوك! لا تعف عنهم إذا أمكنك الله منهم أقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين فقال: يا أم سليم قد كفى الله، عافية الله أوسع، وقال أبوطلحة –زوج أم سليم– ماذا تحملين يا أم سليم؟ قالت: خنجراً! قال: وماذا تصنعين به؟ قالت: إذا دنا مني أحد من المشركين بعجته به, قال: أما سمعت يا رسول الله ماذا تقول هذه الرميصاء[2]؟ فتبسم رسول الله صل الله عليه وسلم.

وناد مناديه صل الله عليه وسلم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يغل، وما من رجل من أشجع أيام حنين فقال ﷺ: صلوا على صاحبكم فإنه قد غل. فنظروا فاذا في برديه خرز لا يساوي دينارين. وحنق[3] المسلمون على المشركين فقتلوهم حتى شرعوا في قتل الذرية. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذرية! ألا لا تقتل الذرية فقال أسيد بن حضير رضي الله عنه: يا رسول الله! أليسوا إنما هم أولاد المشركين! فقال صل الله عليه وسلم: أوليس خياركم أولاد المشركين؟

(1) التوبة 26.
(2) أم سليم بنت ملحان الخزرجية صحابية كانت من السابقات إلى الإسلام في يثرب من الأنصار، وهي أم الصحابي أنس بن مالك سيد خدام النبي ﷺ.
(3) غضب شديد.

كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها وأبواها يهودانها أو ينصرانها. وصار القتل في بني مالك من ثقيف فقتل منهم قريب من مائة رجل تحت رايتهم وقتل ذو الخمار وهربت ثقيف.

ومر رسول الله ﷺ بإمرأة مقتولة قتلها خالد بن الوليد فبعث إليه: إن رسول الله صل الله عليه وسلم ينهاك أن تقتل امرأة أو عسيفاً –أي خادماً أو مملوكاً–.

5. قتال علي رضي الله عنه والعفو عن السعدي وقتل دريد

وأمر الرسول ﷺ بطلب القوم وقال: إن قدرتم على بجاد فلا يفلتن منكم وكان بجاد من بني سعد – الذي كان ﷺ مسترضعاً فيهم– وقد قطع رجلاً مسلماً وحرقه بالنار. فأخذته الخيل هو وشيماء بنت الحارث –أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة– وأتوا بهما رسول الله ﷺ فرحب بالشيماء وأجلسها على ردائه وأعطاها بعد ما أسلمت ثلاثة أعبد وجارية فأستوهبته بجاداً فوهبه لها.

ومرت هوازن في هزيمتها إلى الطائف وإلى أوطاس وإلى نخلة[1] فلحقتهم خيل المسلمين تريد من أتى نخلة فأدرك ابن الدغنة دريد بن الصمة فقتله. وتبع أبو عامر عبيد الأشعري –عم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه– من هرب من المشركين إلى أوطاس وكانوا قد عسكروا بها فقاتلهم وقتل منهم تسعة ثم أصيب فأستخلف أبا موسى ففتح الله عليه. ثم لحق رئيس المشركين مالك بن عوف إلى الطائف وكان قد هرب إليها.

قال الحارث بن نوفل حدثني الفضل بن العباس رضي الله عنه قال: ألتفت العباس يومئذ –وقد أقشع الناس عن بكرة أبيهم– فلم ير علياً فيمن ثبت فقال: شوهة وبوهة[2] أوَفي مثل هذا الحال يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله صل الله عليه وسلم؟ وهو صاحبه فيما هو صاحبه –يعني المواطن المشهورة له– فقلت: بعض قولك لابن أخيك أما تره في الرهج؟ قال: أشعره لي يا بني[3]، قلت: هو ذو كذا ذو كذا ذو البرقة. قال: فما تلك البرقة؟ قلت: سيفه يرفل به بين الأقران. فقال: برُّ بن برٍّ!!! فداه عم وخال. قال: وضرب علي يومئذ أربعين مبارزاً كلهم يقده، وكانت ضرباته منكرة.

---

(1) الطائف: قرية معروفة. وأوطاس: واد بديار هوازن. ونخلة: مكان قريب من مكة ـ وفيها نزلت سورة الجن ـ كما تقدم في هجرة الطائف.

(2) شوهة وبوهة: أي بعداً له وهي بمعنى الذم.

(3) اشعره لي: أي صفه لي.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ {25} ثُمَّ أَنَزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا[1] وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾[2].

6. غزوة وحصار الطائف وموقع رسول الله ﷺ والمنجنيق

ولما خرج صل الله عليه وسلم من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة سار إلى الطائف وجعل خالد بن الوليد رضي الله عنه على مقدمته في ألف من أصحابه وكانت ثقيف لما إنهزموا –من حنين– إلتحقوا بحصنهم فدخلوه ومعهم مالك بن عوف وجمع من أشراف هوازن وأدخلوا معهم ما يصلحهم من القوت لمدة سنة وتهيئوا للقتال. ولما وصل خالد بن الوليد رضي الله عنه الطائف نزل بمن معه من المسلمين قريباً من الحصن وعسكر هناك فرماهم المشركون من فوق الحصن رمياً شديداً حتى أصيب منهم كثير بجراحات منهم: عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهم وقد طاوله جرحه حتى أماته في خلافة أبيه، ومنهم أبو سفيان بن حرب فقئت عينه، وقد مات من هذه الجراحات اثنا عشر رجلاً من المسلمين.



حصون وقلاع الطائف الاثرية

(1) جنوداً لم تروها: وهم الملائكة ، فإن المسلمين لم يروهم، ولكن رآهم المشركون ليزدادوا رعباً ، وكان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمراً قد أرخوها بين أكتافهم.

(2) التوبة: اية 26.

ونزل الرسول ﷺ في محل مسجد الطائف اليوم بجانب الجيش وضرب لأم سلمة وزينب رضي الله عنهما خيمتين هناك وحاصرهم ثمانية عشر يوماً كان فيها ينادي خالد بن الوليد بالمبرازه فلم يجبه أحد وناداه عبد ياليل: لا ينزل إليك منا أحد، ولكن نقيم في حصننا؛ فإن فيه من الطعام ما يكفينا سنة فإن أقمت حتى يفنى هذا الطعام خرجنا إليك بأسيافنا جميعاً حتى نموت عن آخرنا. وكان ﷺ يصلي ركعتين ركعتين بين قبتي أم سلمة وزينب[1] أمهات المؤمنين رضي الله عنهما فلما أسلمت ثقيف بنى أمية بن عمرو مسجداً على مصلى النبي ﷺ ولا يزال هذا المسجد مكان المصلى.

ونصب صل الله عليه وسلم المنجنيق على حصن الطائف وقد أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه وجيء بدبابتين[2] فدخل المسلمون تحت الدبابتين ثم زحفوا بهما إلى جدار الحصن ليخرقوه فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فحرقت الدبابتين –كانتا من جلود البقر– فأصيب من المسلمين جماعة وخرج من بقى تحتها فقتلوا بالنبل.

ونادى منادي رسول الله صل الله عليه وسلم: أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر! فخرج بضعة عشر رجلاً من العبيد فأعتقهم ﷺ، ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه ويحمله وأمرهم أن يقرؤهم القرآن ويعلموهم السنن فشق ذلك على أهل الطائف.

7. خبر خولة بنت حكيم والارتحال والغنائم وخبر سراقة بن مالك

وقالت خولة بنت حكيم السلمية امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنهما: يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلي الفارعة بنت الخزاعي أو بادية بنت غيلان فقال لها: وإن كان لم يؤذن لنا في ثقيف يا خولة! فذكرت ذلك لعمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله! ما حديث حدثتني خولة أنك قلته؟ قال: قد قلته ولم يؤذن لك فيهم؟ قال:لا قال: أفلا أؤذن الناس بالرحيل؟ قال: بلى فأذن عمر بالرحيل فشق على المسلمين رحيلهم بغير فتح ورحلوا فأمرهم صل الله عليه وسلم أن يقولوا: لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.

(1) هي إحدى زوجات النبي، وابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب، وُلدت في مكة قبل الهجرة بـ 33 سنة ونشأت بها. أسلمت قديمًا، وكانت من أوائل المهاجرات إلى المدينة المنورة، وكانت متزوجة من زيد بن حارثة.

(2) الدبابة: كانوا يصنعونها من الخشب كالعجلة ويجعلون سقفها من جلود البقر فمتى جف الجلد وييس فلا تؤثر به النبال وكانوا يدخلون تحتها وينقبون جدار الحصون.

فلما استقلوا بالمسير قال: قولوا: آيبون تائبون لربنا حامدون، وقيل له لما ظعن[1]: يا رسول الله ادع على ثقيف! فقال: اللهم اهد ثقيفاً وأئت بهم مسلمين وكان من استشهد بالطائف أحد عشر رجلاً وحصارهم ثمانية عشر يوماً.

وكان ﷺ قد حبس السبي والغنائم بالجعرانة وكان السبي نحو ستة آلاف من النساء والذرية والإبل أربعة وعشرين ألفاً والغنم أربعين ألفاً وأربعة آلاف أوقية من الفضة وسار ﷺ إلى الجعرانة.

ولقيه سراقة بن مالك بن جعشم[2] وهو منحدر إلى الجعرانة ونادى: أنا سراقة فقال ﷺ: هذا يوم وفاء وبر، أدنوه! فأدنوه منه فأسلم وساق إليه الصدقة وسأله عن الضالة من الإبل تغشى حياضه وقد ملأها لإبله فهل له من أجر إن سقاها؟ فقال صل الله عليه وسلم: نعم! إن في كل ذات كبد حرَّى أجر[3].

8. تسامحه وسخائه ﷺ وعطاء المؤلفة قلوبهم

وبينما كان صل الله عليه وسلم في طريقه إلى الجعرانة وأبو رهم الغفاري إلى جنبه على ناقة له – وفي رجليه نعلان غليظتان– إذ زحمت ناقته ناقة رسول الله ﷺ فوقع حرف نعله على ساق رسول الله ﷺ فأوجعه فقال: أوجعتني! أخر رجلك، وقرع رجله بالسوط قال أبو رهم: فأخذني ما أخذني وخشيت أني ينزل فيَّ قرآن, لعظيم ما صنعت فلما أصبحنا بالجعرانة خرجت أرعى الظهر[4]. وما هو يومي. فرقاً أن يأتي للنبي ﷺ رسول يطلبني فلما رجعت سألت فقالوا: طلبك النبي ﷺ فقلت: هي إحدى الدواهي فجئته وأنا أترقب فقال: إنك أوجعتني برجلك فقرعتك بالسوط فخذ هذه الغنم عوضاً[5] من ضربتي قال أبو رهم: كان رضاه عني أحب إلي من الدنيا وما فيها.

وحادثة عبد الله ابن أبي حدرد الأسلمي في مسيره فلصقت ناقته بناقة رسول الله صل الله عليه وسلم فأصاب رجله فقال: أخِّ أوجعتني! ودفع رجل عبد الله بمحجن في يده فلما نزل دعاه وقال له: أوجعتك بمحجني البارحة! خذ هذه القطعة من الغنم فأخذها فوجدها ثمانين ضائنة.

(1) ارتحل.

(2) هو سراقة بن مالك الذي تبع النبيρ وأبا بكر في طريق الهجرة إلى المدينة، وكان يريد أن يوقع بهما فدعا النبي صل الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه في الأرض فطلب الأمان انظر القصة في طريق الهجرة الجزء الأول.

(3) حرى: أي عطشى وربما أراد في كل ذي روح من الحيوان أجر.

(4) الظهر: هو مركوب المسافر: من الإبل والخيل.

(5) في رواية عشرين ومائة راس من الغنم.

ولما أراد ﷺ أن يركب من قرن راحلته وطئ له على يدها أبو روعة الجهني ثم ناوله الزمام بعد ما ركب فضرب عليه الصلاة والسلام الناقة بالسوط فأصاب أبا روعة فألتفت إليه وقال: أصابك السوط؟ قال: نعم بأبي أنت وأمي! فلما نزل بالجعرانة صاح: أين أبو روعة؟ قال: ها أنا ذا قال: خذ هذه الغنم بالذي أصابك من السوط أمس فوجدها عشرين وَمِائَةَ رَأْسٍ قَالَ فَتَأَثَّلْت بِهَا **مَالًا (ادخر مالاً ليستثمره).**

واعترض له رجل من أسلم معه غنم فقال: يا رسول الله هذه الغنم هدية قد أهديتها لك –وكان قد أسلم– فقال صل الله عليه وسلم: نحن على ظهر كما ترى، فألحقنا بالجعرانة فخرج يعدو عراض ناقة رسول الله ﷺ وهو يقول: وأسوق الغنم معي إلى الجعرانة؟ فقال: لا تسقها، ولكن تقدم علينا الجعرانة فنعطيك غنماً أخرى إن شاء الله ثم لحقه بالجعرانة فأعطاه النبي ﷺ مائة شاة.[1]

وجعلت الأعراب في طريقه ﷺ يسألونه أن يقسم عليهم فيئهم وألحوا عليه وأزدحموا حوله حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت أغصانها رداءه فنزعته، فوقف وهو يقول: أعطوني ردائي لو كان عدد هذه الغضاه –الشجر– نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً.

وانتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس خلون من ذي القعدة والسبي والغنائم بها محبوسة، وكان قد أمر أن يتخذوا للسلب حظائر يستظلون بها من الشمس، وأمر بسر بن سفيان الخزاعي يقدم مكة فيشتري للسبي ثياباً يكسوهم فكساهم كلهم. واستأنى[2] صل الله عليه وسلم بالسبي وأقام يتربص أن يقدم وفدهم, لأنه حقاً مثل ما قال تعالى :(وما أرسلناك إلى رحمة بالعالمين)[3].

ثم بدأ النبي ﷺ بالأموال فقسمها فأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس وكانت الفضة التي غنمها بين يديه فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله: أصبحت أكثر قريش مالاً! فتبسم ﷺ, فقال أبو سفيان: أعطني من هذا يا رسول الله! قال: يا بلال زن لأبي سفيان أربعين أوقية، وأعطه مائة من الإبل، قال: ابني يزيد يا رسول الله، قال: زنوا ليزيد أربعين أوقية، وأعطوه مائة من الإبل، قال: ابني معاوية يا رسول الله قال: زنوا لمعاوية أربعين أوقية وأعطوه مائة من الإبل: ثم قال أبو سفيان: إنك لكريم فداك أبي وأمي! والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت! ثم سالمت فنعم المسالم أنت, جزاك الله خيراً.

(1) كرمه صل الله عليه وسلم جاءه الأعرابي ليهديه غنماً فقال له: دع غنمك لا تسقها، ولكن تقدم علينا الجعرانة فنعطيك ...الخ فأعطاه النبي ﷺ مائة شاة.

(2) ترفق بها وأنتظر.

(3) الأنبياء اية 107.

وسأل حكيم بن حزام يومئذ مائة من الإبل فأعطاه ثم سأل مائة فأعطاه ثم سأل مائة فأعطاه ثم قال: ياحكيم بن حزام! إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول.

فأخذ حكيم المائة الأولى، وترك ما عداها ثم قال: والذي بعثك بالحق لا أرزأ[1] أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا فكان الخلفاء بعد رسول الله ﷺ يعرضون عليه عطاءه من بيت المال فلا يأخذه.

وكان صفوان بن أمية يطوف مع النبي صل الله عليه وسلم وهو يتصفح الغنائم إذ مر بشعب –مما أفاء الله عليه– فيه غنم وإبل ورعاؤها مملوءاً، فأعجب صفوان وجعل يرمقه فقال: أعجبك يا أبا وهب هذا الشعب؟ قال: نعم قال: هو لك وما فيه!! فقال: أشهد ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نبي، وأشهد أنك رسول الله! فأسلم وحسن إسلامه.

وأعطى الأسماء التالية: مائة مائة من الإبل وهم: النصير بن الحارث، وأسيد بن جارية –حليف بني زهرة– والحارث بن هشام، وقيس بن عدي, وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، والأقرع بن حابس، وعيينه بن حصن، والعباس بن مرداس.

وأعطى الأسماء الآتية لكل خمسين خمسين بعيراً وهم: العلاء بن جارية، وسعيد بن يربوع، وعثمان بن وهب، وهشام بن عمرو، وكان هذا العطاء من مال رسول الله ﷺ الخاص –من الخمس–.

منع جعيل بن سراقة ومقالة أحد المنافقين وسهم الرجل والفارس

وقال يومئذ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: يا رسول الله! أعطيت عينية بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة –عشرة ألف– وتركت جعيل بن سراقة الضحري؟ فقال ﷺ: أما والذي نفسي بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع –ملئ– الأرض كلها مثل عيينة والأقرع، ولكنى أتألفهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه.

وقال معتب بن قشير العمري يومئذ –ورسول الله ﷺ يعطي تلك العطايا–: إنها لعطايا ما يراد بها وجه الله! فأخبر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رسول الله صل الله عليه وسلم بذلك فتغير لونه ثم قال: يرحم الله أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر.

وكانت سهامهم من الغنائم للراجل: أربع من الإبل وأربعون شاة، وإن كل فارساً فله ثلاثة أضعاف الرجل. وإن كان له أكثر من فرس لم يسهم له للزيادة.

(1) لا أنقص أحدًا من بعدك شيئًا، لا أطلب شيئًا، ولا آخذ شيئًا من الناس.

9. وفد هوازن وإسلامهم

وقدم وفد هوازن وهم: أربعة عشر رجلاً رئيسهم: أبو صرد زهير الجشمي السعدي، قد أسلموا وأخبروا بإسلام من ورائهم من قومهم. فقال أبو صرد: يا رسول الله! إنا أصلك وعشيرتك –وكان ﷺ مسترضعاً في بني سعد– وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك، إنما في هذه الحظائر أخواتك وعماتك وبنات عماتك وخالاتك وبنات خالاتك أبعدهن قريب منك يا رسول الله! بأبي أنت وأمي! حضنَّك في حجورهن وأرضعنك بثديهن وورككنك على أوراكهن وأنت خير المكفولين!! وأنشأ أبو صرد يقول:

امنن علينا رسول الله في كرم	فإنك المرء نرجوه وندخر
امنن على نسوة فكنت ترضعها	إذ فوك يملؤه من مخضها الدرر
امنن على نسوة إعتاقها قدر	ممزق شملها في دهرها غير
أبقت لنا الدهر هتَّافاً على حزن	على قلوبهمُ الغماء والغمر
اللاتي إذ كنت طفلاً كنت ترضعها	وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
إلا ما تداركها نعماء تنشرها	يا أرجح الناس حلماً حين يختبر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه	من أمهاتك إن العفو مشتهر
ياخير من مرحت كمت الجياد به	عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنا نؤمل عفواً منك تلبسه	هذي البرية إذ تعفو وتنتصر
فاعف عفى الله عما أنت واهبه	يوم القيامة إذ يهدي لك الظفر
لا تجعلنَّا كمن شالت نعامته	واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر آلاءً وإن قدمت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

10. كرم رسول الله ﷺ وخطبته

فقال رسول الله صل الله عليه وسلم: إن أحسن الحديث أصدقه وعندي من ترون من المسلمين فأبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ قالوا: يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا وما كنا نعدل بالأحساب شيئاً فرُد علينا أبناءنا ونساءنا فقال: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وأسأل لكم الناس فإذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله فإني سأقول لكم: ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وسأطلب لكم إلى الناس.

فلما صلى رسول الله صل الله عليه وسلم الظهر بالناس قاموا فتكلموا بما أمرهم به، فأجابهم بما تقدم فقال المهاجرون: فما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ! وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ! وقال

الأقرع بن حابس: أما أنا وفزارة فلا! وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا! فقالت بنو سليم: بلى؛ ما كان لنا فهو لرسول الله! فقال عباس بن مرداس: وهنتموني[1].

ثم قام رسول الله ﷺ خطيباً في الناس فقال: إن هؤلاء القوم جاؤوا مسلمين، وقد كنت استأنيت بهم، فخيرتهم بين النساء والأبناء، وبين الأموال فلم يعدلوا بالنساء والأبناء (شيئاً) فمن كان عنده منهن شيئاً فطابت نفسه أن يرده فسبيل ذلك، ومن أبى منكم ويمسك بحقه فليرده عليهم، وليكن قرضاً علينا: ست فرائض[2] من أول ما يفئ الله علينا به! فقالوا: يا رسول الله؛ رضينا وسلمنا! قال: فمروا عرفاءكم أن يرفعوا ذلك حتى نعلم، فكان زيد بن ثابت على الأنصار يسألهم: هل سلموا ورضوا؟ فخبروه أنهم سلّموا ورضوا ولم يتخلف منهم رجل واحد وبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المهاجرين يسألهم فلم يتخلف منهم أحد. وكان أبو رهم الغفاري[3] يطوف على قبائل العرب، ثم أجمع العرفاء الذين أرسلهم رسول الله ﷺ فأتفقوا على قول واحد أنهم سلموا ورضوا، ودفع عند ذلك السبي إليهم، وتمسكت بنو تميم مع الاقرع بن حابس بالسبي فجعل رسول الله ﷺ الفداء ست فرائض وقال ﷺ يومئذ: لو كان ثابتاً على أحد من العرب ولاء أو رِق لثبت اليوم ولكن إنما هو إسار أو فدية وجعل أبا حذيفة العدوي على مقاسم الغنم. وقال ﷺ للوفد: ما فعل مالك بن عوف؟ قالوا: هرب فلحق بحصن ثقيف فقال: إنه إن يأت مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل وكان قد حبس أهل مالك بمكة عند عمتهم أم عبد الله بهمة ابنة أبي أمية، ووقف ماله فلم تجر فيه السهام. فلما بلغ ذلك مالكاً فر من ثقيف ليلاً، وقدم الجعرانة وأسلم وأخذ أهله وماله ومائة من الإبل واستعمله على قومه وعقد له لواءً فقاتل أهل الشرك وغنم وبعث إلى رسول الله ﷺ بالخمس مما يغنمه.

(1) وهنتموني: من الوهن وهو الضعف. لما قال العبَّاسُ بنُ مِرْداسٍ رَضِي اللهُ عَنه: "أمَّا أنا وبَنو سُليمٍ فلا"، فقام بَنو سُليمٍ فقالوا: "كذَبتَ"، أي: أخطَأتَ، وأهلُ الحِجازِ يَقولون: كذَبتَ موضِعَ أخطَأتَ، "ما كان لنا فهو لرَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم"، أي: اعتَرضوا على سيِّدِهم، وجعَلوا نَصيبَهم فيما جعَل النَّبيُّ ﷺ نصيبَه فيه؛ امتِثالًا واتِّباعًا لرغبةِ النَّبيِّ ﷺ.

(2) الفريضة: اسم للناقة في سن معين معروف عند العرب.

(3) كلثوم بن الحصين بن عتبة الغفاري.

11. مقالة الأنصار حيث منعوا العطاء وخطبته ﷺ فيهم

ولما أعطى رسول الله ﷺ عطاياه للمؤلفة قلوبهم وجد بعض الأنصار في أنفسهم –إذ لم يكن فيهم منها شيء– وكثرت القالة فقال واحد منهم: لقي رسول الله قومه! أما حين القتال فنحن أصحابه، وأما حين القسم فقومه وعشيرته وودنا أنا نعلم ممن كان هذا؟ إن كان من الله صبرنا، وإن كان هذا من رأي رسول الله استعتبناه، وقال بعضهم: يغفر الله لرسول الله! يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم والله إن هذا لعجب! –والذين تكلموا هم من الفتيان– فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فغضب غضباً شديداً ودخل عليه سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال له: ما يقول قومك؟ قال: وما يقوله يا رسول الله؟ فذكر له ما بلغه وقال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ فقال: يا رسول الله! ما أنا إلا كأحدهم، وإنا لنحب أن نعلم من أين هذا؟ قال: فأجمع لي من كان ههنا من الأنصار فناداهم حتى اجتمعوا.

فلما اجتمعوا حمد الله وأثنى عليه ثم قال ﷺ: يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم؟ وجدة وجدتموها في أنفسكم! ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف بين قلوبكم؟ قالوا: بلى! الله ورسوله أمن وأفضل قال: ألا تجيبوني؟ قالوا: وماذا نجيبك يا رسول الله؟ قال: أما والله لو شئتم قلتم فصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك؟ وجدتم يا معشر الأنصار في شيء من الدنيا تألفت به قوماً أسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟! أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن تذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم؟ والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ولو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار, أكتب لكم بالبحرين كتاباً من بعدي تكون لكم خاصة دون الناس قالوا: وما حاجتنا بعدك يا رسول الله؟ قال: إما لا! فسترون بعدي أثرة فأصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإن موعدكم الحوض وهو كما بين صنعاء وعمان وآنيته أكثر من عدد النجوم, اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار!! فبكوا حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله حظاً وقسماً، وأنصرفوا.

12. العودة لمكة وتعيين عتاب والي مكة وانصرافه ﷺ إلى المدينة

وأقام صل الله عليه وسلم بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة، وخرج ليلة الأربعاء لثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة معتمراً فأحرم من الجعرانة ولبى حتى استلم الركن وطاف ثم سعى بين الصفا والمروة على راحلة ثم حلق رأسه عند المروة –ولم يسق هدياً– ثم عاد إلى الجعرانة من ليلته.

واستعمل على مكة: عتاب بن أسيد وخلَّف معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهم يعلمان الناس القرآن والتفقه في الدين[1]. وقال لعتاب: أتدري على من أستعملك؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: استعملتك على أهل الله –أهل حرم الله– بلغ عني أربعاً: لا يصلح شرطان في بيع، ولا بيع وسلف، ولا بيع مالم يضمن، ولا تأكل ربح مالا ليس عندك.

وخرج صل الله عليه وسلم يوم الخميس عائداً إلى المدينة فمر على سرف ثم إلى مر الظهران وفي طريقه إلى المدينة، فكان قدومه يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي القعدة في السنة الثامنة.

وفي هذه السنة ولدت مارية القبطية رضي الله عنها إبراهيم (عليه السلام) ابن رسول الله ﷺ في ذي الحجة وفرح به فرحا كثير[2]، وفي هذه السنة أقام عتاب بن أسيد رضي الله عنه بالناس الحج، وحج الناس على ما كانت عليه عادة العرب.

قيس بن سعد بن عبادة إلى صداء

وبعث ﷺ قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه إلى ناحية من اليمن في أربعمائة فارس وأمره أن يقاتل قبيلة صداء –حي من اليمن– وقدم زياد بن الحارث الصدائي وافداً على رسول الله ﷺ فسأل عن ذلك البعث فأخبر به فقال: يا رسول الله! أنا وافدهم إليك وأنا كفيل بإسلام قومي وطاعتهم فأردد الجيش فبعث ﷺ إلى الجيش فرده ثم رجع الصدائي إلى قومه فقدموا وأسلموا.

13. خزاعة تؤدي الصدقة وتميم تمنعها: سرية عينية إلى تميم

وبعث بُسر بن سفيان العدوي إلى بني كعب من خزاعة لأخذ صدقاتهم فجاءهم –وقد حل بنواحيهم من بني تميم بنو عمرو– فهم يشربون على غدير لهم ثم أمر خزاعة بجمع المواشي ليأخذ منها الصدقة فحشرت عليه خزاعة الصدقة من كل ناحية! فأستكثرت ذلك بنو تميم وقالوا: لم تعطوهم أموالكم؟ فقال لهم بنو كعب: نحن أسلمنا ولابد من دفع الزكاة، فأجتمع بنو تميم وشهروا السلاح ومنعوا بُسراً من أخذ الصدقة وقالوا: والله لا ندع بعيراً واحداً يخرج، ففر بُسر إلى المدينة وأخبر رسول الله ﷺ بذلك.

وأما خزاعة فإنها أخرجت التميمين من أرضها وطردتهم عنها.

---

(1) تقدم معنا بفتح مكة أنه ﷺ استعمل على مكة: عتاب ... الخ.

(2) طال اشتياق النبي ﷺ الى الابن المأمول وتجدد الاشتياق بعد اكثر من 20 سنة وبعد وفاة كل أبناءه عدا فاطمة الزهراء فبشرته ماريا القبطية رضي الله عنها بالولد وتخير له أسمه أسم ابو الانبياء ابراهيم ... ثم مات ابراهيم ولم يدر السنتين, فيالها من ابوة حزينة ويالها من حياة كثيرة الصعاب كثيرة الاسى. (شخصيات الرسول للشمالي ص94).

وندب صل الله عليه وسلم الناس لغزو بني تميم فأنتدب عينية بن حصن الغزاري فبعثه في خمسين فارساً ليس فيهم مهاجر ولا أنصاري فسار إلى العرج وخرج في آثارهم حتى وجدهم يؤمون أرض بني سليم فلما رأوا الجمع هربوا فأخذ منهم أحد عشر رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً فجاء بهم إلى المدينة فأمر ﷺ بهم فحبسوا في دار رملة بنت الحارث الانصارية[1].

وقدم وفد بني تميم وهم عشرة من رؤسائهم: عطارد بن حاجب بن زرارة والزبرقان بن بدر البهدلي وقيس بن عاصم المنقري وقيس بن الحارث ونعيم بن سعد وعمرو بن الأهتم والأقرع بن حابس والحباب بن يزيد ورياح بن الحارث بن مجاشع ورئيسهم الأعور بن بشامة العنبري.

14. تميم يدخلون المسجد ويرفعون الاصوات ونزول سورة الحجرات

ودخلوا المسجد قبل الظهر ورسول الله صل الله عليه وسلم في بيت أم المؤمنين عائشة وقد أذن بلال رضي الله عنهم والناس ينتظرون الصلاة فنادوا: يا محمد! أخرج إلينا ورفعوا أصواتهم فخرج ﷺ وأقام بلال الصلاة, فتعلقوا به يكلمونه فوقف معهم ملياً ثم مضى فصلى بالناس الظهر ثم انصرف إلى بيته وركع ركعتين فخرج وجلس وقيل: إنهم لما نادوه من بيته قالوا: يا محمد اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك فإن مدحنا زين وذمنا شين، وخرج وقد تأذى من صياحهم وقال: ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا. وقد أنزل الله تعالى فيهم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ۚلا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ ۚلا تَشْعُرُونَ {2} إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ {3} إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ ۚلا يَعْقِلُونَ {4} وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {5})[2].

15. جواب خطباء الرسول على خطباء بني تميم وإسلامهم ورد الاسرى

وخرج ﷺ بعد الظهر إلى صحن المسجد فجلس فقالوا: يا محمد! إئذن لشاعرنا وخطيبنا فقال: قد أذنت فليقم، فقدموا خطيبهم عطارد بن حاجب، فقال: الحمد لله الذي الفضل علينا والذي جعلنا ملوكاً وأعطانا الأموال نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثرهم مالاً وأكثرهم عدداً فمن مثلنا في

---

(1) أعد رسول الله ﷺ عددًا من دور بالمدينة لإنزال الوفود بها، مثل دار أبي الايوب الانصاري ودار يزيد بن أبي سفيان ودار بلال ومنها دار رملة بنت الحارث الانصارية، وهي دار واسعة، وفيها نخيل وزروع. وأمر النبي ﷺ أصحابه بأن يحسنوا استقبال الوفود، ويكرموا وفادتهم. أما الاستقبال فقد إتخذ النبي ﷺ قبة في المسجد النبوي يستقبل فيها الوفود وكان يلبس أحسن ما عنده لاستقبالهم ويأمر أصحابه بذلك, وكان الرسول ﷺ يستقبل الوفد، ويستمع منه أولا، ليعرف موضوعه ومذهبه وبعد ذلك يرد عليه فما أجمله وأرتبه من بروتوكل.

(2) سورة الحجرات.

الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وذوي فضلهم؟ فمن يفاخر فليعدد مثل ماعددنا، ولو شئنا لأكثرنا من الكلام ولكنا نستحيي من الإكثار فيما أعطانا الله. أقول قولي هذا لِأَنْ نؤتى بقول هو أفضل من قولنا.

فقال رسول الله صل الله عليه وسلم لثابت بن قيس رضي الله عنه: قم فأجب خطيبهم –وكان من أجهر الناس صوتاً– فقام على حين غرة، وهيأ قبل ذلك ما يقول فقال: الحمدلله الذي السموات والأرض خلقه وقضى فيهن أمره ووسع كل شيء علمه فلم يكن شيء إلا من فضله ثم كان ما قدر أن جعلنا ملوكاً إصطفى لنا من خلقه رسولاً أكرمهم نسباً وأحسنهم زياً وأصدقهم حديثاً أنزل عليه كتابه وأئتمنه على خلقه وكان خيرته في عباده فدعا إلى الايمان فآمن المهاجرون من قومه وذوي رحمه أصبح الناس وجهاً وأفضل الناس فعالاً ثم كنا أول الناس إجابة حين دعا رسول الله فنحن أنصار الله ورسوله نقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه, ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في ذلك، وكان قتله علينا يسيراً. أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ثم جلس.

وقالوا: إيذن لشاعرنا! فأذن له فأقاموا الزبرقان بن بدر فقال:

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا	فينا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم	عند النهاب وفضل الخير يتبع
ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا	من السديف إذا لم يؤنس القزع
وننحر الكوم عبطاً في أرومتنا	للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا إلى حي نفاخرهم	إلا استقادوا فكاد الرأس يقتطع
إنا أبينا فلا يأبى لنا أحد	إنا كذلك عند الفخر نرتفع
تلك المكارم حزناها مقارعة	إذا الكرام على أمثالها اقترعوا

وقال صل الله عليه وسلم: علي بحسان بن ثابت, فحضر، فقال له: قم فأجبه فقال: إذاً يُسمعني ما قال فأسمعه فقال حسان:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم	قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته	تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم	أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة	إن الخلائق –فاعلم– شرها البدع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم	عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا

ولا يضنون عن جار بفضلهم ... ولا ينالهم من مطمع طبع
إن كان في الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ... إذا تفرقت الأهواء والشيع
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم ... لا يطمعون ولا يرديهم طمع
كأنهم في الوغى والموت مكتنع ... أسد ببيشة في أرساغها فدع
لافخر إن هم أصابوا من عدوهم ... وإن أصيبوا فلا خور ولاجزع
اذا نصبنا لحي لم ندب لهم ... كما يدب إلى الوحشية الذرع
نسموا إلى الحرب نالتنا مخالبها ... إذا الزعانف من أظفارها خشعوا
خذ منهم ما أتوا عفواً إذا ... غضبوا ولا يكن همك الأمر الذي منعوا
فإن في حربهم فاترك عداوتهم ... سماً غريضاً عليه الصاب والسُّلَع
أهدى لهم مدحتي قلب يؤازره ... فيما أحب لسان حائك صنع
فإنهم أفضل الأحياء كلهم ... إن جد بالناس جد القول أو شمعوا

فسر رسول الله ﷺ والمسلمون بمقام ثابت بن قيس وحسان بن ثابت رضي الله عنهم وخلى الوفد فقالوا: إن هذا الرجل لمؤتى له ومؤيد، والله لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا ولهو أحلم منا! فأسلموا.

وسألوه ﷺ أن يحسن إليهم في سبيهم فرد عليهم الأسرى والسبي وقد إجازهم ﷺ كما كان يجيز الوفود إذا قدموا عليه. وكانت جوائزهم على يد بلال رضي الله عنه لكل واحد ثنتي عشرة أوقية ونصف.

الجزء الرابع عشر : بناء الدولة الاسلامية ونشر الإسلام

1. البعثات والسرايا: بعثة الوليد بن عقبة

وبعث ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق -وهم بطن من خزاعة- ليأخذ صدقاتهم فخرجوا يلقونه بالجزر والمواشي فرحاً به وتعظيماً لله ولرسوله صل الله عليه وسلم فظن أنهم يريدون به شراً فرجع إلى المدينة قبل أن يصل إليهم وأخبر الرسول ﷺ أنهم يلقونه بالسلاح ليحولوا بينه وبين الصدقة فبلغهم ذلك عنه فقدم وفدهم وقال: يا رسول الله! سل ناطقنا أو كلمنا؟ فنزل فيه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[1]. فقرأها عليهم رسول الله ﷺ ثم قال: من تحبون أن أبعث إليكم؟ قالوا: عباد بن بشر. فخرج معهم يقرئهم القرآن ويعلمهم شرائع الإسلام وقد قال له: خذ صدقات أموالهم وتوق كرائم أموالهم فأقام عندهم عشراً ثم انصرف راضياً.

سرية قطبة بن عامر وسرية الضحاك بن سفيان

وفي صفر من السنة التاسعة أرسل ﷺ قطبة بن عامر إلى خثعم في عشرين رجلاً فلما وصلوا ناحيتهم وجدوا رجلاً منهم فسألوه فأستعجم عليهم، وجعل يصيح بالحاضر ويحذرهم فقتلوه، ثم أمهلوا حتى نام الحاضر فشنوا عليهم الغارة فأقتتلوا بشدةً وساقوا النعم والشاء والنساء إلى المدينة فلحق بهم الرجال شاهرين السلاح وكان بينهم وبين قطبة الوادي! وأرسل الله سيلاً حتى ملأ الوادي فحال السيل بينهم وبينه فسار المسلمون يسوقون غنائمهم ووقف المشركون ينظرون إليهم فما يجدون لهم سبيلاً.

وفي ربيع الأول من السنة التاسعة بعث صل الله عليه وسلم الضحاك بن سفيان الكلابي في سرية إلى بني كلاب فدعاهم إلى الإسلام فأبوا فقاتلهم بمن معه وهزمهم.

كتاب رسول الله ﷺ إلى بني حارثة وخبر رعية السحيمي

وفي ربيع الأول أيضاً من السنة التاسعة كتب الرسول ﷺ إلى بني حارثة بن عمرو يدعوهم إلى الإسلام مع عبد الله بن عوسجة فأخذوا الصحيفة فغسلوها ورقعوا بها دلوهم وأبوا أن يجيبوا فقال ﷺ -لما بلغه ذلك- : ما لهم؟ أذهب الله عقولهم! فصاروا أهل رعدة وعجلة وكلام مختلط وأهل سفه.

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن الشعبي: أن رسول الله صل الله عليه وسلم كتب إلى رعية السحيمي بكتاب فأخذ الكتاب فرقع به دلوه فبعث رسول الله ﷺ سرية فأخذوا أهله وماله وأفلت رعية عرياناً ليس عليه شيء -على فرس له- فأتى ابنته وكانت متزوجة في بني هلال وكانوا أسلموا فأسلمت معهم وكان مسجد القوم بفناء بيتها فأتى

(1) الحجرات اية 6.

البيت من وراء ظهره فلما رأته ابنته عرياناً ألقت عليه ثوباً وقالت: مالك؟ قال: كل الشر! ما ترك لي أهل ولا مال، أين بعلك؟ قالت: في الإبل، فأتاه فأخبره فقال: خذ راحلتي برحلها ونزودك من اللبن قال: لا حاجة لي فيه، ولكن أعطني قعود الراعي وإداوة من ماء فإني أبادر محمداً لا يقسم أهلي ومالي! فأنطلق حتى دخل المدينة ليلاً فكان بحذاء رسول الله صل الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله ﷺ الفجر قال له: يا رسول الله ابسط يدك لأبايعك! فبسط رسول الله ﷺ يده فلما أراد رعية أن يمسح عليها قبضها عليه الصلاة والسلام ثم قال له رعية: يا رسول الله! ابسط يدك لأبايعك فبسط ﷺ يده فلما أراد أن يمسح عليها قبضها عنه أيضاً، ثم قال يا رسول الله ابسط يدك قال: ومن أنت؟ قال: رعية السحيمي! قال فأخذ رسول الله ﷺ بعضده فرفعه ثم قال: أيها الناس! هذا رعية السحيمي الذي كتبت إليه فأخذ كتابي فرقع بها دلوه!! فأسلم ثم قال: يا رسول الله أهلي ومالي!! أما مالك فقد قسم بين المسلمين وأما أهلك فأنظر من قدرت عليه منهم!

قال رعية: فخرجت فإذا ابن لي قد عرف الراحلة وإذا هو قائم عندها فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: هذا ابني فأرسلَ معي بلالاً فقال: انطلق معه فسئله: أبوك هو؟ فإن قال نعم فأدفعه إليه قال: فأتى بلال رضي الله عنه فقال: والله ما رأيت واحداً منهما مستعبراً إلى صاحبه[1] فقال ﷺ: ذاك جفاء الأعراب.

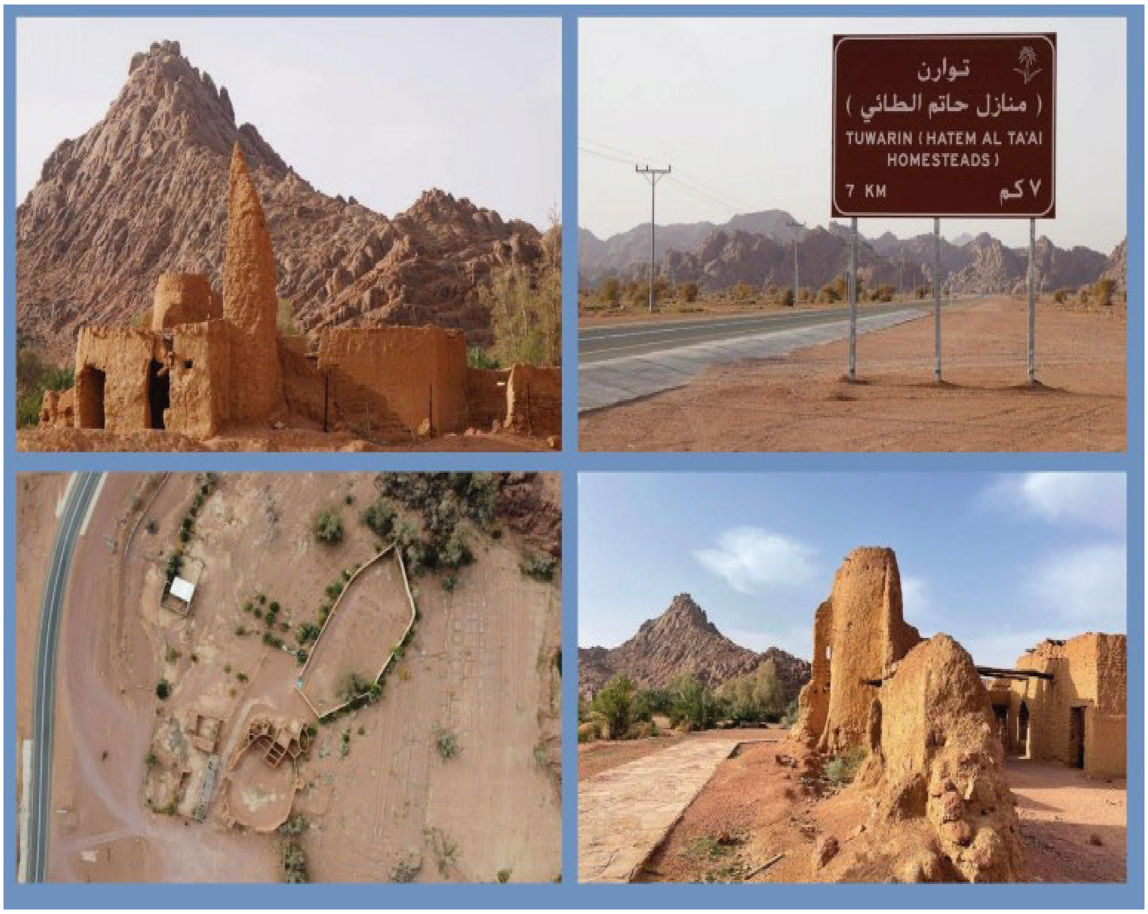
سرية علقمة ابن مجزز إلى الشعيبة

وفي ربيع الآخر من السنة التاسعة بلغ النبي ﷺ أن جمعاً من الحبشة يريدون الغارة في مراكب لهم على الشعيبة –وهي مرفأ السفن لمكة للجنوب من جدة– فبعث ﷺ علقمة بن مجزز المدلجي في ثلاثمائة رجل فأنتهى علقمة وأصحابه إلى جزيرة هناك فلما رأوا المسلمين يريدونهم هربوا ولم يلق المسلمون كيداً.

(1) مستعبراً: أي باكياً والبكاء رحمة في القلب يكون عند الفراق واللقاء.

2. سرية علي بن أبي طالب الى قوم الطائي وإسلام سفانة وعدي بن حاتم الطائي

وفي ربيع الآخر أيضاً بعث صل الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفُلس –صنم طي– ليهدمه في مائة وخمسين رجلاً من وجوه الأنصار حتى أغاروا على أحياء من العرب وشنوا الغارة مع الفجر على محلة آل حاتم فسبوا وغنموا حتى ملأوا (ملؤا) أيديهم من السبي والنعم والشاء وهدم علي رضي الله عنه الفلس وحرقه ثم عاد وكان يحمل الراية سهل بن حنيف واللواءَ جبار بن صخر السلمي ودليله حريث من بني أسد وكان فيمن سبي سفانة بنت حاتم الطائي –المعروف بالجود والكرم والشعر– ووجد في بيت الفلس ثلاثة أسياف: رسوب والمخذم واليماني وثلاثة أدراع، وقسم السبي والغنائم إلا آل حاتم فإنه قدم بهم المدينة وبالخمس مما غنمه وبالأسياف الثلاثة صفياً لرسول الله صل الله عليه وسلم.



مواقع قديمة عند قوم حاتم الطائي

فنزلت سفانة بنت حاتم بدار رملة بنت الحارث وكان أخوها عدي بن حاتم قد فر إلى الشام وكانت سفانة إذا مر النبي ﷺ تقول: يا رسول الله ﷺ! هلك الوالد وغاب الوافد فأمنن علينا من الله عليك!

فيسألها: من وافدك؟ فتقول: عدي بن حاتم فيقول: الفار من الله ورسوله؟ ويمضي فإذا كان الغد تعرضت له وقالت: يا رسول الله ﷺ هلك الوالد وغاب الوافد! فيسألها: من وافدك؟ فتقول: عدي بن حاتم فيقول لها: الفار من الله ورسوله؟ ويمضي! ثم أعادت ذلك اليوم الثالث فكان كذلك حتى يئست فلما كان اليوم الرابع مر النبي صل الله عليه وسلم وعليٌّ كرم الله وجهه وراءه فأشار إليها علي رضي الله عنه: قومي فكلميه! فكلمته فقال ﷺ: قد فعلت, ولكن لا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك ثم آذنيني فدعت له فقالت: شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب نعمة من كريم إلا وجعلك سبباً لردها عليه[1].

قالت سفانة: ثم قدم رهط من طيء فأخبرت النبي صل الله عليه وسلم أن لي منهم ثقةً وبلاغاً! فكساني وحملني وأعطاني ﷺ نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخي ففرح بقدومي وقال: ما ترين في هذا الرجل؟ فأخبرته بما عوملت به من كرم ونبل وقلت: أرى والله أن تلحق به سريعاً فإن يكن نبياً فللسابق إليه فضيلة وإن يكن ملكاً فلن تزال في عز ويمن وأنت أنت فقال: والله هذا هو الرأي! وخرج.

فخرج حتى جاء المدينة ولقي رسول الله صل الله عليه وسلم فقال: مَن الرجل؟ قال: عدي بن حاتم! فأخذه إلى بيته وبينما هما يمشيان إذ لقيت رسول الله ﷺ امرأة عجوز فأستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها فقال عدي –في نفسه– : والله ما هو بملك، ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من جلد محشوة ليفاً فقدمها إلي وقال: اجلس على هذه فقلت: بل أنت تجلس عليها فأمتنع ﷺ وأعطاها له وجلس ﷺ على الأرض ثم قال: يا عدي أسلم تسلم، قالها ثلاثاً، فقال عدي: أأنت أعلم بديني مني؟ قال: نعم ثم عدد له أشياء كان يفعلها إتباعاً لقواعد العرب وليست من دين المسيح في شيء كأخذه المرباع –وهو ربع الغنائم– وغير ذلك! ثم قال: يا عدي إنما يمنعك من الدخول في الدين ما ترى تقول: إنما أتبعه ضعفة الناس ومن لا قدرة لهم. فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه: ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم. أتعرف الحيرة؟ قال: لم أرها وقد سمعت بها قال: فوالله ليتُمَّن هذا الأمر حتى تخرج المرأة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم. فأسلم عدي رضي الله عنه وعاش حتى رأى ذلك.

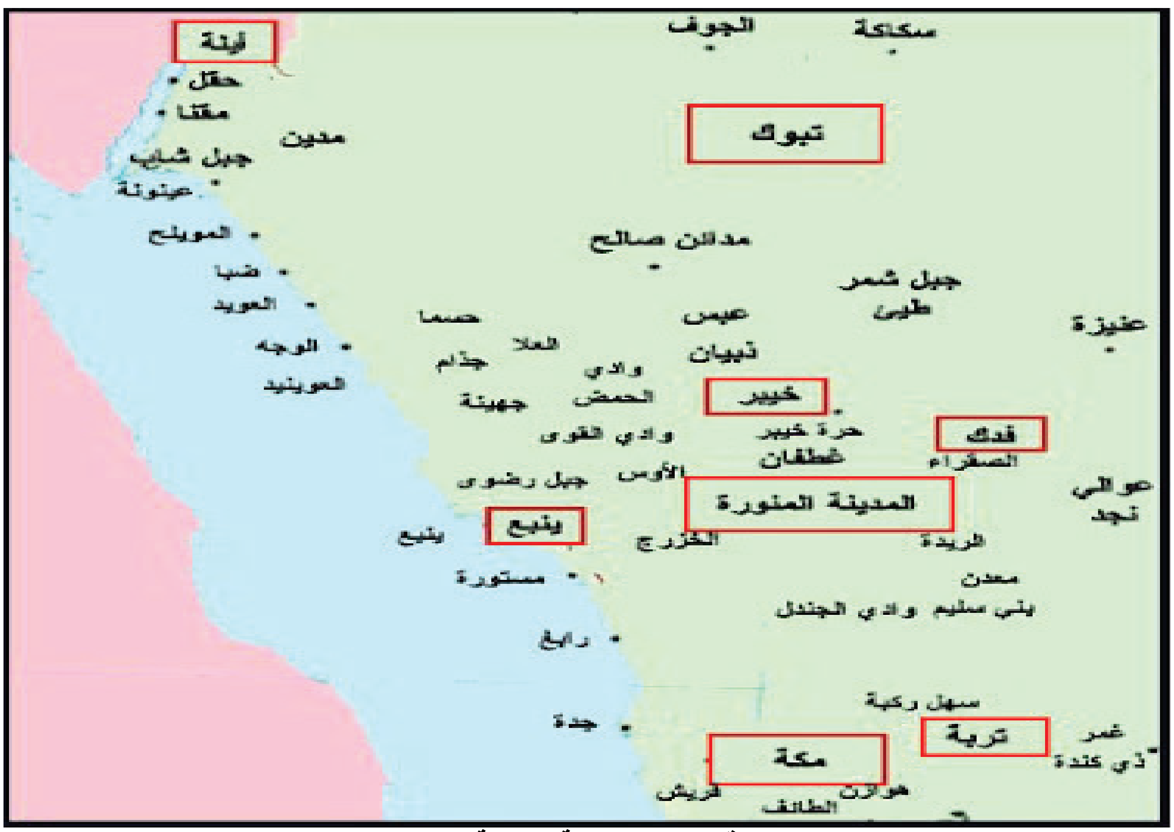
---

(1) فياله من دعاء جميل الحكمة.

3. غزوة تبوك (العسرة)

وفي رجب من السنة التاسعة كانت غزوة تبوك وتسمى –غزوة العسرة– وسببها: أنه بلغ النبي صل الله عليه وسلم أن الروم جمعت جموعاً كثيرة بالشام وأن هرقل قد دفع لجيشه مؤنة سنة كاملة وأجلب معه تخم وجذام وغسان وغيرهم من قبائل العرب وزحفوا إلى البلقاء وعسكروا بها ليغزوا المسلمين في المدينة وتخلف هرقل بحمص والذي جاء بهذه الأخبار بعض التجار الذين كانوا يأتون إلى الشام ولم يكن من ذلك شيء وإنما شيء قيل لهم فنقلوه.

وكان رسول الله ﷺ لايغزو غزوة إلا ورى[1] بغيرها –ليحل عليهم بغتة– فيأخذهم وهم لا يشعرون حتى كانت غزوة تبوك فصرح بها جهاراً لأسباب: منها في وقت شدة الحر وجدب البلاد وبعد الديار (أنظر الخريطة) وحين طابت الثمار والظلال لذلك كانت في زمن العسرة. فجلى ﷺ للناس أمرهم وأخبرهم بالوجه الذي يريد ليتأهبوا لذلك أهبته وبعث إلى القبائل وإلى مكة يستنفرهم إلى عدوهم.



موقع تبوك بالنسبة للمدينة المنورة

(1) إذا سترته وأظهرت غيره.

وأمر الناس بالصدقة لتجهيز الجيش فحملت صدقات كثيرة وأول من حمل صدقته أبو بكر الصديق رضي الله عنه: جاء بماله كله حتى تخلل بالعبا فقال له رسول الله ﷺ: ماذا أبقيت لعيالك يا أبا بكر؟ قال: الله ورسوله؛ وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنصف ماله فقال صل الله عليه وسلم: ماذا أبقيت لعيالك يا عمر؟ قال: نصف مالي. وبلغ عمر ما جاء به أبو بكر فقال: ما أستبقنا إلى خير إلا سبقني أبو بكر. وحمل العباس رضي الله عنه مالاً يقال: إنه تسعون ألفاً. وحمل طلحة مالاً، وحمل عبد الرحمن بن عوف مئتي أوقية؛ وحمل سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة مالاُ وتصدق عاصم بن عدي بتسعين وسقاً تمراً رضي الله عنهم جميعا، وتصدق عثمان بن عفان رضي الله عنه بعشرة آلاف دينار، وثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وخمسين فرساً. وروى أنه لما فرغ الدنانير في حجر النبي ﷺ فجعل يقلبها ويقول صل الله عليه وسلم: ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم قالها مراراً.

ورغب رسول الله ﷺ الناس وحثهم على الخير والمعروف فأسرع الناس وتبادر المسلمون في ذلك حتى إن الرجل ليأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول: هذا البعير بينكما تعتقبانه. وأتت النساء بكل ما قدرن عليه، فكن يلقين في ثوب مبسوط بين يدي رسول الله ﷺ: المسك والمعاضد والخلاخل والأقرطة والخواتم والخدمات وأخذ ﷺ الناس بالجد حتى بلغ الجيش ثلاثين ألفاً وعسكر بثنية الوداع, لكن يجب أن ننوه هنا بأن أكبر متبرع في سبيل الله هو الرسول عليه الصلاة والسلام, فقد كان أفضل الناس تجارة وعندما تزوج أم المؤمنين خديجة وبحكمته وبركته نماها ليكون أغنى الناس, إلا أنه ﷺ توفى ولم يترك درهم واحد في أي من بيوت زوجاته وذلك لانه حقا كان الأول والأكبر متبرع بالتاريخ سخى بكل ما يملك للمسلمين ونشر الاسلام فهو الأول والأكبر في تجهيز الجيوش الاسلامية وهو الأول والأكبر في أكرام الضيوف وهو الأول والأكبر في نجدة المحتاجين وهو الأول والأكبر في نصرة المساكين والفقراء ولكن بسبب حياؤه وورعه وزهده لله تعالى أخفى هذا الجانب من حياته عليه الصلاة والسلام ولولا عطائه السخي لما وجدنا أصحابه بهذا الكرم وذلك لان حبيبنا محمد هو الرسول القدوة صل الله عليه وسلم, وللأسف رغم علمنا بهذه الحقائق, حرمنا من سماعها وقراءتها في أمهات كتب السيرة النبوية وقد يكون بهذا المقام أول ما تم ذكره فيه ولله الحمد والتوفيق.

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله صل الله عليه وسلم من غير عذر ولا علة فأذن لهم وهم بضعة وثمانون رجلاً وجاء المعذرون من الأعراب فأعتذروا وهم نفر من بني غفار. وجاء الجد بن قيس الأنصاري فقال: يا رسول الله أئذن لي ولا تفتني! فوالله لقد عرف قومي ما أحد أشد عجباً بالنساء مني، وإني لأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن فقال: قد أذنت لك! فجعل يثبط قومه ويقول: لا تنفروا في الحر فأنزل الله فيه قوله تعالى: (وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ)[1]. وقوله تعالى:(فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ {81} فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)[2]. وجاء عبد الله بن أبيٍّ رئيس المنافقين بعسكره –ومعه عسكره من المنافقين واليهود– فضربه على ثنية الوداع ولم يخرج مع الرسول عليه الصلاة والسلام كما سنبين لاحقا.

4. البكاؤون وتخليف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وجاء البكاؤون –منهم سبعة– أبو ليلى المازني وسلمة بن صخر وثعلبة بن غنمة السلمي، وعلبة بن زيد الحارثي، والعرباض بن سارية السلمي، وهرمي بن عمرو المزني، وسالم بن عمير جاؤوا يستحملون رسول الله ﷺ وكانوا فقراء فقال: لا أجد ما أحملكم عليه فولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً. فنزل فيهم قوله تعالى: (لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {91} وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ)[3].

فلقي إثنان منهما يامين بن عمير بن كعب الأنصاري فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله صل الله عليه وسلم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج ونحن نكره أن تفوتنا غزوة رسول الله ﷺ فأعطاهما ناضحاً له[4] فأرتحلاه، وزود منهما صاعين من تمر وحمل العباس بن عبد المطلب منهم رجلين! وحمل عثمان بن عفان منهم ثلاثة.

(1) التوبة اية 49.
(2) التوبة اية 82.
(3) سورة التوبة.
(4) الناضح البعير الذي ينضحون عليه الماء من الآبار.

وقال ﷺ: لا يخرجن معنا إلا مقْو. فخرج رجل على بكر صعب[1] فصرعه بالسويداء فقال الناس: الشهيد الشهيد!! فبعث رسول الله ﷺ منادياً ينادي: لا يدخل الجنة إلا مؤمن ولا يدخل الجنة عاصٍ.

فلما أجمع صل الله عليه وسلم على المسير أستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وقيل: محمد بن مسلمة وخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنهما على أهله فقال المنافقون: ما خلفه إلا استقلاقاً له وقيل: بأنهم قالوا: قد استثقله فتركه!! فأخذ سلاحه ولحق رسول الله ﷺ بالجرف وأخبره ما قالوا فقال: كذبوا إنما خلفتك لما ورائي فأرجع واخلفني في أهلي وأهلك, أما ترضى أن تكون بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فرجع[2].

5. الألوية وعدة جيش المسلمين وتخلف المنافقين واستهزائهم

فلما رحل رسول الله صل الله عليه وسلم من ثنية الوداع عقد الألوية والرايات فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر رضي الله عنه ورايته العظمى إلى الزبير وراية الأوس إلى أسيد بن حضير ولواء الخزرج إلى أبي دجانة رضي الله عنهم جميعا وأمر كل بطن من الأنصار والقبائل أن يتخذوا لواء أو راية. وكان عدد جيش المسلمين: ثلاثين ألفاً وعشرة آلاف فرس واثني عشرة ألف بعير وهذا أكبر جيش شكله الرسول ﷺ حتى تاريخه.

ولما سار الجيش تخلف ابن أبي فيمن معه من المنافقين وقال: يغزو محمد بن الأصفر مع جهد الحال والحر الشديد والبلد البعيد إلى ما لا قبل له به؟ أيحسب محمد أن قتال بني الأصفر اللعب؟ وقعد بمن معه ثم قال: والله لكأني أنظر إلى أصحابه غداً مقرنين في الحبال.

وكان رهط من المنافقين يسيرون منهم: وديعة بن ثابت والجلاس بن سويد بن الصامت ومخشى بن حمير وثعلبة بن حاطب فجعلوا يسخرون من أصحاب رسول الله ﷺ ويستهزئون بهم فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر رضي الله عنه: أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل: بلى قد قلتم كذا وكذا!! فذهب إليهم فقال لهم، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونلعب! فأنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ

(1) العير الصعب: الذي لاينقاد وصاحبه كصاحب البعير الضعيف الذي لا يطيق السير وكلاهما نهي عن الخروج.
(2) صحيح البخاري.

قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ {65} لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ)[1].

وكان الذي عفي عنه في هذه الآية: مخشي فإنه تاب وحسن إسلامه وسماه الرسول ﷺ عبد الرحمن. وجاء الجلاس فحلف ما قال من ذلك شيئاً فأنزل الله فيه: (يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ)[2].

6. تخلف بعض المسلمين وخبر أبي خيثمة

وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا إرتياب، منهم: كعب بن مالك الأنصاري وهلال بن أمية الواقفي وأبو خيثمة عبد الله بن خيثمة السالمي ومرارة بن الربيع العمري وكان دليله عليه الصلاة و السلام علقمة بن الفغواء الخزاعي, وجمع صل الله عليه وسلم بين صلاة الظهر والعصر من يوم نزل ذا خشب: يؤخر الظهر حتى يبرد في العصر ثم يجمع بينهما فكان ذلك فعله حتى رجع من تبوك.

ولما مضى من ثنية الوداع جعل يتخلف عنه قوم يقولون: يا رسول الله تخلف فلان فيقول: دعوه فإن كان فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه. وخرج كثير من المنافقين لم يخرجوا إلا رجاء الغنيمة وأبطأ أبو ذر رضي الله عنه من أجل بعيره كان نضواً أعجف[3] ثم عجز عن المسير فتركه وحمل متاعه على ظهره وسار ماشياً في حر شديد وحده رضي الله عنه حتى لحق رسول الله ﷺ والجيش نصف النهار وقد بلغ منه العطش فقال له: مرحباً بأبي ذر! يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده ما خلّفك؟ فأخبره خبر بعيره فقال: إن كنت لمن أعز أهلي علي تخلفاً! لقد غفر الله لك بكل خطوة ذنباً إلى أن بلغتني.

وكان ممن تخلف: أبو خيثمة الأنصاري رضي الله عنه وبعد أن سار صل الله عليه وسلم ومضت أيام دخل أبو خيثمة على أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين[4] لهما في حائط[5] قد رشت

(1) التوبة اية 66–65.

(2) التوبة اية 74.

(3) مهزول ضعيف.

(4) العريش: خيمة تضع تصنع من أغصان الشجر أوجذوع النخل.

(5) الحائط: البستان.

كل واحدة عريشها وبردتا فيها ماءاً وهيئتا طعاماً فلما دخل نظر إلى امرأتيه وما صنعتا فقال: رسول الله ﷺ في الحر وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء، ماهذا بالنصف!! ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيئا لي زاداً ففعلتا ثم قدم ناضحة فأرتحله وأخذ سيفه ورمحه ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه وقد نزل بتبوك وكان ﷺ جالساً مع أصحابه فلما دنا أبو خيثمة قال الناس: هذا راكب مقبل فقال ﷺ: كن أبا خيثمة! فلما دنا ونظروه قالوا: يارسول الله! هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل يسلم على رسول الله ﷺ فقال له ﷺ: أولى لك يا أبا خيثمة[1] فأخبر رسول الله ﷺ خبره وأعترف بخطئه فقال له عليه الصلاة والسلام خيراً ودعا له بخير.

7. معجزات الرسول ﷺ بالغزوة

وشكوا إلى النبي صل الله عليه وسلم ما أصاب مركوبهم من الجهد والتعب فتحين لهم مضيقاً وقف على رأسه وأمرهم أن يسيروا، فمر الناس فيه وهو يقول: مروا بإسم الله! وجعل ينفخ بظهورهم وهو يقول: اللهم احمل عليها في سبيلك فإنك تحمل على القوي والضعيف والرطب واليابس والبر والبحر فجعلت تنازعهم أزمتها بدعوته صل الله عليه وسلم وبقيت كذلك إلى أن رجعوا إلى المدينة.

نزول الحجر والريح

فلما نزل صل الله عليه وسلم بالحجر قال: إنها ستهب الليلة ريح شديدة فلا يقومن منكم أحد إلا مع صاحبه، ومن كان له بعير فليوثق عقاله.

فهاجت ريح شديدة ولم يقم أحد منهم إلا مع صاحبه إلا رجلين من بني ساعدة: خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعيره فأحتملته الريح فطرحته في جبلي طيء، وأما الذي خرج لحاجته فإنه اختنق على مذهبه[2] فأخبر ﷺ فقال: ألم أنهكم أن يخرج رجل إلا معه صاحب له؟ ثم دعا للذي أصيب في مخرجه فشفي وأما الآخر: فإن طيئاً قدمت به المدينة.

خبر بئر الحجر

وأستقى الناس من بئر الحجر وعجنوا فنادى منادي رسول الله صل الله عليه وسلم: لا تشربوا من مائها ولا توضؤا منه للصلاة وما كان من عجين فأعلفوه الإبل فجعل الناس يهريقون ما في سقيتهم وتحولوا إلى بئر صالح عليه السلام فأرتووا منها.

---

(1) أولى لك: كلمة فيها نوع من التهديد أو العتاب.

(2) اختنق على مذهبه: أي أصيب باختناق في مخرجه.

وقال يومئذ: لا تسألوا نبيكم الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم آية فكانت الناقة ترد عليهم من هذا الفج وتصدر من هذا الفج تسقيهم من لبنها ما شربت من مائهم يوم وردها. فعقروها فأوعدوا ثلاثاً وكان وعد الله غير مكذوب فأخذتهم الصيحة وقال يومئذ: لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم فيصيبكم ما أصابهم.

خبر الناقة وقول المنافقين

وأرتحل صل الله عليه وسلم فأصبح في منزل, فضلت ناقته القصواء فخرج المسلمون في طلبها وكان زيد بن اللصيت يهودياً فأسلم ونافق، وظاهر أهله النفاق، وقد نزل في رحل عمارة بن حزم، وعمارة عند رسول الله ﷺ فقال زيد: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟! فقال رسول الله ﷺ: –من ساعته– إن منافقاً يقول: إن محمداً يزعم أنه نبي وهو يخبركم بأمر السماء ولا يدري أين ناقته!! وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني عليها وهي في الوادي في شعب كذا وكذا، حبستها شجرة بزمامها، فأنطلقوا حتى تأتوا بها فذهبوا إلى المكان الذي دلهم عليه فإذا هي كما قال، فجاؤوا بها. فرجع عمارة بن حزم إلى رحله فقال: العجب من شيءٍ حدَّثَناه رسولُ الله ﷺ آنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه قال: كذا وكذا –للذي قال زيد– فقال أخوه عمرو بن حزم: إن زيداً هو الذي قال هذه المقالة قبل أن تطلع علينا! فأقبل عمارة بن حزم على زيد بن اللصيت يجأه[1] –يجؤه– في عنقه ويقول: اخرج يا عدو الله من رحلي! فقال زيد: لكأني لم أسلم إلا اليوم قد كنت شاكاً في محمد وقد أصبحت وأنا فيه ذو بصيرة أشهد أن رسول الله! فقيل: إنه تاب، وقيل: لم يزل منافقاً حتى مات والله ورسوله أعلم.

الرسول ﷺ يصلي خلف عبد الرحمن بن عوف

ولما كان بين الحجر وتبوك ذهب صل الله عليه وسلم لحاجته –بعد الفجر– وكان إذا ذهب أبعد فتبعه المغيرة بن شعبة بماء في إداوة فأسفر الناس بصلاتهم حتى خافوا الشمس فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم. فلما فرغ صل الله عليه وسلم من حاجته صب عليه المغيرة من الإداوة فتوضأ ومسح خفيه وانتهى إلى عبد الرحمن وقد ركع بالناس ركعة فسبح الناس حين رأوا رسول الله حتى كادوا أن يفتتنوا، فجعل عبد الرحمن يريد أن ينكص وراءه فأشار اليه النبي ﷺ: أن اثبت فصلى

(1) وجأه: أي وكزه.

رسول الله ﷺ خلف عبد الرحمن ركعة، فلما سلم عبد الرحمن تواثب الناس رضي الله عنهم جميعا, وقام ﷺ للركعة الباقية ولما سلم منها قال: أحسنتم إنه لم يتوفى نبي يؤمه رجل صالح من أمته.

نهيه عن مس ماء تبوك وفيضان العين

وقال صل الله عليه وسلم: إنكم ستأتون غداً إن شاء الله تعالى عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمسن من مائها حتى آتي فسبق رجلان من المنافقين إليها -والعين تبض بشيء من ماء- فسألهما عليه الصلاة والسلام: هل مسستما من مائها شيئاً؟ قالا: نعم فغضب لأنهما خالفا أمره, وهو يبتغي المصلحة العامة.

ثم أمر صل الله عليه وسلم فغرفوا من العين بأيديهم قليلاً حتى اجتمع شيء منه ثم غسل فيه ووجهه ويديه ثم أعاده فيها ففاضت العين بماء غزير فأستقى الناس ثم قال لمعاذ بن جبل: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جناناً! وقد كان ذلك فرأى معاذ رضي الله عنه تلك الأراضي القاحلة الجرداء ملئت جناناً في زمن الخلفاء الراشدين (انظر صورة موقع الغزوة).

خبر الحية

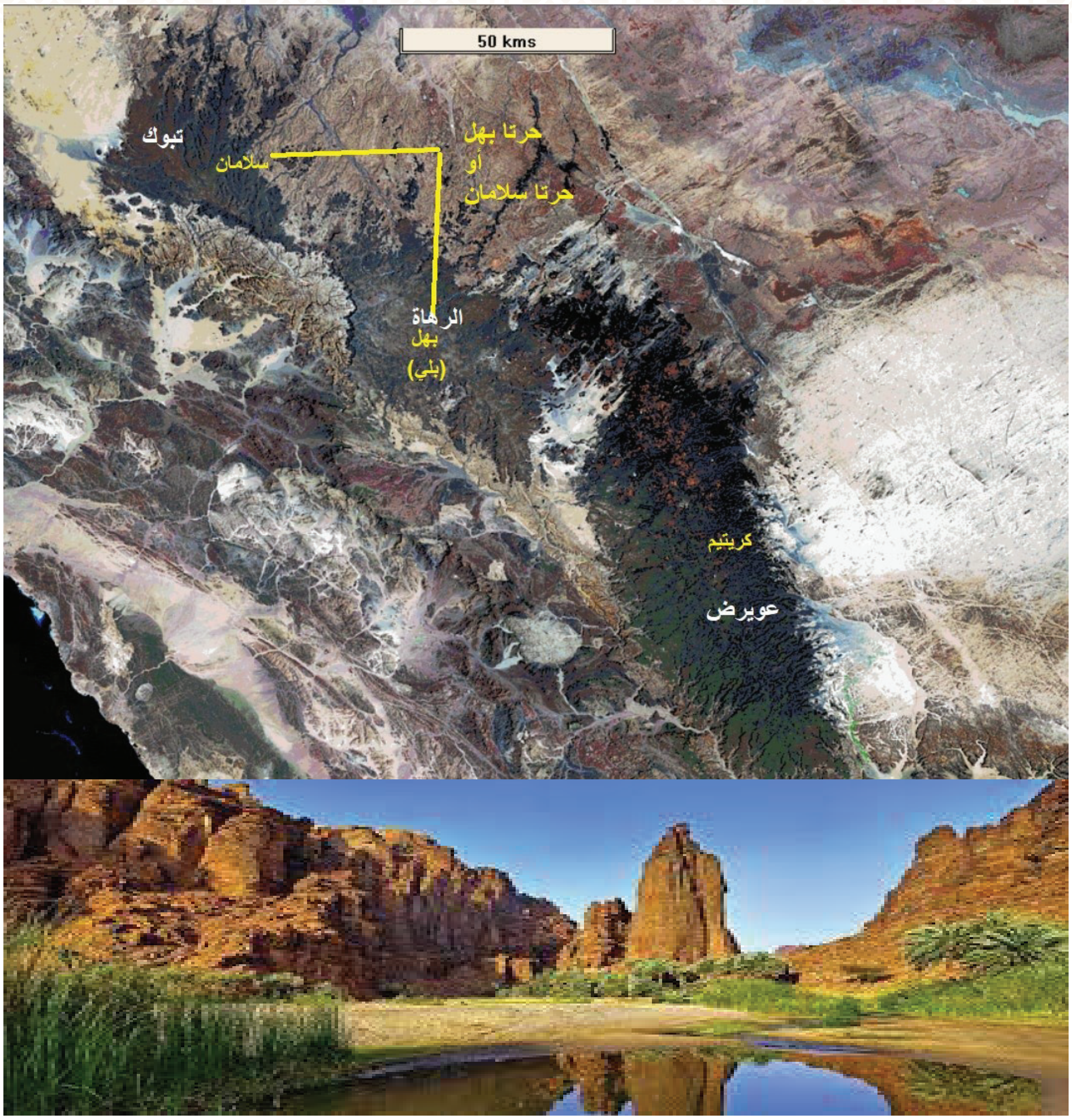
وعارض الناس في مسيرهم حية ذُكِر من عظمها وخلقها شيء كثير، فأقبلت حتى وافقت رسول الله ﷺ طويلاً -وهو على راحلته- والناس ينظرون إليها ثم إلتوت حتى إعتزلت الطريق فقامت قائمة، فأقبل الناس حتى لحقوا رسول الله ﷺ فقال لهم: هل تدرون من هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم! قال: هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا إلي يستمعون القرآن فرأى عليه من الحق -حين ألم رسول الله ببلده- أن يُسَلِّم عليه، وها هو ذا يقرئكم السلام فسلموا عليه! فقال الناس جميعاً: وعليه السلام ورحمة الله.

رقاده ﷺ عن صلاة الفجر

ولما كان من تبوك على ليلة رقد صل الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى أرتفعت الشمس قيد رمح فقال: يا بلال ألم أقل لك اكلأنا الليلة؟ فقال: يا رسول الله ذهب بي النوم فذهب بي الذي ذهب بك! فأرتحل عليه الصلاة و السلام من ذلك المكان غير بعيد ثم صلى ركعتين -سنة الفجر- ثم صلى ﷺ الفجر ثم سار يومه وليلته فأصبح بتبوك[1].

---

(1) دلائل النبوة للبيهقي.



موقع غزوة تبوك (العسرة)

8. خطبته ﷺ بتبوك

فلما أصبح صل الله عليه وسلم بتبوك جمع الناس ثم قال: أيها الناس أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله, وأوثق العرى كلمة التقوى, وخير الملل ملة إبراهيم, وخير السنن سنن محمد, وأشرف الحديث ذكر الله, وأحسن القصص هذا القرآن, وخير الأمور عواقبها, وشر الأمور محدثاتها, وأحسن الهدي هدي الأنبياء, وأشرف القتل قتل الشهداء, وأعمى الضلالة: الضلالة بعد الهدي, وخير الأعمال ما نفع, وخير الهدي ما أتبع, وشر العمى عمى القلب, واليد العليا خير من اليد السفلى, وما قل وكفى خير مما كثر وألهى, وشر المعذرة حين يحضر الموت, وشر الندامة يوم القيامة, ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا

نزراً, ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً, ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب, وخير الغنى غنى النفس, وخير الزاد التقوى, ورأس الحكمة مخافة الله, وخير ما ألقي في القلب اليقين, والارتياب من الكفر, والنياحة من عمل الجاهلية, والغلول من جمر جهنم, والشر كان من النار, والشعر من إبليس, والشباب شعبة من الجنون, وشر المكاسب كسب الربا, وشر المال أكل مال اليتيم, والسعيد من وعظ بغيره, والشقي من شقي في بطن أمه, وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع, والأمر إلى آخره, وملاك العمل خواتمه, وشر الرؤيا رؤيا الكذب, وكل ما هو آت قريب, وسباب المؤمن فسوق, وقتل المؤمن كفر, وأكل لحمه من معصية الله, وحرمة ماله كحرمة دمه, ومن يتأل على الله يكذبه, ومن يعف يعف الله عنه, ومن يكظم الغيظ يأجره الله, ومن يصبر على الرزية يعوضه الله, ومن يتتبع السمعة يسمع الله به، ومن يصبر يضاعف الله له، ومن يعص الله يعذبه، اللهم اغفر لي ولأمتي, اللهم اغفر لي ولأمتي استغفر الله لي ولكم.[1]

وطاف على ناقته بالناس وهو يقول: يا أيها الناس! الأَيْدِي ثلاثةٌ ، فيَدُ اللهِ العُلْيا ، ويَدُ المعْطِي التي تَلِيها، ويَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى، فأَعْطِ الفضْلَ؛ ولا تَعجَزْ عَن نَفْسِكَ[2]. فتغنوا ولو بحزم حطب -أي استغنوا عن المسألة- اللهم هل بلغت (ثلاثاً) فقال له رجل من بني عذرة: يا رسول الله إن امرأتين لي اقتتلا فرميت فأصبت إحداهما في رميتي -أي ماتت- فقال له: تعقلها[3] ولا ترثها.

وأقام صل الله عليه وسلم بتبوك عشرين ليلة وقيل: أقل من ذلك يصلي ركعتين.

9. قوله ﷺ في أهل اليمن والبركة في الطعام

ونظر بتبوك نحو اليمن ورفع يديه يشير إلى أهلها وقال: الإيمان يماني ونظر نحو المشرق وأشار بيده وقال: إن الجفاء وغلظ القلوب في الفدادين أهل الوبر من أهل المشرق حيث يطلع الشيطان قرنيه.

وجلس عليه الصلاة والسلام بتبوك في نفر من أصحابه -سبعة- فجاء رجل من بني سعد هذيم فسلم فقال له: اجلس فقال: يا رسول الله! أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقال له: أفلح وجهك ثم قال: يا بلال أطعمنا فبسط نطعاً -مائدة- ثم أخرج من جراب له قليلاً من تمر معجون بسمن وأقط ثم قال عليه الصلاة والسلام: كلوا فأكلوا حتى شبعوا فقال الرجل: يا رسول الله إن كنت لآكل هذا وحدي

(1) عن عقبة بن عامر الجهني, دلائل النبوة للبيهقي ص241.

(2) صحيح الجامع.

(3) تعقلها: أي تدفع ديتها.

-أي قبل أن الاسلام- فقال ﷺ: الكافر يأكل في سبعة أماء والمؤمن يأكل في معى واحد[1]، ثم جاء الرجل من الغد متحيناً الغداء فإذا عشرة حوله عليه الصلاة والسلام فقال: هات أطعمنا يا بلال! فجعل يخرج من جراب تمراً بكفه قبضة قبضة فقال: أخرج ولا تخف من ذي العرش اقتاراً[2] فجاء بالجراب فنثره فوضع ﷺ يده على التمر وقال: كلوا بسم الله! فأكل القوم وأكل الرجل حتى ما يجد له مسلكاً -من الشبع- وبقي على النطع مثل الذي جاء به بلال كأنه لم ينقص تمرة واحدة ثم عاد الرجل من الغد وعاد نفر فكانوا عشرة أو يزيدون فقال ﷺ يا بلال أطعمنا فجاء بذلك الجراب بعينه فنثره ووضع ﷺ يده الشريفه عليه وقال: كلوا باسم الله! فأكلوا حتى شبعوا ثم رفع مثل الذي وضعه ففعل مثل ذلك ثلاثة أيام.



قلعة تبوك[3]

مشورة رسول الله ﷺ أصحابه

وكان الذي بلغ النبي عليه الصلاة والسلام عن هرقل وتعبئته وزحفه بجيشه كان ذلك باطلاً وفي تبوك شاور النبي صل الله عليه وسلم أصحابه في التقدم فقال عمر رضي الله عنه: إن كنت أمرت بالمسير فسر! فقال: لو أمرت به ما أستشرتكم فيه قالوا: يا رسول الله إن للروم جموعاً كثيرة وليس بها -في بلاد الشام- أحد من أهل الاسلام وقد دنوت منهم حيث ترى وقد أفزعهم دنوُّك فلو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله لك أمراً.

---

(1) اخرجه البخاري.

(2) لا تخشى الفقر وضيق المعيشة.

(3) قُبالة قلعة تبوك الأثرية، يوجد متحف البيت الطيني، الذي ستحظى فيه باستكشاف أثريّاته العتيقة. أما على بعد 500م من القلعة، ستجد مسجد التوبة الذي صلّى فيه رسول الله ﷺ بغزوة تبوك، وبات اليوم معلمًا سياحيًا.

10. بعث السرية لحرب أكيدر بدومة الجندل وفتح الحصن

ثم بعث صل الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه من تبوك في أربعمائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبدالملك بدومة الجندل[1] –وكان ملكاً من قبل هرقل– وهي تبعد عن الشام خمس ليال (انظر مخطط السرية وصورة الحصن) فقال خالد: يا رسول الله كيف لي به وهو وسط بلاد كلب وإنما أنا في أناس يسير؟ فقال: ستجده يصيد البقر –الوحشي– فتأخذه وقال: فلا تقتله وأئت به إلي فإن أبى فأقتلوه! فخرج خالد حتى إذا كان من الحصن بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له من الحر ومعه امرأته –الرباب بنت أنيف بن عامر– وقينته تغنيه وقد شرب فأقبلت البقر تحك بقرونها باب الحصن فأشرفت امرأته فرأت البقر فقالت: ما رأيت كالليلة في اللحم! هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا, قالت: من يترك هذا؟ قال: لا أحد.

نزل فأمر بفرسه فأسرج وأمر بخيل فأسرجت وركب معه نفر من أصحابه ومعه أخوه حسان ومملوكان له فخرجوا من حصنهم بمطاردهم[2] وخيل خالد تنتظرهم لا يصهل منها فرس ولا يتحرك وعندما فصل عن حصنه أخذته الخيل وقاتل حسان حتى قتل عند باب الحصن وهرب المملوكان ومن كان معهما.

فتح الحصن

وقال خالد رضي الله عنه لأكيدر: هل لك أن أجبرك من القتل حتى آتي بك رسول الله على أن تفتح لي دومة؟ قال: نعم فأنطلق به في وثاق حتى أدناه من الحصن فنادى أهله: أفتحوا باب الحصن! فأرادوا ذلك فأبى عليهم أخوه –مَصَاد– فقال أكيدر لخالد: تعلم والله لا يفتحون لي ما رأوني في وثاقك، فحل عني ولك الله والأمانة أن أفتح لك الحصن إن أنت صالحتني على أهله قال: فإني أصالحك على أهل الحصن قال أكيدر: إن شئت حكمتك وإن شئت حكمتني؟ قال خالد: بل نقبل منك ما أعطيت فصالحه على ألفي بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح على أن ينطلق به وأخيه إلى رسول الله صل الله عليه وسلم فيحكم فيهما حكمه فخلى سبيله, ففتح الحصن ودخله خالد وأوثق مصاداً أخا أكيدر وأخذ ما صالح عليه من الابل والخيل والسلاح. ثم رجع خالد إلى المدينة –بعد قدومه ﷺ من تبوك– ومعه أكيدر ومصاد وعلى اكيدر صليب من ذهب وعليه الديباج فلما قدم بأكيدر وأخيه صالحه رسول الله ﷺ على الجزية وكتب لهما أماناً وخلى سبيلهما.

---

(1) وكان أكيدر يبعث بمن يتعرّض قوافل التجارة الذاهبة بين المدينة والشام, ويظلم من يمر بهم من الضافطة "الذين يجلبون الميرة والطعام" ثم قوي شرهم حتى شاع أن في عزمهم الدنوّ من المدينة.

(2) مطارد: جمع مطرد رمح قصير تطعن به الطريدة من الصيد.



تاريخها : ربيع أول ٥ هـ

مكانها : دومة الجندل

(بفتح الدال وقيل بضمها) هي الآن قرية في منطقة الجوف شمال المملكة قرب مدينة سكاكا ، وتبعد عن المدينة ٩٠٠ كلم سفراً و ٦٠٠ كلم مباشرة . السفر اليها قديما يستغرق ١٥ الى ١٦ يوم .



مخطط سرية دومة الجندل وصورة الحصن الاثري

11. معجزة الحصيات لوفد بني سعد من تبوك ونفاذ الزاد وبركته ﷺ

وقدم على النبي ﷺ –وهو في تبوك– وفد بني سعد هذيم فقالوا: يا رسول الله: إنا قدمنا عليك وتركنا أهلنا على بئر لنا قليل ماؤها وهذا القيظ ونحن نخاف إن تفرقنا –في طلب الماء– أن نقتطع لأن الاسلام لم يفش حولنا فادع الله لنا في مائنا فإنا إن روينا به فلا قوم أعز منا ولا يقربنا أحد مخالف لديننا! فقال:

أبغوني حصيات! فدفع إليه ثلاث حصيات فعركهن بيده الشريفة ثم قال: اذهبوا بهذه الحصيات إلى بئركم فاطرحوا واحدة واحدة وسموا الله. فانصرفوا ففعلوا ذلك فجاشت بئرهم بالرواء, وطردوا من قاربهم من المشركين ووطئوهم فما انصرف ﷺ من تبوك حتى أوطؤوا من حولهم غلبة ودانوا بالاسلام.

واستأذنه رافع بن خديج في الصيد فقال: إن ذهبت فأذهب في عدة من أصحابك وكونوا على خيل فإنكم متفرقون من العسكر فأنطلق في عشرة من الأنصار فيهم أبو قتادة –وكان صاحب طير للصيد– وأتوا بخمسة أحمرة –وحشية– وظباء كثيرة فأمر الرسول ﷺ رافعاً فجعل يعطي القبيلة بأسرها الحمار والظبي حتى فرق ذلك وبقي لرسول الله عليه الصلاة والسلام ظبي واحد فطبخه ودعا أضيافه فأكلوا.

آية الطعام والبركة فيه

وجاء إلى باب النبي ﷺ: عرباض بن سارية وجهال بن سراقة وعبد الله بن مغفل وقد تعشى ﷺ ومن معه من أضيافه وهو يريد أن يدخل قبته على أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها فلما رأى أولئك النفر الثلاثة وهم جياع فطلب من بيته شيئاً من الطعام فلم يجده فنادى بلالاً: هل من عشاء لهؤلاء النفر؟ فقال: لا والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا وحمتنا[1] قال: انظر عسى أن تجد شيئاً! فأخذ الجرب ينفضها جراباً جراباً فتقع التمرة والتمرتان حتى اجتمع سبعة تمرات فوضعها عليه الصلاة والسلام في صحفة وسمى بأسم الله ثم قال: كلوا بأسم الله! فأكلوا وأحصى عرباض أربعاً وخمسين تمرة يعدها ونواها في يده الأخرى وأكل كل واحد من الآخرين خمسين تمرة ورفعوا أيديهم فإذا التمرات السبع كما هي فقال: يا بلال ارفعها في جرابك لا يأكل منها أحد إلا نهل شبعاً فبات الثلاثة حول قبة رسول الله ﷺ فقام يتهجد على عادته فلما صلى الصبح جلس ﷺ بفناء قبته وحوله عشرة من الفقراء فقال: هل لكم في الغداء؟ فقال عرباض في نفسه: أي غداء؟ فدعا بلالاً بالتمر فوضع يده الشريفة عليه في الصحفة ثم قال: كلوا بإسم الله! فأكلوا حتى شبعوا واذا التمرات كما هي فقال ﷺ: لولا أني أستحيي من ربي لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد المدينة من آخرنا! وأخذ التمرات فدفعها إلى غلام فولى الغلام يلوكهن.

الجوع والعسرة ونفاد زادهم وبركته علية الصلاة والسلام

فلما أجمع صل الله عليه وسلم المسير أرمل الناس –نفد زادهم– إرمالاً شديداً حتى استأذنوه أن ينحروا ركابهم فأذن لهم, فلقيهم عمر رضي الله عنه وهم على نحرها فأمرهم أن يمسكوا ودخل على رسول الله صل الله عليه وسلم فقال: يارسول الله! أذنت للناس في حمولتهم يأكلونها؟ فقال: شكوا إلي

(1) الحمت: جميع حميت وهو وعاء أو زق صغير من الجلد لا شعر عليه.

ما بلغ منهم من الجوع فأذنت لهم تنحر الرفقة البعير والبعيرين ويتعاقبون فيما فضل من ظهر، هم قافلون إلى أهليهم! فقال: يا رسول الله لا تفعل فإن يك في الناس فضل من ظهرهم يكن خيراً ولكن أدع بفضل أزوادهم ثم أجمعها فأدع الله فيها بالبركة فإن الله مستجيب لك! فنادى مناديه: من كان عنده فضل زاد فليأت به! وأمر بالأنطاع فبسطت فجعل الرجل يأتي بالمد من الدقيق والسويق أو التمر أو القبضة من ذلك وكسر الخبز فيوضع كل صنف على حدة وكل ذلك قليل فكان جميع ما جاؤوا به من الدقيق والسويق والتمر ثلاثة أفرق تقريباً ثم توضأ وصلى ﷺ ركعتين ودعا الله ونادى مناديه: هلموا إلى الطعام خذوا منه حاجتكم! فأقبل الناس فجعل كل من جاء بوعاء ملأه وجعل الناس يتزودون حتى نهلوا عن آخرهم حتى كان آخر ذلك أن أخذت الأنطاع ونثر ما عليها فجعل رسول الله ﷺ يقول وهو واقف: أشهد أن لا إله إلا الله وأني عبده ورسوله. وأشهد أنه لا يقولها أحد من حقيقة قلبه إلا وقاه الله حر النار.

موت ذي البجادين

ومات بتبوك عبد الله بن عبد نهم المزني –ذو البجادين– وسبب تلقبيه بذلك: أنه كان يتيماً في حجر عمه وكان محسناً له فبلغ عمه أنه أسلم فنزع منه كل شيء أعطاه حتى جرده من ثوبه فأتى عبدالله أمه فقطعت له بجاداً[1] باثنتين فأتزر نصفاً وأرتدى نصفاً ثم لحق بالنبي صل الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام: أنت ذو البجادين فألتزم بابي.

ولما توفي بتبوك نزل صل الله عليه وسلم قبره عشاءاً ولحده لشقه وقد دلاه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ثم قال: اللهم إني قد أمسيت عنه راضياً فأرضى عنه! فقال عبد الله بن مسعود: ياليتني كنت صاحب هذا اللحد وكلنا يتمنى ذلك.[2]

النهي عن الماء

ثم عاد قافلاً حتى كان بين تبوك وواد يقال له وادي الناقة (في البلقاء) وكان فيه وشل[3] يخرج منه في أسفله قدر ما يروي الراكبين أو الثلاثة فقال: من سبقنا إلى ذلك الرمل فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتي فسبق إليه أربعة من المنافقين فنزلوا واستقوا منه فقال لهم صل الله عليه وسلم: ألم أنهكم؟ ثم نزل فوضع يده عليه الصلاة والسلام في الوشل ثم مسحه بأصبعه حتى اجتمع منه في كفه ماء قليل ثم

(1) البجاد: كساء غليظ جافي.

(2) السيرة النبوية لابن هشام ص 528.

(3) الوشل: الماء القليل. قال ابن الوردي رحمه الله في لاميته: ملك كسرى يغنى عنه كسرة وعن البحر اغتناء بالوشل.

نضحه به ثم مسحه بيده ثم دعا بما شاء الله أن يدعو فأنخرق الماء حتى سمع له صوت ودوي. فشرب الناس ما شاؤوا وسقوا وملؤا أسقيتهم ثم قال الرسول ﷺ: لئن بقيتم –أو من بقي منكم– لتسمعن بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه.

12. تآمر المنافقين على رسول الله ﷺ

ولما كان صل الله عليه وسلم في طريقه إلى المدينة مكر به أناس من المنافقين وأتمروا أن يطرحوه من عقبة فلما بلغ تلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه جاءه الخبر من السماء فقال للناس: أسلكوا بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادي وسلك ﷺ العقبة وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها وأمر حذيفة بن اليمان يسوق خلفه رضي الله عنهما فبينا رسول الله ﷺ يسير في العقبة إذ سمع حس القوم قد غشوه فغضب وأمر حذيفة أن يردهم فرجع إليهم فجعل يضرب وجوه رواحلهم بمحجن في يده فأنحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس فأتى حذيفة فساق به الناقة فلما خرج من العقبة ونزل الناس قال لحذيفة: هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتهم؟ قال: يا رسول الله عرفت راحلة فلان وفلان وكان القوم متلثمين فلم أعرفهم من ظلمة الليل. وكانوا قد أنفروا ناقة رسول الله ﷺ فسقط بعض متاع رحله فجمعوا جميع ما سقط من الرحل حتى لم يفقدوا منه شيئاً.

خبر أسيد بن حضير

فلما أصبح ﷺ قال له أسيد بن الحضير رضي الله عنه: يا رسول الله! ما منعك البارحة من سلوك الوادي فقد كان أسهل؟ فقال: يا أبا يحيى! أتدري ما أراد البارحة المنافقون وما هموا به؟ قالوا: نتبعه في العقبة فإذا أظلم الليل عليه قطعوا أنساع[(1)] راحلتي ونخسوها حتى يطرحوني عن راحلتي فقال أسيد: يا رسول الله فقد اجتمع الناس ونزلوا, فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذي هم بهذا فيكون الرجل الذي يقتله من عشيرته وإن أحببت فنبئني بهم فوالذي بعثك بالحق لا تبرح حتى آتيك برؤوسهم وإن كانوا في النبيت[2] كفيتكهم وأمرت سيد الخزرج فكفاك من ناحية, فإن مثل هؤلاء لا يتركون يا رسول الله حتى نداهنهم وقد صاروا اليوم في القلة والذلة وضرب الإسلام بجرانه؟ قال ﷺ: يا أسيد إني أكره أن يقول الناس: إن محمداً, لما إنقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه! فقال: يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب قال: أوليس يظهرون شهادة أن لاإله إلا الله؟ قال: بلى ولا شهادة لهم قال:

---

(1) الأنساع: الحزام و الرباط.

(2) من ابناء الاوس بن حارثة وهو عمرو بن مالك (النبيت).

أوليس يظهرون أني رسول الله؟ قال: بلى ولا شهادة لهم قال ﷺ: فقد نهيت عن قتل أولئك. وكان عدد المنافقين الذين تآمروا بضعة عشر رجلاً وقد سماهم صل الله عليه وسلم لحذيفة وعمار.

13. خبر مسجد الضرار وهدمه

ولما كان يتجهز صل الله عليه وسلم إلى تبوك جاءه أصحاب مسجد الضرار وهم خمسة فقالوا: يا رسول الله إنا رسل من خلفنا من أصحابنا وقد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، ونحن نحب أن تأتينا فتصلي فيه فقال: إني على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا –ان شاء الله– أتيناكم فصلينا بكم فيه.

فلما قدم من تبوك وكان بذي أوان –قرية قريبة من المدينة– أنزل الله عليه خبر المسجد وخبر أهله بقول تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ {107} لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ {108} أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ{109} لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[1].

وكان المنافقون إذا اجتمعوا في مسجد رسول الله صل الله عليه وسلم فكانوا يجلسون إلى بعضهم ويتناجون فيما بينهم ويلتفت بعضهم إلى بعض فيلحظهم المسلمون بأبصارهم فشق ذلك عليهم وأرادوا لهم مسجداً يكونون فيه لا يغشاهم فيه إلا من يريدون ممن هو على شاكلتهم ورأيهم فبنوا مسجدهم الذي سماه الله تعالى "الضرار" كما تقدم في الآيات.

فدعا رسول الله ﷺ عاصم العجلاني ومالك السالمي فقال: إذهبا إلى هذا المسجد الظالم أهله فأهدماه ثم حرقاه فخرجا سريعين حتى أتياه فأخذ مالك سعفاً من نخل وأشعل فيه ناراً ثم حرق به المسجد بين المغرب والعشاء وهم فيه وإمامهم مجمع بن جارية ثم هدماه حتى وضعاه بالأرض.

(1) سورة التوبة.

14. المخلفون وخبر الثلاثة المخلفين وبشارتهم بالتوبة وفرح المسلمين

ولما قدم صل الله عليه وسلم المدينة بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فجاء المخلفون فجعلوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبل منهم علانيتهم وأيمانهم، وحلفوا فصدقهم وأستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله وكان قدومه ﷺ في رمضان.

ودعا صل الله عليه وسلم حين قدم فقال: الحمدلله على ما رزقنا في سفرنا هذا من أجر وحسبة ومن بعدنا شركاؤنا فيه فقالت عائشة رضي الله عنها: أصابكم العسر وشدة السفر ومن بعدكم شركاؤكم فيه؟ فقال: إن بالمدينة لأقواماً ما سرنا من مسير ولا هبطنا وادياً إلا كانوا معنا, حبسهم المرض أوليس الله يقول في كتابه: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1], فنحن غزاتهم وهم قعدتنا والذي نفسي بيده لدعاؤهم أنفذ في عدونا من سلاحنا.

وقد كان تخلف أولئك النفر الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق وهم: كعب بن مالك السلمي ومرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي رضي الله عنهم جميعا.

خبر كعب بن مالك

وجاء كعب بن مالك إلى رسول الله صل الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد فلما سلم عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال: تعال فجاء حتى جلس بين يديه فقال: ما خلفك؟ ألم تكن ابتعت ظهرك؟[2] فقال: بلى يا رسول الله! والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر, لقد أعطيت جدلاً ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثاً كاذباً لترضى عني ليوشك الله أن يسخط علي، ولئن حدثتك اليوم حديثاً صادقاً تجد علي فيه, إني لأرجو عقبى الله فيه, ولا والله ما كان لي عذر, والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. فقال صل الله عليه وسلم: أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك وأما مرارة بن الربيع وهلال بن أمية فقد صدقا أيضاً.

---

(1) التوبة اية 122.

(2) أشتريت الراحلة وهي البعير للسفر بالغزوة.

ونهى رسول الله صل الله عليه وسلم عن كلام هؤلاء الثلاثة فأجتنبهم الناس وتغيروا لهم حتى تنكرت لهم أنفسهم فلبثوا ذلك خمسين ليلة[1] وقد قعد مرارة وهلال في بيوتهما وأما كعب فكان نشيط نشاط الشباب يخرج فيشهد الصلوات مع المسلمين ويطوف بالأسواق فلا يكلمه أحد, ويأتي رسول الله ﷺ –وهو في مجلسه بعد الصلوات– فيصلي قريباً منه يسارقه النظر وهو معرض عنه.

وتسور يوماً جدار أبي قتادة –وهو ابن عمه وصديقه– فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فقال: يا أبا قتادة أنشدك الله! هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت وكرر ذلك فقال في الثالثة: الله ورسوله أعلم! ففاضت عيناه وانصرف فلما مضت أربعون ليلة بعث إليهم –الثلاثة– رسول الله صل الله عليه وسلم مع خزيمة بن ثابت يأمرهم أن يعتزلوا نساءهم فقال كعب لأمرأته: إلحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض.

وبكى هلال بن أمية وأمتنع عن الطعام وواصل اليومين والثلاثة ما يذوق طعاماً إلا أن يشرب الشربة من الماء أو قليلاً من اللبن ويصلي الليل ولم يخرج من بيته لأن أحداً لا يكلمه وجاءت امرأته إلى النبي صل الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع ليس له خادم وأنا أرفق به من غيري فإن رأيت أن تدعني أخدمه فعلت! قال: نعم ولكن لا تدعيه يصل إليك فقالت: يا رسول الله! ما به من حركة إلي والله مازال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه، وإن لحيته لتقطر دموعاً الليل والنهار ولقد ظهر البياض على عينيه حتى تخوفت أن يذهب بصره.

البشارة بالتوبة وفرح المسلمين

فلما كملت خمسون ليلة[2] وهم كما وصفهم بقوله تعالى: (وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[3]. وأنزل الله توبتهم بقوله تعالى بنفس سورة التوبة: (لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ {117} وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ

(1) وهي نفس المدة التى قضاها الرسول ﷺ بغزوة تبوك, ففي رمضان من السنة التاسعة للهجرة عاد النبي ﷺ من غزوة تبوك، حيث كان خروجه ﷺ إلى تبوك في رجب، واستغرقت هذه الغزوة خمسين يومًا أقام منها عشرين يومًا في تبوك والباقي كانت مسيرة الجيش قضاها في الطريق ذهابًا وعودة.

(2) وهي نفس عدد ايام الغزوة التي تخلفوا عنها.

(3) سورة التوبة.

عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {118} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ).

فلما كان الصبح أخبر رسول الله ﷺ بما أنزل الله تعالى من توبتهم ففرح بذلك المسلمون وخرج أناس يبشرونهم فأقبل كعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ والناس يهنئونه فلما سلم على رسول الله ﷺ قال له – ووجهه يبرق من السرور– : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك! فقال: أمن عندك يا رسول الله أو من عند الله؟ قال: من عند الله! وتلا عليهم الآيات من التوبة (117–118–119) فقال كعب: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة فقال: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال: فالثلثان! قال: لا. قال: فالنصف قال: لا قال: فالثلث: قال نعم.

وأما هلال بن أمية لما بشروه بالتوبة سجد شكراً لله ولقيه الناس يهنئونه فما استطاع المشي لما ناله من الضعف والحزن والبكاء حتى ركب حماراً وأتى المسجد وبشروا مرارة بن الربيع فأنطلق حتى توافوا –تجمعوا–عند النبي ﷺ وقد عم الفرح والسرور جميع المسلمين.

15. ما نزل في غزوة تبوك

ونزل في الذين كذبوا قوله تعالى: (سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ {95} يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)[1]. وأنزل الله تعالى في هذه الغزوة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ}[2].

وأكثر هذه السورة نزلت في تبوك وكشفت براءة ما كان مستوراً وأبدت أضغان المنافقين ومن جملة أسماء هذه السورة (الفاضحة) لأنها فضحت المنافقين.

---

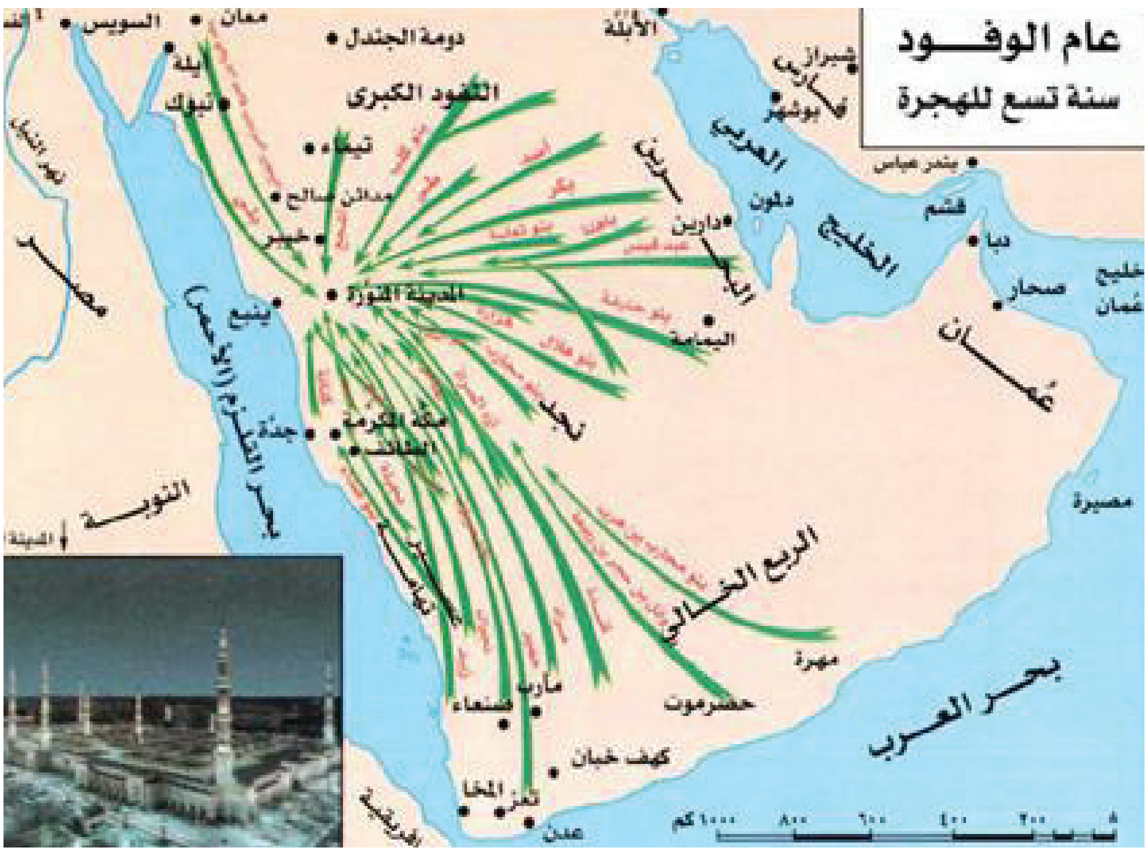
(1) سورة التوبة.

(2) اية 38 ومابعدها من سورة التوبة.

الجزء الخامس عشر : عام الوفود وحجة الوداع ووفاة الرسول

1. وفد ثقيف للإسلام وخبر عروة بن معتب الثقفي وأحداث ثقيف

توافد الوفود امن جميع أجزاء جزيرة العرب لإشهار إسلامهم والتعرف على دينهم الجديد وللإتفاق على المعاهدات (انظر الخريطة) ففي شهر رمضان قدم على رسول الله عليه الصلاة والسلام: عروة بن معتب الثقفي مسلماً –وهو من رؤساء ثقيف– ثم إنه أراد أن يرجع إلى ثقيف فيدعوهم إلى الإسلام فقال له صل الله عليه وسلم: إنهم إذاً قاتلوك! قال: لأنا أحب إليهم من أبكار أولادهم! ثم استأذنه الثانية ثم الثالثة فقال: إن شئت فأخرج فخرج وعاد إلى الطائف عشاء فدخل منزله ولم يأت الربة –اللات– فأنكر قومه ذلك وأتوه منزله فدعاهم إلى الإسلام فأكبروا ذلك وخرجوا يأتمرون ما يصنعون به حتى إذا كان الفجر أوفى على سطح له فأذن بالصلاة فرموه بسهم أصاب أكحله فلم يرقأ دمه حتى مات. فلما بلغ رسول الله صل الله عليه وسلم قتله قال: (مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله تعالى فقتلوه)[1] ولحق ابنه أبو مليح وابن أخيه قارب بن الأسود برسول الله ﷺ فأسلما ونزلا على المغيرة.



---

(1) أخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل.

2. هدم صنم ثقيف وإسلام الشاعر كعب بن زهير

كان عمرو بن أمية من دهاة العرب فمشى ظهراً إلى عبد ياليل حتى دخل عليه داره ثم أرسل إليه أن أخرج إلي فخرج إليه فدعاه إلى الدخول في الإسلام وقال له: إنه قد نزل بنا أمر ليست لنا حيلة في الخروج منه. إنه قد كان من أمر هذا الرجل[1] ما قد رأيت وقد أسلمت العرب كلها وليست لكم بحربهم طاقة فأنظروا في أمركم! فقال عبد ياليل: والله إنني قد رأيت ما رأيت! فأتمرت ثقيف فيمن يرسلونه إلى النبي ﷺ حتى أجمعوا على أن يبعثوا وفداً من رؤسائهم فأرسلوا ستة نفر وهم: الحكم بن عمرو وشرحبيل بن غيلان وعثمان بن أبي العاص وأوس بن عوف ونمير بن خرشة ورئيسهم عبد ياليل.

فلما قاربوا المدينة فرآهم المغيرة بن شعبة رضي الله عنه –وكان يرعى الركاب في نوبته– فسلم عليهم وترك الركاب عندهم وخرج يشتد يبشر النبي ﷺ بقدومهم فبشره ثم عاد إليهم فأتوا إلى المسجد فقال الناس: يدخلون المسجد وهم مشركون؟ فقال ﷺ: إن الأرض لا ينجسها شيء ثم أنزلهم المغيرة في داره وأمر لهم ﷺ بخيمات ثلاث فضربن في المسجد فكانوا يستمعون القراءة بالليل وتهجد الصحابة وينظرون صفوفهم في الصلوات المكتوبات ويرجعون إلى منزل المغيرة فيطعمون ويتوضؤون. وكان صل الله عليه وسلم يجري لهم الضيافة في دار المغيرة وكان يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ خالد بن سعيد بن العاص حتى أسلموا ثم تعلموا فرائض الإسلام وشرائعه وصاموا بقية شهر رمضان وكتب لهم كتاب الصلح وأمر عثمان بن أبي العاص وكان أصغرهم سناً ولكنه اغتنم فرصة وجوده عند النبي صل الله عليه وسلم فكان يخلف أصحابه في رحالهم وكان اذا رجعوا وناموا بالهاجرة عمد إلى النبي ﷺ فسأله عن شرائع الإسلام واستقرأه القرآن حتى فقه وحفظ من القرآن سوراً رضي الله عنهم جميعا.

وبعد أن غادر الوفد المدينة ودخل الطائف دعوا قومهم للإسلام فكانت لهم مع قومهم أنباء وحوادث حتى أسلموا فبعث النبي ﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الربة صنمهم –اللات– فدخل أبو سفيان والمغيرة في بضعة عشر رجلاً فهدموا الربة وأنتزعوا كسوتها وما فيها من طيب وذهب وفضة فأعطى رسول الله عليه الصلاة والسلام منها ناساً وجعل الباقي في سبيل الله وفي السلاح.

كان كعب بن زهير من شعراء العرب المشهورين وكان قال شعراً هجا فيه رسول الله صل الله عليه وسلم ولما فتح رسول الله ﷺ مكة هرب هو وأخوه بجير إلى أبرق العزاف[2] ولما قدم ﷺ المدينة جاءه

(1) يعني الرسول صل الله عليه وسلم.

(2) أبرق العزاف: هو ماء لبني أسد بين المدينة والربذة.

بجير فأسلم فقال كعب بن زهير شعراً غضب منه رسول الله ﷺ وأهدر دمه فكتب إليه بجير وقال له: (النجاء النجاء وما أراك أن تفلت) وكتب إليه يدعوه الى الإسلام فأسلم وقدم على رسول الله ﷺ المدينة فنزل على رجل من جهينة كانت بينهما معرفة وصداقة فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح ثم أشار له إليه وقال: هذا رسول الله! فقم إليه واستأمنه فجاء حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فوضع يده في يده وكان ﷺ لايعرفه (حسب الظاهر). فقال: يا رسول الله! إن كعب بن زهير قد جاءك يستأمنك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ فقال: نعم! فقال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير! ثم تشهد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله! ثم أنشد قصيدته المشهورة فقال:

قصيدة كعب بن زهير

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزآء مدبرة ... لا يشتكى قصر منها ولا طول
كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وإنْ طالَتْ سَلامَتُهُ ... يوْماً على آلَةٍ حَدْباءَ مَحْمولُ
أُنْبِئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَني ... والعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ
وقد أتيت رسول الله معتذراً ... والعذر عند رسول الله مقبول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ ... قرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم ... أذنب وإن كثرت في الأقاويل

وقال فيها:

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا

إلى آخر القصيدة وهي ستون بيتاً. ولما قال البيت من القصيدة: إن الرسول لنور يستضاء به... الخ, رمى عليه الصلاة والسلام إليه بردة كانت عليه وأعطاه راحلة! فأبتاع البردة معاوية بن أبي سفيان في خلافته بعشرين ألفاً وهي لا زالت يتوارثها الملوك والسلاطين وهي اليوم في متحف اسطنبول.

قدوم يحنة وأهل أيلة ووفد بني أسد

بعد أن صالح رسول الله ﷺ أهل دومة الجندل وكتب لملكهم أكيدر بن عبد الملك(1) كتاب الصلح والأمان، خاف أهل أيلة وتيماء(2) فقدم يحة بن رؤبة ومعه نفر من هل جرباء وأذرح –وعليه صليب من ذهب– وقد عقد ناصيته، فلما رأى النبي ﷺ كفّر وأومأ برأسه(3) فأشار إليه: أن ارفع رأسك! وكساه برداً وأنزله عند بلال. فصالحهم صل الله عليه وسلم وقطع عليهم الجزية فوضع على أهل أيلة ثلاثمائة دينار وكانوا ثلاثمائة رجل وكتب لهم بعد البسملة: "هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليُحَنَّة بن رؤبة وأهل أيلة: سفنهم وسيارتهم في البر والبحر فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه وإنه لا يحل أن يمنعوا ماءاً يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر". ثم كتب أماناً لأهل جرباء وضرب عليهم الجزية مائة دينار في كل عام وكتب أماناً لأهل أذرح وضرب عليهم مائة دينار في كل عام أيضاً.

ولما أسلمت ثقيف أقبلت وفود العرب للمدينة من كل وجه ودخل الناس في دين الله أفواجاً لمعرفتهم أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله صل الله عليه وسلم ولا عداوته.

فقد قدم وفد من بني أسد وقالوا: أتيناك مسلمين قبل أن ترسل إلينا! فأنزل الله فيهم قوله تعالى:(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل ۞لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)4.

إسلام حمير وكتب ملوكهم

وقدمت كتب ملوك حمير ورسلهم إليه بإسلامهم: الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان ذى رعين ومعافر وهمدان وقد أقروا بالإسلام, وقدم وفد بهراء ووفد بني البكاء ووفد فزارة ووفد ثعلب ووفد سعد بن بكر ووافدهم ضمام بن ثعلبة ووفد الداريين من لخم وهم عشرة.

3. حجة أبي بكر الصديق وصفتها وموت رئيس المناقفين وما أنزل من القرآن فيهم

ومرض عبد الله بن أبي رئيس المنافقين في ليال شوال ومات في ذي القعدة وكان مرضه عشرين يوماً وكان رسول الله صل الله عليه وسلم يعوده في مرضه فلما دخل وهو يجود بنفسه قال له: قد نهيتك

---

(1) أنظر خبر السرية في غزوة تبوك.

(2) ايلة وتيماء وجرباء وأذرح: بلاد لمتنصرة العرب.

(3) كفر: هذه طقوس عند النصارى يضع يديه على صدره ثم ينحني ويطأطئ رأسه في خضوع وذلة.

(4) الحجرات الاية17 .

عن حب يهود فقال: قد أبغضهم أسعد بن زرارة فما نفعه[1] ثم قال: يا رسول الله ليس بحين عتاب, هو الموت فإن مت فأحضر غسلي وأعطني قميصك أكفن فيه فأعطاه قميصه الأعلى وكان عليه قميصان فقال: الذي يلي جلدك فنزع قميصه الذي يلي جلده فأعطاه ثم قال: صل علي واستغفر لي.

فلما مات حضر صل الله عليه وسلم وغسله وكفنه ثم حمل إلى موضع الجنائز فتقدم ليصلي عليه فلما قام وثب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله تصل على ابن أبي؟ فإنه قال في يوم كذا كذا، ويوم كذا كذا فعد عليه قوله فتبسم وقال: أخر عني يا عمر فإني خيرت فأختترت قد قيل لي: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ, إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)[2] فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له, زدت عليه فصلى عليه وأطال الوقوف. ونزل قوله تعالى:(وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ)[3]. فنهي رسول الله ﷺ في هذه الآية أن يصلي على المنافقين فكان من مات منهم لم يصل عليه بعدها.

ثم كانت حجة أبي بكر رضي الله عنه سنة تسع وكان رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه سورة براءة, قد عاهد ناساً من المشركين عهداً فلبث بعد مرجعه من تبوك أربعة أشهر فحان وقت الحج فكره أن يخرج ذلك العام حتى ينبذ إلى كل من عهد إليه من المشركين عهده وكانوا يحجون مع المسلمين فإذا قال المسلمون: لبيك لا شريك لك عارضهم المشركون بقولهم: لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك! عالية أصواتهم ليشوشوا عليهم بذلك ويطوف رجال منهم عراة ليس على أحد منهم ثوب يعظمون بذلك حرمة البيت –بزعمهم– فيقول أحدهم: أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ليس علي شيء من الدنيا خالطه الظلم. لذلك كره رسول الله ﷺ أن يحج ذلك العام فأستعمل أبا بكر على الحج فخرج في ثلاثمائة رجل وبعث معه صل الله عليه وسلم بعشرين بدنة قلدها النعال وأشعرها بيده في الجانب الأيمن[4] واستعمل عليها ناحية بن أبي جندب الأسلمي وساق أبو بكر رضي الله عنه خمس بدنات وأهل من ذي

(1) يقصد: بأن بغض ابن زرارة لليهود لم يدفع عنه الموت.

(2) التوبة اية 80.

(3) التوبة اية 84.

(4) التقليد: هو وضع وربط خيط الصوف او النعال حول رقبة الغنم. أما الاشعار: فهو جرح بسيط بالسنام الجهه اليمنى ليسيل بعض الدم والهدف هو تعريف الدواب بأنها للهدي للحرم المكي فحتى السراق يخافون ويتجنبون تلك الدواب لانها معلومة الوجهه لله تعالى.

الحليفة وسار حتى إذا كان بالعرج في السحر سمع رغاء القصواء فاذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عليها فقال: أستعملك رسول الله ﷺ على الحج؟ قال: لا ولكن بعثني أقرأ براءة (سورة التوبة) على الناس فأنبذ –قرب نفاذ وأنتهاء العهود– إلى كل ذي عهد عهده.

وكان رسول الله صل الله عليه وسلم عهد إلى أبي بكر رضي الله عنه أن يخالف المعسكرين فيقف يوم عرفة بعرفة قبل طلوع الشمس، ولا يقف بجمع –المزدلفة– فخرج حتى أتى مكة وهو مفرد بالحج فخطب قبل التروية بيوم واحد بعد الظهر وطاف يوم التروية حين زاغت الشمس سبعاً ثم ركب راحلته من باب بني شيبة حتى أتى وادي منى فصلى فيها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ولم يركب من منى حتى طلعت الشمس على ثبير فإنتهى إلى نمرة فنزل فيها فقام في قبته ثم ركب راحلته لما زاغت الشمس فخطب ببطن عرفة ثم أناخ فصلى الظهر والعصر بأذان وإقامتين ثم ركب راحلته فوقف بالهضاب من عرفة فلما غابت الشمس نفر إلى مزدلفة وهو يسير العنق(1) حتى نزل بمزدلفة فلما طلع الفجر صلى الفجر ثم وقف وهو يقول: يا أيها الناس أسفروا(2) فلما إسفر دفع نحو مني وكان يسير العنق حتى أتى الجمرة فرمى الجمرة راكباً بسبع حصيات ثم رجع إلى المنحر فنحر ثم حلق.

وقرأ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سورة البراءة –يوم النحر عند الجمرة– ونبذ إلى كل ذي عهد عهده وقال: إن رسول الله صل الله عليه وسلم يقول: لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. وخطب أبو بكر رضي الله عنه يوم النحر بعد الظهر على راحلته وأقام بمنى يرمي الجمار ماشياً فلما رمى يوم الصدر وجاوز العقبة ركب وصلى بالأبطح الظهر والعصر وصلى بمكة المغرب والعشاء ثم خرج من ليلته قافلاً إلى المدينة.

ولما رجع المشركون من حجهم ورأوا من المسلمين ما لم يتصوروا، وغير ما سمعوا من أعداء الإسلام وما يشيعونه من أقاويل وأوهام, رأوا بشراً وليسوا كالبشر, كأن ملائكة السماء تمشي على وجه الأرض ما هذه المحبة؟ ما هذه الأخلاق؟ ما هذه الطاعة؟ ما هذا النظام؟ ما هذه الرحمة لبعضهم خاصة وللناس عامة؟! فلاموا أنفسهم وقالوا: أين نحن وأين عقولنا من هذا الدين! إذاً لابد أن نسرع وندخل في هذا الدين كما أسلمت قريش! فأسلموا.

(1) العنق: نوع من السير، سريع.

(2) أسفروا: أي انتظروا إسفار النهار ـ وهو قبل طلوع الشمس.

4. السنة العاشرة: عام الوفود

وفي ربيع الأول من السنة العاشرة بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً فإن أجابوا وأسلموا أقام فيهم وعلمهم شرائع الإسلام وإن أبوا قاتلهم فخرج إليهم ودعاهم فأجابوا وأسلموا وأقام فيهم يعلمهم أحكام الإسلام وكتب إلى رسول الله صل الله عليه وسلم يُعْلمه إسلامهم ثم عاد في رمضان ومعه وفدهم فيهم: قيس بن الحصين –ذو الغصة[1]– ويزيد بن عبد المدان[2] في آخرين ثم عادوا في بقية شوال وأمر عليهم قيس بن الحصين.

وبعث إليهم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الإسلام ويأخذ صدقاتهم وكتب له صل الله عليه وسلم كتاباً ليحملهم على ما فيه وبين فيه الأحكام والزكوات ومقادير الديات وتوفي رسول الله صل الله عليه وسلم وعمرو بن حزم على نجران.

وفد ضمام بن ثعلبة

ووفد ضمام بن ثعلبة، وكان من خبره: بينما رسول الله ﷺ في المسجد مع أصحابه، إذ جاء رجل من أهل البادية ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يُفقه ما يقول فأناخ راحلته في المسجد ثم قال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فدلوه عليه فدنا وقال: إني سائلك فمشدد عليك المسئلة فلا تجد علي في نفسك فقال: سل ما بدا لك فقال: أنشدك بالله آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: نعم! فقال: أنشدك بالله آلله أمرك أن نصلي خمس صلوات في اليوم والليلة؟ قال: اللهم نعم فقال: أنشدك بالله آلله أمرك أن نأخذ من أموال أغنيائنا فنرده على فقرائنا؟ قال: اللهم نعم قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من اثني عشر شهراً؟ قال: اللهم نعم قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن نحج هذا البيت من استطاع إليه سبيلاً؟ قال: اللهم نعم قال: فإني آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة وفي رواية: ثم قال: والذي بعثك في بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص فقال النبي ﷺ: لئن صدق ليدخلن الجنة![3] ولما ولى قال صل الله عليه وسلم: فقه الرجل، ثم ذهب ضمام إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام وترك عبادة الأصنام والأوثان فأسلموا.

---

(1) الغصة كانت في حلقه.

(2) شاعر من أشراف اليمن وشجعانها بالجاهلية.

(3) صحيح البخاري.

وفود عبد القيس

وقدم من الوفود عبد القيس وكان من خبرهم: أن رسول الله ﷺ كان جالساً بين أصحابه يوماً فقال لهم: سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق, لم يكرهوا على الإسلام قد أنضوا الركائب وأفنوا الزاد، اللهم اغفر لعبد القيس! فلما أتوا ورأوا النبي ﷺ ألقوا بأنفسهم عن الركائب بباب المسجد، وتبادروا إلى رسول الله ﷺ يسلمون عليه وكان فيهم عبد الله بن عوف الأشج –وكان أصغرهم سناً– فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ثم جاء يمشي هوناً حتى سلم على رسول الله ﷺ فقال له عليه الصلاة والسلام: إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة.[1]

وقد قال ﷺ لهذا الوفد: مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى فقالوا: يا رسول الله! إنا نأتيك من شقة بعيدة وإنه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر, وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام فأمرنا بأمر فصل, فقال: آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس, وأنهاكم عن: الدباء والحنتم والنقير والمزفت[2]. وقد نهاهم ﷺ خاصة بما ذكر لكثرة الأشربة التى كانت شائعة بينهم.

5. وفود بني حنيفة ومسيلمة الكذاب

وقدم وفد بني حنيفة وفيهم مسيلمة الكذاب بن ثمامة فنزل دار أحد الأنصار ثم عاد إلى اليمامة فتنبأ وأدعى أنه شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم في النبوة فأتبعه بنو حنيفة. وكتب مسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ: (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد: فإني قد أشركت معك في الأمر وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشاً قوم يعتدون).

رد الرسول ﷺ على مسيلمة الكذاب

فكتب إليه رسول الله ﷺ: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وفي الحديث الذي رواه مسلم قال الرسول ﷺ لمسيلمة وفي يده قطعة من جريد النخل (لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها ولن اتعدى امر الله فيك، ولئن ادبرت ليعقرنك الله واني لأراك الذي أريت فيك ما رأيت. فأَخْبَرَنِي

(1) رواه مسلم.

(2) الدباء: هو القرع اليابس يصير كالآنية، والحنتم: الجرار المدهونة والمطلية، والنقير: هو ما ينقر من الخشب، والمزفت: ما طلي بالزفت، والمراد هو ماينبذ في هذه الأواني التي كانت شائعة عندهم.

أبو هُرَيْرَةَ: أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: بيْنَما أنَا نائم، رَأَيْتُ في يَدَيَّ سِوارَيْنِ مِن ذَهَبٍ، فأهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إلَيَّ في المنام: أنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُما فَطَارَا، فأوَّلْتُهُما كَذَّابَيْنِ يخرجان بعدي. فَكانَ أحَدُهُما العَنْسِيَّ، والآخَرُ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابَ صَاحِبَ اليمامة)[1].

6. سرية علي بن أبي طالب لليمن

ثم كانت سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه في رمضان من السنة العاشرة بعثه رسول الله صل الله عليه وسلم إلى اليمن وعقد له لواءً وقال له: امض ولا تلتفت! فقال علي: يا رسول الله كيف أصنع؟ قال: إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منك قتيلاً فإن قتلوا منكم قتيلاً فلا تقاتلهم تلومهم[2] حتى تريهم أناة ثم تقول لهم: هل لكم أن تقولوا: لا إله إلا الله؟ فإن قالوا: نعم! فقل: هل لكم أن تصلوا؟ فإن قالوا: نعم! فقل لهم: هل لكم أن تخرجوا من أموالكم صدقة تردونها على فقرائكم؟ فإن قالوا: نعم! فلا تبغ منهم غير ذلك, والله لأن يهدي الله على يديك رجلاً واحداً خيرا لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت!

فخرج في ثلاثمائة فارس حتى انتهى إلى أرض مذحج باليمن ففرق أصحابه فأتوا بغنائم من إبل وشاء وسبي فجعل على الغنائم بريدة بن الحصيب! ثم لقي جمعاً فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة ساعة فصف أصحابه ودفع اللواء إلى مسعود بن سنان السلمي وحمل عليهم بمن معه فقتل منهم عشرين رجلاً فأنهزموا فلم يتبعهم ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام وقالوا: نحن على من وراءنا، وهذه صدقاتنا.

وكتب علي كرم الله وجهه إلى رسول الله صل الله عليه وسلم –لما ظهر على عدوه– مع عبد الله بن عمرو المزني بما كان من لقاء القوم وإسلامهم فأتاه كتابه وهو متهيئ للحج فأمره أن يوافيه في الموسم فعاد إليه عبد الله وأخبره بما رأى من تهيؤ رسول الله صل الله عليه وسلم والمسلمين للحج وأن يوافيه في الموسم (أي في حجة الوداع).

(1) صحيح البخاري.

(2) أصلها تتلومهم فتحذف التاء: أي تنتظرهم.

7. وفد نصارى نجران

تقدم معنا قدوم وفد نجران مع خالد بن الوليد ورئيسهم: قيس بن الحصين وهنا ذكرنا وفد النصارى بنجران وليعلم عزيزي القارئ أن أهل نجران منهم: النصارى أهل الكتاب ومنهم المشركون أيضا وكلهم عرب وقد أسلم المشركون قبل النصارى وقدم وفدهم كما تقدم.



مخطط حديث لموقع نصارى نجران

ثم قدم وفد النصارى من "نجران" وهي بنفس التسمية حتى اليوم (انظر الخريطة) وكانوا ستين راكباً دخلوا المسجد وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير مختمين بالذهب ولما صلوا صلاتهم, صلوا المسجد مستقبلين بيت المقدس ولما أتموا صلاتهم دعاهم صل الله عليه وسلم للإسلام فأبوا وقالوا: كنا مسلمين قبلك! فقال: يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب وأكلكم لحم الخنزير وزعمكم أن لله ولداً قالوا: فمن مثل عيسى من غير أب؟ فأنزل الله في ذلك قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)[1].

وليظهر الله أنهم في شك في أمرهم أنزل آية المباهلة وهي في قوله تعالى: (فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل

(1) آل عمران الاية 59.

لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)[1] واتفقوا على المباهلة فدخل رسول الله ﷺ وأخرج معه: فاطمة وعلياً والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً, فلما رأوهم دهشوا وقالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها ولم يباهلوا وصالحوا على الجزية وعلى أن يستقبلوا ويضيفوا رسل رسول الله ﷺ وجعل لهم ذمة الله وعهده أن لا يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا ولا يحشروا(2) ولا يأكلوا الربا ولا يتعاملون به.

8. توافد بقية الوفود:

وفد الأزد ووفد مراد ووفد فروة الجذامي

وقدم وفد الأزد ورئيسهم صرد بن عبد الله الأزدي في بضعة عشر رجلاً فأسلم وحسن إسلامه فأمره رسول الله صل الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من المشركين من قبائل اليمن, فسار بأمر رسول الله ﷺ إلى مدينة جرش فحاصر خثعم نحو شهر ثم رجع وأظهر كأنه منهزم فخرجوا إليه فعطف عليهم وقتلهم أشد قتل.

وكان أهل جرش قد بعثوا رجلين إلى رسول الله ﷺ ينظران حاله فأخبرهما ﷺ بما كان من أمر قومهما فرجعا فوجدا قومهما قد أصيبوا في تلك الساعة من ذلك اليوم الذي ذكر ﷺ في حالهم. فقدم وفد جرش فأسلموا وحمى لهم النبي ﷺ حمى حول القرية.

وقدم وفد مراد مع فروة المرادي على رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كندة، وقد كان قبل الاسلام بين مراد وهمدان وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا حتى أثخنوهم في يوم كان يقال له: الردم فكان الذي قاد همدان إلى مراد الأجدع بن مالك ولما توجه فروة المرادي إلى رسول الله ﷺ قال:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت   كالرجل خان الرجل عرق نسائها

قربت راحلتي أؤم محمداً   أرجو فواضلها وحسن ثنائها

فلما انتهى إلى رسول الله صل الله عليه وسلم قال له: يا فروة! هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم؟ قال: يا رسول الله! من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم لايسوؤه ذلك؟ فقال له ﷺ: أما إن ذلك لم يزد قومك في الاسلام إلا خيراً واستعمله ﷺ على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ.

---

(1) آل عمران الاية 61.

(2) لا يعشروا: أي لا يؤخذ منهم العشر من ثمارهم ولامزروعاتهم. ولا يحشروا: أي لايخرجوهم من ديارهم.

وقدم وفد فروة بن عمرو الجذامي عامل الروم على فلسطين وما حولها وعلى من يليه من العرب وكان موضعه بمعان من أرض فلسطين وكتب بإسلامه وأهدى إلى رسول الله صل الله عليه وسلم بغلة بيضاء! فطلبه الروم وحبسوه ثم قتلوه.

وفد بني عامر بن صعصعة ونوايا الغدر

وقدم وفد بني عامر بن صعصعة فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى فأراد عامر بن الطفيل الغدر برسول الله صل الله عليه وسلم فقال له قومه: إن الناس قد أسلموا فأسلم فقال: لا أتبع عقب هذا الفتى من قريش -وإنه كان ينتظر أن تتبع العرب عقبه كما يزعم- ثم قال لأربد: اذا قدمنا عليه فإني شاغله عنك فاعْلُه بالسيف من خلفه. فلما قدموا جعل عامر يكلم رسول الله ﷺ ويقول: يا محمد خالني! قال: لا والله حتى تؤمن بالله وحده ثم قال: يا محمد خالني! وجعل يكلم رسول الله ﷺ وينتظر من أربد ما كان أمره به -من الغدر- فجعل أربد لا يحير شيئاً فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال: يا محمد خالني قال: لا حتى تؤمن بالله وحده لاشريك له فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجلاً. فلما ولى قال ﷺ: اللهم اكفني عامراً! فلما خرجوا قال عامر لأربد: لم لا قتلته؟ قال: كلما هممت بقتله دخلت بيني وبينه حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف؟ فأرسل الله في طريقهم على عامر الطاعون فقتله وأرسل على أربد صاعقة فأحرقته.[1]

وفد طيء وزيد الخير ووفد زبيد ووفد كندة ووفد خولان

وقدم وفد طيء فيهم: زيد الخيل بن مهلهل الطائي فأسلم وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير وقال ﷺ: ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيته دون الصفة غيرك. وأسلم قومه.

وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد فأسلم وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي: -حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ- يا قيس إنك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له: محمد قد خرج بالحجاز يقول: إنه نبي فأنطلق بنا إليه لنعلم علمه فإذا لقيناه لن يخفى عليك، فإن كان نبياً كما يقول إتبعناه وإن كان غير ذلك علمنا علمه فأبى قيس ذلك وسفه رأيه. فركب عمرو حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم فلما بلغ ذلك قيساً أوعده وقال: خالفني وترك رأيي، فقال عمرو بن معد يكرب في ذلك شعراً يهجو به قيس بن مكشوح ثم إلتحق بقومه بني زبيد -وعليهم فروة بن مُسيك- ولما توفي رسول الله ﷺ ارتد عمرو بن معد يكرب.

---

(1) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج 2 ص 299.

وقدم وفد كندة وهم ستون راكباً مع الأشعث بن قيس بن معد يكرب فلما دخلوا قالوا: أبيت اللعن[1]! فقال: لست ملكاً أنا محمد بن عبد الله قالوا: لا نسميك بإسمك قال: أنا أبو القاسم فقالوا: يا أبا القاسم إنا خبئنا لك خِبئاً فما هو؟ وكانوا خبؤا عين جرادة في ظرف سمن فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله إنما يفعل ذلك بالكاهن وإن الكاهن والكهانة والتكهن في النار فقالوا: كيف نعلم أنك رسول الله؟ فأخذ كفاً من حصى وقال: هذا يشهد أني رسول الله فسبح الحصى في يده فقالوا: نشهد أنك رسول الله! فقال: إن الله بعثني بالحق وأنزل علي كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا: أسمعنا منه فتلا عليهم (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا {1} فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا {2} فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا {3} إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ {4} رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ)[2]. ثم سكت وسكن ودموعه تجري على لحيته فقالوا: إنا نراك تبكي أمن مخافة من أرسلك؟ قال: خشيتي منه أبكتني، بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف إذا زغت عنه هلكت ثم تلا: (وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً {86} إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا)[3].

وقدم وفد خولان -قبيلة من اليمن- وكانوا عشرة فقالوا: يا رسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله, قد ضربنا إليك آباط الإبل وركبنا حزون الأرض وسهولها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك. فقال رسول الله صل الله عليه وسلم: أمّا ما ذكرتم من مسيركم إلي فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة وأما قولكم زائرين لك, فإن من زارني محتسبا الى المدينة كان في جواري يوم القيامة.[4]

ثم سألهم عن الصنم -عم أنس- كانوا يعبدونه فقالوا: بدلنا الله ما جئت به وقد بقيت منا بقايا: شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله تعالى فقد كنا منه في غرور وفتنة.

وفد تُجيب: خير الوفود

وقدم وفد تجيب -وهي قبيلة من كندة- وفد على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر رجلاً منهم وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم فسر بهم رسول الله ﷺ وأكرم مثواهم وقالوا: يا رسول الله إنا سقنا إليك حق الله

(1) ابيت اللعن: كلمة كانت العرب تحي بها ملوكها بالجاهلية.

(2) الصافات الآيات 1- 5.

(3) الإسراء اية 87.

(4) عن أنس بن مالك و رواه البيهقي.

في أموالنا فقال ﷺ: ردوها فأقسموها على فقرائكم, قالوا: يا رسول الله ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد، فقال ﷺ: "إن الهدى بيد الله عز وجل, فمن أراد الله به خيراً شرح صدره للدين"، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فأزداد بهم رغبة وأرادوا الرجوع إلى أهليهم فقيل لهم: ما يعجبكم؟ قالوا: نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ﷺ وما لقينا فرح وسرور ثم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فودعوه، فأرسل إليهم بلالاً فأجازهم بأفضل ما كان يجيز به الوفود ثم سألهم هل بقي منكم أحد؟ قالوا: غلام خلفناه على رحالنا هو أحدثنا سناً فقال: أرسلوه إلينا فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أنا من الرهط الذي أتوك آنفاً فقضيت حوائجهم فأقضِ حاجتي قال: وما حاجتك؟ فقال: يا رسول الله إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي وإن كانوا راغبين في الإسلام والله ما أخرجني إلا أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غناي في قلبي! فقال ﷺ: اللهم اغفر له وأرحمه واجعل غناه في قلبه ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ثم إنهم وافوا رسول الله ﷺ بمنى في الموسم –في حجة الوداع– إلا ذلك الغلام فقال لهم ﷺ: ما فعل الغلام الذي أتاني معكم قالوا: يا رسول الله! ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس أقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا ألتفت إليها فقال ﷺ: الحمدلله, إني لأرجو أن يموت جميعاً! فقال رجل منهم: أوليس يموت الرجل جميعاً؟ فقال ﷺ: تتشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك.

9. حجة الوداع

ثم كانت حجة الوداع[1] وقد أجمع صل الله عليه وسلم الخروج في ذي القعدة من السنة العاشرة وقد أسلمت جزيرة العرب فأذن في الناس بالحج فقدم المدينة بشر كثير يريدون أن يغتنموا مرافقة رسول الله عليه الصلاة والسلام ليأتموا به ويعملوا بعمله فسار من المدينة متدهناً مترجلاً متجرداً في ثوبين (إزار ورداء) وذلك يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة ومعه أزواجه وأهل بيته وعامة المهاجرين والانصار ومن شاء الله من قبائل العرب وأخلاط الناس وخرج فصلى ﷺ الظهر بمسجد ذي الحليفة فلما انتهى إليه اجتماع أصحابه والهدي فخرج ودعا بالهدي فأشعره[2] بالجانب الأيمن بيده ووجهه إلى القبلة وقلده نعلين ثم ركب ناقته فلما استوى بالبيداء أحرم.

وساق الهدي –مائة بدنة– واستعمل عليها ناجية بن جندب وكان مع ناجية فتيان من أسلم وكانوا يسوقونها سوقاً يتبعون بها الرعي وسار صل الله عليه وسلم ومعه من الناس لا يحصون كثرة كلهم قدموا ليأتموا به, يقال: كان معه تسعون ألفاً ويقال أكثر من ذلك الى مائة وعشر الف حاج.[2]

منازل السير

وأصبح صل الله عليه وسلم يوم الأحد بيلملم قبل مكة ثم راح فتعشى بشرف السيالة وصلى ﷺ المغرب والعشاء ثم صلى الصبح ﷺ بعرق الظبية –بين الروحاء والسيالة– ثم نزل الروحاء فإذا بحمار عقير فقال: دعوه حتى يأتيه صاحبه –صائده– فجاء صاحبه وأهداه للنبي ﷺ فأمر به أبا بكر رضي الله عنه فقسمه بين الصحابة وقال صل الله عليه وسلم: صيد البر لكم حلال ما صدتم أو صيد لكم ثم راح من الروحاء فصلى العصر وصلى عليه الصلاة والسلام المغرب والعشاء بالمتعشى وتعشى به وصلى الصبح بالأثاية، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج. وكان يصلي بين مكة والمدينة ركعتين ركعتين –بالقصر– فلما قدم مكة صلى بهم ﷺ ركعتين ثم سلم وقال: أتموا صلاتكم يا أهل مكة فإنا سفر.

---

(1) وقد اختلف فيما أهل به وفي ذلك عدة روايات وقد صح بأنه أهل بحجة وعمرة معاً روى ذلك عنه ستة عشر صحابياً وعنهم ستة عشر تابعياً.

(2) من المفارقات العجيبة بالامر والتي تدل أيضا على صدق نبوته عليه الصلاه والسلام, ان من هاجر مع الرسول صل الله عليه وسلم الى المدينة يتراوح عددهم مائة وعشر مهاجر من مكة الى المدينة وبعد فقط تسع سنوات من الهجرة النبوية تضاعف عدد المسلمين والحجاج مع الرسول الى ألف ضعف كما ذكرنا (110 الف حاج) والله ورسوله ﷺ اعلم.

10. خبر غلام أبي بكر وضياع البعير وكرم سعد بن عبادة

أما أبو بكر رضي الله عنه فقد قال لرسول الله ﷺ بالمدينة: إن عندي بعيراً نحمل عليه زادنا فقال: فذاك اذاً، فكانت زاملة رسول الله ﷺ وأبي بكر واحدة[1] وأمر ﷺ بزاد فجعل على بعير أبي بكر رضي الله عنه –كما زامله بالهجرة النبوية فيا له من وفاء–.

فكان غلامه يركب عليه وينزل عقبة فلما كان بالأثاية عرس الغلام وأناخ بعيره[2] فغلبته عيناه فنام فقام البعير يجر خطامه آخذ في الشعب وقام الغلام فلزم الطريق –يظن أنه سلكها– وهو ينشده فلا يسمع له بذكر، ونزل رسول الله ﷺ في أبيات بالعرج فجاء الغلام فقال أبو بكر رضي الله عنه: أين بعيرك؟ قال: ضل مني! قال: ويحك لو لم يكن إلا أنا لهان الأمر ولكن رسول الله ﷺ وأهله ثم قام إلى الغلام فضربه ويقول: بعير واحد يضل عنك؟ فجعل رسول الله ﷺ يتبسم ويقول: ألا ترون إلى هذا المحرم وما يصنع. وبلغ آل نضلة الأسلميين أن زاملة[3] رسول الله ﷺ ضلت فحملوا جفنة من حيس –طعام كان شائعاً– فأقبلوا بها حتى وضعوها بين يديه فقال: هلم يا أبا بكر فقد جاءك الله بغداء طيب وجعل أبو بكر يغتاظ على الغلام فقال الرسول ﷺ: هون عليك! فإن الأمر ليس إليك ولا إلينا معك! قد كان الغلام حريصاً ألا يضل بعيره فمن هذا خلف مما كان معه. فأكل رسول الله ﷺ وأهله وأبو بكر وكل من كان يأكل معهم حتى شبعوا.

ويجيء سعد بن عبادة وابنه قيس رضي الله عنهما بزاملة حتى يجدا رسول الله ﷺ واقفاً قد أتى الله بزاملته فقال سعد: يا رسول الله! بلغنا أن زاملتك أضلت مع الغلام وهذه زاملة مكانها فقال: قد جاء الله بزاملتنا فأرجعا بزاملتكما, بارك الله عليكما, أما يكفيك يا أبا ثابت ما تصنع بنا في ضيافتك منذ نزلنا المدينة؟ فقال سعد: يا رسول الله المنة لله ولرسوله, والله يا رسول الله الذي تأخذه من أموالنا أحب إلينا من الذي تدع, قال: صدقتم يا أبا ثابت, أبشر فقد أفلحت, إن الأخلاف بيد الله فمن شاء أن يمنحه منها خلفاً صالحاً منحه ولقد منحك الله خلفاً صالحاً فقال سعد: الحمدلله هو فعل ذلك فقال ثابت بن قيس بن

(1) الزاولة: الدابة أو البعير الذي يحمل عليه المتاع.

(2) يقال عرس المسافر: اذا نزل عن راحلته ليلاً للراحة أو النوم.

(3) ما يحمل عليه من الابل وغيرها.

شماس: يا رسول الله إن أهل بيت سعد في الجاهلية سادتنا والمطعمون في المحل منا، فقال رسول الله ﷺ: تجدون الناس معادن, خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ..[1].

ونزل يوم الجمعة ﷺ الجحفة ثم راح منها وكان يوم السبت بقديد ومر يومئذ بامرأة في محفتها[2] ومعها ابن صغير لها فأخذت بعضده فقالت: يا رسول الله! ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر, وكان يوم الأحد بعسفان ثم راح فلما كان بالغميم اعترض المشاة فصفوا صفوفاً فشكوا إليه المشي فقال: استعينوا بالنسلان[3] ففعلوا فوجدوا لذلك راحة وكان يوم الاثنين بمرالظهران[4] فلم يبرح حتى أمسى وغربت له الشمس بسرف فلما كانوا بسرف أمر عليه الصلاة والسلام الناس أن يحلوا بعمرة إلا من ساق الهدي.

11. دخوله ﷺ مكة وصفة الحج

ولما انتهى صل الله عليه وسلم إلى الثنيتين بات بينهما –بين كَدَاء وكُدىً– ثم أصبح فأغتسل ودخل مكة نهار الاثنين الرابع من ذي الحجة فدخلها من أعلاها حتى أنتهى إلى باب بني شيبة فلما رأى البيت رفع يديه, ثم قال: اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة. ولما دخل المسجد بدأ بالطواف راكباً على القصواء[5]، فلما انتهى إلى الركن استلمه قال: بسم الله والله أكبر وكان يأمر من استلم الركن أن يقول: بسم الله والله أكبر، إيماناً بالله، وتصديقاً بما جاء به محمد ﷺ وقال فيما بين الركن اليماني والأسود (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) ولما طاف الأشواط السبعة انتهى إلى مقام إبراهيم عليه السلام فصلى ركعتين ثم عاد إلى الركن فأستلمه.

وقال صل الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه: إنك رجل قوي إن وجدت الركن خالياً فأستلمه وإلا فلا تزاحم عليه فتؤذي وقال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: كيف صنعت بالركن يا أبا محمد؟ فقال: استلمت وتركت قال: أصبت.

---

(1) رواه البخاري.

(2) محفة: هي مثل الخيمة.

(3) النسلان: نوع من المشي السريع.

(4) وادي كبير من أودية تهامة في مكة المكرمة.

(5) ناقة الرسول عليه الصلاة والسلام وكان لها امر عجيب فقد حزنت وبكت كثيرا بعد وفاة الرسول صل الله عليه وسلم حتى فقدت بصرها فقام الصحابة بربط عصابة سوداء على عينها ولم تأكل او تشرب مدة شهر كامل حتى ماتت وعمرها 14 سنة.

ثم خرج صل الله عليه وسلم إلى المسعى من باب بني مخزوم وقال: أبدأ بما بدأ الله به، فصعد على الصفا فكبر سبع تكبيرات وقال: "لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير, آّيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون, صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده"[1]. ثم دعا بين ذلك ونزل إلى المروة فلما انصبت قدماه في الوادي رمل[2] وقال في المشي: أيها الناس إن الله كتب عليكم السعي فأسعوا. وقال في الوادي: رب اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم فلما انتهى إلى المروة فعل ﷺ عليها مثل ما فعل على الصفا ثم ختم بالمروة. وأمر ﷺ من لم يسق الهدي أن يفسخ حجه إلى عمرة ويتحلل حلاً تاماً ثم يهل بالحج وقت خروجه من منى وقال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولجعلتها عمرة.

قدوم علي رضي الله عنه من اليمن وذهابه الى الحج

وقدم علي رضي الله عنه من اليمن فقال له صل الله عليه وسلم: بم أهللت؟ قال: بإهلال كإهلال النبي ﷺ فقال: إني سقت الهدي وقرنت[3] - يقال قرن: إذا جمع بين الحج والعمرة.- . وقدم علي رضي الله عنه مكة في الموسم كما أمره رسول الله ﷺ ففرح بقدومه وسأله: ماذا قلت حين فرضت الحج قال قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك.

نزول النبي ﷺ بالأبطح ودخوله الكعبة

وبنوا للنبي صل الله عليه وسلم خيمة بالأبطح فقالت أم هانئ: يا رسول الله لا تنزل في بيوت مكة؟ فأبى ولم يزل بالأبطح حتى خرج يوم التروية –الثامن من ذي الحجة– إلى منى ثم بعد رجوعه من منى نزل بالأبطح حتى خرج إلى المدينة ولم يدخل بيتاً بمكة.

ودخل الكعبة صل الله عليه وسلم ودخل معه عثمان بن أبي طلحة (صاحب مفتاح الكعبة كما ذكرنا آنفا) وبلال وأسامة بن زيد رضي الله عنهم فأغلقوا عليهم الباب طويلاً ثم فتحوه، وصلى فيها ركعتين بين الأسطوانتين المقدمتين. وروي أنه دخل يومئذ على عائشة رضي الله عنها حزيناً فقالت: مالك يا

(1) صحيح البخاري.

(2) لرمل: نوع من المشي معروف بمكة في الطواف والسعي.

(3) رواه أبو داود بسند صحيح .

رسول الله؟ قال: فعلت اليوم أمراً ليتني لم أكن فعلته! دخلت البيت, فعسى الرجل من أمتي لا يقدر أن يدخله فتكون في نفسه حزازة وإنما أمرنا بالطواف ولم نؤمر بالدخول.[1]

إقامته ﷺ بمكة قبل الحج ومسيره إلى منى

وأقام ﷺ بمكة يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس وقام يوم التروية بين الركن والمقام فوعظ الناس وقال: من استطاع أن يصلي الظهر بمنى فليفعل فصلى ﷺ في حجته هذه صلاة أربعة أيام وهو مقيم بمكة حتى خرج إلى منى وهو في كل ذلك يقصر وكان مقامه بمكة إلى يوم التروية كمقام المسافر في حاجة يقضيها في سفره فهو مقام من لا نية له في الإقامة.

وركب حين زاغت الشمس في يوم التروية –بعد أن طاف بالبيت سبعاً– فصلى ﷺ الظهر والعصر والمغرب والعشاء بمنى, وكان بلال إلى جانب رسول الله ﷺ في مسيره إلى منى وبيده عود عليه ثوبان يظله من الشمس. وقيل: بات ﷺ بمنى ليلة الجمعة التاسع من ذي الحجة ثم أصبح فسار إلى عرفة وقد ضرب له فيها قبة من شعر فلما زاغت الشمس أمر براحلته القصواء فرجل برحل رث وقطيفة لا تسوى أربعة دراهم فلما توجه قال: اللهم حجة لا رئاء فيها ولا سمعة! ثم سار حتى أتى عرفة.

12. صلاة الرسول ﷺ بعرفة وخطبته

وخطب الرسول ﷺ ببطن عرفة على ناقته وكان الذي يبلغ عنه بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف لكثرة الناس فإنه شهد الخطبة نحو من أربعين ألفاً وكان من خطبته بعرفة: (أيها الناس! إني والله مَا أَدْرِي لَعَلّي لَا أَلْقَاكُمْ بِمَكَانِي هَذَا بَعْدَ يَوْمِكُمْ هَذَا رَحِمَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَرُبّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ وَرُبّ حَامِلِ فِقْهٍ إلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَاعْلَمُوا أَنّ أَمْوَالَكُمْ وَدِمَاءَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا وَاعْلَمُوا أَنّ الصّدُورَ لَا تُغَلّ عَلَى ثَلَاثٍ[2] إخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلّهِ وَمُنَاصَحَةُ أَهْلِ الْأَمْرِ وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ[3] أَلا إنّ كُلّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ وَأَوّلُ دِمَاءِ الْجَاهِلِيّةِ أَضَعُ دَمَ إيَاسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عبد المطلب وَرِبَا الْجَاهِلِيّةِ مَوْضُوعٌ كُلّهُ وَأَوّلُ رِبًا أَضَعُهُ رِبَا الْعَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ. اتّقُوا اللّهَ فِي النّسَاءِ إنّمَا أَخَذْتُمُوهُنّ بِأَمَانَةِ اللهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنّ بِكَلِمَةِ اللهِ وَإِنّ لَكُمْ عَلَيْهِنّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ (وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة)

(1) وهذا مثل من الامثال الكثيرة والتي لا تعد ولا تحصى تظهر عطفه ورأفته ورحمته على أمته عليه الصلاة والسلام.

(2) الغل: الغش والحقد الخيانة ولها تفصيل.

(3) تحيط من ورائهم: أي تحفظهم وتمنعهم.

فَإِنْ فَعَلْنَ فَاضْرِبُوهُنّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرّحٍ (فإن انتهين)[1] وَلَهُنّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنّ وَكَسَوْتهنّ بِالْمَعْرُوفِ, قَدْ تَرَكْت فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ إنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ – كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلّغْت وَأَدّيْت وَنَصَحْت ثُمّ أشار بِإِصْبَعِهِ السّبّابَةِ إلَى السّمَاءِ يَرْفَعُهَا وَيَكُبّهَا ثَلاثًا: ويقول: اللّهُمّ اشْهَدْ ثلاث مرات.[2]

ذكر المناسك ونزول آية الدين

وَقَفَ صل الله عليه وسلم بِالْهِضَابِ مِنْ عَرَفَةَ فَقَالَ كُلّ عَرَفَةَ مَوْقِفٌ إلّا بَطْنَ عُرَنَةَ، وَكُلّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ إلّا بَطْنَ مُحَسّرٍ، وَكُلّ مِنًى مَنْحَرٌ إلّا خَلْفَ الْعَقَبَةِ قَالُوا: وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى مَنْ هُوَ بِأَقْصَى عَرَفَةَ فَقَالَ أَلْزَمُوا مَشَاعِرَكُمْ فَإِنّكُمْ عَلَى إرْثٍ مِنْ إرْثِ إبْرَاهِيمَ عليه السلام.

ومد يديه –وهو واقف بعرفة– فقال: إنّ أَفْضَلَ دُعَائِي وَدُعَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلِي مِنْ الْأَنْبِيَاءِ (لَا إلَهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ, لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ, بِيَدِهِ الْخَيْرُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ووقف على راحلته حتى غربت الشمس وهو يدعو.

ونزل عليه وهو واقف بعرفة: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير... اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[3].

النفر من عرفة والدفع من مزدلفة

وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيّةِ يَدْفَعُونَ مِنْ عَرَفَةَ إذَا كَانَتْ الشّمْسُ عَلَى رُءُوسِ الْجِبَالِ كَهَيْئَةِ الْعَمَائِمِ عَلَى رُءُوسِ الرّجَالِ, فَظَنّتْ قُرَيْشٌ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْفَعُ كَذَلِكَ فَأَخّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَفْعَهُ حَتّى غَرَبَتْ الشّمْسُ ثم سار عشية وأردف أسامة بن زيد رضي الله عنه إلى مزدلفة ونزل بمزدلفة قريباً من الدار التي على قزح

(1) ما بين القوسين زيادات من ابن هشام وغيره.

(2) في صحيح مسلم قال ﷺ :إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كلُّ شيءٍ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع باطل، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دمٍ أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد، فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان بعهد الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله الإيجاب والقبول ولكم عليهن أن لا يوطئن فُرُشَكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرّح لا شديد ولا شاق،ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله, وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلّغت، وأدَّيت, ونصحت، فقال بإصبعه السبَّابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس: اللَّهمّ اشهد، اللَّهمّ اشهد، ثلاث مرات.

(3) المائدة الآية 3.

وصلى ﷺ المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين فلما كان السحر أذن لمن استأذنه من أهل الضعف من الذرية والنساء –في التقدم من مزدلفة قبل ازدحام الناس– وحبس نساؤه حتى دفعن بدفعه حين أصبح. ولما برق الفجر صلى الرسول ﷺ الصبح ثم ركب راحلته ووقف على قزح وكان أهل الجاهلية لا يدفعون من جمع المزدلفة حتى تطلع الشمس على ثبير يقولون: أشرق ثبير كيما نغير فقال ﷺ: إن قريشاً خالفت عهد إبراهيم عليه السلام فدفع قبل طلوع الشمس وحمل حصى العقبة من المزدلفة وأوضع[1] في وادي محسر ولم يقطع التلبية حتى رمى الجمرة ورمى جمرة العقبة يوم النحر على ناقته.

نحر الهدي والإفاضة

ولما انتهى ﷺ الى المنحر قال: هذا المنحر وكل منى منحر وكل فجاج مكة طريق ومنحر ثم نحر بيده ثلاثاً وستين بدنة بالحربة ثم أعطى رجلاً فنحر ما بقي. ولما فرغ من نحر الهدي دعا الحلاق فحلق رأسه وحضر المسلمون يطلبون شعره ففرقه في الناس وقصر قوم وحلق آخرون فقال ﷺ: رحم الله المحلقين ثلاثاً وفي كل مرة يقولون: والمقصرين يا رسول الله فقال: والمقصرين في الرابعة[2] وأخذ من شاربه وعارضيه وقلم أظفاره وأصاب الطيب بعد أن حلق ولبس القميص وجلس للناس.[3]

وأفاض صل الله عليه وسلم يوم النحر من منى إلى مكة وكان يرمي الجمار حين تزيغ الشمس قبل الصلاة ماشياً –ذاهباً وراجعاً– ورمى يوم الصدر حين زاغت الشمس قبل الصلاة وكان يقف عند الجمرة الأولى أكثر من الثانية ولا يقف عند الثالثة فإذا رماها انصرف. ونهى ﷺ أن يبيت أحد ليالي منى بسوى منى وقال: ارموا بمثل حصى الخزف وكان أزواجه يرمين مع الليل.

خطبة يوم النحر بمنى

وخطب صل الله عليه وسلم يوم النحر بمنى فقال: أيها الناس اسمعوا من قولي واعقلوه فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا! أيها الناس أي شهر هذا؟ فسكتوا فقال: هذا شهر حرام، وأي بلد هذا؟ فسكتوا فقال: يوم حرام ثم قال: إن الله قد حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرمة شهركم هذا في بلدكم

(1) أوضع: أسرع.

(2) متفق عليه.

(3) ثبت في الصحيحين بروايات متعددة أن النبي ﷺ حلق رأسه الشريف في حجة الوداع وقسَّم شعره أو أمر أبا طلحة (هو الصحابي الذي حفر قبره ولَحَد له وبنى فيه اللبن كما سنرى بالفصل الاخير) وزوجته أم سليم بقسمت شعره الشريف بين الصحابة الرجال والنساء الشعرة والشعرتين حباً وتبركاً فيها. قال العلامة ابن حجر فيه: إنه يسن بل يتأكد التبرك بشعره ﷺ وسائر آثاره. روى الحاكم في "المستدرك" (5299)، والطبراني في "الكبير" (3804)، ثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ: "أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فقد قَلَنْسُوَةً لَهُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ فَقَالَ: اطْلُبُوهَا فَلَمْ يَجِدُوهَا، ثُمَّ طَلَبُوهَا فَوَجَدُوهَا، وَإِذَا هِيَ قَلَنْسُوَةٌ خَلِقَةٌ، فَقَالَ خَالِدٌ: "اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَلَقَ رأسهُ، وَابْتَدَرَ النَّاسُ جَوَانِبَ شَعْرِهِ، فَسَبَقْتُهُمْ إِلَى نَاصِيَتِهِ فَجَعَلْتُهَا فِي هَذِهِ الْقَلَنْسُوَةِ، فَلَمْ أَشْهَدْ قِتَالًا وَهِيَ مَعِي إِلَّا رُزِقْتُ النَّصْرَ".

هذا في يومكم هذا إلى أن تلقوا ربكم, ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم, قال: اللهم أشهد، ثم قال: إنكم سوف تلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم, قال: اللهم أشهد، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من أئتمنه عليها ألا وإن كل رباً في الجاهلية موضوع وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع وإن أول دماءكم أضع دم إياس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب, ألا هل بلغت؟ قالوا: اللهم نعم قال: اللهم أشهد فليبلغ الشاهد الغائب، ألا إن كل مسلم محرم على كل مسلم ولا يحل مال امرئ مسلم إلا ما أعطي عن طيب نفس. فقال عمرو بن يثربي: يا رسول الله أرأيت إن لقيت غنم ابن عمي أجزر منها شاة؟ فقال: إن لقيتها نعجة تحمل شفرة[1] وأزناداً بخبت الجميش[2] فلا تهجها. ثم قال أيها الناس: إنما النسيئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ألا وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله منها أربعة حرم ثلاثة متوالية: ذو القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب الذي يدعى شهر مضر الذي جاء بين جمادى الآخرة وشعبان والشهر تسعة وعشرون وثلاثون ألا هل بلغت؟ فقال الناس: نعم فقال: اللهم اشهد.

ثم قال أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً وإن لكم عليهن حقاً فعليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً ولا يدخلن بيوتكم أحداً تكرهونه إلا بإذنكم فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وأن تضربوهن ضرباً غير مبرح فإن إنتهين وأطعنكم فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وإن النساء عندكم عوان[3] لا يملكن لأنفسن شيئاً وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فأتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً, ألا هل بلغت؟ قال الناس: نعم قال: اللهم أشهد.

أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرونه من أعمالكم, إن كل مسلم أخو المسلم وإنما المسلمون إخوة ولا يحل لامرئ مسلم دم أخيه ولا ماله إلا بطيب نفس منه وإنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله ولا تظلموا أنفسكم ولا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض

(1) يريد: إن لقيتها تحمل شفرة وأذناداً: يعني أداة ذبحا وشيها وبأرض خبت

(2) الجمبش: هي أرض بين مكة والبحر الأحر أرض خالية ليس بها أنبس وذلك زيادة في النهي.

(3) عوان: كالأسير.

إني قد تركت فيكم ما لا تضلون به: كتاب الله –وفي رواية: قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله– ألا هل بلغت؟ قال الناس: نعم قال: اللهم اشهد.[1]

13. وداع البيت ودعاؤه ﷺ في القفول

فلما أراد السفر صل الله عليه وسلم مر بالبيت وطاف به سبعاً قبل الصبح ثم انصرف راجعاً إلى المدينة وقال: إنما هي ثلاث يقيم بها المهاجر بعد الصدر[2] وسأل سائل أن يقيم بمكة فلم يرخص له أن يقيم إلا ثلاثة أيام وقال: إنها ليست بدار مكث ولا إقامة.

وكان ﷺ إذا قفل من حج أو عمرة أو غزوة فأوفى على ثنية أو فدفد[3] كبر ثلاثاً ثم قال: أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ كانَ إذَا اسْتَوَى علَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إلى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قالَ: سُبْحَانَ الذي سَخَّرَ لَنَا هذا، وَما كُنَّا له مُقْرِنِينَ، وإنَّا إلى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ في سَفَرِنَا هذا البِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ العَمَلِ ما تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هذا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ في السفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ في الأهْلِ، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المَنْظَرِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ في المَالِ وَالأهْلِ، وإذَا رَجَعَ قالَهُنَّ، وَزَادَ فِيهِنَّ: آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ[4].

عيادة سعد بن أبي وقاص

وقبل أن يرجع صل الله عليه وسلم من مكة جاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعد حجة يعوده من مرض أصابه فقال: يا رسول الله قد بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة فأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا قال: فالشطر؟ قال: لا قال: فالثلث؟ قال: الثلث والثلث كثير إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا أجرت بها حتى ما تجعل في في[5] امرتك.

---

(1) الترغيب والترهيب للمنذري. والحديث إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما] وله أصل في الصحيح.

(2) يعني يقيم بمكة ثلاثة أيام بعد قضاء نسكه لا يزيد على ذلك.

(3) مكان مرتفع واسع.

(4) صحيح مسلم.

(5) فم.

15. بعث أسامة بن زيد لغزو الروم

عندما رجع الرسول عليه الصلاة والسلام الى المدينة المنورة كان رسول الله ﷺ ما زال يذكر مقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم –في غزوة مؤتة– ووجد (حزن) عليهم وجداً شديداً وبعد أن قضى حجة –حجة الوداع– أقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وفي أواخر صفر سنة احدى عشرة أمر ﷺ بالتهيؤ لغزو الروم وأمرهم بالجد ثم دعا من الغد أسامة بن زيد رضي الله عنه فقال: يا أسامة سر على اسم الله وبركته حتى تنتهي إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحاً على أهل أبنى، وحرق عليهم وأسرع السير تسبق الاخبار فإن ظفرك الله, فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون أمامك والطلائع.

فخرج أسامة[1] ودفع لواءه الى بريدة بن الحصيب وخرج الجيش وعسكر بالجرف ولم يبق أي من كبار المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة مثل عمر بن الخطاب وأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد في رجال آخرين ومن الأنصار عدة: مثل قتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم وغيرهم من كبار الأنصار رضي الله عنهم جميعا.

(1) كان عمره حينها 18 سنة وكان الجيش يضم كبار الصحابة بمن فيهم أبوبكر وعمر رضي الله عنهم جميعا.

الجزء السادس عشر والأخير :
ملخص رحلات الرسول وأهله
ووفاته وبدء الخلافة الراشدة

1. مرض الرسول ﷺ ووصيته لأسامة بن زيد وتوديعه الجيش

ولما كان يوم الأربعاء –لليلتين بقيتا من صفر– ابتدأ مرض رسول الله صل الله عليه وسلم فصدع وحم وعقد يوم الخميس لأسامة لواءاً بيده وقال: يا أسامة أغز بإسم الله في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا تتمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرون لعلكم تبتلون بهم ولكن قولوا: اللهم اكفناهم واكفف بأسهم عنا فإن لقوكم قد أجلبوا وصيحوا فعليكم بالسكينة والصمت ولا تنازعوا فتفشلوا فتذهب ريحكم وقولوا: اللهم إنا عبادك نواصينا بيدك ونواصيهم بيدك وإنما تغلبهم أنت واعلموا أن الجنة تحت البارقة –بارقة السيوف–.

الطعن في تأمير أسامة وخطبته في أسامة رضي الله عنه

وقال رجال من المسلمين: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين!! فكثرت القالة وسمع عمر رضي الله عنه بعض ذلك فأخبر النبي صل الله عليه وسلم فغضب غضباً شديداً وخرج وقد عصب رأسه وعليه قطيفة ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس! فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟ والله لئن طعنتم في إمارتي أسامة, لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله وأيم الله إن كان للإمارة لخليقاً وإن ابنه من بعده لخليق –لأهل– للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي وإنهما لمخيلان لكل خير فإستوصوا به خيراً فإنه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول.



توديع الجيش وخروج أبي بكر رضي الله عنه إلى السنح

وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله ﷺ فقال: أنفذوا بعث أسامة ودخلت أمه –أم أيمن رضي الله عنها– على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتى تماثل –للشفاء– فإن أسامة إن خرج على حاله هذه لم ينتفع بنفسه! فقال: أنفذوا بعث أسامة فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد ونزل أسامة ليلة الأحد ورسول الله ﷺ ثقيل مغمور فدخل عليه –وعيناه تهملان– وعنده العباس والنساء حوله فطأطأ عليه فقبله وهو ﷺ لا يتكلم إلا أنه يرفع يده إلى السماء ثم يصبها على أسامة كأنه يدعو له فرجع أسامة إلى معسكره ولما غدا يوم الاثنين أصبح رسول الله ﷺ مفيقاً وجاءه أسامة فقال: أغد على بركة الله! فودعه أسامة ورسول الله ﷺ مفيق.

ودخل أبو بكر رضي الله عنه على النبي ﷺ فوجده مفيقاً فقال: يا رسول الله أصبحت مفيقاً بحمد الله واليوم يوم زوجتي ابنة خارجة[1] فأذن له فذهب إلى بيتها –في السنح[2]– وركب أسامة إلى معسكره وصاح في أصحابه باللحوق في المعسكر فأنتهى معسكره فنزل وأمر الناس بالرحيل وقد ارتفع النهار.

قبل وفاة رسول الله ﷺ ونعيه نفسه والخروج إلى البقيع

وكان من خبر وفاة رسول الله صل الله عليه وسلم: أن الله تعالى أنذره بموته حين أنزل عليه: (إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ {1} وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا {2} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)[3]. فقال: نعيت إلي نفسي فحج حجة وداع, وكان جبريل عليه السلام ينزل عليه في كل سنة مرة في شهر رمضان فيعرض عليه القرآن مرة واحد وكان يعتكف العشر الأواخر من رمضان فلما كانت هذه السنة –سنة وفاته– عرض عليه جبريل القرآن مرتين فقال: ما أظن أجلي إلا قد حضر فأعتكف العشر الأواسط والعشر الأواخر من رمضان.

ثم أمر صل الله عليه وسلم قبل موته بالخروج إلى البقيع ليستغفر لأهله والشهداء ليكون توديعاً للأموات قبل الأحياء فوثب من مضجعه في جوف الليل فقالت عائشة رضي الله عنها: أين بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فخرج ومعه مولاه أبو مويهبة حتى جاء البقيع فأستغفر لهم طويلاً ثم قال: ليهنكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم

(1) ابنة خارجة: هي حبيبة بنت خارجة بن زيد زوج أبي بكر والدة أم كلثوم بنت أبي بكر وقد مات وأمها حامل بها.

(2) السنح: اسم لحي من أحياء المدينة القاصية.

(3) سورة النصر 1-3.

يتبع بعضها بعضاً يتبع آخرها أولها والآخرة شر من الأولى ثم قال: يا أبا مويهبة إني قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فقال: بأبي وأمي فخذ خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة فقال: يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة.

2. مرضه ﷺ وشكواه وتمريضه وخطبته قبل وفاته ﷺ

ثم انصرف من البقيع وكان ذلك ليلة الأربعاء فأصبح يوم الأربعاء محموماً وهو في بيت زينب رضي الله عنها وإشتد به المرض حتى قيل: هو مجنوب واجتمع إليه نساؤه كلهن وكان مرضه ثلاث عشرة ليلة أو أربع عشر.

وأخذته بحة شديدة مع حمى مع صداع، ودخلت عليه أم بشر بن البراء بن معرور فقالت: يا رسول الله ما وجدت مثل هذه الحمى التي عليك على أحد فقال: إنا يضاعف لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر ثم قال: ما ايقول الناس؟ قالت: يقولون يا رسول الله: ذات الجنب[1] فقال: ما كان الله ليسلطها علي[2]. ولكنها من الأكلة التي أكلت أنا وإبنك بخيبر من الشاة وكان يصيبني منها عداد مرة بعد مرة فكان هذا أوان انقطع أبهري فمات صل الله عليه وسلم مسموماً شهيداً.

وأقام صل الله عليه وسلم في بيت ميمونة رضي الله عنها سبعة أيام يبعث إلى نسائه يقول لهن: إن رسول الله يشق عليه أن يدور عليكن فحللنه فكن يحللنه. ويروى أنه لما ثقل وأشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة[3] فأذن له فخرج ﷺ بين الفضل بن العباس وعلي رضي الله عنهم تخط رجلاه في الأرض حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها فأقام في بيتها حتى توفي.

وما كان يشكو صل الله عليه وسلم شكوى إلا سأل الله العافية حتى كان مرضه هذا –الذي مات فيه– فإنه لم يكن يدعوا بالشفاء فكان يقول: يا نفس مالك تلوذين كل ملاذ[(4)]. وأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقرئك السلام ويقول: إذا شئت شفيتك وكفيتك وإن شئت توفيتك وغفرت لك؟ فقال: ذلك إلى ربي يصنع بي ما يشاء.

---

(1) من الامراض المخوفة تحدث بين القلب والكبد وهي من سيء الاسقام.

(2) صحيح البخاري.

(3) وهو أقرب بيوت الرسول ﷺ للمسجد النبوي لحرصه على الصلاة فيه وعلى قربه من المسلمين دائماً ودفن فيه عليه الصلاة والسلام.

(4) لا يلوذ: لجأ واستغاث.

ودعا صل الله عليه وسلم إبنته فاطمة عليها السلام فسارها فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت فسئلت عن ذلك بعد فقالت: دعاني أول مرة فقال: إن القرآن كان يعرض علي في كل عام مرة وعرض علي هذا العام مرتين ولا أراني إلا ميتاً في مرضي هذا فبكيت ثم دعاني فقال: أنت أسرع أهلي لحوقاً بي فضحكت فماتت بعده ﷺ بستة أشهر وقيل: أقل من ذلك.[1]

وخرج ﷺ في يوم السبت عاشر ربيع الأول مشتملاً وقد طرح طرفي ثوبه على عاتقيه عاصباً رأسه بخرقة فصعد المنبر ثم قال: والذي نفسي بيده إني لقائم على الحوض الساعة, ثم تشهد واستغفر للشهداء الذين قتلوا بأحد ثم قال: إن عبداً من عباد الله خير بين الدنيا وبين ما عند الله فأختار ما عند الله العبد، فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: بأبي وأمي نفديك بآبائنا وأمهاتنا وبأنفسنا وأموالنا فقال: على رسلك يا أبا بكر، سدوا هذه الأبواب والشوارع إلى المسجد إلا باب أبي بكر، فإن أمَن الناس علي في صحبته وماله أبوبكر فلو كنت متخذاً في الناس خليلاً لأتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الاسلام ومودته.

ثم ذكر أسامة بن زيد رضي الله عنه فقال ﷺ: "إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله وأيم الله لقد كان خليقا للإمارة وإن كان من أحب الناس إلي وإن هذا لمن أحب الناس إلي من بعده"[2].

3. إمامة أبي بكر ورجوع أسامة رضي الله عنهم

وكان إذا خف عنه صل الله عليه وسلم ما يجد خرج فصلى بالناس واذا وجد ثقلة قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس فصلى أبو بكر رضي الله عنه سبع عشر صلاة بأمر رسول الله ﷺ. وقال ﷺ: ما هلك نبي حتى يؤمه رجل من أمته فلما كان يوم الاثنين صلى أبو بكر رضي الله عنه بالناس الصبح فأقبل رسول الله ﷺ يتوكأ على الفضل بن العباس وثوبان رضي الله عنهم جميعا ولم يبق امرأة ولا رجل إلا أصبح في المسجد لوجعه عليه الصلاة والسلام فخرج ﷺ حتى جلس إلى جانب أبي بكر فصلى بصلاة أبي بكر رضي الله عنه، فلما قضى صلاته جلس ﷺ فقال: إنكم والله لا تمسكون علي بشيء إني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ولا أحرم الا ما حرم الله في كتابه! يا فاطمة بنت محمد ويا صفية بنت عبد المطلب إعملا لما عند الله, لا أملك لكما من الله شيئاً.

(1) مقتطع منه في صحيح مسلم والبخاري.

(2) صحيح البخاري.

فبينما أسامه رضي الله عنه يريد أن يركب من الجرف أتاه رسول أمه –أم أيمن– تخبره أن رسول الله صل الله عليه وسلم يموت فرجع سريعاً ومعه عمر وأبو عبيدة رضي الله عنهم فأنتهوا إلى رسول الله صل الله عليه وسلم وهو يموت.

4. وفاة الرسول ﷺ

وتوفي صل الله عليه وسلم في حجر عائشة رضي الله عنها وقد قال لها لما حضر: ما فعلت الذهب؟ فأتته بها وهي تسعة دنانير فقال: أنفقيها! ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهي عنده؟!

ولما كان في النزع دعا بقدح من ماء فجعل يمسح وجهه ويقول: اللهم أعني على كرب الموت وأخذته بحة شديدة فجعل يقول: مع الرفيق الأعلى وشخص بصره.

وكانت وفاته عليه الصلاة والسلام ضحى يوم الاثنين, فبعث العباس في طلب أبي عبيدة رضي الله عنه وكان يشق الضريح وبعث في طلب أبي طلحة وكان يلحد وقد أختلفوا أين يدفن فقال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما مات نبي قط إلا دفن حيث يقبض. فخط له صل الله عليه وسلم حول الفراش ثم حول بالفراش في ناحية فحفر أبوطلحة القبر فأنتهى به إلى أصل الجدار إلى القبلة ثم غسلوه من بئر غرس وكان يشرب منها.

لقد توفي رسول الله صل الله عليه وسلم حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول السنة الحادية عشر من الهجرة.

ولما أخذوا في جهازه أمر العباس رضي الله عنه فأغلق الباب وأحضروا الماء والسدر والكافور فأرسل الله عليهم النوم فما منهم رجل إلا واضع لحيته على صدره(1) وسمعوا قائلاً يقول لا يدرون من هو: إغسلوا نبيكم، وعليه قميصه فغسل في القميص.

وغسل الأولى بالماء القراح والثانية بالماء والسدر والثالثة بالماء والكافور وغسله علي والفضل رضي الله عنهم وكان أسامة وقثم وشقران يصبون الماء رضي الله عنهم جميعا ووقف العباس بالباب وقال: لم يمنعني أحضر غسله إلا أني كنت أراه يستحيي أن أراه حاسراً وكان صل الله عليه وسلم نظيفاً طيباً فلم يجدوا منه شيئاً مما يوجد في الأموات فقال علي رضي الله عنه بأبي وأمي ما أطيبك حياً وميتاً.

---

(1) لقد اختلفوا في غسله ﷺ هل يجردوه من ثيابه كعادتهم أم يبقوا عليه قميصه فألقي عليهم النوم وسمعوا القائل يقول: (اغسلوا نبيكم وعليه قميصه).

وكفن صل الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب سحولية بيض ليس فيها قميص ولا عمامة وأدرج في أكفانه وحنط بكافور أو مسك. وقد قامت أمهات المؤمنين يضربن على صدورهن ونساء الأنصار يضربن الوجوه وقد بحت حلوقهن من الصياح وقد دفنوه يوم الثلاثاء على الصحيح.

ثم وضع صل الله عليه وسلم على سرير له قوائم ووضع السرير على شفير القبر ثم كان الناس يدخلون زمراً زمراً يصلون عليه ﷺ وأول من صلى عليه العباس وبنو هاشم ثم خرجوا ودخل المهاجرون ثم الأنصار زمرة زمرة ثم دخل الصبيان ثم النساء ويقال: صلي عليه اثنتان وسبعون صلاة. ولم يزل عليه الصلاة والسلام موضوعاً على سريره من حين زاغت الشمس في يوم الاثنين يصلون عليه وهو على شفير قبره إلى أن زاغت الشمس يوم الثلاثاء.

ودخل حفرته العباس وإبناه الفضل وقثم وعلي وشقران رضي الله عنهم وبني عليه في لحده بتسع لبنات ثم خرجوا وهالوا التراب وجعلوا أرتفاع القبر شبراً وسطحوه وجعلوا عليه حصباء ورش بلال رضي الله عنه القبر بالماء. وكان عمره صل الله عليه وسلم يوم توفاه الله: ثلاثاً وستين سنة على الصحيح.

ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة ودخل بريدة بن الحصيب باللواء فغرزه معقوداً عند باب رسول الله صل الله عليه وسلم فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة وألا يحله أبداً حتى يغزوهم خبر.

5. حزن وصدمة المسلمين رضي الله عنهم جميعا

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صل الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي وإن رسول الله ﷺ ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات. ووالله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات وقيل: إنه إستل سيفه وتوعد من يقول بموت رسول الله صل الله عليه وسلم.

وتقدم معنا أن أبا بكر رضي الله عنه استأذن رسول الله صل الله عليه وسلم بالخروج إلى السنح صباح الاثنين –اليوم الذي توفي فيه وكان حينئذ مفيقاً– فلما بلغه خبر الوفاة أقبل حتى نزل على باب المسجد والناس في أمر عظيم وعمر يكلم الناس فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت بنته عائشة ورسول الله مسجى[1] في ناحية البيت فأقبل حتى كشف عن وجهه الشريف وجثا يقبله

(1) مسجى: مغطى.

ويبكي ويقول: توفى والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله, ما أطيبك حياً وميتاً بأبي أنت وأمي, لا يجمع الله عليك موتتين، ثم رد البرد على وجهه الشريف ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال: على رسلك يا عمر أنصت فأبى إلا أن يتكلم فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس فلما رأوه الناس أقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد الله وأثنى عليه.

ثم قال: أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات, ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1]. قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى سمعوها من أبي بكر يومئذ وأخذها الناس عن أبي بكر فإنما هي في أفواههم.

قال أبوهريرة: قال عمر: فوالله ماهو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى وقعت على الأرض وما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله صل الله عليه وسلم قد مات.

6. خبر السقيفة: أبو بكر والأنصار رضي الله عنهم

قال ابن اسحاق: لما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة وأعتزل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة وأنحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر وانحاز معهم من الأنصار أسيد بن خضير في بني عبد الأشهل رضي الله عنهم جميعا, فأتى آت إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهم فقال: إن هذا الحي من الأنصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة قد انحازوا إليه فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوهم قبل أن يتفاقم أمرهم ورسول الله ﷺ في بيته لم يفرغ من أمره قال عمر: فقلت لأبي بكر: إنطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه فأنطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم وقالا: أين تريدون؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء الأنصار. قالا: فلا عليكم ألا تقربوهم يا معشر المهاجرين أقضوا أمركم قلت: والله لنأتينهم فأنطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل –مغطى– فقلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة رضي الله عنه فقلت ماله؟ قالوا: وجع فلما جلسنا نشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو له أهل ثم قال: أما بعد: فنحن أنصار الله وكتيبة

(1) آل عمران الآية 144.

الإسلام وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة[1] من قومكم ... وتكلم بكلام . وإذا هم يريدون أن يغصبونا الأمر –الخلافة– .[2]

قال عمر : فلما سكت أردت أن أتكلم وقد زورت –حضرت– في نفسي مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر فقام وقال: على رسلك يا عمر فكرهت أن أخالفه فتكلم –وكان هو أعلم مني وأوقر فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في بديهته أو مثلها أو أفضل– ثم قال: أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولكن لن تعرف العرب هذا لأمر إلا لهذا الحي من قريش: هم أوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وكان جالساً بيننا، ولم أكره شيئاً مما قال غيرها، فوالله لأن أقدم تضرب عنقي أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر. قال: فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك[3] وعذيقها المرجب[4] منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. قال: فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى تخوفت الاختلاف فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته ثم بايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار.

7. كم مشى الرسول عليه الصلاة والسلام لنشر الإسلام؟

في أول إحصاء لجميع رحلات الرسول صل الله عليه وسلم في هجرته ودعوته وعبادته وغزواته في سبيل الله بالجزيرة العربية بجميع إتجاهاتها للدعوة وتوقيع المعاهدات والحج والعمرة وعددها 33 رحلة على أقل تقدير بل وحتى المشي بالأسواق كان يعتبر الكثير كما ذكره تعالى في سورة الفرقان اية 7: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق...). والذهاب للدعوة وإصلاح ذات البين والعبادات بلغ ما يقارب ثمانة وخمسون الف وسبعمائه وثلاثة عشر كيلومتر طولي كما هو موضح في الجدول اللاحق لرحلات الرسول عليه الصلاة والسلام ماشياً أو راكباً لبغلته دلدل أو ناقته القصواء وطريقة المشي هي النسلان (المشي السريع).

---

(1) دفت دافة من قومكم.
(2) يغصبونا الأمر: يؤيدون أن تكون فيهم الخلافة.
(3) جذيل: تصغير جذل عود ينصب للإبل تحتك به وتستريح إليه والعرب تضرب به المثل للرجل صاحب الرأي يؤخذ برأيه وعذيق تصغير عذق: وهي النخلة .
(4) المرجب: يضرب به المثل للرجل الشريف البجل.

وإذا ما قارنا ذلك بخط الاستواء (أطول خط طولي يقسم الارض) ذو الطول 40 ألف كيلو متر وهو الخط الذي يقسم الكرة الأرضية الى نصفين, مما يعني بأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد قطع مسافة الكرة الأرضية مرة ونصف أي السفر الى لندن قرابة عشرة مرات فياله من جهد جبار لم يعرف غيره عليه الصلاة والسلام قام بذلك في التاريخ لا من قبل ولا من بعد, كل ذلك لنشر الدعوة وإيصالها لنا, لذلك أحبه الله عز وجل ورفع شأنه ومقامه لما يستحق صل الله عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وسلم.

لقد مشي الرسول صل الله عليه وسلم في أصعب رقعة جغرافية في الكرة الارضية, فبالاضافة إلى إفتقارها للأمان وكثرة عدائيتها بشكل عام وأعداءه بالخصوص فيها, فإنها أيضا أحد الأماكن التي يندر فيها مقومات الحياة مما يجعل مرتحليها معرضين للموت عطشاً أو جوعاً ناهيك عن خطورتها وصعوبة السفر فيها لكونها ترابية جبلية مما يزيد من مسافات السفر وصعوبته. لا ننسى أيضا من أنها أكثر مناطق العالم حرارة لبيئتها الصحراوية القاحلة, ولم يقوى على تلك المسافات الطويلة وتلك الضروف القاسية إلا المصطفي عليه الصلاة والسلام وحزبه المبارك رضي الله عنهم جميعا ولم يسجل التاريخ اي شخص او مجموعة قامت بذلك. من المفارقات الجميلة بالسيرة النبوية أن غالبية أصحاب المصطفى عليه الصلاة والسلام آن ذاك من الشباب يتراوح أعمارهم ما بين 16 إلى 23 عام[1] والمصطفى كان من أكبرهم عمراً وبالتالي مشقة السفر من المفترض أن تكون أشق عليه أما أصحابه وآله الكرام فقد تربوا على يده المباركة أجمل وأحسن تربية عرفها التاريخ في القيادة والصبر والاحسان والعطاء والتضحية والافضل من ألاخلاق الطيبة رغم كل الألم والضروف القاسية, وكل ذلك بالقدوة الحسنة. إن تكليفهم بالمهام العظيمة من قيادة الجيوش والولاية وبالأمانة لحقوق الاخرين كل ذلك دل على مدى ثقته عليه الصلاة والسلام بهم وقد كانوا أهلاً لها.

(1) حين أسلموا كانت أعمارهم: علي بن أبي طالب 8 سنوات وعبدالله بن مسعود 14 سنة والوليد بن الوليد 15 سنة والزبير بن العوام 18 سنة وطلحة بن عبيد الله 11 سنة وسعد بن أبي وقاص 17 سنة والارقم ابن ابي الارقم 12 سنة وسعيد بن زيد 19 سنة وجعفر بن ابي طالب 18 سنة وآخرين رضي الله عنهم جميعا.

مشي وسفر الرسول صلى الله عليه وسلم خلال نبوته

م	الرحلة km	الرحــلة وتاريخها	حساب المسافة	الوقت المستغرق	نوعية الطريق وعدد المسلمين	نتائج وملاحظات
1	58	التهجد بغار حراء (قبل البعثة)	9.7 km 3X 2X9.7 km بحد أدنى 58	في أيام معدودة من كل شهر رمضان آخر 3 سنوات قبل الرسالة	جبل النور يرتفع 642 متر فوق سطح البحر وينحدر انحدار شديد ووعر صخري أعتكف بالغار وحده	يستغرق الوصول 2.30 ساعة وصعود الجبل 3 ساعات وفيه نزل أول الوحي
2	260	رحلة الطائف (قبل الهجرة بـ3 سنوات وبعد 10 سنوات من البعثة)	2x130 km بحد 260 km أدنى	أستغرقت اسبوع للسفر والعودة	مشيا بطريق جبلي شديد جدا لانحدار والطلوع وفيه تخفي لطلب النصرة للدين	جبلية طلوع وانحدار شديد 1700 متر فوق سطح الأرض
3	550	الهجرة النبوية (مكة الى المدينة)	أكثر من550	14 يوم منها 3 أيام في غار ثور ليتحاشى الطلب	ترابي جبلي وعر بطريق طويل جبلي مخالف للقوافل لتفادي الطلب	لحماية المسلمين بدينهموتأسيس الدولة الاسلامية بالمدينة
4	39445	المشي اليومي في الأسواق للنصح وزيارة المرضى والأصحاب والأهل للدعوة والاصلاح والعبادة	245 يوم x7 كيلومتر يوميا 23x سنة (معدل تواجده ﷺ بالمدنة المنورة) 39,445	يوميا في مكة ويوميا اذا تواجد بالمدينة	جيد ومستوي نسبيا لانه بأسواق مكة والمدينة المجهزة	مشياً على الأقدام وبعض الأحيان على بغلته
5	2100	المشي لمسجد قباء	6 كيلومتر كل يوم سبت بالمدينة 10 سنواتx (حينما تواجد بالمدينة) 35اسبوع تقريبا6x	3 كيلو عن المسجد النبوي ساعة ذهاباً وإياباً	المشي الاسبوعي للصلاة في مسجد قباء من أول الهجرة النبوية حتى وفاته	كل يوم سبت من كل الاسبوع اذا تواجد بالمدينة
6	442	غزوة ودان (الأبواء) (الثانية للهجرة)	2x221 km بحد أدنى 442 أسبوع سفر تقريبا	كان يخشى الاعداء	ترابية جبلية صعبة التضاريس وعدد المسلمين 70	أول غزوة بالاسلام ولم يحدث قتال وإنتهت بالصلح مع بني ضمرة
7	420	غزوة بواط (الثانية للهجرة)	2x210 km 420 km أسبوع سفر تقريبا	لملاحقة قافلة تجارية لقريش يرأسها أمية بن خلف	سلسلة جبال رضوى عدد المسلمين 200 والمشركين 100 تقريبا	لم يحدث قتال لهروب المشركين
8	316	غزوة العشيرة (الثانية للهجرة)	2x158 km 316 km 5 أيام على الاقل	أقام فيها شهرا	في بطن منطقة ينبع عدد المسلمين 150	لم يحدث قتال لهروب المشركين
9	320	غزوة سفوان (بدر الاولى) (الثانية للهجرة)	2x160 km 320 km 5 أيام تقريبا	ملاحقة كرز الفهري الذي أغار على المدينة وهرب	ترابي وعدد المسلمين 70	لم يحدث قتال لهروب المشركين

10	320	غزوة بدر الكبرى (الثانية للهجرة)	2x160 km 320 km	أستغرقت المعركة ساعتين خلال رمضان وأقام ببدر 3 أيام و 9 أيام سفر ذهاب وعودة تقريبا	ترابيه صعبة التضاريس وعدد المسلمين 313 والقريش 1000	أول قتال بالإسلام
11	340	غزوة بني سليم (الكدر) (الثانية للهجرة)	2 x170 340 بحد أدنى لان المسلمين قاموا بالتورية بالرحلة	بعد غزوة بدر باسبوع	مكان مياه بني سليم بين مكة والشام وعدد المسلمين 200	لم يحدث قتال لهروب المشركين
12	4	غزوة يهود بني قينقاع في المدينة (الثانية للهجرة)	داخل المدينة	يوم واحد لقرب المسافة	لم يكونوا محصنين وأظهروا العداوة للمسلمين	لخيانتهم بالمعاهدة حاصرها 15 يوم وأنتهت بالاجلاء
13	92	غزوة السويق أطراف المدينة (الثانية للهجرة)	2x46 km 92 km على الاقل	مكث 3 أيام ثم رجع بعد مطاردة ابوسفيان وجيشه	هروب جيش ابوسفيان الذين كان عددهم 200 وهو نفس عدد المسلمين تقريبا	بعد بدر أنتقاما من ابوسفيان ولم يحدث قتال لفرارهم
14	360	غزوة ذي أمر (نجد- غطفان) (الثالثة للهجرة)	2 x180 360 كيلومتر تقريبا	هجوم مباغت ليفاجأ المشركين 11 يوم أقام فيه شهر صفر	صحراء ترابية قاحلة وكان عدد المسلمين 450 محاطين بالكثير من الاعداء من قبائل نجد	غزا نجد ليفتح غطفان عندما تجمعوا لقتال المسلمين ولم يحدث بها قتال لهروب المشركين
15	400	غزوة بحران (الثالثة للهجرة)	2 x200 كيلومتر على الاقل	أقام فيها شهر ثم رجع	وادي حجر في الحجاز جنوب المدينة وعدد المسلمين 300	لم يحدث قتال لهروب المشركين
16	6	غزوة أحد (الثالثة للهجرة)	2x3 km 6 km	يوم واحد لقرب المسافة	مزارع نخيل وجبلي وعدد المسلمين 850 ومشركي قريش 3000	بدأت بالانتصار وإنتهت بخسارة المسلمين لعدم طاعة الرماة للرسول عليه الصلاة والسلام
17	42	غزوة حمراء الأسد -مباشرة بعد غزوة أحد- (الثالثة للهجرة)	2x21 km 42 km	بعد غزوة أحد بيوم واحد وشارك فيها نفس من شارك بغزوة أحد	قريبه من المدينة وبقوا بحمراء الأسد 3 أيام وعدد المسلمين 540	لم يحدث قتال لعدم عوة المشركين وإستمرار مشيهم لمكة
18	82	غزوة بني النضير جنوب المدينة (الرابعة للهجرة)	2x41 km 82 km	يوم واحد لقرب المسافة لاستمرار تآمر اليهود وزيادة عداوتهم	حصار لحصون اليهود	أنتصر فيه المسلمون واستسلم اليهود
19	308	غزوة نجد (غزوة ذات الرقاع) (الرابعة للهجرة)	2x154 km 308 km على أقل تقدير	أستغرقت اسبوع وكان وقت قحط وحراره وشدة	ترابية صعبة التضاريس وكثيرة الاعداء والمخاطر	لم يحدث قتال لهروب المشركين عندما باغتهم المسلمين
20	320	غزوة بدر الآخرة (بدر الموعد) (الرابعة للهجرة)	2x160 km 320 km	لم يوفي ابوسفيان وعده ولم يحضر جيش قريش فأقام فيها تجارة للمسلمين وربحوا الكثير كونها محطة لمرور القوافل والجيوش دائما تأخذ معها المزيد من الدواب فتاجروا فيها	أسفل وادي الصفراء عدد المسلمين 1500	لم يحدث فيها قتال لعدم حضور جيش قريش من المشركين بالموعد الذي طلبوه
21	1800	غزوة دومة الجندل (الخامسة للهجرة)	2x900 km 1800 بحد أدنى	أستغرقت شهر سفرأحد أهم المراكز التجارة بالجزيرة وأقام فيها أيام وبعث السرايا	أطراف الشام محاطة بالاعداء من قبائل قضاعة وأسد وغطفان والغساسنة الموالين للدولة الرومية وعدد المسلمين 1000 تقريبا	من ابعد الغزوات سفرا ولم يحدث قتال لتشتت المشركين وكانت رسالة مهمه للأعداء
22	2880	غزوة الأحزاب-الخندق (الخامسة للهجرة)	حفر ومراقبه خندق طوله 5600 م وعرضه 4.2 م وعمقه 3.2 م 6 كيلومترx 24 يوم 20 مرة	الجري طوال ايام الحصار 24 يوم لحراسة الخندق وقبلها 7 أيام للحفر	ترابي صخري وجبلي عدد المسلمين 3000 والمشركين 10000 تقريبا ضمت قريش واليهود إنتقاما والطامعين بالغنائم من القبائل	لم يحصل قتال إلا بعض المناوشات وهي من أصعب الحروب النفسية لشدة حصار المشركين للمسلمين

23	36	غزوة بني قريظة بعد غزوة الاحزاب مباشرة (الخامسة للهجرة)	2x18 km km36	في نفس اليوم حاصرهم المسلمين ليهود بني قريضة في المدينة بضعة أسابيع حتى إستسلموا	في المدينة وكانت خيانتهم أشد خيانة في شرق العوالي وعدد المسلمين 3000 واليهود 700 تقريبا	بعد غزوة الاحزاب مباشرة لخيانة اليهود للمسلمين عند حصار الاحزاب وغنم المسلمين الكثير
24	640	غزوة بني لحيان (السادسة للهجرة)	2x320 km km640	9 أيام سفر وبقي في ديارهم يومين الى 3 ثم رجع مدتها 14 ليلة تقريبا	شرق المدينة بنجد بسبب خيانة المسلمين وقتل حفظة القران بالرجيع الذين أرسلوا بناء على طلبهم وعدد المسلمين 200	لم يحدث قتال لهروب المشركين
25	808	غزوة بني المصطلق - المريسيع(السادسة للهجرة)	2x404 km 808 km	11 يوم سفر بإتجاه جنوب المدينة قبل مكة المكرمة	بعد تآمر المنافقين مع قوم بني المصطلق وبعدها أتى المشركين يطلبوا أهاليهم فأكرمهم الرسول عليه الصلاة والسلام فأسلموا	فاجأهم المسلمين وغنموا الكثير فيها وإنتهت بزواج ام المؤمنين جويرية بنت الحارث وهي بنت سيدهم وتصالحوا بعدها
26	22	غزوة ذي قرد - الغابة (السادسة للهجرة)	2x11 22 km	نفس اليوم لقربها من وسط المدينة وهي مطاردة للمشركين بعد أن خطفوا وسرقوا وقتلوا من المسلمين خلسة	موقع قريب من المدينة فيه شجر كثير عدد المسلمين 40 والمشركين 500 تقريبا	لم يحدث قتال لخوفهم فهربوا بعيدا بإتجاه نجد
27	916	صلح الحديبية (السادسة للهجرة)	2x458 km 916 km	14 يوم سفر وأقامرا بالحديبية أسبوع تقريبا ذهب المسلمين للعمرة فمنعوا العمرة فأقاموا في الحديبية حتى توقيع الصلح مع قريش	ترابي صخري وعدد المسلمين 1400	لم يحدث قتال وإنما صلح الحديبية الذي أفضي بخير للمسلمين
28	420	غزوة خيبر (اليهود) ووادي القرى (السابعة للهجرة)	2x210 km 420 km	6 أيام سفر 3منها أيام للسفر و3 أيابا بالاضافة الى ايام الحصار للحصون وأراد المسلمين بعد صلح الحديبية تأديب اخر الاعداء: اليهود وقبائل نجد	خيبر مليئة بالحصون أحتمى فيها اليهود والطريق ترابي جبلي وعدد المسلمين 1400 واليهود 10000 تقريبا	حصل فيها قتال بعد حصار طويل وغنم المسلمين غنائم كثيرة
29	974	عمرة القضاء (السابعة للهجرة)	km872x 4 km974	14 يوم سفر سبعة أيام مشياً ذهابا وعود والبقاء 3 أيام بمكة للعمرة	ترابي صخري جبلي وعدد المعتمرين 2000 تقريبا	للعمرة تنفيذا لبنود صلح الحديبية
30	974	الفتح الأعظم (مكة) (الثامنة للهجرة)	2x487 km 974 km	سبعة أيام مشياً و 3 أيام تجمع الجيوش والبقاء بمكة بضعة أسابيع	ترابي صخري جبلي وعدد المسلمين 10 ألف تقريبا	أفضل عرض عسكري بالتاريخ ليخيف ويمنع القتال مع قريش
31	80	غزوة حنين وحصارها للطائف (بعد فتح مكة ومن مكة الى الهوازن والطائف) (الثامنة للهجرة)	2x40 km 80 km	18 يوم منها يومين للسفر من مكة الى حنين للقتال ثم حصار بعدها لمن هرب من أهل الطائف	بعد هزيمة المشركين في حنين هربوا لحصون الطائف حيث حاصرهم المسلمين بضعة اسابيع ولم يتمكنوا منهم, الطريق جبلي صخري شديد الانحدار وعدد جيش المسلمين 12 ألف والمشركين 25 ألف	حدث قتال وغنم المسلمين فيه الكثير وأتى المشركين بعد الحصار للطائف يطلبوا أهاليهم فأكرموا فأسلموا
32	2006	غزوة تبوك - العسرة(التاسع للهجرة)	2x1,003 km 2,006 km	14 يوم بقي في تبوك و 36 يوم سفر، 50 يوم شاملة للغزوة كلها	الطريق طويل جدا وترابي جبلي في أحر الاوقات وعدد المسلمين30 ألف والمشركين 40 ألف تقريبا	أبعد غزوة على الاطلاق وتشتت جيش الروم وحلفائهم فلم يحدث قتال
33	974	حجة الوداع (العاشرة للهجرة)	2x 487 km 974 km	7 أيام مشياً ذهابا و7 أيابا وعشرة أيام لمناسك الحج	ترابي صخري	أخر رحلات الرسول عليه الصلاة والسلام
	58715	**ثمانة وخمسون الف وسبعمائه كيلومتر طولي على أقل تقدير في أسوء تضاريس الارض وأكثرها أعداءاً (تعادل السفر الى لندن 10 مرات وتعادل الدوران حول الكرة الارضية -خط الاستواء- مرة ونصف تقريبا على اقل تقدير)**				

الإفتراضات لحساب رحلات الرسول عليه الصلاة والسلام:

- اختيار أقصر طريق ذهاباً واياباً للمشي برحلات السفر مع أحترام تضاريس الجزيرة العربية من وديان وجبال وكثبان وغيرها من التضاريس المؤثرة على المسافات وسرعة المشي عليها.
- تم حساب المسافات المقطوعة بحد أدنى وبتحفظ شديد إلا أن الحقيقة هي أن تضاريس الجزيرة العربية وعرة وتزيد المسافات فيها فهي مليئة بالوديان والجبال والكثبان الرملية مما تزيد من بعد المسافات وصعوبة المشي فيها ناهيك هن مخاطر الموت عطشاً او جوعاً لقحولتها بالإضافة الى كثرة الاعداء وقطاع الطرق فيها.
- المشي 10 دقائق لكل كيلو واحد تقريبا وطريقة المشي "النسلان" (المشي السريع – مشية الذئب للفريسة كما يوصفها العرب) يقطع خلال بما لا يقل عن 10 ساعة من المشي يومياً في الغزوات بواقع 1 km لكل 10 دقائق وبالتالي 6 km لكل ساعة أي بمعدل 60 كيلومتر لليوم الواحد تزيد أو تقل حسب نوعية الطرق وتضاريسها والغرض من الرحلة.
- كان الرسول عليه الصلاة والسلام في ترحال يقضي فيها سفراته وغزواته بمعدل تقريبي لا يقل عن ثلث السنة أي 120 يوم مما يعني بقائه في المدينة المنورة 245 يوم عاش فيها لكل سنة بحد أدنى والله اعلم.
- المشي راجلاً أو على بغلته عليه الصلاة والسلام "دلدل" للمسافات القصيرة وناقته "القصواء" للمسافات الطويلة.
- كان المصطفى صل الله عليه وسلم يوري بالغزوات فقد كان يبدأ الرحلة بطريق وإتجاه مختلف حتى يظن الاعداء أنه متجه لمكان آخر ثم يغير طريقه لما يريد, وهذا بالطبع يزيد من المسافات بعدا وبالتالي ما نعرضه من غزوات الرسول صل الله عليه وسلم هي بالواقع أطول مسافات سفراً مما هو مذكور.

8. نساء النبي ﷺ وابناءه وبناته

حتى لا يغيب عنا ذكر آل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام في هذه السيرة النبوية سنلخص حياته العائلية بإيجاز شديد فقد كان أول نساءه السيدة خديجه بنت خويلد التي عاشت مع المصطفى أطول فترة وهي أم أبناءه وبناته كلهم عدا إبراهيم فهو إبن ماريا القطبية وقد توفت السيدة خديجة أم القاسم عنه ﷺ قبل الهجرة خلال سنوات المقاطعة وبقى المصطفى ﷺ أرملاً سنة قبل أن يتزوج سودة بنت زمعه ولكل واحده من نساء الرسول ﷺ خصائص وأسباب جميله تعكس رجولة ونخوة ورحمة المصطفى ﷺ بأمته وبنساءه رضي الله عنهم جميعاً ووجودهم في حياة الرسول ﷺ أثرى السنة النبوية لتوضح الجوانب الاخرى في حياته ولتشمل الرسول الزوج والاب والاخ والقائد الفذ والبساطة والتواضع ناهيك عن ما نقل عنه منهم من فقه وأحاديث نبوية وتشريعات مهمه في مطلع الاسلام ونوجز بالجدول المرفق أسماء نساءه وأهم ما تميزوا به من صفات (أنظر الجدول).

جدول نساء الرسول صل الله عليه وسلم

	الاسم	أهم الصفات التي عرفت بها
1	خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزي بن قصي[1]	الغنية – التاجرة– الحكيمة – ذات العشيرة – السخية – الطاهرة – قوية الشخصية – ام الأولاد –المضحية –المعطاءة
2	سودة بنت زمعه بنت قيس	المازحة – المبتسمة – راعية أبناء الرسول المصطفى ﷺ – الكريمة – المضحية بيومها لعائشة – ذات الاخلاق الحميدة
3	عائشة بنت ابي بكر الصديق	الصديقة–الجميلة – الغيورة – الحميراء – الصغيرة –عائش – العذراء – الخاشعة – الكريمة – العابده –البريئة – العالمة – الفقيهة – أم عبدالله
4	حفصه بنت عمر بن الخطاب	العابدة – الغيورة – المتعلمة للكتابة والقراءة – الراضية – الجميلة – روح الطفولة – الخدومة
5	زينب بنت خزيمة بن الحارث[2]	المرحومة – العطوفة – ام المساكين – الهلالية
6	زينب بنت جحش بن رياب[3]	بنت عمة المصطفى ﷺ أميمة – العابدة – العاملة – كثيرة الصدقة – الأسرع لحاقاً بالرسول لكثرة صدقاتها – برة – ام الحكم
7	ام سلمة هند بنت ابي أمية	الحكيمة – الغيور – الشخصية القوية – حسنة الخلق والادب
8	جويرية بنت الحارث بني المصطلق	المباركة على قومها – الورعة – صافية القلب – الجميلة – ذات الراي السديد والخلق الرشيد
9	ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان[4]	الذكية – ذات الفصاحة والبلاغة – الصابرة – المحبة للرسول ﷺ
10	صفية بنت حيي بني النضير	العاقلة – ذات الجمال – بنت نبي الله هارون وعمها موسى وزوجها محمد ﷺ
11	ميمونة بنت الحارث[5]	الكاتمة لإسلامها – النقية – الأوصل للرحم – المسكينة – الوفيه
12	ماريا بنت شمعون القبطية	ام إبراهيم – المصرية – ملك اليمين – الشريفة – الجميلة – طيبة القلب

(1) تلتقي مع الرسول ﷺ في جدها قصي.

(2) توفت مثل زوجتة خديجة بنت خويلد في حياة المصطفى عليه الصلاة والسلام وكان وفاتها بعد أشهر قليلة من زواجها بالرسول ﷺ.

(3) زوجة زيد بن الحارثة ثم طلقها الله عز وجل وزوجها لرسوله ﷺ وذكرت في سورة الاحزاب اية 38 (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا).

(4) زوجها النجاشي بتوكيل من الرسول ﷺ بعد أن تركها زوجها في الحبشة وتم تأليف لأبيها المشرك أن ذاك ولقومه وماتت حيث بنى بها الرسول ﷺ في طريق مكة المدينة بعد 50سنة من وفاته ﷺ.

(5) في عمرة القضاء تزوجها ﷺ بناء على نصيحة العباس بعد ان طلقها زوجها المشرك وعانت ما عانت به من بؤس في مكة.

أما أبناءه فهم سبعه وقد مات جميعهم في حياته عدا فاطمة الزهراء زوجة علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأرضاهم جميعا وبالجدول ملخص يجمعهم (أنظر الجدول) وياله من قلب كيف تحمل ذلك وكأن الله عز وجل يقول لرسوله ﷺ ليس لك من الدنيا نصيب فهي الفانية والى الموت إنقضاء.

جدول أبناء الرسول ﷺ من زوجاته خديجة بنت خويلد وماريا القطبية

				ملاحظات
1	القاسم	ولد قبل النبوة وتوفي وهو ابن سنتين		وكان الرسول يكنى به أبو القاسم
2	عبدالله	(الطيب والطاهر)لأنه ولد بعد النبوة		مات صغيرا
	بنات الرسول	**الزوج**	**الوفاة**	
3	زينب	ابن خالتها ابي العاص بن الربيع	العام الثامن من الهجرة	تركت ابنتها الصغيرة امامة
4	رقية	عثمان بن عفان	في العام السادس للهجرة حين مرضت بالحمى وبقي زوجها برعايتها قريباً بعد وفاة ابنها عبدالله أيام غزوة بدر وهذا سبب تخلفه عن الغزوة	هاجرت مع زوجها للحبشة
5	ام كلثوم	عثمان بن عفان بعد وفاة رقية لذلك سمي ذو النورين	في العام التاسع للهجرة ولم تنجب أي أبناء	
6	فاطمة [1]	علي بن ابي طالب	بعد وفاة الرسول ﷺ بست اشهر	هي الأصغر وابناءها الحسن والحسين وزينب ام كلثوم
7	ابراهيم[2]	ولد في السنة الثامنة من الهجرة وهو آخر أبناءه		وتوفى وهو رضيع وامه ماريا القبطية

إلى هنا انتهت سيرة النبي صل الله عليه وسلم،

ثم نتبعها بموجز من سيرة الخليفتين الراشدين: أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم.

(1) قال صلى الله عليه وسلم (أفضل نساء اهل الجنة خديجة بن خويلد وفاطمة بن محمد ومريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم) رواه احمد وإسناده صحيح.

(2) قال صلى الله عليه وسلم (تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضي ربنا والله يا إبراهيم إنا بك لمحزنون) أخرجه البخاري.

9. خلافة أبي بكر: وموجز من سيرته وبعض مناقبه وبيعته وخطبته رضي الله عنه

أبو بكر الصديق واسمه عبد الله بن أبي قحافة واسم أبي قحافة: عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن **مرة بن كعب** بن لؤي بن غالب التيمي القرشي ويلتقى نسبه مع النبي صل الله عليه وسلم: بمرة بن كعب وكان رضي الله عنه من أعظم الشخصيات في الإسلام وقد تقدم معنا في هذا الكتاب مواقفه الكثيرة الدالة على عظمته ومكانته وفضله, وقد جمع من الخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة والآراء الثاقبة والكرم والسخاء الذي ليس له مثيل وهو الذي خرج عن ماله كله حتى تخلل بالعبا وقد سأله رسول الله صل الله عليه وسلم: ماذا أبقيت لعيالك يا أبا بكر؟ فقال: الله ورسوله. وله من الشجاعة مواقف لا تضاهى وقد شهد له بذلك كبار الصحابة مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهم رضي الله عنهم جميعا.

ثم ماذا نقول فيمن أثنى عليه الله عز وجل في كتابه المبين في مواضع منها قوله تعالى: (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا)[1]. فوصفه الله بالصاحب في هذه الآية وقد وصفه الله أيضاً بصاحب الفضل فقال عز وجل: (وَلا يَأْتَلِ[(2)] أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[3]. ولما كان يشتري الأرقاء المعذبين ويعتقهم كما تقدم ذكرهم في بداية الكتاب قال الله تعالى فيه: (سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى {17} الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى {18} وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى {19} إِلا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى {20} وَلَسَوْفَ يَرْضَى)[4].

وقال رسول الله صل الله عليه وسلم: إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لأتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام ومودته.[5]

ولما بويع أبو بكر رضي الله عنه في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر: فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: إن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى الله به

---

(1) التوبة الآية 41.

(2) أي لا يحلف: نزلت في أبي بكر أقسم أن لاينفق على مسطح وقصته في حديث الإفك.

(3) النور الاية 22.

(4) الليل الايات 17-21.

(5) صحيح البخاري.

ورسوله صل الله عليه وسلم فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ ثاني إثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس البيعة العامة.

ثم تكلم أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني, الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء, أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ﷺ فإذا عصيت الله ورسوله ﷺ فلا طاعة لي عليكم, قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله. قال ابن اسحاق: فلما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم الثلاثاء وكان دفنه ليلة الأربعاء على الصحيح.

10. شهادة عمر بن الخطاب وعلي ابن ابي طالب لأمير المؤمنين أبوبكر الصديق

وأخرج البيهقي عن ابن سيرين قال: ذكر رجال على عهد عمر فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر رضي الله عنهم، فبلغ ذلك عمر فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر وليوم من أبي بكر خير من آل عمر. لقد خرج رسول الله صل الله عليه وسلم ليلة أنطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة من خلفه حتى فطن رسول الله صل الله عليه وسلم فقال: يا أبا بكر مالك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي؟ فقال: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك وأذكر الرصد فأمشي بين يديك. فقال يا أبابكر: لو كان شيء لأحببتَ أن يكون بك دوني؟ قال: نعم والذي بعثك بالحق فلما انتهينا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ فدخل فأستبرأ، ثم قال: أنزل يا رسول الله فنزل ثم قال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر.[1]

عن عمر رضي الله عنه قال: لما قبض رسول الله ﷺ ارتد من ارتد من العرب وقالوا: نصلي ولا نزكي فأتيت أبا بكر رضي الله عنه. فقلت: يا خليفة رسول الله, تألف الناس وإرفق بهم فإنهم بمنزلة الوحش فقال: أخرت نصرتك وجئتني بخذلانك, جباراً في الجاهلية خواراً في الإسلام, ماذا خشيت أن أتألفهم بشعر مفتعل أو بسحر مفترى, هيهات هيهات, مضى النبي صل الله عليه وسلم وإنقطع الوحي,

(1) من حياة الصحابة ج1 صفحة 322.

والله لأجاهدنهم ما أستمسك السيف في يدي وإن منعوني عقالاً. قال عمر رضي الله عنه: فوجدته في ذلك أمضى مني وأعزم مني وأدب الناس على أمورٍ هانت على كثير من مؤنتهم حين وليتهم.[1]

أخرج البزار عن علي كرم الله وجهه أنه قال: أيها الناس أخبروني من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين قال: أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه ولكن أخبروني من أشجع الناس: قالوا لا نعلم فمن؟ قال: أبو بكر رضي الله عنه إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صل الله عليه وسلم لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس[2].

أخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر رضي الله عنه استخلف ما عُبد الله ثم قال الثانية ثم قال الثالثة فقيل له: مه يا أبا هريرة فقال: إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد في (جيش)(3) إلى الشام فلما نزل بذي خشب قبض رسول الله صل الله عليه وسلم وأرتدت العرب حول المدينة فأجتمع إليه –إلى أبي بكر– أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا بكر رد هؤلاء؛ توجه هؤلاء إلى الروم وقد أرتدت العرب حول المدينة؟ فقال: (فأقسم)(4) بأنه لا يرد جيشاً وجهه رسول الله صل الله عليه وسلم ولا يحل لواءً عقده رسول الله صل الله عليه وسلم فوجه أسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم, فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام وهذا النصر أدى الى حفظ وإستقرار الامة الاسلامية وثبات أمرها وقوتها فلا يتجرأ أحد عليها.

حزم أبي بكر بتوجيه جيش أسامه كما أمر الرسول ﷺ واجتماعه بكبار الصحابه

لما بويع أبو بكر رضي الله عنه قال لأسامه بن زيد: أنفذ في وجهك الذي وجهك فيه رسول الله صل الله عليه وسلم, وأخذ الناس بالخروج فعسكروا في موضعهم الأول وخرج بريدة باللواء ونادى منادي

---

(1) حياة الصحابة ج1 صفحة 418.

(2) حياة الصحابة ج1 صفحة 525.

(3) في الأصل: في سبعمائة والصحيح كان الحيش ثلاثة آلاف فجعلها (في جيش) لعدم الخلاف.

(4) فقال: والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ مارددت جيشاً وجهه رسول الله ولا حللت لواءً عقجه رسول الله ﷺ هكذا في الأصل ولكني كتبت فأقسم الخ.... كما أعلاه. (م - خ).

أبو بكر: عزمة مني ألا يتخلف أحد عن أسامة من بعثه أحد ممن انتدب معه في حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام فإني لم أوتى بأحد بطأ عن الخروج إلا ألحقته به ماشياً فما تخلف عن البعث أحد.

ولما تهيأ أسامة للمسير شق ذلك على كبار الصحابة من المهاجرين الأولين ودخل على أبي بكر: عمر وعثمان وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد رضي الله عنهم فقالوا: يا خليفة رسول الله إن العرب قد إنقضت عليك من كل جانب وإنك لا تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً, إجعلهم عدة لأهل الردة ترمى بهم في نحورهم، وأخرى: لا تأمن على أهل المدينة أن يغار عليها وفيها الذراري والنساء ولو تأخرت لغزو الروم حتى يضرب الإسلام بجرانه –ثبت واستقر– ويعود أهل الردة لما خرجوا منه أو يفنيهم السيف ثم تبعث أسامة حينئذ فنحن لا نأمن الروم أن تزحف إلينا.

فلما استوعب أبو بكر كلامهم قال: هل منكم أحد يريد أن يقول شيئاً؟ قالوا: لا, قد سمعت مقالتنا فقال: والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تأكلني في المدينة لأنفذت هذا البعث كيف ورسول الله صل الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي من السماء يقول: أنفذوا جيش أسامة، ولكن شيئاً أطلبه من أسامة أكلمه في عمر أن يدعه يقيم عندنا فإنه لا غنى بنا عنه، ثم كلم أبو بكر أسامة في أن يترك عمر ففعل وجعل يقول له: أذنت ونفسك طيبة؟ فقال أسامة: نعم.

ثم خرج أبو بكر يودع أسامة رضي الله عنهم فركب من الجرف لهلال ربيع الآخر في ثلاثة آلاف فيهم: ألف فرس، وسار أبو بكر إلى جنبه ساعة وهو ماشٍ وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن فقال: والله لا تنزل ووالله لا أركب وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله ثم قال: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك إني سمعت رسول الله ﷺ يوصيك، فأنفذ أوامر رسول الله فإني لست آمرك ولا أنهاك عنه إنما أنا منفذ لأمر أمر به رسول الله صل الله عليه وسلم (أنظر خريطة تحرك جيش أسامه).



11. أبو بكر الصديق وقتال أهل الردة وجهاد الروم

وعند الإمام أحمد والشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صل الله عليه وسلم وكان أبو بكر رضي الله عنه بعده وكفر من كفر من العرب. قال عمر رضي الله عنه: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال, والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه قال عمر: فو الله ما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق[1]. لقد عرفت السنتان في عهد سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة الرسول عليه الصلاة والسلام الكثير من الفتوحات الاستراتيجية للاسلام لمواجهة أهل الردة (انظر خرطة الفتوحات في عهده).



(1) حياة الصحابة جزء1 صفحة419.

أخرج الخطيب في رواة مالك عن ابن عمر رضي الله عنهم قال: لما قبض النبي صل الله عليه وسلم أشرأب النفاق بالمدينة وأرتد العرب فجمع أبو بكر المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وقال: إن هذه العرب قد منعوا شاتهم وبعيرهم ورجعوا عن دينهم. أخرج العدني عن عمر رضي الله عنه قال: لما إجتمع رأي المهاجرين وأنا فيهم حين أرتدت العرب فقلنا: يا خليفة رسول الله أترك الناس يصلون ولا يؤدون الزكاة فإنهم لو دخل الإيمان في قلوبهم لأقروا بها فقال أبو بكر رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لأن أقع من السماء أحب الي من أن أترك شيئاً قاتل عليه رسول الله صل الله عليه وسلم إلا أقاتل عليه فقاتل العرب حتى رجعوا إلى الإسلام فقال عمر: والذي نفسي بيده لذلك اليوم خير من آل عمر.[1]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كره الصحابة أولاً قتال مانعى الزكاة وقالوا: أهل قبلة فتقلد أبوبكر رضي الله عنه سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بداً من الخروج على أثره فخرجوا.

عن عبد الله بن أبي الخزاعي رضي الله عنه[2] أنه قال: لما أراد أبو بكر رضي الله عنه غزو الروم دعا علياً وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم رضي الله عنهم جميعا فدخلوا عليه فقال عبد الله بن أبي الخزاعي قال أبو بكر رضي الله عنه: إن الله عز وجل لا تحصى نعماؤه ولا تبلغ جزاءها الأعمال فله الحمد قد جمع الله كلمتكم وأصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام ونفى عنكم الشيطان فليس يطمع أن تشركوا به ولا تتخذوا إلهاً غيره, فالعرب اليوم بنو أم وأب وقد رأيت أن أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ويجعل كلمته العليا مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر لأنه من هلك منهم هلك شهيداً وما عند الله خير للأبرار ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله ثواب المجاهدين وهذا رأيي الذي رأيته فليشر امرؤ علي برأيه فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: الحمدلله الذي يخص بالخير من شاء من خلقه والله ما أستبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم, قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي رأيت فما قضى أن يكون حتى ذكرته فقد أصبت، أصاب الله بك سبيل الرشاد! سرِّب إليهم الخيل في إثر الخيل وابعث الرجال بعد الرجال والجنود تتبعها الجنود فإن الله ناصر دينه ومعز الإسلام وأهله ثم قام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال: يا خليفة رسول الله إنها الروم وبنو الأصفر حد حديد، وركن

(1) كنز العمال ج3 صفحة 141.

(2) أخرج ابن عساكر ج1 صفحة 126.

شديد, ما أرى أن نقتحم عليهم اقتحاماً ولكن نبعث الخيل فنغير في أقاصي وفي رواية: في أداني أرضهم ثم ترجع إليك وإذا فعلوا ذلك بهم مراراً أضروا بهم وغنموا من أداني أرضهم فقووا بذلك على قتالهم ثم تبعث إلى أراضي اليمن وأقاصي ربيعة ومضر ثم نجمعهم جميعاً إليك ثم إن شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وإن شئت أغزيتهم ثم سكت وسكت الناس ثم قال لهم أبو بكر: ما ترون؟ فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: إني أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين شفيق عليهم فإذا رأيت رأياً تراه لعامتهم صلاحاً فأعزم على إمضائه فإنك غير ظنين فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم: صدق عثمان ما رأيت من رأي فأمضه، فإنا لا نخالفك ولا نتهمك، وذكروا هذا وأشباهه وعلي رضي الله عنه في القوم لم يتكلم فقال أبو بكر: ماذا ترى يا أبا الحسن؟ فقال: أرى أنك مبارك ميمون الناحية وإنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت عليهم إن شاء لله تعالى فقال: بشرك الله بخير ومن أين علمت ذلك؟ قال: سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول: (لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرين) فقال أبو بكر: سبحان الله ما أحسن هذا الحديث, لقد سررتني به, سرك الله في الدنيا والآخرة.[1]

ثم إن أبا بكر قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: أيها الناس إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام وأعزكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام فإني مؤمر عليكم أمراء وعاقد لهم عليكم فأطيعوا أمر ربكم ولا تخالفوا أمراءكم ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون!!

قال: فسكت القوم فوالله ما أجابوا فقال عمر رضي الله عنه: يا معشر المسلمين مالكم لا تجيبون خليفة رسول الله وقد دعاكم لما يحييكم؟ أما إنه لو كان عرضاً قريباً أو سفراً قاصداً لأبتدرتموه. فقام عمرو بن سعيد إبن العاص الاموي رضي الله عنه فقال: يا ابن الخطاب ألنا تضرب الأمثال, أمثال المنافقين فما منعك مما عبت علينا فيه أن تبدأ به؟ فقال عمر رضي الله عنه: إنه يعلم أني أجيبه لو يدعوني وأغزو لو يغزيني فقال عمرو بن سعيد: ولكن نحن لا نغزو لكم, إن غزونا إنما نغزو لله فقال عمر: وفقك الله فقد أحسنت فقال أبو بكر لعمرو رضي الله عنه: اجلس رحمك الله فإن عمر لم يرد بما سمعت أذى مسلم ولا تأنيبه إنما أراد بما سمعت أن ينبعث المتثاقلون إلى الأرض للجهاد فقام أخيه خالد بن سعيد رضي الله عنه فقال: صدق خليفة رسول الله, أجلس أي أخي فجلس وقال خالد: الحمدلله الذي

(1) جمهرة خطب العرب, احمد صفوت, ج1 ص 192.

لا إله إلا هو الذي بعث محمد صل الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فالحمدلله منجز وعده ومظهر دينه ومهلك عدوه ونحن غير مخالفين ولا مختلفين وأنت الوالي الناصح الشفيق ننفر إذا أستنفرتنا ونطيعك إذا أمرتنا. ففرح بمقالته أبو بكر وقال له: جزاك الله خيراً من أخ وخليل فقد كنت أسلمت مرتغباً وهاجرت محتسباً وقد كنت هربت بدينك من الكفار لكيما ترضى الله ورسوله وتعلو كلمته (فتجهز يرحمك الله) وسر فأنت أمير الناس.

ثم إنه نزل ورجع خالد بن سعيد رضي الله عنه فتجهز وأمر أبو بكر بلالاً فأذن بالناس: أن انفروا أيها الناس إلى جهاد الروم بالشام وأول من تجهز خالد بن سعيد وخرج هو وإخوانه وفتيانه ومن أطاعه من أهله ثم تبعهم الناس إلى معسكرهم ذرافات حتى اجتمع أناس كثير الخ... الحديث.[1]

12. مقدار ما فرض لأبي بكر من العطاء لما ولى الخلافة وزهده ملخص فتوحاته

لما بويع أبو بكر رضي الله عنه أصبح وعلى ساعده أبراد –ثياب– وهو ذاهب إلى السوق فرآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق قال: تصنع ماذا؟ قال: أبيع وأشتري قال: كيف وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قال: انطلق يفرض لك أبو عبيدة لأن أبا عبيدة أمين هذه الأمة. ففرض له قوت رجل من المهاجرين ليس بأوكسهم ولا أكيسهم وكسوة الشتاء والصيف وقال: إذا أخلفت شيئاً رددته وأخذت غيره.

وأخرج الطبراني عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال: لما إحتضر أبو بكر رضي الله عنه قال: يا عائشة أنظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبغ فيها والقطيفة التي كنا نلبسها فإنا كنا ننتفع بذلك حين نلي أمر المسلمين فإذا مت فأردديه إلى عمر فلما مات أبوبكر أرسلت به إلى عمر فبكى عمر حتى سالت دموعه على الأرض وجعل يقول: رحم الله أبا بكر لقد أتعب من جاء بعده ويكرر ذلك, ثم أمر برفعها إلى بيت المال.

ذكر المسعودي في تاريخه مروج الذهب في وصف أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: كان أزهد الناس وأكثرهم تواضعاً في أخلاقه ولباسه ومطعمه ومشربه وكان لباسه في خلافته الشملة والعباءة وقدم عليه زعماء العرب وأشرفهم وملوك اليمن وعليهم الحلل والبرد والتيجان فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والتواضع والتنسك وما عليه من الوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم وكان ممن وفد

(1) إنني لم أتعرض للحروب والفتوحات في سيرة الصاحبيين الجليلين (أبي بكر وعمر رضي الله عنهم) وإنما قصدت منهما المناقب والأخلاق ومعاملتهما الرعية وإن للحروب والفتوحات كتباً خاصة وكثيرة.

عليه من ملوك اليمن: ذو الكلاع ملك حمير ومعه ألف عبد، وعليه التاج والحلل فلما شاهد أبا بكر وما هو عليه من الزهد والتقشف ألقى ما كان عليه من لباس وتزيا بزيه حتى رؤي يوماً في سوق من أسواق المدينة وعلى كتفيه جلد شاة فأجتمع به كبار عشيرته وقالوا: ما هذا؟ لقد فضحتنا بين المهاجرين والأنصار قال: أردتم أن أكون جباراً في الجاهلية جباراً في الإسلام لا والله.

بعد بعثة أسامه ومحاربة المرتدين فلم يزل أبو بكر يجاهد بأصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم حتى عاد الناس جميعاً إلى الإسلام ودخلوا فيه كما خرجوا منه وبعث خالد بن الوليد إلى بني أسد وغطفان فقتل من قتل وأسر من أسر، ورجع الباقون إلى الإسلام ثم بعث خالداً إلى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب وفي السنة الثانية من خلافته بعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين وكانوا قد إرتدوا فقاتلهم ونصر الله المسلمين عليهم وقتل من قتل من المرتدين ورجع من بقي منهم إلى الإسلام.

وبعث عكرمة بن أبي جهل إلى عمان وكانوا قد ارتدوا أيضاً وبعث المهاجر ابن أبي أمية إلى طائفة من المرتدين وزياد بن لبيد إلى طائفة آخرين وما توفي أبو بكر حتى رجع العرب كلهم إلى الإسلام وابتدأ التجهيز لفتوح الشام وقتال الروم حتى أن فتح الشام كان ليلة وفاة أبو بكر رضي الله عنه.

13. وفاة أبي بكر وآخر خطبة وإستخلافه عمر وحزن المسلمين

لما مرض أبو بكر مرضه الذي توفي فيه أستخلف على الأمة عمر بن الخطاب فأمر عثمان بن عفان أن يكتب صحيفة الإستخلاف وهذه صورتها: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب, إني أستخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فأسمعوا له وأطيعوا وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي إياكم (إلا) خيراً، فإن عدل فذلك ظني فيه وعلمي به وإن بدل فلكل إمرئ ما أكتسب, والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام عليكم" ثم أمر بالكتاب فختمه رضي الله عنهم جميعا.

أخرج ابن عساكر عن يسار بن حسن قال: أشرف أبو بكر رضي الله عنه على الناس من كوة فقال[1]: أيها الناس إني قد عهدت عهداً, أفترضون به؟ فقال الناس: قد رضينا يا خليفة رسول الله فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: لا نرضى إلا أن يكون عمر بن الخطاب قال أبو بكر: فإنه

(1) كوة: هي كوة أبي بكر رضي الله عنه التي تطل على المسجد وقد قال صل الله عليه وسلم عند وفاته: سدوا هذه الأبواب الشوارع على المسجد إلا باب أبي بكر فإن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً في الناس خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام ومودته.

عمر فبايع علي وبايع الناس ورضوا به فرفع أبو بكر فدعا فقال: اللهم إني لا أريد بذلك إلا صلاحهم وخفت الفتنة عليهم فعملت بما أنت أعلم به وأجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم، وأقواهم عليه – على الحق– وأحرصهم على ما يرشدهم وقد حضرني من أمرك ما حضرني فأخلفني منهم فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك, اللهم أصلح ولايته وأجعله من خلفائك الراشدين.

قال ابن اسحاق في السيرة النبوية: لما أسلم أبو بكر رضي الله عنه وأظهر إسلامه دعا إلى الله عز وجل وكان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً سهلاً وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر وكان رجلاً تاجراً ذا خلق معروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم على يديه فيما بلغني: الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم فأنطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن فآمنوا.

وبعد أن استشار أبو بكر المسلمين باستخلاف عمر بن الخطاب جمع أبو بكر الناس وهو مريض فأمر من يحمله إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس احذروا الدنيا ولا تثقوا بها فإنها غدارة وآثروا الآخرة على الدنيا وأحبوها فبحب كل واحدة منهما تبغض الأخرى وإن هذا الأمر هو أملك بنا لا يصلح آخره الا بما صلح به أوله ولا يحتمله إلا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه وأشدكم في حال الشدة وأسلسكم في حال اللين وأعلمكم برأي ذوي الرأي, لا يتشاغل بمالا يعنيه ولا يحزن لما ينزل به, ولا يستحيي من التعليم, ولا يتحير عند البديهة, قوي على الأمور, لا يجوز لشيء منها حده بعدوان ولا تقصر, يرصد لما هو آت عتاده من الحذر والطاعة وهو عمر بن الخطاب ثم نزل فكانت آخر خطبة خطب بها.

وكان ابتداء مرض أبي بكر رضي الله عنه أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة وكان يوماً بارداً فحم خمسة عشر يوماً لا يخرج وتوفي الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة وله من العمر ثلاث وستون ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشرة أيام[1]. عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل أبو بكر قعدت عند رأسه فتمثلت بقول القائل: (لعمرك ما يغني التراث

(1) ومن المفارقات العجيبة أن عمر رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم وفاته 63 سنة وهو نفس عمر كل من ابوبكر الصديق وعمر ابن الخطاب وعلي ابن ابي طالب رضي الله عنهم, اما بالنسبه لعثمان بن عفان رضي الله عنه فعمره 83 سنه أي زاد ب20 سنة وربما يعود ذلك لدعاء الرسول صل الله عليه وسلم له بالبركة عند تبرعه للمسلمين بغزوة العسرة والله أعلم.

عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر) فقال: لا تقولي هذا ولكن قولي: (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) ثم قال: أنظروا ثوبيّ هذين فأغسلوهما فكفنوني فيهما فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت وصلى عليه عمر بن الخطاب ودفن ليلاً إلى جنب رسول الله صل الله عليه وسلم في حجرة عائشة رضي الله عنها وكان آخر ما تكلم به: توفني مسلماً وألحقني بالصالحين. ولما توفي رضي الله عنه إرتجت المدينة بالبكاء ودهش القوم ليذكرهم بيوم وفاة رسول الله صل الله عليه وسلم.

فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون إنقطعت خلافة النبوة حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر وهو مسجى فقال: رحمك الله يا أبا بكر كنت إلف رسول الله صل الله عليه وسلم وأنسه، وثقته، وموضع سره ومشاورته، كنت أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأشدهم يقيناً وأخوفهم لله وأعظمهم غناءاً في دين الله وأحوطهم على رسول الله صل الله عليه وسلم وأيمنهم على أصحابه وأحسنهم صحبة وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة وأشبههم برسول الله هدياً وسمتاً ورحمة وفضلاً وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه وأشفقهم عليه، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله خيراً, كنت عنده بمنزلة السمع والبصر، صدقته حين كذبه الناس فسماك الله في تنزيله صديقاً فقال الله تعالى: (وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ)[1] الذي جاء بالصدق: محمد صل الله عليه وسلم، والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه.

---

(1) سورة الزمر اية 33.

5. استشهاد بن مسلمة وإعطاء اللواء لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم

وقاتل صل الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال، وألحّ على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل أشد القتال والمسلمون يقاتلونهم ولم يصنعوا شيئا وقد كرّ اليهود على الأنصار حتى كشفوهم فأغتمّ رسول الله صل الله عليه وسلم لذلك.

قال الواقدي: وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع ظله وكان يوماً شديد الحرّ فألقى عليه مرحب اليهودي رحى فهشمت البيضة وسقطت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأتى به رسول الله ﷺ فردّ الجلدة كما كانت وعصبها بثوب، ثم كانت سبب موته رضي الله عنه.

ثم تحول صل الله عليه وسلم بأصحابه إلى الرجيع خشية عليهم من البيات، فكان مقامه بالرجيع سبع ليال، يغدو كل يوم للقتال، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقاتل أهل النطاة يومه فإذا أمسى عاد إلى الرجيع، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين. وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الجيش كل ليلة. فلما كانت الليلة السادسة أستعمل عمر للحراسة، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم.

وأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه، فقال: أذهبا بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه وذهبوا به إلى باب النبي ﷺ فكان يصلي فلما سلّم من صلاته أدخل عليه، فقال له ﷺ: ما وراءك؟ قال: تؤمني يا أبا القاسم؟ قال نعم! قال: خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة، قال: فأين يذهبون؟ قال: إلى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال، وأخبره أن في هذا الحصن –يعني حصن الصعب– في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال صل الله عليه وسلم: إن شاء الله، قال اليهودي: إن شاء الله، أوقفتك عليه فإنه لا يعرفه غيري، وأخرى، قيل: وما هي؟ قال: ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة، ثم قال: يا أبا القاسم احتقن دمي، قال: أنت آمن! قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: هي لك، ثم دعاه إلى الإسلام فقال: انظرني.

5. استشهاد بن مسلمة وإعطاء اللواء لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم

وقاتل صل الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال، وألحّ على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل أشد القتال والمسلمون يقاتلونهم ولم يصنعوا شيئا وقد كرّ اليهود على الأنصار حتى كشفوهم فأغتمّ رسول الله صل الله عليه وسلم لذلك.

قال الواقدي: وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع ظله وكان يوماً شديد الحرّ فألقى عليه مرحب اليهودي رحى فهشمت البيضة وسقطت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأتى به رسول الله ﷺ فردّ الجلدة كما كانت وعصبها بثوب، ثم كانت سبب موته رضي الله عنه.

ثم تحول صل الله عليه وسلم بأصحابه إلى الرجيع خشية عليهم من البيات، فكان مقامه بالرجيع سبع ليال، يغدو كل يوم للقتال، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقاتل أهل النطاة يومه فإذا أمسى عاد إلى الرجيع، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين. وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الجيش كل ليلة. فلما كانت الليلة السادسة أستعمل عمر للحراسة، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم.

وأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه، فقال: أذهبا بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه وذهبوا به إلى باب النبي ﷺ فكان يصلي فلما سلّم من صلاته أدخل عليه، فقال له ﷺ: ما وراءك؟ قال: تؤمني يا أبا القاسم؟ قال نعم! قال: خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة، قال: فأين يذهبون؟ قال: إلى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال، وأخبره أن في هذا الحصن –يعني حصن الصعب– في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال صل الله عليه وسلم: إن شاء الله، قال اليهودي: إن شاء الله، أوقفتك عليه فإنه لا يعرفه غيري، وأخرى، قيل: وما هي؟ قال: ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة، ثم قال: يا أبا القاسم احتقن دمي، قال: أنت آمن! قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: هي لك، ثم دعاه إلى الإسلام فقال: انظرني.

5. استشهاد بن مسلمة وإعطاء اللواء لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم

وقاتل صل الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال، وألحّ على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل أشد القتال والمسلمون يقاتلونهم ولم يصنعوا شيئا وقد كرّ اليهود على الأنصار حتى كشفوهم فأغتمّ رسول الله صل الله عليه وسلم لذلك.

قال الواقدي: وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع ظله وكان يوماً شديد الحرّ فألقى عليه مرحب اليهودي رحى فهشمت البيضة وسقطت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأتى به رسول الله ﷺ فردّ الجلدة كما كانت وعصبها بثوب، ثم كانت سبب موته رضي الله عنه.

ثم تحول صل الله عليه وسلم بأصحابه إلى الرجيع خشية عليهم من البيات، فكان مقامه بالرجيع سبع ليال، يغدو كل يوم للقتال، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقاتل أهل النطاة يومه فإذا أمسى عاد إلى الرجيع، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين. وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الجيش كل ليلة. فلما كانت الليلة السادسة أستعمل عمر للحراسة، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم.

وأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه، فقال: أذهبا بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه وذهبوا به إلى باب النبي ﷺ فكان يصلي فلما سلّم من صلاته أدخل عليه، فقال له ﷺ: ما وراءك؟ قال: تؤمني يا أبا القاسم؟ قال نعم! قال: خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة، قال: فأين يذهبون؟ قال: إلى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال، وأخبره أن في هذا الحصن –يعني حصن الصعب– في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال صل الله عليه وسلم: إن شاء الله، قال اليهودي: إن شاء الله، أوقفتك عليه فإنه لا يعرفه غيري، وأخرى، قيل: وما هي؟ قال: ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة، ثم قال: يا أبا القاسم احتقن دمي، قال: أنت آمن! قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: هي لك، ثم دعاه إلى الإسلام فقال: انظرني.

5. استشهاد بن مسلمة وإعطاء اللواء لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم

وقاتل صل الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال، وألحّ على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل أشد القتال والمسلمون يقاتلونهم ولم يصنعوا شيئا وقد كرّ اليهود على الأنصار حتى كشفوهم فأغتمّ رسول الله صل الله عليه وسلم لذلك.

قال الواقدي: وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع ظله وكان يوماً شديد الحرّ فألقى عليه مرحب اليهودي رحى فهشمت البيضة وسقطت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأتى به رسول الله ﷺ فردّ الجلدة كما كانت وعصبها بثوب، ثم كانت سبب موته رضي الله عنه.

ثم تحول صل الله عليه وسلم بأصحابه إلى الرجيع خشية عليهم من البيات، فكان مقامه بالرجيع سبع ليال، يغدو كل يوم للقتال، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقاتل أهل النطاة يومه فإذا أمسى عاد إلى الرجيع، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين. وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الجيش كل ليلة. فلما كانت الليلة السادسة أستعمل عمر للحراسة، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم.

وأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه، فقال: أذهبا بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه وذهبوا به إلى باب النبي ﷺ فكان يصلي فلما سلّم من صلاته أدخل عليه، فقال له ﷺ: ما وراءك؟ قال: تؤمني يا أبا القاسم؟ قال نعم! قال: خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة، قال: فأين يذهبون؟ قال: إلى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال، وأخبره أن في هذا الحصن –يعني حصن الصعب– في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال صل الله عليه وسلم: إن شاء الله، قال اليهودي: إن شاء الله، أوقفتك عليه فإنه لا يعرفه غيري، وأخرى، قيل: وما هي؟ قال: ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة، ثم قال: يا أبا القاسم احتقن دمي، قال: أنت آمن! قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: هي لك، ثم دعاه إلى الإسلام فقال: انظرني.

5. استشهاد بن مسلمة وإعطاء اللواء لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم

وقاتل صل الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال، وألحّ على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل أشد القتال والمسلمون يقاتلونهم ولم يصنعوا شيئا وقد كرّ اليهود على الأنصار حتى كشفوهم فأغتمّ رسول الله صل الله عليه وسلم لذلك.

قال الواقدي: وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع ظله وكان يوماً شديد الحرّ فألقى عليه مرحب اليهودي رحى فهشمت البيضة وسقطت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأتى به رسول الله ﷺ فردّ الجلدة كما كانت وعصبها بثوب، ثم كانت سبب موته رضي الله عنه.

ثم تحول صل الله عليه وسلم بأصحابه إلى الرجيع خشية عليهم من البيات، فكان مقامه بالرجيع سبع ليال، يغدو كل يوم للقتال، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقاتل أهل النطاة يومه فإذا أمسى عاد إلى الرجيع، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين. وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الجيش كل ليلة. فلما كانت الليلة السادسة أستعمل عمر للحراسة، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم.

وأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه، فقال: أذهبا بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه وذهبوا به إلى باب النبي ﷺ فكان يصلي فلما سلّم من صلاته أدخل عليه، فقال له ﷺ: ما وراءك؟ قال: تؤمني يا أبا القاسم؟ قال نعم! قال: خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة، قال: فأين يذهبون؟ قال: إلى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال، وأخبره أن في هذا الحصن –يعني حصن الصعب– في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال صل الله عليه وسلم: إن شاء الله، قال اليهودي: إن شاء الله، أوقفتك عليه فإنه لا يعرفه غيري، وأخرى، قيل: وما هي؟ قال: ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة، ثم قال: يا أبا القاسم احتقن دمي، قال: أنت آمن! قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: هي لك، ثم دعاه إلى الإسلام فقال: انظرني.

5. استشهاد بن مسلمة وإعطاء اللواء لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم

وقاتل صل الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال، وألحّ على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل أشد القتال والمسلمون يقاتلونهم ولم يصنعوا شيئا وقد كرّ اليهود على الأنصار حتى كشفوهم فأغتمّ رسول الله صل الله عليه وسلم لذلك.

قال الواقدي: وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع ظله وكان يوماً شديد الحرّ فألقى عليه مرحب اليهودي رحى فهشمت البيضة وسقطت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأتى به رسول الله ﷺ فردّ الجلدة كما كانت وعصبها بثوب، ثم كانت سبب موته رضي الله عنه.

ثم تحول صل الله عليه وسلم بأصحابه إلى الرجيع خشية عليهم من البيات، فكان مقامه بالرجيع سبع ليال، يغدو كل يوم للقتال، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقاتل أهل النطاة يومه فإذا أمسى عاد إلى الرجيع، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين. وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الجيش كل ليلة. فلما كانت الليلة السادسة أستعمل عمر للحراسة، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم.

وأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه، فقال: أذهبا بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه وذهبوا به إلى باب النبي ﷺ فكان يصلي فلما سلّم من صلاته أدخل عليه، فقال له ﷺ: ما وراءك؟ قال: تؤمني يا أبا القاسم؟ قال نعم! قال: خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة، قال: فأين يذهبون؟ قال: إلى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال، وأخبره أن في هذا الحصن –يعني حصن الصعب– في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال صل الله عليه وسلم: إن شاء الله، قال اليهودي: إن شاء الله، أوقفتك عليه فإنه لا يعرفه غيري، وأخرى، قيل: وما هي؟ قال: ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة، ثم قال: يا أبا القاسم احتقن دمي، قال: أنت آمن! قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: هي لك، ثم دعاه إلى الإسلام فقال: انظرني.

5. استشهاد بن مسلمة وإعطاء اللواء لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم

وقاتل صل الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال، وألحّ على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل أشد القتال والمسلمون يقاتلونهم ولم يصنعوا شيئا وقد كرّ اليهود على الأنصار حتى كشفوهم فأغتمّ رسول الله صل الله عليه وسلم لذلك.

قال الواقدي: وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع ظله وكان يوماً شديد الحرّ فألقى عليه مرحب اليهودي رحى فهشمت البيضة وسقطت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأتى به رسول الله ﷺ فردّ الجلدة كما كانت وعصبها بثوب، ثم كانت سبب موته رضي الله عنه.

ثم تحول صل الله عليه وسلم بأصحابه إلى الرجيع خشية عليهم من البيات، فكان مقامه بالرجيع سبع ليال، يغدو كل يوم للقتال، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقاتل أهل النطاة يومه فإذا أمسى عاد إلى الرجيع، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين. وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الجيش كل ليلة. فلما كانت الليلة السادسة أستعمل عمر للحراسة، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم.

وأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه، فقال: أذهبا بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه وذهبوا به إلى باب النبي ﷺ فكان يصلي فلما سلّم من صلاته أدخل عليه، فقال له ﷺ: ما وراءك؟ قال: تؤمني يا أبا القاسم؟ قال نعم! قال: خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة، قال: فأين يذهبون؟ قال: إلى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال، وأخبره أن في هذا الحصن –يعني حصن الصعب– في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال صل الله عليه وسلم: إن شاء الله، قال اليهودي: إن شاء الله، أوقفتك عليه فإنه لا يعرفه غيري، وأخرى، قيل: وما هي؟ قال: ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة، ثم قال: يا أبا القاسم احتقن دمي، قال: أنت آمن! قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: هي لك، ثم دعاه إلى الإسلام فقال: انظرني.

5. استشهاد بن مسلمة وإعطاء اللواء لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم

وقاتل صل الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال، وألحّ على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل أشد القتال والمسلمون يقاتلونهم ولم يصنعوا شيئا وقد كرّ اليهود على الأنصار حتى كشفوهم فأغتمّ رسول الله صل الله عليه وسلم لذلك.

قال الواقدي: وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع ظله وكان يوماً شديد الحرّ فألقى عليه مرحب اليهودي رحى فهشمت البيضة وسقطت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأتى به رسول الله ﷺ فردّ الجلدة كما كانت وعصبها بثوب، ثم كانت سبب موته رضي الله عنه.

ثم تحول صل الله عليه وسلم بأصحابه إلى الرجيع خشية عليهم من البيات، فكان مقامه بالرجيع سبع ليال، يغدو كل يوم للقتال، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقاتل أهل النطاة يومه فإذا أمسى عاد إلى الرجيع، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين. وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الجيش كل ليلة. فلما كانت الليلة السادسة أستعمل عمر للحراسة، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم.

وأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه، فقال: أذهبا بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه وذهبوا به إلى باب النبي ﷺ فكان يصلي فلما سلّم من صلاته أدخل عليه، فقال له ﷺ: ما وراءك؟ قال: تؤمني يا أبا القاسم؟ قال نعم! قال: خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة، قال: فأين يذهبون؟ قال: إلى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال، وأخبره أن في هذا الحصن –يعني حصن الصعب– في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال صل الله عليه وسلم: إن شاء الله، قال اليهودي: إن شاء الله، أوقفتك عليه فإنه لا يعرفه غيري، وأخرى، قيل: وما هي؟ قال: ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة، ثم قال: يا أبا القاسم احتقن دمي، قال: أنت آمن! قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: هي لك، ثم دعاه إلى الإسلام فقال: انظرني.

5. استشهاد بن مسلمة وإعطاء اللواء لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم

وقاتل صل الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال، وألحّ على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل أشد القتال والمسلمون يقاتلونهم ولم يصنعوا شيئا وقد كرّ اليهود على الأنصار حتى كشفوهم فأغتمّ رسول الله صل الله عليه وسلم لذلك.

قال الواقدي: وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع ظله وكان يوماً شديد الحرّ فألقى عليه مرحب اليهودي رحى فهشمت البيضة وسقطت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأتى به رسول الله ﷺ فردّ الجلدة كما كانت وعصبها بثوب، ثم كانت سبب موته رضي الله عنه.

ثم تحول صل الله عليه وسلم بأصحابه إلى الرجيع خشية عليهم من البيات، فكان مقامه بالرجيع سبع ليال، يغدو كل يوم للقتال، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقاتل أهل النطاة يومه فإذا أمسى عاد إلى الرجيع، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين. وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الجيش كل ليلة. فلما كانت الليلة السادسة أستعمل عمر للحراسة، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم.

وأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه، فقال: أذهبا بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه وذهبوا به إلى باب النبي ﷺ فكان يصلي فلما سلّم من صلاته أدخل عليه، فقال له ﷺ: ما وراءك؟ قال: تؤمني يا أبا القاسم؟ قال نعم! قال: خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة، قال: فأين يذهبون؟ قال: إلى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال، وأخبره أن في هذا الحصن –يعني حصن الصعب– في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال صل الله عليه وسلم: إن شاء الله، قال اليهودي: إن شاء الله، أوقفتك عليه فإنه لا يعرفه غيري، وأخرى، قيل: وما هي؟ قال: ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة، ثم قال: يا أبا القاسم احتقن دمي، قال: أنت آمن! قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: هي لك، ثم دعاه إلى الإسلام فقال: انظرني.

5. استشهاد بن مسلمة وإعطاء اللواء لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم

وقاتل صل الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال، وألحّ على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل أشد القتال والمسلمون يقاتلونهم ولم يصنعوا شيئا وقد كرّ اليهود على الأنصار حتى كشفوهم فأغتمّ رسول الله صل الله عليه وسلم لذلك.

قال الواقدي: وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع ظله وكان يوماً شديد الحرّ فألقى عليه مرحب اليهودي رحى فهشمت البيضة وسقطت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأتى به رسول الله ﷺ فردّ الجلدة كما كانت وعصبها بثوب، ثم كانت سبب موته رضي الله عنه.

ثم تحول صل الله عليه وسلم بأصحابه إلى الرجيع خشية عليهم من البيات، فكان مقامه بالرجيع سبع ليال، يغدو كل يوم للقتال، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقاتل أهل النطاة يومه فإذا أمسى عاد إلى الرجيع، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين. وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الجيش كل ليلة. فلما كانت الليلة السادسة أستعمل عمر للحراسة، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم.

وأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه، فقال: أذهبا بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه وذهبوا به إلى باب النبي ﷺ فكان يصلي فلما سلّم من صلاته أدخل عليه، فقال له ﷺ: ما وراءك؟ قال: تؤمني يا أبا القاسم؟ قال نعم! قال: خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة، قال: فأين يذهبون؟ قال: إلى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال، وأخبره أن في هذا الحصن –يعني حصن الصعب– في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال صل الله عليه وسلم: إن شاء الله، قال اليهودي: إن شاء الله، أوقفتك عليه فإنه لا يعرفه غيري، وأخرى، قيل: وما هي؟ قال: ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة، ثم قال: يا أبا القاسم احتقن دمي، قال: أنت آمن! قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: هي لك، ثم دعاه إلى الإسلام فقال: انظرني.

5. استشهاد بن مسلمة وإعطاء اللواء لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم

وقاتل صل الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال، وألحّ على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل أشد القتال والمسلمون يقاتلونهم ولم يصنعوا شيئا وقد كرّ اليهود على الأنصار حتى كشفوهم فأغتمّ رسول الله صل الله عليه وسلم لذلك.

قال الواقدي: وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع ظله وكان يوماً شديد الحرّ فألقى عليه مرحب اليهودي رحى فهشمت البيضة وسقطت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأتى به رسول الله ﷺ فردّ الجلدة كما كانت وعصبها بثوب، ثم كانت سبب موته رضي الله عنه.

ثم تحول صل الله عليه وسلم بأصحابه إلى الرجيع خشية عليهم من البيات، فكان مقامه بالرجيع سبع ليال، يغدو كل يوم للقتال، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقاتل أهل النطاة يومه فإذا أمسى عاد إلى الرجيع، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين. وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الجيش كل ليلة. فلما كانت الليلة السادسة أستعمل عمر للحراسة، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم.

وأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه، فقال: أذهبا بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه وذهبوا به إلى باب النبي ﷺ فكان يصلي فلما سلّم من صلاته أدخل عليه، فقال له ﷺ: ما وراءك؟ قال: تؤمني يا أبا القاسم؟ قال نعم! قال: خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة، قال: فأين يذهبون؟ قال: إلى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال، وأخبره أن في هذا الحصن –يعني حصن الصعب– في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال صل الله عليه وسلم: إن شاء الله، قال اليهودي: إن شاء الله، أوقفتك عليه فإنه لا يعرفه غيري، وأخرى، قيل: وما هي؟ قال: ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة، ثم قال: يا أبا القاسم احتقن دمي، قال: أنت آمن! قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: هي لك، ثم دعاه إلى الإسلام فقال: انظرني.

5. استشهاد بن مسلمة وإعطاء اللواء لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم

وقاتل صل الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال، وألحّ على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل أشد القتال والمسلمون يقاتلونهم ولم يصنعوا شيئا وقد كرّ اليهود على الأنصار حتى كشفوهم فأغتمّ رسول الله صل الله عليه وسلم لذلك.

قال الواقدي: وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع ظله وكان يوماً شديد الحرّ فألقى عليه مرحب اليهودي رحى فهشمت البيضة وسقطت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأتى به رسول الله ﷺ فردّ الجلدة كما كانت وعصبها بثوب، ثم كانت سبب موته رضي الله عنه.

ثم تحول صل الله عليه وسلم بأصحابه إلى الرجيع خشية عليهم من البيات، فكان مقامه بالرجيع سبع ليال، يغدو كل يوم للقتال، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقاتل أهل النطاة يومه فإذا أمسى عاد إلى الرجيع، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين. وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الجيش كل ليلة. فلما كانت الليلة السادسة أستعمل عمر للحراسة، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم.

وأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه، فقال: أذهبا بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه وذهبوا به إلى باب النبي ﷺ فكان يصلي فلما سلّم من صلاته أدخل عليه، فقال له ﷺ: ما وراءك؟ قال: تؤمني يا أبا القاسم؟ قال نعم! قال: خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة، قال: فأين يذهبون؟ قال: إلى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال، وأخبره أن في هذا الحصن -يعني حصن الصعب- في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال صل الله عليه وسلم: إن شاء الله، قال اليهودي: إن شاء الله، أوقفتك عليه فإنه لا يعرفه غيري، وأخرى، قيل: وما هي؟ قال: ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة، ثم قال: يا أبا القاسم احتقن دمي، قال: أنت آمن! قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: هي لك، ثم دعاه إلى الإسلام فقال: انظرني.

5. استشهاد بن مسلمة وإعطاء اللواء لعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم

وقاتل صل الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال، وألحّ على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل أشد القتال والمسلمون يقاتلونهم ولم يصنعوا شيئا وقد كرّ اليهود على الأنصار حتى كشفوهم فأغتمّ رسول الله صل الله عليه وسلم لذلك.

قال الواقدي: وجلس محمود بن مسلمة الأنصاري تحت حصن ناعم يتبع ظله وكان يوماً شديد الحرّ فألقى عليه مرحب اليهودي رحى فهشمت البيضة وسقطت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأتى به رسول الله ﷺ فردّ الجلدة كما كانت وعصبها بثوب، ثم كانت سبب موته رضي الله عنه.

ثم تحول صل الله عليه وسلم بأصحابه إلى الرجيع خشية عليهم من البيات، فكان مقامه بالرجيع سبع ليال، يغدو كل يوم للقتال، ويستخلف على العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويقاتل أهل النطاة يومه فإذا أمسى عاد إلى الرجيع، ومن جرح يحمل إلى العسكر ليداوى. فجرح أول يوم خمسون من المسلمين. وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الجيش كل ليلة. فلما كانت الليلة السادسة أستعمل عمر للحراسة، فطاف عمر رضي الله عنه بأصحابه حول العسكر وفرقهم.

وأتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فأمر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه، فقال: أذهبا بي إلى نبيكم حتى أكلمه، فأمسك عنه وذهبوا به إلى باب النبي ﷺ فكان يصلي فلما سلّم من صلاته أدخل عليه، فقال له ﷺ: ما وراءك؟ قال: تؤمني يا أبا القاسم؟ قال نعم! قال: خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة، قال: فأين يذهبون؟ قال: إلى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال، وأخبره أن في هذا الحصن –يعني حصن الصعب– في بيت فيه تحت الأرض منجنيقاً ودبابات ودروعاً وسيوفاً فإذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال صل الله عليه وسلم: إن شاء الله، قال اليهودي: إن شاء الله، أوقفتك عليه فإنه لا يعرفه غيري، وأخرى، قيل: وما هي؟ قال: ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك، وكذلك تفعل بحصون الكتيبة، ثم قال: يا أبا القاسم احتقن دمي، قال: أنت آمن! قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: هي لك، ثم دعاه إلى الإسلام فقال: انظرني.

الفهرس

الجزء الثالث: المجاهرة بالدعوة وتحديات البقاء

الجزء الرابع: الهجرة النبوية

الجزء الخامس: غزوة بدر

الجزء السادس: غزوة أحد

الجزء السابع: الفتن ما بعد الهزيمة بغزوة أحد

الجزء الثامن: غزوة بني النضير وما تلاها من أحداث

الجزء التاسع: غزوة الخندق (الاحزاب)

الجزء العاشر: تأديب الأعداء بالسرايا وصلح الحديبية وبدأ عصر المعاهدات

الجزء الحادي عشر: سفراء الرسول ﷺ وفترة السلام والانتشار وغزوة خيبر

الجزء الثاني عشر: نصر من الله والفتح العظيم لمكة المكرمة

الجزء الثالث عشر: أواخر الفتوحات النبوية

الجزء الرابع عشر: بناء الدولة الاسلامية ونشر الإسلام

فهرس الخرائط والصور

جدول رحلات وغزوات الرسول عليه الصلاة والسلام لنشر الإسلام

المصادر

أسد الغابة في معرفة الصحابة

تأليف عز الدين ابن الأثير، أبو الحسن، علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ), دار الكتب العلمية، بيروت, الطبعة: الأولى، 1994

الكامل في التاريخ

تأليف علي بن محمد ابن الاثير الجرزي ابوالحسن

المكتبة العصرية, لبنان, 2021.

حياة الصحابة

تأليف محمد يوسف الكاندهلوي, دار ابن حزم, بيروت, 2021.

السيرة الحلبية: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون

تأليف علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج (ت ١٠٤٤هـ), الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت, الطبعة: الثانية - 1427هـ.

صحيح البخاري

تأليف أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي

الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، الطبعة الأولى 1422 هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت.

السيرة النبوية لابن اسحاق

تأليف محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المدني, دار الكتب العلمية, بيروت, 2004.

البداية والنهاية لابن كثير

تأليف إسماعيل بن عمر الدمشقي أبن كثير, 14 جزء, شركة مصر للطباعة, 2010.

جمهرة خطب العرب

تأليف احمد زكي صفوت, 3 اجزاء, المكتبة العلمية, بيروت, 2009.

مروج الذهب

تأليف أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي. دار صادر للنشر, بيروت, 2010.

الرياض النضرة في مناقب العشرة

تأليف أبي جعفر أحمد بن عبدالله المحب الطبري, الناشر امين الخانجي, 2016.

أحباب الرسول

تأليف د علي درويش الشمالي انتاج المجلس الاقتصادي للدول الاسلامية: الكويت, لندن, جنيف 2021.

كنز العمال في سنن الاقوال والافعال

تأليف علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي, مؤسسة الرسالة, 1981.

جمهرة خطب العرب

تأليف احمد زكي صفوت, 4 أجزاء, المكتبة العلمية, بيروت, 2019.

شخصيات الرسول

تأليف د علي درويش الشمالي انتاج المجلس الاقتصادي للدول الاسلامية: الكويت, لندن, جنيف 2021.

الصلوات القرانية: مناجاة العليم بالصلاة والتسليم على النبي العظيم من فيض سور القران الكريم

تأليف الشيخ عبدالله نجيب سالم, د علي درويش الشمالي انتاج المجلس الاقتصادي للدول الاسلامية: الكويت, لندن, جنيف 2020– 1441.

الرحيق المختوم

تأليف صفي الرحمن المباركفوري (١٤٢٧هـ)

الناشر: دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع).

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة المعروف

تأليف لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي, دار الكتب العلمية - دار الريان للتراث, 1988.

هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى

تأليف محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية, دار القلم- دار الشامية، جدة – السعودية, 1996.

الشمائل المحمدية

تأليف محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (٢٧٩هـ)

الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

سير اعلام النبلاء للامام الذهبي

السيرة النبوية. مراجعه د. بشار معروف. مؤسسة الرسالة 1374.

الجامع لما في الصحيحين

جمع وترتيب د. عبدالمحسن محمد القاسم, المدينة المنورة, 2023.

فضائل الصحابة لاحمد بن حنبل الشيباني

جزئين, مؤسسة الرسالة, بيروت, 1983.

الاثار النبوية

تأليف أحمد تيمور باشا, دار غار حراء, دمشق, 2004.

زاد المعاد في هَدي خير العباد

تأليف شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ), حقّق نصوصَه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط [ت ١٤٣٨ هـ]- عبد القادر الأرنؤوط [١٤٢٥ هـ مؤسسة الرسالة، بيروت, الطبعة الأولى، 1417 – 1996.

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين

تاليف محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (ت ١٣٤٥هـ)
الناشر: دار الفيحاء – دمشق, الطبعة: الثانية – 1425.

طريق الهجرة النبوية المصورة

د عبدالله بن حسين القاضي, المملكة العربية السعودية, 2024.

السيرة النبوية لابن كثير

تأليف أبو الفداء، إسماعيل بن كثير (٧٠١ - ٧٧٤ هـ)

مُستَلًّا مِن كتابه: البداية والنهاية تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد الناشر: عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1395 – 1976.

كتاب المغازي

تأليف محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت ٢٠٧هـ)
الناشر: دار الأعلمي – بيروت الطبعة: الثالثة, 1409- 1989.

إمتاع الاسماع بما للنبي من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع
تأليف احمد بن علي ابوالعباس الحسيني تقي الدين المقريزي 845ه, دار الكتب العلمية, بيروت 1999.

دولة الكويت
وزارة الإعلام
قطاع الصحافة والمطبوعات
إدارة المطبوعات والنشر

كشف كتب

القسم : مطبوعات الكتب العربية 2026/1/6

المستورد : شخصي

م	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر	الطبعة	سنة الطبعة	ملاحظات
1	السيرة الحامدية لأخبار سيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم	الشيخ/محمد خير حامد د.علي درويش الشمالي الشيخ/عبدالله نجيب سالم	المؤلف	الأولى	2026	صالح للتداول

الشيخ بدر الموسى
رئيس قسم متابعة الكتب العربية

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله

إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي

قال: ما شئت. قال قلت الربع

قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك. قلت النصف

قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك. قال قلت فالثلثين

قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك.

قلت أجعل لك صلاتي كلها

قال: «إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك».

قال الإمام الترمذي رحمه الله: (هذا حديث حسن صحيح)